

جواهر الأدب

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المرحوم السيد أحمد الهاشمي

مدير مدارس فؤاد الأول
ومراقب مدارس فيكتوريا سابقا

الجزء الثاني

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص.ب. ٥٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشر

المقدمة الأولى في التاريخ

التاريخ : هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، واعتقاداتهم ، وأديبهم ، ولغتهم .

والأدب : (كل رياضة محمودة يتخرجُ بها الإنسان في فضيلة من الفضائل) وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ، والمحاكاة ، تكون أيضاً بمزاولة الأقوال الحكمية التي تضمنتها لغة أى أمة .

واللغة : ألفاظٌ يُعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم ، وهى من الأوضاع البشرية . وأدبُ لغة أى أمة : هو ما أودع شعرها ونثرها من نتائج عقول أبنائها وصور أخيلتهم وطباعهم ، مما شأنه أن يهذب النفس ، ويثقف العقل ، ويقوم اللسان . وتاريخ أدب اللغة : هو العلم الباحثُ عن أحوال اللغة ، نثرها ونظمها في عصورها المختلفة من حيث رفعتها وضعفها ، وعما كان لئابغيتها من التأثير البين فيها .

واللغة العربية : إحدى اللغات السامية ، وهى لغة أمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر ، التى كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربى من آسيا . وهذه الأمة : منها القدماء ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة ، وينطقون باللغة العربية سليقةً وطبعاً ، وهم ثلاث طبقات :

أولاهـا ـ العرب البائدة : وهؤلاء لم يصل إلينا شئٌ صحيح عن أخبارهم إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم ، وإلا ما جاء في الحديث النبوى ، ومن أشهر قبائلهم : طهم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وعملق ، وعبدُ ضخم .

وثانيتهما - العرب العاربة : وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازل لهم ، ومن أمهات قبائلهم : كهلان وحِمْير .

وثالثتها - العرب المُستعربة : وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين والمتزجون بهم لغة ونسباً ، والمعروفون بعد بالعدنانيين ، ومن أمهات قبائلهم : ربيعة ، ومُضَر ، وإياد ، ونزار .

ومنها المُحدَثون : وهم سلائل هؤلاء الأقبام المتزجون بسلائل غيرهم ، والمنتشرون بعد الإسلام فى بقاع الأرض من المحيط . الأخضر (الأطلنطى) إلى ماوراء بحر فارس ودجلة ، ومن أعلى النهرين إلى ما وراء جاوه وسومطرة .

المقدمة الثانية فى توضيح بعض ما فى المقدمة الأولى

اعلم أنه يُوجدُ فى الجنوب الغربى من آسيا إقليم واسع الأرجاء ، تبلغ مساحته ربع أوروبا تقريباً ، تساهل الأقدمون فسّموه (جزيرة العرب) مع أن الماء لم يحيط به من جميع جهاته .

يتألف غربى هذا الإقليم من جزئين شهيرين : الحجاز شمالاً ، واليمن جنوباً . أما الحجاز فقطر فقير ، قلّت مياهه ، وأجذبت أرضه ، واشتدت حرارته ، يعتمد أهله على الأودية القليلة ، والآبار الشحيحة ، لم يستطيعوا أن ينتفعوا كثيراً بالماء الذى ينزل من السماء ، لأنهم لم يبلغوا من الفنون مبلغاً يمكنهم من اختزانه واستخدامه عند الحاجة إليه ، وأشهر مدنه مكة والمدينة والطائف . وأما اليمن فقد اشتهر قديماً بالغنى والخصب والحضارة ، كثرت أمطاره وسيوله وعرف أهله بما أوتوا من فن أن ينتفعوا بها ، فأنشأوا السدود يسيطرون بها على الماء جمعاً وتصريفاً ، وأشهر مدنه صنعاء ، وجران ، وعدن .

وهذان القطران - أعنى الحجاز واليمن - أبعدُ البلاد أثراً فى حياة العرب ، وفى تاريخهم السياسى ، والاقتصادى ، والأدبى .

وإذا وقع نظرك على (مصور) جزيرة العرب فأبَيْنُ ما ترى فيها وأبعده مدى صَحْرَاؤها فى داخلها ، وهى متنوعة فى طبيعتها ، فسهلة لينة حيناً ، وصلبة انتشرت فيها الحصباء حيناً ، ومفروشة بحجارة سوداء تسمى الحرار حيناً . وهذه الصحراء فى جملتها قفر ، تسطع الشمس عليها فى الحرف تفلح أرضها وأهلها ، ويعتمد ساكنوها على ما تُنبته البقاع عقب المطر فترعاه إبلهم وشياهم ؛ وهم يأكلون من لحومها ، ويشربون من ألبانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها .

المقدمة الثالثة فى نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النَّسَّابُونَ أَنْ يُقَسِّمُوا الشعوب إلى أجناس ، ويُسمُّوا كل جنس باسم خاص يجمعها فاعتادوا أَنْ يُسمُّوا الجنس الذى منه العرب (الجنس السامى) نسبة إلى (سام بن نوح) عليه السلام ، وعدوا من هذا الجنس البابليين والأشوريين والعبرانيين والفينيقيين والأرمينيين والحبشيين . ولكن هذا كله لا يزال موضع خلاف بين علماء الأنساب ؛ كما اختلفوا فى أَنَّ أصل (الجنس السامى) نشأ فى آسيا (فى جزيرة العرب أو أرمينية أو على شاطئ الفرات) أو نشأ فى إفريقية ثم نزع منها إلى آسيا .

ومن قديم وهؤلاء العرب ينقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنوب (اليانبيين) ويذكر النَّسَّابُونَ أَنَّ عرب الشمال يرجعون فى نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويُسمُّون النزاريين نسبة إلى نزار من نسل إسماعيل ، وعرب الجنوب من نسل قحطان ، ويُسمُّون اليانبيين أو القحطانيين ، وبين هذين النوعين من العرب فروق ترجع فى جملتها إلى أَنَّ عرب الحجاز تغلب عليهم عيشة البداوة ، وعرب اليمن يعيشون عيشة حضارة .

ولسنا نقصد أَنَّ عرب الشمال كانوا يسكنون الحجاز فحسبٌ وعرب الجنوب كانوا يسكنون اليمن ولا يتعدونها ، بل نغنى أَنَّ كلامنا الحجازيين واليانبيين

عُنْصُرٌ يَخْتَلَفُ فى نَسَبِهِ ودمه عن العُنْصُرِ الآخَرِ ، ولكن كانت بين العنصرين صِلَاتٌ ، وَرَحَلَ قوم من كل فريق إلى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها ، فكان فى الحجاز عرب من اليمن وكان فى اليمن عرب من الحجاز .

وكل من اليانين والحجازيين ينقسمون إلى قبائل .

فاليانيون يتفرعون إلى فرعين كبيرين : شعب كهلان وشعب حمير .

فشعب كهلان : قبائله طَيْئٌ ، وهَمْدَان . ولخم ، وَكِندَة .

وشعب حمير : أشهر قبائله قُضَاعَة ، وتنوخ ، و كلب .

والحجازيون : كذلك ينقسمون إلى قسمين كبيرين : ربيعة ، ومُضَر .

فشعب ربيعة : أشهر قبائله بكر ، وتَغْلِب .

وشعب مُضَر : أشهر قبائله قيس ، وتميم ، وهُذَيْل ، وكنانة ، وقريش ،

وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاذ يطول عدها ، وكان بين

هذه القبائل - حتى ما كان منها من أصل واحد - من الحروب ، والمنازعات ،

والتهاجى ما ملئت به كتب التاريخ والأدب .

المقدمة الرابعة فى اللغة العربية

وإذ قد ذكرنا قبلُ أَنَّ العرب والعبرانيين ومن إليهم يُعَلُّون (ساميين)

فبلغاتهم التى يتكلمون بها تسمى (لغات سامية) فاللغة العربية إحدى اللغات

السامية وقد عرفت على النحو الذى نعلمه ، حول آخر القرن الخامس للميلاد .

ويذهب الباحثون فى علم المقارنة بين اللغات إلى أَنَّ اللغة العربية من أقرب

اللغات إلى اللغة الأصلية التى تفرعت منها اللغات السامية ، نظراً لاحتباس

العرب فى بلادهم وقلة النازحين منها والوافدين إليها ، وضعف العلاقة بين

أهلها وغيرهم من الأمم .

وكما انقسم العرب إلى حجازيين ويمنيين انقسمت لغتهم إلى مُضَرِيَّة

وحِميرية وكانت هناكُ فروقٌ بين اللغتين عَظيمةٌ فى الألفاظِ، اللغوية ، وفى الصِّغِ وفى التراكيب ، وفى اللهجات ؛ ولكن حدث قبيل الإسلام أن أخذت لغة الحجاز ، وبعبارة أدق (لغة قريش) تسودوما زالت كذلك حتى ظفرت باللغة الحميرية ، وحتى صارت (لغة قريش) هى لغة جزيرة العرب جميعاً . وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية ، ودينية ، واقتصادية ستأتى الإشارة إليها بعد .

المقدمة الخامسة فى تاريخ الأمة العربية

ليس تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام معروفاً محققاً ، لأن أكثر الأمة كانوا أهل بدو لم تمكنهم بداوتهم من أن يُدَوِّنوا تاريخهم ، أو ينقشوا حوادثهم حتى أن الذين تحضروا منهم كاليانين والحميريين لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم ، وإنما يَعتمدُ الذين يؤرخون للعرب قبل الإسلام على هذا القليل من الآثار ، وعلى ما كتبه أهل عصرهم من الأمم الأخرى كاليونان ، والرومان ، والمصريين ، والعبريين ، والحبشيين ، وعلى ما يستنبطون من بعض نصوص أدبية . ولنتقصر الآن كلامنا على حالة العرب قبيل الإسلام ، فإن اللغة العربية التى نعى بآدابها وتاريخها إنما عُرِفَتْ فى هذا العصر .

هذا العصر سمَّاه القرآن الكريم (الجاهلية) ونسبنا إليه فقلنا : العصر الجاهلى ، والأدب الجاهلى ؛ وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلب فيه من السفه والفخر بالمال والأنساب والإمعان فى سفك الدماء والعصبية الحادة ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه ، وقد نُقل إلينا كثير مما يدل على حالة هذا العصر الاجتماعية والسياسية من شعر وأمثال وقصص ، ولكنها كلها لم تُدَوِّن فى الكتب إلا فى القرن الثانى والثالث للهجرة ؛ فكان بعضها مثاراً لنقد الناقدين وأخذ العلماء والأدباء من قديم يحصونها ، ويُصحِّحون بعضهاً ويكذبون بعضاً ، ولكن بجانب ذلك وَرد كثير من آيات القرآن الكريم

وصحيح الحديث يروى لنا الشيء الكثير عن هذه الحياة الجاهلية ،
ويكشف لنا من غموضها .

ويدلنا ماصح من تاريخهم على أنه قد أنشئ على تخوم جزيرة العرب الشمالية
إمارتان كبيرتان : إمارة الحيرة في العراق بجوار الفرس ، وإمارة الغساسنة في
الشام بجوار الرومان ، وكان يحكم هاتين الإمارتين أمراء من العرب يتبعون في
نظامهم نظام الدول المجاورة لهم . فإمارة الحيرة تتبع في كثير من شئونها نظام
الفرس وإمارة الغساسنة تتبع في كثير من شئونها نظام الرومان .

وكان سكان هاتين الإمارتين وسكان اليمن في الجنوب يعيشون عيشة
حاضرة يزرعون ويصنعون ، وكثير من سادتهم مُترَفون . وقد روى لنا
الكثير عن ترف أمراء الغساسنة في الشام ، وعن حضارة الحيريين ، وما كان
لهم من خورنق وسدير .

أما داخل الجزيرة والحجاز ، إذا أنت استثنيت بعض سكان المدن المشهورة
- كمكة ويثرب والطائف - فكانوا أهل بدو يحتقرون الزراعة والصناعة
والتجارة ويعتمدون في معيشتهم على الإبل ، ويؤغلون بها في الصحراء ،
ويتطلبون منابت العشب ، ومراعى الشجر ، وموارد الماء ، ويأكلون مما
تخرجه الأنعام .

المقدمة السادسة في حياة العرب الاجتماعية

كان سكان الجزيرة يعيشون عيشة قبائل ، فالقبيلة هي الوحدة التي يُبنى
عليها نظام حياتهم ، وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أب واحد ، وقل أن ينتسب
إليها . من لم يُسَاهمها في نسبها إلا عن طريق الحلف أو الولاء^(١) .

(١) كان الأسير من قبيلة أخرى إذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه
بسمة القبيلة التي أسرته ، ويسمى حليفا لها . وكانوا يجيزون استرقاق
الأسرى ، فإذا عتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتق والمعتق . وهذه
الصلة تسمى الولاء .

وتسود أفراد القبيلة فكرة العصبية ، فكلُّ فرد يتعصب لقبيلته ويعنى بحفظ نسبه ويفتخر به ، ويحنو على من يُشاركه فيه ، ويسير على منهج قبيلته ، سواء أصابت أم أخطأت ، ومن هذه الظاهرة قول القائل :

وما أنا إلا من غزِيَّة إن غَوَتْ غويت وإن ترشد غزِيَّةُ أرشد
والقبيلة تحميه من العدوان ، وتطالب بدمه إن جنى أحد عليه ، ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ، وهو مرجع الأفراد فى إقامة العدل بينهم على حسب عرفهم وتقليدهم .

وعلاقة القبيلة بغيرها من القبائل علاقة عدااء غالباً - تُغَيِّرُ عليها ، وتغنم من مالها ورجالها ، والأخرى تتربص بها الدوائر لتنتقم منها :

يُغار علينا واترين فيُشتنى بنا إن أصبنا أو نُغِير على وتر (١)
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضى إلا ونحن على شطر

ولم تكن للعرب فى الجاهلية عدا من ذكرنا قبلُ حكومة تسيطر عليهم جميعاً وتشرف على شئونهم ، لأنَّ شرط قيام الحكومة انتساب الأفراد إلى المواطن ، لا إلى القبائل ، وانحلال العصبية وقيام الجامعة الوطنية الدينية مقام العصبية القبلية ، وهى أمور لم تتوافر للعرب فى جاهليتها .

كانت القبيلة تنقسم عندهم إلى أسر ، ونظام الأسرة كان فى هذا الطور هو المعروف عند علماء الاجتماع : بطور السلطة الأبوية ، إذ كان الأب فيها واسع السلطان نافذ الكلمة على كل أفراد الأسرة ، يتصرف فى مالهم وفى شئونهم ويقطع فى الأمور دونهم ، وهو المرجع الأعلى لهم جميعاً ، وكان بعض الأسر تمتاز بصفات وأعمال ، تجعل له الرياسة والشرف كبيت هاشم ، وبيت أمية فى قريش ، وبيت زُرارة فى تيم ، وهكذا .

(١) الواثر القاتل ، والموتور الذى قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه ، وواترين حال من الضمير فى علينا .

المقدمة السابعة فى أخلاقهم

ترى أَنَّ أَكْثَرَ الْعَرَبِ أَهْلُ بَدْوٍ . وَلَأَهْلُ الْبَدْوِ صِفَاتٌ خَاصَةٌ يَتَمَدَّحُونَ بِهَا وَيُكْثَرُونَ فِي شَعْرِهِمْ مِنْ ذِكْرِهَا وَالتَّغْنَى بِهَا وَلَعَلَّ مِنْ خَيْرِ مَا يُمَثِّلُ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ «تَابُطَ شَرًّا» أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ (١) إِذْ يَمْدَحُ ابْنَ عَمٍّ لَهُ بِأَنَّهُ قَلِيلُ الشُّكْوَى مِنَ الْهَمِّ يَنْزِلُ بِهِ ، بِعِيدِ الْهَمَّةِ وَاسِعِ الْأَمَلِ يَسِيرُ وَحِيدًا لَا يَهَابُ ، وَيَرْكَبُ الْمَهَالِكَ وَلَا يَخْشَى مُوَاجَهَتَهَا ، (عَدَاءٌ) يَسْبِقُ الرِّيحَ السَّرِيعَةَ ، إِنْ نَامَ فَإِنَّمَا تَنَامَ عَيْنُهُ ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ، وَإِنْ صَحَا كَانَتْ عَيْنُهُ دَيْدَبَانَ قَلْبِهِ . وَلَهُ سَيْفٌ صَارُمٌ ، إِنْ أَصَابَ بِهِ قِرْنَا اسْتَقْبَلَتْهُ الْمَنَايَا مُتَهَلِّلَةً ، لَا يَخْشَى الْوَحْدَةَ بَلْ يَأْنَسُ بِهَا ، وَيَعْرِفُ مَسَالِكَ الصَّحْرَاءِ فَلَا يَضِلُّ فِي سِيرِهِ ، كَمَا لَا تَضِلُّ الشَّمْسُ ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ كَمَا تَرَى هِيَ (الْمَثَلُ الْأَعْلَى) لِلْبَدْوِيِّ لَا لِلْحَضَرِيِّ .

وَقَدْ تَمَدَّحُوا بِالْمَرْوَةِ وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهَا ، وَهُوَ لَفْظٌ يَجْمَعُ قَانُونَ الشَّرَفِ عَمَادُهُ الشُّجَاعَةُ وَالْكَرَمُ وَالْوَفَاءُ ، وَأَكْثَرُ مَا تَتَجَلَّى فِيهِ الشُّجَاعَةُ عِنْدَهُمُ النَّزَالُ وَالْقِتَالُ وَالِدِفَاعُ عَنِ الْأَهْلِ وَالْقَبِيلَةِ وَنَجْدَةُ الْمُسْتَصْرَخِ . وَأَكْثَرُ مَا يَتَجَلَّى فِيهِ الْكَرَمُ إِيقَادُ النَّيْرَانِ وَنَحْرُ الْجَزُورِ ، وَإِضَافَةُ اللَّاجِئِ .

(١) قَلِيلُ التَّشْكَى لِلْمَهْمِ يَصِيبُهُ يَظَلُّ بِمَوَاةٍ وَيَمْسَى بِفَيْرِهَا وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ تَنْتَحِي إِذَا حَاصَ عَيْنِيهِ كَرَى النَّوْمَ لَمْ يَزَلْ وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْبَةً قَلْبُهُ إِذَا هَزَهَ فِي عَظْمٍ قَرْنٍ تَهَلَّتْ يَرَى الْوَحْشَةَ الْإِنْسَ اللَّذِيذَ وَيَهْتَدِي كَثِيرُ الْهَوَى شَتَى النَّوَى وَالْمَسَالِكُ جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورُ الْمَهَالِكِ بِمَنْخَرٍ مِنْ شِدَّةِ الْمَتَدَارِكِ لَهُ كَأَنَّهُ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانِ فَاتَكَ إِلَى سَلَةِ مَنْ حَدَّ أَخْلَقَ صَائِكَ نَوَاجِذَ أَقْوَادِ الْمَنَايَا الضَّوَاحِكِ بَحِثَ اهْتَدَتْ أَمْ النُّجُومُ الشَّوَانِكِ

المَوَاةُ : الْمَفَازَةُ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا ، وَجَحِيشًا : وَحِيدًا ، وَيَعْرُورِي ظُهُورُ الْمَهَالِكِ : يَرْكَبُهَا ، مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ أَعْرُورِيَتِ الْفَرَسِ إِذَا رَكَبْتَهُ عَارِيًا لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَوَفَدَ الرِّيحِ أَوَّلُهَا وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَسْبِقُ الرِّيحَ لَخَفْتِهِ ، وَالْمَنْخَرُ السَّرِيعُ وَالْمَتَدَارِكُ الْمُتَلَحِّقُ ، حَاصٌ خَاطٌ ، وَالشَّيْحَانُ الْحَازِمُ . وَالْفَاتِكُ الَّذِي إِذَا هَمَّ بِشَيْءٍ فَعَلَهُ ، رَيْبَةُ الْقَلْبِ دَيْدَبَانُهُ - وَيُرِيدُ بِالسَّلَةِ السَّيْفَ الَّذِي يَسْتَلُّ . أَمْ النُّجُومُ : الشَّمْسُ .

فَأَمَّا الشجاعة فيمثلها فى نظرهم قول عمرو بن معديكرب :

لما رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شِدَاً (١)
 وبدت «لَيْسَ» كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
 وبدت محاسنها التى تخفى وكان الأمرُ جدًّا
 نازلتُ كبشَهُمْ ولم أَرَمَنْ نَزَالِ الْكَبِشِ بُدَاً (٢)
 هم يُنْذِرُونَ دَمِي وَأُنْذِرُ إِنْ لَقِيتُ بَأَنَّ أَشَدَّا
 كم من أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا
 ما إِنْ جَزِعْتُ وَلَا هَلَعْتُ وَلَا يَرُدُّ بَكَائِي زَنْدَا
 أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخَلِقْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ جِلْدَا
 أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدَا
 ذهب الذين أَحْبَبُّهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السِّيفِ فَرْدَا

وَأَمَّا الْكِرَمُ ، فمن خير ما يمثله فى نظرهم قول عتبة بن بجير :

فَقَالُوا غَرِيبٌ طَارِقٌ طَوَحَتْ بِهِ
 متونُ الْفِيَاثِ وَالْخُطُوبِ الطَّوَائِحِ (٣)
 فَقَمْتُ وَلَمْ أَجِثْ مَكَانِي وَلَمْ تَقُمْ
 معِ النَّفْسِ عِلَاتِ الْبَخِيلِ الْفَوَاضِحِ
 وَنَادَيْتُ شَبِلًا فَاسْتَجَابَ وَرَبَّمَا
 ضَمْنَا قِرَى عَشْرَ لِمَنْ لَا تَصَافِحُ (٤)
 فَقَامَ أَبُو ضَيْفٍ كَرِيمٌ كَأَنَّهُ
 وَقَدْ حُدِّمَ فَرَطُ الْفَكَاهَةِ مَازِحُ (٥)
 إِلَى جِذْمٍ مَالٍ قَدْ نَهَكْنَا سَوَامَهُ
 وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقُ صَحَائِحِ (٦)

(١) المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة . ومعنى يفحصن بالمعزاء شدا : أى انهم يؤثرون فى الأرض الصلبة لشدة عدوهن .
 (٢) كبش القبيلة رئيسها . (٣) الخطوب الطوائح : أى المصائب المهلكة . وطوحت به حملته على ركوب المهالك . (٤) شبل اسم ابنه ! وقرى عشر أى ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته . (٥) أبو ضيف يريد نفسه . (٦) الى جذم . متعلق - يقام فى البيت قبله ، ويريد بجذم المال أصل المال ، وهو النوق جمع ناقة .

جعلناه دون الذم حتى كأنه إذا عُدَّ مَالُ المكثرين المنائح (١)
لنا حمد أرباب المؤمنين ولا يُرى إلى بيتنا مالٌ مع الليل رائج (٢)
وقد أحبوا كثيراً ، وشربوا الخمر ، ولعبوا الميسر ، وشُغِفُوا بالصيد .
وطربوا للغناء وتاقوا إلى السمر ، وكان هذا كله مادة لشعرهم وأدبهم .

المقدمة الثامنة فى دينهم

كان للعرب فى الجاهلية دينٌ ، ولكنه دين ضعيف ، لا يُخلصون له ولا يصل
إلى أعماق نفوسهم ، وحسبنا دليلاً على ذلك أننا ننظر فيما بين أيدينا من شعرهم
فنرى فيه الصيد كثيراً ، والخمر والنساء والميسر كثيراً ، والفخر والهجاء ووصف
القتال كثيراً ، ولكن قل أن نرى فيه شرحاً لعاطفة دينية ، وقل أن نرى فيه
ذكر الله وتمجيده ، وقل أن نرى فيه وصفاً لما كانوا يعبدون .

انتشرت اليهودية والنصرانية فى بعض بقاع جزيرة العرب ، فقد كان
فيها مستعمرات يهودية أشهرها « يثرب » وهى سميت بعدُ « بالمدينة » ،
كذلك انتشرت اليهودية فى اليمن فى أوائل القرن السادس للميلاد ، ولكنها
كانت فى نزاع مستمر مع النصرانية .

وانتشرت النصرانية فى منازرة الحيرة ، وفى غساسنة الشام ، وسائر قبائله
وزاحمت اليهودية فى اليمن ، وكان أشهر مراكز النصرانية فى اليمن مدينة نجران .
وكان القسيسون والرهبان يردون أسواق العرب يعظون ويبشرون ويذكرون
البعث والحساب والجنة والنار ، واشتهر من شعرائهم وخطبائهم (عدى بن زيد
وقس بن ساعدة) ولكن اليهودية والنصرانية كانتا قليلتين إذا قيستا بالدين
السائد فى الجزيرة وهو الوثنية ، فقد عبد العرب الأصنام ، وعظموا الأوثان

(١) المنائح : جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع الى الجار لينتفع
بلبنها مادام فيها لبن . (٢) يقول : ان مالنا قليل فابلنا بركة بفناء
الدار انتظارا للضيف وهى ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع
ذلك لنا من الحمد والثناء مثل ما للمكثرين أصحاب المؤمنين .

ونصبوها فى الكعبة ، وقربوا لها القرابين ، وكان من أشهر هذه الأصنام (اللات والعزى ومناة) وكان تقديسها يكاد يعم قبائل العرب ، وإن كان ثم أصنام أخرى خاصة ببعض القبائل .

المقدمة التاسعة فى ثقافتهم

كانت المدن على التخوم واليمن مُتحضرة بعض تحضر ، فالآثار التى عُثر عليها فى اليمن والحيرة . وما نقل عن أهلها يدل دلالة صادقة على أنهم كانوا على حظ من الفن والعلم غير قليل : فأهل الحيرة تسرب إليهم شئ من علوم الفرس وآدابهم وعلوم اليونان وآدابهم والغساسنة فى الشام تسرب إليهم شئ من حضارة الرومان واليونان وآدابهم . واليمن أمة عريقة فى المدنية كانت تتصل بالفرس ، وتتصل بالحبشة وتتصل بالرومان ، ولها معهم جميعاً صلات تجارية— أما ما عدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظهم من العلم والفن قليلاً . وعلى الجملة كان للعرب معرفة بالأنساب ، وبشئ من أخبار الأمم ، وبشئ من الطب . ولكن ما كان عندهم من ذلك لم يعد أن يكون معلومات عملية أولية وتجارب ينقصها الاستقراء ، ونظرات عامة يعوزها التعمق والاستقصاء . أما من الناحية الأدبية فكان لهم شعرٌ وقصصٌ وأمثال — وقد طبع كل ذلك بطابع عقليتهم التى أنتجها تاريخهم وبيئتهم كما سترى .

المقدمة العاشرة فى عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أى أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التى تقع بين ظهرانى هذه الأمة . ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة أعصر :

الأول : عصر الجاهلية ، وينتهى بظهور الإسلام . ومدته نحو خمسين

الثاني : عصر صدر الإسلام ويشمل دولة بني أمية ؛ وابتدى بظهور الإسلام ، وينتهى بقيام دولة بني العباس سنة (١٣٢) هـ .

الثالث : عصر بني العباس ؛ وابتدى بقيام دولتهم وينتهى بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة (٦٥٦) هـ .

الرابع : عصر الدول التركية ؛ وابتدى بسقوط بغداد وينتهى بمبدأ النهضة الأخيرة سنة (١٢٢٠) هـ .

الخامس : عصر النهضة الأخيرة ؛ وابتدى من حكم الأسرة المحمدية العلوية بمصر .

العصر الأول عصر الجاهلية

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كلاً ، وأعرقها قدماً ، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس ، أويجول في الخاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين ، وتصوير خيال ، وتعيين مرافق . وهي على هندمة أوضاعها ، وتناسق أجزائها لغة قوم أميين ، ولا عجب إن بلغت تلك المنزلة : من بسطة الثروة ، وسعة المدى ، إذ كان لها من عوامل النمو ، ودواعي البقاء والرقى ، ما قلماً يتهيأ لغيرها . وما رواه لنا أئمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب ، ولا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي :

(١) هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كل ممزق بظلمهم أنفسهم وتخرب بلادهم بسيل العرم (١)

(١) العرم : جمع عرمة كفرجة وهي سد يعترض به الوادي أو هو جمع بلا واحد أو هو الأحباس والسدود تبنى في الوادي لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات وحادثة سيل العرم أنه كان لسباً في اليمن عرم تحبس الماء خلفها فتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الأهلية سبباً في تفرق قبائل سباً في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق ف قيل « تفرقوا أيدي سباً » .

(٢) هجرة إسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة . وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها ومن هذه الأسواق : عكاظ . ومجنة . وذو المجاز .

وأهمها سوق عكاظ . وكانت تُقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وبقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب للمتاجرة ومُفاداة الأسرى ، والتحكيم في الخصومات ، وللمفاخرة والمنافرة بالشعر والخُطب ، في الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة ، وما شاكل ذلك . وكان من أشهر المحكمين في الشعر « النَّابغة الذبياني » ، ومن أشهر خطبائها « قيس بن ساعدة الإيادي » . وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم وحضرها منهم الرجال والنساء ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب بتهذيب لغتهم .

كلام العرب

الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار . ليكون مدعاة إلى المعاونة والمعاوضة ، ذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة . ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية ، كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام ؛ فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة . وقد تنحط . صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات العجاوات أشبه وبين الحالين مراتب . وجلُّ بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها .

وكلام العرب بمراتبه العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعيشية والدينية ، وتلك الأحوال تتمثل فى « أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها » .

أغراض اللغة فى الجاهلية

- (١) كانت اللغة تستعمل فى أغراض المعيشة البدوية ، ووصف مرافقها من حل وترحال ، وانتجاع كلال ، واستدراار غيث ، ونَتَج حيوان .
- (٢) وفى إثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها من الحُص على إدراك الثَّار ، والتفاخر بالانتصار ، والتَّباهى بكرَم الأَصْل والنَّجَار .^١
- (٣) شرح حال المشاهدات والكيفيات ، والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك .

معانى اللغة فى الجاهلية

تجمل معانى اللغة فيما يأتى :

- (١) فى قصر معانى المفردات على ما تقتضيه البداوة والفترة الغضة الخالية من تكلف أهل الحضر وتأنقهم .
- (٢) وفى انحصار أحكامهم فى (الخبر) ومطالبهم فى (الإنشاء) إما فى التعقل المستنبط من الحس ، والمشاهدة ، أو الطبيعة ، أو التجربة ، أو الوجدان من غير مبالغة ولا إغراء ، وإما فى التخيل المنتزعة صوره من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والعادى .

عبارة اللغة فى الجاهلية

تلخص أحوال العبارة فى الجاهلية فيما يأتى :

- (١) استعمال الألفاظ فى معانيها الوضعية ، أو معان مناسبة للمعنى الأصلى بطريق المجاز الذى يصبح بعد قليل وضعاً جديداً .

(٢) كثرة استعمال المترادف، وقلة الأعجمي المعبر عنه بالمعرب، وخلو الكلام العربي من اللحن، وغلبة الإيجاز عليه، كما تراه واضحاً في شعرهم.

(٣) إرسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف

تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب قسمين: نثراً، ونظماً.

فالنظم هو الموزون المقفى، والنثر ما ليس مُرتبطاً بوزن ولا قافية.

النثر - المحادثة - الخطابة - الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون منشوراً: لإبانتة عن مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل: وهو إما حديث يدور بين الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة. واجتلاب ضروب المصالح والمنافع، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) وإما خطاب من فصيح نابه الشأن، يُلقيه على جماعة في أمر ذي بال، وهذا ما يسمى (الخطابة)، وإما كلامٌ نفسى مدلول عليه بحروف ونُقوش لإرادة عدم التلفظ. به أو لحفظه في الخلف، أو لبعد الشقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمى (الكتابة)، إذًا فاقسام النثر ثلاثة: محادثة، وخطابة، وكتابة.

وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية في أواخر عباراته، وذلك ما يسمى «النثر المرسل» وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة وهذا ما يسمى «السجع» وهو نوع من الحلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يُتعمد التزامه، ولحسن وقعه في الأسماع، وحوكه وتأثيره في الطباع، وكان أكثر ما يستعمل في الخطابة، والأمثال والحكم، والمفاخرات والمنافرات.

المحادثة، أو لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هي اللغة العربية المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها، ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع، والتأنق في العبارة.

وأكثر ما وصل إلينا ما كان شريف المعنى ، فصيح اللفظ .

الخطابة

لَمَّا كَانَ جُلُّ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا قِبَائِلَ مُتَبَدِّيةٍ لَا يَرِبُطُهَا قَانُونٌ عَامٌ وَلَا تَضْبِطُهَا حُكُومَةٌ مُنَظَّمَةٌ .

وَمِنْ شَأْنِ الْمَعِيشَةِ الْبَدْوِيَّةِ شَنْ الْغَارَاتِ لِأَوْهَى الْأَسْبَابِ ، وَالْمَدَافِعَةِ بِالنَّفْسِ عَنِ الرُّوحِ وَالْعَرَضِ وَالْمَالِ ، وَالْمِبَاهَاةِ بِقُوَّةِ الْعَصْبِيَّةِ وَكِرَمِ النِّجَارِ وَشَرَفِ الْخِصَالِ وَلِلْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَثَرٌ لَا يَقِلُّ عَنِ الصُّوْلِ ، كَانَتْ الْخُطَابَةُ لَهُمْ ضَرُورِيَّةً ، وَفِيهِمْ فُطْرِيَّةً . وَإِنَّمَا لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا أَخْبَارُ خُطْبَائِهِمُ الْأَوَائِلِ ، وَشَيْءٌ مِنْ خُطْبِهِمْ كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ ، لِحِفْلِهِمْ قَدِيمًا بِالشَّعْرِ دُونَ الْخُطَابَةِ ، وَلِصُعُوبَةِ حِفْظِ النَّثْرِ .

وَمَا غُنِيَ الرُّوَاةُ بِنَقْلِ أَحْبَارِ الْخُطْبَاءِ وَخُطْبِهِمْ إِلَّا عِنْدَمَا حَلَّتِ الْخُطَابَةُ بَعْدُ مِنْزَلَةً أَسْمَى مِنَ الشَّعْرِ لَا يَتَذَلُّ بِتَعَاطِي السَّفَهَاءِ وَالْعَامَةِ لَهُ وَتَلَوْتُهُمْ بِالتَّكْسِبِ بِهِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْحُرْمِ ، فَغَنِيَهُ بِذَلِكَ شَأْنُ الْخُطَابَةِ ، وَاشْتَهَرَ بِهَا الْأَشْرَافُ .

وَكَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ خُطِيبٌ ، كَمَا كَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَاعِرٌ .

وَأَكْثَرُ مَا كَانَتْ الْخُطَابَةُ فِي التَّحْرِيزِ عَلَى الْقِتَالِ وَالتَّحْكِيمِ فِي الْخُصُومَاتِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفِي الْمَفَاخِرَاتِ وَالْمَنَافِرَاتِ ، وَالْوَصَايَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْخُطِيبِ فِي غَيْرِ خُطْبِ الْإِمْلَاكِ وَالتَّزْوِيجِ أَنْ يَخُطِبَ قَائِمًا أَوْ عَلَى نَشْزٍ مَرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ ، لِإِبْعَادِ مَدَى الصَّوْتِ وَلِلتَّأْثِيرِ بِشَخْصِهِ ، وَإِظْهَارِ مَلَامَحِ وَجْهِهِ ، وَحَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ ، وَلَا غِنَى لَهُ عَنْ لَوْثٍ وَعَصَبِ الْعِمَامَةِ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى مَخْصَرَةٍ أَوْ عَصَا أَوْ قَنَاةٍ أَوْ قَوْسٍ ، وَرَبْمَا أَشَارَ بِإِحْدَاهَا ، أَوْ بِيَدِهِ .

وَخُطْبَاءُ الْعَرَبِ كَثِيرُونَ (مِنْ أَقْدَمِهِمْ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ) وَكَانَ ذَا نَفُوذٍ عَظِيمٍ فِي قَوْمِهِ ، حَتَّى أَكْبَرُوا مَوْتَهُ ، وَذَا الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِي وَهُوَ حَرِثَانُ بْنُ مَحْرَثٍ .

(ومن أشهرهم) قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء^(١) .
 وخويلد بن عمرو الغطفاني، خطيب يوم الفجار^(٢) ، وقس^(٣) بن ساعدة الإيادي ،
 خطيب عكاظ . ، وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى :
 وهم أكثم بن صيفي ، وحاجب^(٤) بن زرارة التميميان ، والحارث بن عباد^(٥) ،
 وقيس بن مسعود^(٦) البكريان ، وخالد بن جعفر^(٧) ، وعلقمة بن علاثة^(٨) ،
 وعامر بن الطفيل^(٩) العامريون ، وعمرو بن الشريد السلمي^(١٠) ، وعمرو

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس . راهنه حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفروسيه ، الخطار والخنفاء ، فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق . فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة . فهاجت الحرب بين عبس وفزارة ، ثم عبس وذبيان لنصرتها فزارة ، وفي القصة روايات أخرى . (٢) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي صلى الله عليه وسلم . (٣) ستأتى ترجمة قس وأكثم . (٤) سيد من سادات تميم . وهو الذي وفد على كسرى حين منع تميماً من ريف العراق حتى أصابهم القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار . ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف درهم . (٥) كفراب كان خطيباً مؤثراً . وشاعراً بليفاً . وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن أعترلها . وله فيها قصيدة مشهورة منها :

قرباً مربط النعامة منى لقتت حرب وائل عن حيال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين كان كريماً عالى الهمة من أفضل العرب حسبا ونسبا وكانت تقر له كلها بذلك بل هي وكسرى أيضا . وكان له حظيرة فيها مائة من الابل لأضيافه اذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكانها . (٧) سيد من سادات بنى عامر . خلص قومه من العبودية لفظقان بعد أن قتل سيدها زهير بن خزيمة .

(٨) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالعفة والمحافظة على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح . (٩) هو ابن عم لبيد الصحابي شاعر متين . وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسماً . ولقد بلغ من شهرته أن قيصر كان اذا قدم قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر ، فان كانت بينه وبينه رحم ووشيجة قربه وأكرمه . (١٠) هو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل الى الفخر والصراحة في القول - ولقد بلغ من تفاليه في ذلك أنه كان يأخذ ابنيه معاوية وصخرأ في المواسم العامة .

ابن معديكرب (١) الزبيدي ، والحارث بن ظالم (٢) المري .

قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان ، ويرشداهم إلى عبادة الخالق . ويقال إنه أول من خطب على شرف ، وأول من قال في خطبته « أما بعد » وأول من اتكأ على سيف ، أو عصاً في خطابته ، وكان الناس يتحاضرون إليه ، وهو القائل : « البينة على من أدعى ، واليمين على من أنكر » وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب في عكاظ . فأثنى عليه وعمر قس طويلاً . ومات قبيل البعثة - ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ . وهي - أيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليلٌ داج ، ونهارٌ ساج ، وسماؤٌ ذات أبراج ، ونجوم تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجرة ، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعباً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ يُقْسِمُ قس بالله قسماً لا إثم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً .

في الزاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للناس ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

(١) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابي جليل شهد حربى اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر سنه وضعف جسمه .
(٢) كان شجاعاً فاتكاً وخطيباً شاعراً يميل إلى معاورة الخمر وهو الذي قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه .

لا يرجع الماضي إلينا ولا من الباقيين غابر
أيقنتُ أني لا محالة حيث صار القوم صائر

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى

هو أعرف الخطباء بالأنساب وأكثرهم ضرباً أمثال ، وإصابة رأى وقوة حجة ، وقُلَّ من جاراؤه من خطباء عصره ، وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ، ولقد بلغ من إعجابه به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى وقد عمر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وجمع قومه وحثهم على الإيمان به ، وفي إسلامه روايات . وكان في خطبه قليل المجاز ، حسن الإيجاز ، حلو الألفاظ ، دقيق المعاني ، مؤلفاً بالأمثال (راجع خطبه في فن المناظرات الآتية) .

الكتابة

يراد بالكتابة عند الأدباء : صناعة إنشاء الكتب والرسائل ، وإذا كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدَّى بالنقوش المسماة بالخط . فأول حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم ، ومنه اشتق الخط الفينيقي ، ومن هذا اشتق الآرامي ، والمسند بأنواعه ، والصفوي ، والشمودي والليثاني ، شمالي جزيرة العرب ، والحميري جنوبياً .

ورواة العرب يقولون : إنهم أخذوا خطهم الحجازي عن أهل الحيرة والأنبار . أما الكتابة : بمعنى إنشاء الكتب والرسائل ، فهي لازمة لكل أمة متحضرة ذات حكومة منظمة ، ودواوين متعددة ، وقد كان بعض ذلك موفوراً في ممالك التبابعة جنوباً ومأثوراً عن ممالك المناذرة الغساسنة شمالاً ، ولذلك استعمل الخط المسند الحميري عند الأولين من عهد مديد ، والأنباري الحيري عند الآخرين ، وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم . ولما من كتب فنونها ودينها غير قليل عثروا عليه لتقادم عهد أهلها ، وعدم استكمال البحث بعد في بلادها .

ولم يُعرفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتّاب هذه الصناعة إلا (بعدى بن زيد العبادى) الذى كان كاتباً ومترجماً عند كسرى .

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مُضر ، وبعض القحطانيين فكانوا أميين - ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الإنشائية إلا بعد أن عرفوا الخط . (آخر عصور الجاهلية) ، وما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون فى بدء رسائلهم : باسمك اللهم ؛ ومن فلان إلى فلان ، وأما بعد .

ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الإسلام ، فهو الذى أفشى فيهم الخط . والكتابة .

ولما كانت علوم كل أمة لها الأثر العظيم فى تكوين فكر الأديب ، وخيال الشاعر ، وكانت كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ، ناسب شرح ذلك .

علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ، ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دولهم العظيمة وقدم تاريخهم ، وآثارهم الخالدة ، التبابعة فى اليمن ، والمناذرة والغساسنة فى الشمال - وإذا تكون هندسة إراواء الأرض وعمارة المدن ، والحساب والطب ، والبيطرة ، والزراعة ، ونحوها معروفة فى الجنوب والشمال مدونة فى الكتب ، وإن لم يحفظ . لنا الدهر صوراً منها - أما البدو منهم : وإن كانوا أميين يمقتون الصناعات فلا غنى لهم تجربة تُرشدهم إلى ما ينفعهم ، ليعرفوا متى تجود السماء ، وبم يتميز الأقرباء من البعداء ؟ فأكسبهم ذلك علم النجوم والطب الضرورى ، والأنساب والأخبار ، ووصف الأرض ، والفراسة والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر ؛ وقرض الشعر .

أما علم النجوم - وهو معرفة أحوال الكواكب - فقد كانوا أبرع ناطق

في هذا العلم منهم في كل علم سواه . تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للاهتمام به في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمدة الخصب والمحل ، وبعض معارفهم فيه مستمد من الكلدان لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج : ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني) . الطب الإنساني والحيواني (البيطرة) ، وقد عاناه من العرب كثيرون . ومن مشهورهم (الحارث بن كلدة الثقفي ، وابن حذيم التيمي) . الأنساب : علم تتعرف به القرابات التي بين بعض القبائل وبعض ، فتلحق فروعها بأصولها ، وإنما دعاهم إلى العناية به حاجتهم إلى التناصر بالعصبية ، لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأنفقتهم من أن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم وجبههم الافتخار بأسلافهم .

ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيباني وزيد بن الكيس النمرى ، وابن لسان الحُمرة) ولهذا يحفظون أنسابهم . الأخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم ، وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، كقصة الفيل ، وحرب البسوس وحرب الفجار . وصف الأرض : هو معرفة كل بقعة وما يجاورها ، وكيف يهتدى إليها . ومن قرأ شعر العرب في نسيبهم ، واطلع على وصفهم ، وكيف كانوا يحددون الحقير منها بحدود قلما تحديه مملكة عظيمة ، عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم . الفراسة : هي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله ورذائله ، وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولهم في ذلك نوادر شتى .

القيافة : ضرب من الفراسة وهي الاهتمام بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدلال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه . فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل

والمرأة ، والشيخ ، والشاب ، والأعمى ، والبصير ، والأحمق والكيس .
 وإذا نظروا عدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، والقريب بقربه
 وعرفوا الأجنبى من بينهم - ومن اشتهر بالقيافة (بنو مدلج ، وبنو لهب) .
 الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب ، وربما خصت الكهانة بالأمور
 المستقبلية والعرافة بالماضية ، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على
 الحوادث الآتية ، لما بينهما من المشابهة الخفية ، وللعرب في الكهان اعتقاد عريض
 لزعمهم أنهم يعلمون الغيب ، فيرفعون إليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن
 الرؤى ، ويستطبونهم في أمراضهم - ومن اشتهر من الكهان (شق أنمار ،
 وسطيح الذئبي) ومن الكواهن (طريفة الخير ، وسلمى الهمدانية) ومن
 العرافين (عراف نجد الأبلق الأسدى ، وعراف اليمامة رباح بن عجلة) .
 الزجر : وهو الاستدلال بأصوات الحيوان ، وحركاته ، وسائر أحواله
 على الحوادث بقوة الخيال ، والاسترسال فيه .

ومن أشهر الزجاجيين : بنو لهب ، وأبو ذؤيب الهذلى ، ومرة الأسدى .
 ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكله كلبيد بن ربيعة القائل :
 لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
 وكضائب بن الحارث القائل :

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحا ولا عن ريثن يخيب
 ورب أمور لاتضيرك ضيرة وللقلب من مخشأتهن وجيب
 ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

النظم ، والشعر ، والشعراء

النظم : عرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً - ويرادفه الشعر
 عندهم - أما المحققون من الأدباء فيخصون الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون

المتقن ، المعبر غالباً عن صور البديع ، ولما كان الخيال أغلب مادته أطلق بعض العرب (تجوزاً) لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالاً ، ولو لم يكن موزوناً مقفى ولجريه وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقنية كان تأثيره في النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور ، بسطاً وقبضاً وترغيباً وترهيباً ، لا من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقلي ، ولذلك يَجْمَلُ أثره في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس ، لا في الحتمات النظرية ، ولا ريب أن ترتاع بصور المحسوس الباهر وما انتزع منه من الخيال الجلي لخفة مؤنته عليها ؛ وإراحتة لها من المعاناة والكد ؛ إذا انضم إلى نغم الوزن والقافية ، الشديد الشبه بتأثير الايقاع والتلحين الذي يطرب له الحيوان ، فضلاً عن الإنسان .

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشعر لبدائتهم ، وملاءمة بيئتهم لتربية الخيال فالبدوى لحريته ، واستقلاله بأمر نفسه ، يغلب على أحكامه الوجدان ، ويسلك إليه من طريق الشعور ؛ ومعيشة البدوى فوق أرض نقيّة التربة ، وتحت سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ، ضاحية الشمس جلت لحسه مناظر الوجود وعوالم الشهود ، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور ماؤها ، ولا ينضب معينها فهام بها في كل واد ، وأفاض منها إلى كل مراد ، وكان له من لغته ، وفصاحة لسانه أقوى ساعد وأكبر مُعاضد ، ويشعر الإنسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر ، وإن كانت هناك واسطة بين النثر والشعر ، فليست إلا السجع ، لما فيه من معادلة الفقر ، والتزام القافية ، والميل للتغنى به . فكان من ذلك المقطعات ، والأراجيز الصغيرة ، يحدون بها الإبل ، ويُعدون بها المكارم ثم لما نمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أمامهم ، ونوعوا الأوزان ، وأطالوا القوافي وقصّصوا القصيد .

وقد خفي علينا - كأكثر الأمم - مبدأ قول الشعر ، وأول من قاله .

أما ما نسب من الشعر آدم ، وإبليس ، والملائكة ، والجن ، والعرب البائدة ، فهو حديث خرافة .

والشعر الذى صَحَّت روايته منذ أواسط القرن الثانى قبل الهجرة تنتهى أقدم مطولاته (إلى مُهلhel بن ربيعة) وأقدمُ مقطعاته إلى (نفر) لعلهم لم يبعدوا عنه طويلاً مثل : العنبر بن عمرو بن تميم ، ودريد بن زيد بن نهد ، وأعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وزهير بن جناب الكلبي ، والأفوه الأزدي ، وأبو داود الإيادي ، وقد رووا أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته ، وأن أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع (المهلhel بن ربيعة التغلبي) فى قتل أخيه كليب فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً ، وتبعه الشعراء مثل (امرىء القيس) وعلقمة ، وعبيد ، ممن أخرجوا لنا الشعر العربى فى صورته الحاضرة .

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ، ونشأته فى الجاهلية .

أما ما يتعلق بمادته وجوهره فإنه يرجع إلى أغراضه ، وفنونه ، ومعانيه ، وأخيلته وألفاظه ، وأساليبه ، وأوزانه ، وقوافيه .

(١) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر فى كل ما أدركته حواسهم ، وخطر على قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة كالنسيب ويسمى (التشبيب والتغزل) وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهن ، وشرح أحوالهن ، وكان له عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر ، حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه وافتتح به القصيد ، لما فيه من كل اجتماع إنسانى - والبدو أكثر الناس حباً لفراغهم .

الفخر : هو تمدح المرء بخصال نفسه وقومه ، والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم ، ووفرة قبيلهم ، ورفعة حسبهم ، وشهرة شجاعتهم .

والمدح : وهو الثناء على ذى شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، ان هذه الصفات عريقة فيه وفى قومه وبتعداد محاسنه الخلقية - وشاع المدح عندهما ابتذل الشعر ، واتخذهُ الشعراء مهنة ، ومن أوائل مدّاحيهم : زهير - والنابعة - والأعشى .
والرثاء : وهو تعداد مناقب الميت ، وإظهار التفجع والتلهف عليه ، واستعظام المصيبة فيه .

والهجاء : وهو تعداد مثالب المرء وقبيله ، نفي المكارم والمحاسن عنه .
والاعتذار : وهو درء الشاعر التهمة عنه ، والترفق فى الاحتجاج على براءته منها ، واستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه ، و (النابعة) فى الجاهلية فارس هذه الحلبة .

والوصف : هو شرح حال الشئ وهيئته على ما هو عليه فى الواقع لإحضاره فى ذهن السامع ، كأنه يراه أو يشعر به ، ومن أشهرهم فى ذلك (امرؤ القيس وأبو داود الإيادى) .

والحكمة والمثل : فالحكمة قول رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما به ، والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضت ، وتقف بك على أخلاقها وقد انقضت فالأمثال ميزان يوزن به رقى الأمم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكما مقبولا ، أو تجربة صحيحة ، تمليها عليها طباعها بلا تكلف وأكثر الشعراء أمثالا : (زهير والنابعة) .

(٢) معانيه وأخيلته

قصد الشاعر من شعره الابانة عما يخالجه نفسه من المعانى فى أى غرض من الأغراض السابقة ونحوها ، ومن هذه المعانى ما هو عادى فى البدوى

والحضري والعربي والعجمي كالأخبار الصادقة ، وأوصاف المشاهدات ، وشرح الوجدانات كما يملئها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق ؛ ومنها ما هو غريب نادر ، انتزعه الخيال من المرئيات البديعة والأشكال المنتظمة ، وذلك يسمى المخترع ، تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والاكثار منه .

وإذا قسنا الشعر الجاهلي بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأمر الآتية :

(١) جلاء المعاني وظهورها ومطابقتها للحقيقة . (٢) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع . (٣) قلة المعاني الغريبة المنزع ، الدقيقة المأخذ المتجلية في صور الخيال البديع ، والتشبيه الظريف ، والاستعارة الجميلة والكناية الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك . (٤) قلة تأنقهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظام الذي يقتضيه الذوق ، فيدخلون معنى ، وينتقلون من غرض إلى آخر اقتضابا بدون تخيل ولا تلطف .

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمما بدوية تنظم الشعر بطبعها ، من غير معاناه صناعة ولا دراسه علم - غلب على شعرها صراحة القول وقلة المواربة فيه ، والبعد عن التكلف وصحة النظر ، والوفاء بحق المعنى - أضف إلى ذلك الأمور الآتية :

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعية لها ، لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجود دلالتها . (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة ، واستعمال الألفاظ الغريبة التي هجرت عند المحدثين . (٣) القصد في استعمال ألفاظ المجاز ، ومقت استعمال الأعجمي إلا ما وقع نادرا . (٤) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية ومتانة الأسلوب ، يحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرفها لديها وبإيثار المجاز ، أو قلة الإسهاب إلا إذا دعت الحال .

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية ، وتعرف أصول وضعية ، وإذا كانت تنظم بطبعها على حسب ما يهيئها لها إنشادها ، وقد هدتهم هذه الفطرة إلى أوزان أرجعها الخليل إلى خمسة عشر وزناً سماها بحورا وزاد عليها الأخفض بحرًا ، وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض .

راجع مؤلفنا « ميزان الذهب في بحور شعر العرب » .
وشعر العرب رجزه وقصيده يُبنى على قافية واحدة كيفما طال القول .

(٥) شعراء الجاهلية

شعراء الجاهلية : أكثر من أن يحاط بهم ، ومن جُهل منهم أكثر من عرف وإنما اشتهر بعضهم دون بعض لنبوغه ، أو كثرة المروى من شعره ، أو قرب عهده من الإسلام زمن الرواية - وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحكم نافذ ، سلطان غالب ، إذ كانوا ألسنتهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرفهم ، وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأته ، وصنعت الأطعمة ، وأتت النساء يلعبن بالزواهر كما يصنعن في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذُبُّ عن حياضهم ، وتخليد لمفاخرهم ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج .

وكانت طريقة نظم الشعراء ارتجالية ، فتأنيهم ألفاظه عفواً ، ومعانيه رهواً ، كما وقع للحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ، أما من اتخذهم صناعة يستدرها ويلتمس به الجوائز ، وينشده في المحافل والمواقف العظام ، فإنه يتعهده بالتهذيب والتنقيح ، لجعله رقيق الحاشية ، حسن الديباجة ، يصح أن يقال فيه إنه المثلى الأعلى للشعر الجاهلي كما ترى ذلك واضحاً في حوليات زهير ، واعتذريات النابغة ،

وقد عبر الناس دهرًا طويلاً لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة ،
لا يمدحون عظيمًا طمعاً في نواله ، ولا يهجون شريفاً تشفيماً منه وانتقاماً ، حتى
نشأت فيهم فئة امتهنت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوك والأمراء ،
كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر ، وملوك غسان ، وزهير بن أبي
سلمى مع هرم ابن سنان وأمّية بن أبي الصلت مع عبد الله بن جدعان أحد
أجواد قريش ، والأعشى مع الملوك والسوقة ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله
متجراً يتجربه ، فتحامى الشعر الأشراف ، وآثروا عليه الخطابة .

(٦) طبقات الشعر

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع : (١) طبقة الجاهليين . (٢) طبقة
المخضرمين ، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والإسلام . (٣) طبقة
الإسلاميين . وهم الذين نشأوا في الإسلام ، ولم تفسد سليقتهم العربية وهم ،
شعراء بني أمّية . (٤) طبقة المولدين أو المحدثين ، وهم الذين نشأوا زمن فساد
العربية وامتزاج العرب بالعجم ، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا .

والشعراء الجاهليون يقسمون باعتبار شهرتهم في الشعر للاجادة أو للكثرة إلى
طبقات كثيرة ، منها ثلاثاً : (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس بن حجر وعمر
ابن كلثوم وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني . (٢) الطبقة الثانية الأعشى
ولبيد بن ربيعة العامري ، وطرفة بن العبد . (٣) الطبقة الثالثة عنترة
ابن شداد ، وعروة بن الورد ، ودريد بن الصمة ، والمرقش الأكبر والحارث
ابن حلزة اليشكري - ومن الأدباء من يقدم ويزيد .

(١) امرؤ القيس

هو الملك أبو الحارث حندج بن حجر الكندي شاعر البائية .
وآبأؤه من أشراف كندة وملوكها ، وكانت بنو أسد المضربة خاضعة للملوك كندة
- وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرؤ القيس - وأمه أخت مهلهل وكليب .

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من أسد وسلك مسلك
المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويُعَاقِر الخمر ويُعَازِل الحسان فَمَقَّتَه
أبوه ولما لم ينجح فيه القول طرده عنه وأَقْصَاه ، حتى جاء نَبَأُ ثورانِ بني
أسد على أبيه وقتلهم له لَأَنَّهُ كان يَعِيسُ في حكمه لهم ، فقال : (ضيعني
صغيراً ؛ وحملني دمه كبيراً ، ولا صَحَوَ اليومَ ولا سُكِرَ غداً ، اليومَ خمرٌ ،
وغداً أمرٌ) وأخذ يجمع العدة ، وَيَسْتَنْجِدُ القبائل في إدراك ثأره ، فنازل
بني أسد وقتلَ فيهم كثيراً ، ثم اشتدَّت به علة قروح فمات منها ودُفِنَ
بأنقره ، وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن .

شعره : يُعْتَبَرُ امرؤ القيس رأسَ فحول شعراء الجاهلية ، والمقدَّم في
الطبقة الأولى ، فهو أوَّل من أجاد القول في استيقاف الصحب ، وبُكاء
الديار وتَشْبِيهِ النساء بالطباء والمها والبَيْض ، وفي وصف الخيل بقيد
الأوباد ، وترقيق النسيب وتقريب مآخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ،
وتنوع التشبيه ، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته .

وقد يُفَحِّشُ في تشبيه النساء ، وتحديثه عنهنَّ ، ويُسْتَمُّ من شعره ،
رائحة النيل وتلمح فيه شارات السيادة والملك ، من ذلك قوله :

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحِمَ كَهْدَابُ الدَّمَقْسِ المَفْتَلِ
وقوله : وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قديرٍ مُعْجَلِ
وقوله : ولو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجدٍ موثلي وقد يُدْرِكُ المجد الموثل أمثالي

وشعره : وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة ، وخشونة الألفاظ
وتجهم المعاني ، تراه أحياناً يخطر في حُلٍّ من حُسْن الديباجة ، وبديع المعنى
ودقة النسيب ، ومُقَارَبَةِ الوصف ، وسهولة المأخذ ، مما كان لخلقهِ أَجْمَلِ
مِثَالٍ في مُحَاكَاتِهِ ولم يَقْلِ الشعر كاسباً .

ومن شعره ، يذكر رحلته إلى قيصر مع عمرو بن قميئة الضبعي :

سمالكَ شوقٌ بعد ما كان أقصرًا وحلت سُليمى بطنَ ظبي فَعَرَعَرَا
فدعها وسلّ الهَمَّ عنها بحسرة دَمُولُ إذا صامَ النهار وهَجَرَا
عليها فتى لم تحمل الأرض مثله أَبْرٌ بميثاق وأَوْفَى وأَصْبَرَا
إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضىته وقرّت به العينان بدلت آخرَا
كذلك جدى لا أصاحبُ صاحباً من الناس إلا خاننى وتغيّرَا
ومن أبياته السائرة قوله :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانه فليس على شىءٍ سيّوَاهُ بخزانٍ
وقوله : وقد طوّفتُ فى الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالأياب

معلقة امرئ القيس

[قفنا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل (١)
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتُها من جنوب وشمال (٢)
ترى بعَرَ الآرام فى عرصاتِها وقيعانها وكأنه حبٌ فلفل (٣)
كأنى غداة البين يومَ تحمّلوا لدى سمرات الحى ناقفَ حنظل
وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتحمل (٤)

(١) اللوى : ما التوى من الرمل ، أو استرق منه ، والجمع ألواء والوية ، وسقط اللوى منتهاه ، وهو مثلث السين . والدخول وحومل وتوضح والمقراة ! كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى ، وفيه منزل الحبيب . (٢) لم يعف رسمها ، لم يمح أثرها والمراد من « جنوب وشمال » ريح الجنوب وريح الشمال . (٣) الآرام : جمع رُم وهو الظبي خالص البياض . والعرصات ! جمع عرصة ، وهى البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . والقيعان : فناء الدار . (٤) أى وقوف صحبى على مطيهم بسمرات الحى ، ونصحوا لى بالتحمل والاحتمال .

- وإن شِفائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فهل عِنْدَ رِسمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ (١)
 كدأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحَوَيْثِ قَبْلُهَا وجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَأْسَلِي (٢)
 إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْنَفِل (٣)
 ففَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنْ صِبَابَةٍ عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي (٤)
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لِي مِنَ الْبَيْضِ صَالِحٍ وَلَا سِيَّامٍ يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ (٥)
 وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ (٦)
 فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمٍ كَهْدَابِ الدِّمْقَسِ الْمَفْتَلِ (٧)
 تَدَارُ عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ صِحَافُهَا وَيُؤْتِي إِلَيْنَا بِالْعَبِيطِ الْمَثَلِ (٨)
 وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَدِرَ خِدَرٌ عُنْزِرَةٌ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي (٩)
 تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزَلِ (١٠)
 فَغَلَّتْ لَهَا سِيرَى وَأَرْخَى زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ (١١)
 دَعَى الْبَكَرَ لَا تَرْتَثِي لَهُ مِنْ رَدَافِنَا وَهَاتِي أَذْيَقِينَا جَنَافَةَ الْقَرْنَفِلِ (١٢)
 بِشَعْرِ كَمِثْلِ الْأَقْحَوَانِ مُنَوَّرٍ نَقَى الثَّنَايَا أَشْنَبٍ غَيْرَ أَثْعَلِ (١٣)

- (١) عبرة مهراقة دمعة مسكوبة . والمعول المستعان به .
 (٢) الداب : الشأن . (٣) تضوع المسك : انتشرت رائحته .
 والربا : الرائحة . والمراد أنه إذا قامت هاتان المرأتان يضوع منهما المسك
 كما يأتي النسيم بشذا القرنفل . (٤) المحمل على وزن منبر حمالة
 السيف . (٥) ابتداء الشاعر يذكر حوادث شبابه وملعب صباه ،
 وخص بالذكر أيامه بدارة جلجل ، وهي مكان بنجد ، وسيحدثنا عن لهوه
 أطيب الحديث . (٦) مطية الشاعر هنا ناقته . (٧) هذاب
 الدمقس : أطراف الحرير ، والمفتل : المفتول . (٨) السديف : قطع
 السنام ، والصحاف جمع صفحة القصعة ، والعبيط لحم الذبيحة تنحر
 من غير علة ، والمثلل الشهى . (٩) الخدر هنا الهودج وعنيزة اسم
 لمحبوبته ، أنك مرجلي : أي فاضحي بين رجالي . (١٠) الغبيط :
 الرجل ، عقرت بعيري دميت ظهره لثقلك . (١١) الجنى : الشهد ،
 المعلل : الشهى . (١٢) البكر : البعير ، الرداف : هو أن يركب اثنان
 على دابة واحدة ، أذيقينا جناة القرنفل : أي مكينا من تفرك العطر .
 (١٣) الأقحوان زهر أبيض جميل تشبه به الثفور العذاب ، أشنب :
 فيه برد ورقة وصفاء .

- فمثلك حُبلى قد طرقت ومرضع
إذا ما بكى من خلفها انصرفت
ويوماً على ظهر الكتيب تعذرت
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
أغرّك منى أن حبك قاتلى
وأنتك قسّمت الفؤاد فنصفه
فإن تك قد ساءتلك منى خليقة
وما ذرفت عيناك إلا لتضربى
وبيضة خدر لا يرأى خباؤها
تجاوزت أحرماً إليها ومشرأ
إذا ما الثرى في السماء تعرضت
فجئت وقد أنضت لنوم ثيابها
فقلت : يمين الله ما لك حيلة
فألهيتها عن ذى تائم محول (١)
له بشق وتحنى شقها لم يحول (٢)
على وآلت حلقة لم تحال (٣)
وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجمل (٤)
وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
قتيل ونصف بالحديد مكبل (٥)
فسلى ثيابى من ثيابك تنسل (٦)
بسهميك فى أعشار قلب مقتل (٧)
تمتعت من لهوها غير معجل (٨)
على حراساً لو يسرون مقتلى (٩)
تعرض أثناء الوشاح المفصل (١٠)
لدى الستر إلا لبسة المتفضل (١١)
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي (١٢)

- (١) محول مضى عليه حول . يريد أن يقول انى رجل أفتن النساء ، حتى لا تنجو منى الحبلى ولا المرضع ، مع أنها فى شغل بالحمل والرضاع .
(٢) فى هذا البيت صورة فاتنة من صور الجماع . (٣) تعذرت : تمتعت . أى مضت فى عنادها وتجنّيتها - آلت حلقة . أقسمت يميناً ، لم تحلل ، لم تقيد اليمين يحلها هو ولم يستثن فيها .
(٤) أزمع الأمر ، وأزمع عليه أثبت عزمه على امضائه والصرح بفتح الصاد وضمها الهجر والقطيعة والأجمال الرفق . (٥) مكبل : مقيد .
(٦) الخليقة : السجية والطبيعة ، والثياب هنا القلب وتنسل تسقط والمعنى إذا ساءتلك خصلة من خصالى فسلى قلبى من قلبك .
(٧) السهام : العيون ، قلب مقتل : أهلكه العشق (٨) بيضة الخدر كناية عن المرأة المخدرة المحببة ، غير معجل غير مضطر الى العجلة .
(٩) الأحراس : الحراس ، وحراس جمع حريض ، وأسر الأمر أضمره .
(١٠) الوشاح أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها . والوشاح المفصل : هو المرصع بالذهب أو الزبرجد .
(١١) أنضى الثياب خففها . والمتفضل هو الذى يلبس ثوباً واحداً حين يأوى الى فراشه . (١٢) مالك حيلة : أى لا بصر لك بعواقب الأمور .

- خرجت بها أمشي تجرُّ ورأعنا على أثربنا ذيل مرطٍ مُرحل (١)
 فلما أجزنا ساحة الحي وانثحت بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل (٢)
 هصرت بفودى رأسها فمأيلت على هضيم الكشح ريا المخلخل (٣)
 مهفهفة بيضاء غير مُفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل (٤)
 ك بكر المقناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل (٥)
 تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وخش وجرة مطفل (٦)
 وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نضته ولا بمُعطل (٧)
 وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخاة المتشكل (٨)
 غدائره مستشزرات إلى العلى تضل المدارى فى مثنى ومرسل (٩)
 وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقى المذلل (١٠)

- (١) المرط كساء من صوف أو خز ، مرجل : فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رجال . (٢) جزت المكان : قطعت وخلفته ، انثحت قصدت ، الخبت . الفضاء الواسع ، والعقنقل : الوادى العظيم . (٣) هصرت فوديتها : أملتها الى ، والفودان : جانب الرأس . هضيم الكشح : دقيقة الخصر ، ريا المخلخل : بضة الساق . (٤) مهفهفة : ضامرة البطن ، غير مفادة : غير مسترخية اللحم ، الترائب موضع القلادة من الصدر ، والسجنجل : المرأة المجلوة . (٥) المقناة : الخلط (والشاعر يشبه خليلته ببيضة النعام لأول عهدها بمزج الصفر بالبياض) ، المحلل : الذى كدرته الابل ، يصف حببته بأنها لا تشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات ، وإنما هى سيدة مترفة تشرب الماء النмир . (٦) تصد : تتمنع ، تبدى : تعيد الصد ، أى تصد ، الأسيل : الرقيق ، صفة لموصوف محذوف هو الخد ، وجرة : مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة ، ومطفل : ذات طفل والمعنى تصد عن خد أسيل وتتقى المحب بعين مملوءة بالعطف ، كما تنظر الى طفلها الطيبة الرؤوم . (٧) الرئم : الطوى ، نضته : رفعته ، معطل وعاطل : لا حيلة فيه . (٨) الفرع : الشعر . (٩) مستشزرات : مرتفعات ، والفدائر : خصل الشعر ، المدارى : الأمشاط . (١٠) الجديل : الوشاح ، والمذلل اللين ، ومنه شجرة مذلة معطفة الأغصان ، ينالها كل احد .

- وَيُضْحِي فَتَيْتُ الْمُسْكِ فَرَقَ فَرَاشَهَا
وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَتْنِ كَأَنَّهُ
تَضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهُ
إِلَى مِثْلُهَا يَرْنُو الْحَلِيمَ صَبَابَةً
تَسْلَتْ عِمَائَاتِ الرِّجَالِ عَنِ الصَّبَا
أَلَا رُبَّ خَصَمٍ فَيْكَ أَلْوَى رَدْدَتْهُ
وَلَيْلَ كَمْوُجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولُهُ
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمْطِي بِجُوزِهِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلِ الطَّوِيلِ أَلَا أَنْجَلُ
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْوَاهُ
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا
- نُؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفْضُلِ (١)
أَسَارِيْعُ ظِيٍّ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحَلِ (٢)
مَنَارَةٌ مُسَى رَاهِبٌ مُتَبَتِّلٌ (٣)
إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمَجُولِ (٤)
وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاهَا بِمَنْسَلِ (٥)
نَصِيحٌ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرُ مُؤْتَلِ (٦)
عَلَى بَأْنَوَاعِ الْهَوُومِ لِيَبْتَلِي (٧)
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِ (٨)
بَصْبَحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلِ (٩)
بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شَدَّتْ بِيَذْبَلِ (١٠)
بَأْمَرِاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلِ (١١)

- (١) انتطقت المرأة : لبست المنطق أو النطاق ، والتفضيل لبس الثوب الواحد . وعن هنا : بمعنى بعد ، أى لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد أنها لم تكتس بعد عرى ، ونوم الضحى من عادات المترفات .
- (٢) العطو : التناول ، ورخص : لين ناعم ، وهو وصف للبنان : وشثن : خشن ، وأساريع جمع أسروع والأسحل شجر يستاك به .
- (٣) يقول : تضيء محبوبتى الظلام كأنها منارة الراهب فى المساء .
- (٤) اسبكرت : اعتدلت واستقامت ، ودرع المرأة : قميصها .
- (٥) تسلت : تكشففت وانزاحت ، عمايات : جمع عماية ، وهى الفواية والضلال ، ومنسل : سال ، ولم يسأل عن هواها فوادية .
- (٦) ألوى : عسر ، والتعدال والعدل : اللوم ، غير مؤتل غير مقصر .
- (٧) السدول : الستور ، يبتلى : يختبر . وهو يصف الليل بتعمده ايذائه . (٨) تمطى الليل : طال ، والجوز : الوسط ، وفى رواية بصلبه ، ناء : نهض ، والكلكل : الصدر . (٩) أمثل : أفضل . يذكر أن همومه موصولة ، فليس الصبح خير من الليل . (١٠) مفار : محكم شديد ، ويذبل اسم جبل : يصف نجوم الليل بالثبات . (١١) فى مصامها : فى موضعها ، أمراس : جمع مرس ، وهو الحبل ، والجندل الأصم : الحجر الصلب .

وقربة أقوام جعلت عصامها	على كاهل منى ذلول مرحل (١)
وواد كجوف العير قفر قطعته	به الذئب يعوى كالخليع الميعل (٢)
فقلت له لما عوى : إن شأننا	قليل الغنى إن كنت لما تمول (٣)
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته	ومن يحترث حرثى وحرثك يزل (٤)
وقد أغتذى والطير فى وكناتها	بمنجرد قيد الأوابد هيكل (٥)
مكر مفر مقبل مدبر معاً	كجلمود صخر حطه السيل من عل (٦)
كميت يزلُّ اللبد عن حال متنه	كما زلت الصفواء بالمتنزل (٧)
على العقب جياش كأن اهتزاه	إذا جاش فيه حميه على مرجل (٨)
مسح إذا ما السابحات على الونى	أثرن غباراً بالكديد المركل (٩)
يزل الغلام الخف عن صهواته	ويلوى بأثواب العنيف المثل (١٠)
دريد كخذروف الوليد أمره	تتابع كفيه بخيط موصل (١١)

- (١) العصام : جبل تربط به القربة ، ومرحل : كثير الحمل والترحيل .
 (٢) يقال للموضع الذى لا خير فيه ، والمعيل : المسبب الذى القى حبله على غاربه . (٣) تمول : صار ذا مال (٤) أفاته : ضيعه ، ومن يحترث حرثى وحرثك : من هو مثلنا ، ويهزل : يضعف .
 (٥) وكنات : العش ، وفرس أجرد ومنجرد : قصير الشعر رقيقه ، الأوابد : الوحش النافر ، وقيد الأوابد : مبالغة فى سرعة العدو ، والهيكل : الضخم من كل شيء . (٦) مكر مفر : سريع الكر والفر ، من عل : من فوق . [يصف عدو الفرس فى كره وفره واقباله وادباره بجلاميد الصخر تحطها السيول] . (٧) كميت خالط حمته سواد ، ويزل : يسقط ، عن حال متنه : عن وسط ظهره ، الصفواء : المساء ، المتنزل : المطر ينزل من السماء . (٨) وجياش : اذا حركته بعقبك جاش كما يجيش البحر بالأمواج ، اهتزاه : صهيله ، المرجل : القدر ، [يشبه صهيل جواده حين يجيش حميه بالقدر حين تفور] .
 (٩) مسح : عداء السابحات ، والسوابج : الخيول ، الونى : الضعف ، والتعب الكديد الأرض تكدها بحوافرها الدواب ، المركل : المكدود .
 (١٠) الخف : الجلد ، أو الخفيف العنيف من لا رفق له بركوب الخيل ، المثل : الثقيل [يريد أنه لا يدل لغير سيده وهو وصف بديع] .
 (١١) درير : كثير الجرى ، الوليد : الصبى ، والخذروف : شيء يدوره فى يديه بخيط فيسمع له دوى « نحلة » ، أمره : قتله .

- له أَبْطَلَا ظَنِي وَسَاقَا نَعَامَةً وَإِرْحَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ (١)
 ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجُهُ بِضَافٍ فَوْيَقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلٍ (٢)
 كَانَ سَنَا الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عُرُوسٍ أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلٍ (٣)
 كَانَ دِمَاءُ الْهَادِيَاتِ بِنَجْرِهِ عُصَارَةَ حَنَاءٍ بِشَيْبٍ مَرْجَلٍ (٤)
 فَعَنَّا لَنَا سِرْبٌ كَانَ نَعَاجِهِ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مَذِيلٍ (٥)
 فَأَدْبِرْنَ كَالْجَزَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوَّلٍ (٦)
 فَأَلْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرَهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ (٧)
 فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَغْسِلِ (٨)
 قَطَلَ طَهَاءَ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضَجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرَ مُعْجَلٍ (٩)

- (١) الأيطل : الكشح ، السرحان الذئب ، والتقريب : رفع اليدين معا .
 (٢) ضليع : قوى الجنين ، استدبرته : نظرت اليه من خلف .
 (٣) المداك والمدوك الصلاة [يذكر أن الجواد اذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رأيت ظهره براقا لامعا كما تلمع صلاة الحنظل ومداك العروس ، وانما خص صلاة الحنظل لما يترك بها من الدهن اللامع ، وخص مداك العروس لقرب عهده بالطيب ، وان امرأ القيس لشاعر فنان !]
 (٤) الهاديات : المتقدّمات [ويريد بها هنا الفرائس] ، مرجل : مسرج .
 [يذكر أن دماء الفرائس بنجزه كعصارة الحناء بالشيب المرجل وكلاهما يلمع من الخضاب] . (٥) عن : عرض ، السرب : القطيع ، النعاج : البقر ، دوار : اسم صنم ، مذيّل : طويل الأطراف .
 (٦) الجزع : الخرز [لأن لونه يجزع الى بياض وسواد] ، والمفصل بينه : أي الذي فصل بين حياته بالذهب أو الزبرجد ، الجيد : العنق ، المعم والمخول : كرام العم والخال : [يشبه النعاج بالجزع المفصل في جيد من كرم عمه وخاله] . (٧) الهاديات : السابقات المتقدّمات ، الجواهر : المتخلّفات ، في صرة : في صياح شديد ، لم تزيل : تتفرّق .
 (٨) عادى عداة : جمع بين ثور ونعجة ، دراكا : تباعا ، لم ينضح بماء : لم يعرق .
 (٩) الطهاة : جمع طاه وهو الطباخ ، لحم صفيّف ، صف على النار ليشوى وفي الشمس ليقدد .

- ورحنا يكاد الطرف يَقْصُر دونه متى ما ترقَّ العينُ فيه تَسْفِلُ (١)
 فباتَ عليه سَرَجُهُ ولجامُهُ وباتَ بِعَيْنِي قائماً غيرَ مُرسل (٢)
 أصاحٍ ؟ تَرَى بَرَقاً أُرِيكَ وَمِیْضُهُ كَلَمَعِ اليدينِ في حَيٍّ مَكَلَّل (٣)
 يُضِيءُ سناه أو مصابيح رَاهِب أَهَانَ السَّلِيطُ بِالذِّبَالِ الْمُفْتَل (٤)
 قَعَدْتُ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْعَذِيبِ ، بَعْدَ مَا مُتَأَمَّل (٥)
 عَلَى قَطَنِ بِالشِّيمِ أَيْمُنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرَهُ عَلَى السَّتَارِ فَيَنْبَل (٦)
 فَأَضْحَى يَسَحُّ الْمَاءِ حَوْلَ كَتِيفَةٍ يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحُ الْكَنْهَبِل (٧)
 وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعَصَمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِل (٨)
 وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَتْرِكْ بِهَا جِدْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيداً بِجَنْدَل (٩)
 كَانَ ثَبِيرًا فِي عِرَانَيْنِ وَبَلَهٍ كَبِيرِ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَل (١٠)

(١) يكاد الطرف يقصر دونه : أى أن العين لا تقدر على حصر محاسنه ، ترق : تنظر الى أعلى ، تسفل : تنظر الى أسفل . (٢) يريد انه بات مقيدا مسرجا ملجما ، ليستطيع الفارس امتطاه متى شاء . (٣) ومض البرق ومضا ووميضا وومضانا : لمع لما خفيا ، الحبي : الحباب المتراكم . (٤) السليط : الزيت الجيد ، الذبال : جمع ذبالة ، وهى فتيلة المصباح [وفى رواية : آمال] . (٥) ضارج : اسم ماء ببلاد طيء ، والعذيب : اسم ماء قريب منه ، ومتأمل : أى مأمول . (٦) قطن : اسم جبل ، الشيم : النظر الى البرق ، الصوب : أى المطر ، والستار يذبل : جيلان . (٧) يسح : الماء يسكه ، وكتيفة : اسم أرض ، دوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة ، والكنهبل : نوع من الشجر الضخم . (٨) القنان : اسم جبل ابنى أسد ، نفيان المطر : رشاشه ، العصم : الوعول ، ومفردها أعصم [سميت بذلك لاعتصامها بالجبال] . (٩) تيماء : اسم أرض ، الاطم : القصر [يريد أن المطر لم يترك بتيماء الا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الآطام والديار] . (١٠) ثبيرا : اسم جبل ، عرانيين وبله : فى طفيان وبله ، البجاد : كساء مخطط يلبسه كبار الأعراب ، مزمل : ملفف .

كَانَ ذُرَا رَأْسِ الْمَجِيمِرِ غَدَوَةٌ من السيل والغناء فلكة مغزَل (١)
وَأَلْتَى بِصَحْرَاءَ الْغَبِيْطِ بِعَاةَ نزول الياني ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ (٢)
كَانَ مُكَاكِيَّ الْجَوَاءِ غَدِيَّةً صَبَحْنَ سُلَافاً مِنْ رَحِيقِ مَفْلَلِ (٣)
كَانَ سَبَاعاً فِيهِ غَرْقِي عَشِيَّةَ بِأَرْجَائِهِ الْقَصَوَى أَنْابِيْشَ عُصْلِ (٤)

(٢) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وزعيمهم بعكاظ ، وأحسنهم ديباجة لفظ ، وجلاء معنى ، ولطف اعتذار - ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير - وهو من أشرف ذبيان ، إلا أن تكسبه بالشعر غرض قليلا من شرفه ، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب ، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم ، وطالت صحبتته للنعمان بن المنذر ، فأدناه منه إلى أن وثى به عند النعمان أحد بطانته ، فغضب عليه وهم بقتله ، فأسر إليه بذلك عصامُ حاجب النعمان ، فهرب النابغة إلى ملوك غسان في الشام ، المتنافسين للمناذرة في ملك العرب في الحيرة ، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان ، غير أن قديم صحبتته للنعمان جعله يحزن إلى معاودة العيش في ظلاله ، فتنصل واعتذار إليه بقصائد عطف على قلبه ، وعمر النابغة طويلا ، ومات قبل البعثة .

(١) المجيمر : اسم جبل ، وذرا رأسه أعاليه ، الفناء : ما يخالط زيد السيل من ورق الشجر والحشيش . (٢) الغبيط : أراض لبنى يربوع ، بعاءه : ثقله ، العياب : جمع عيبة [وهي ما يضع الرجل فيه متاعه] . (٣) المكاكى : ضرب من الطير يصيح في القدوات ، صبحن ، شربن شراب الصباح السلاف والسلافة : صفوة الخمر ، الرحيق : الخمر مفلل وضع عليه فلفل (يريد أنه لذاع) . (٤) الأنابيش : جمع أنبوش وهو أصل البقل ، والعنصل : البصل البري .

شعره : يمتاز برشاقة اللفظ. ووضوح المعنى ، وحسن النظم ، وقلة التكلف حتى عُدَّ عند المدققين من الشعراء كجبرير أنه أشعر شعراء الجاهلية ، وأغرام تكسبه بالشعر أن يفتن في ضروب المدح ، حتى مدح الشيء وضده .

ومن جيد قوله في الاعتذار :

أتانى (أبيت اللعن) (١) أنك لمُتْنِي
فبتُّ كأنَّ العائدات (٤) فرشن لي
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة
لئن كنت قد بُلِغْتَ عني جناية (٧)
ولكنني كنت امرأً لي جانباً (٨)
ملوك (١٠) وإخوان إذا ما أتيتهم
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم
فلا تتركني بالوعيد كأنني
ألم تر أن الله أعطاك سورة (١٣)
ولست بمستبق أخاً لا تلمه
وتلك التي أهتم (٢) منها وأنصب (٣)
هراساً (٥) به يعلى فراشي ويقشب (٦)
وليس وراء الله للمرء مطلب
لمبلغك الواشي أغش وأكذب
من الأرض فيه مستراد (٩) ومذهب
أحكم في أموالهم وأقرب
فلم نرهم في شكرهم لك أذنبوا (١١)
إلى الناس مطلى به القار (١٢) أجرب
ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب (١٤)
على شعث ، أى الرجال المهذب (١٥)

(١) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية ، ومعناها : أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به ، وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام .

(٢) أصير لأجلها ذا هم . (٣) أتعيب . (٤) الزائرات فى المرض . (٥) شكوكا كأنه حسك . (٦) يخلط .

(٧) ذنبا وفى رواية : خيانة . (٨) الجانب : الناحية [وأراد به الشام] . (٩) موضع يتردد فيه لطلب الرزق .

(١٠) بدل من مستراد ومذهب - أو مبتداً بتقدير فيه ملوك .

(١١) قال الأصمعى : [كما فعلت أنت بقوم قربتهم وأكرمهم ، فتركوا الملوك ولزموك ، فلم تر ذلك ذنباً عليهم] . (١٢) القطران .

(١٣) منزلة رفيعة وشرفاً . (١٤) يضطرب : [وأراد بهذا البيت والذي قبله تسليية النعمان على ما حصل من مدحه لآل جفنة] .

(١٥) تلمه : تصلحه ، والشعث : الفساد ، والمهذب : المنقى من العيوب ، [يعتذر بذلك عن زلته] .

فإن أك مظلوماً (١) فعبدٌ ظلمته وإن تك ذا عُتبي (٢) فمثلك يعتب (٣)
ومن أباغ المعلقات والمطولات أيضاً :

(٢) معلقة النابغة الذبياني

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار ؟ (٤)
أقوى وأقفر من نعم وغيره هوج الرياح بهابى الترب موار (٥)
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أمونا عبر أسفار (٦)
فاستعجمت دارُ نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار (٧)
فما وجدت بها شيئا ألوذ به إلا الثام وإلا موقد النار (٨)
وقد أراى ونعما لاهيين معا والدهر والعيش لم يهمن بامرار (٩)
أيام تخبرنى نعم وأخبرها ما أكرم الناس من حاجى وأسارى
لولا حبال من نعم علقت بها لأقصر القلب عنها أى إقصار (١٠)
فإن أفاق لقد طالت عمالته والمرء يخاف طوراً بعد أطوار (١١)
نُبئت نعماً على الهجران عاتية سقياً ودعياً لذاك العاتب الزارى
رأيت نعماً وأصحابى على عجل والعيش للبين قد شددت بأكوار
فريع قابى وكانت نظرة عرضت حيناً وتوفيق أقدار لأقدار (١٢)
بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها لم تؤذ أهلاً ولم تُفحش على جار

- (١) جعل غضبه ظلماً لأنه عن غير موجب . (٢) رضا .
(٣) يرضى . (٤) عوجوا : قفوا ، الدمنة : ما اجتمع من آثار
الديار ، النوى ما يكون حول الخباء لمنع المطر . (٥) أقوى : خلا ،
أقفر : صار قفراً . هوج : جمع أهوج ، الريح تعصف بشدة ، هابى
الترب : سافيه ، موار : يجىء ويذهب . (٦) سراة اليوم : وسطه ،
والأمون : الناقة القوية المأمونة . (٧) استعجمت : عيت عن الجواب .
(٨) ألوذ به : أفرع اليه ، الثام : نوع من النبات الدقيق الضعيف .
(٩) أمر العيش امراراً صار مرا .
(١٠) الحبال : جمع حباله [وهى الشرك] ، أقصر : كف وانصرف .
(١١) العمالة : الضلالة ، والطور : الحال ، ويخلق : يتغير .
(١٢) ريع : من الروع [وهو الفزع] ، والحين : الهلاك .

- تلوث بعد افتضال البرد مثرها
والطيب يزداد طيباً أن يكون بها
تسقى الضجيع إذا استسقى بذى أشر
كأن مسمولة صرفاً بريقتها
أقول والنجم قد مالت أواخره
ألمحة من سنا برق رأى بصرى
بل وجه نعم بدا والليل مُعْتَكِرُ
إن الحمل التي راجت مُهَجَرَة
نواعم مثل بيضات بمحنية
إذا تغنى الحمام الورق هيَجَنِي
ومهمه نازح تعوى الذئب به
جاوزته بعنداة مناقلة
تجتأب أرضاً إلى أرض بذى زجل
- لوثا على مثل دعص الرملة الهاري (١)
في جيد واضحة الخدين معطار (٢)
عذب المذاقة بعد النوم مخمار (٣)
من بعد رقدتها أو شهد مُشْتَار (٤)
إلى المغيب : تثبت نظرة حار (٥)
أم وجه نعم بدا لي أم سنا نار
فلاح من بين أثواب وأستار
يتبعن كل سفيه الرؤى مغيار (٦)
يحفرن منه ظليماً في نقاً هار (٧)
وإن تغربت عنها أم عمار (٨)
نأى المياه عن الوراد مقفار (٩)
وعر الطريق على الإحزان مضمار (١٠)
ماض على الهول هاد غير محيار (١١)

(١) تلوث : تلف ، وافتضال البرد : هو التوشح به ، والدعص : الكشب الصغير ، والهاري : النهار . (٢) الجيد : العنق ، معطار : كثير العطر ووضوح الخد اشراقه . (٣) الأشر حسن الثغر وتحريز أطرافه مخمار عطر يقول وجدت خمرة الطيب أي رائحته . (٤) المسمولة : الخمر ، والصرف : الخالصة ، والريقة : الريق ، والمشتار : الذي ينزع العسل من بيوت النحل . (٥) حار : مرخم حارث . (٦) الحمل : الهوادج | ويريد بها النساء راحت مهجرة سارت وقت الهجير [، مغيار : غيور . (٧) المحنية والمحنو : منعطف الوادي . (٨) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة تألف الشجر الوريق . وأم عمار : واقعة موقع البدل من الضمير في [عنها] . (٩) المهمة : الوادي الموحش ، نازح بعيد الوراد [جمع وارد] ، مقفار : لا أنيس به . (١٠) علنداة : شديدة [وهو وصف للناقة] ، مناقلة : سريعة نقل القوائم في جرى بين العدو والخب ، الإحزان : المشى في الحزن [وهو ما صلب من الأرض] ، مضمار : كثير الضمور . (١١) تجتأب : تقطع وتجنب ، الزجل : الصوت ، محيار : شديد الحيرة .

- إذا الركاب ونت عنها ركائبها تشذرت ببعيد الفتر خطر (١)
 كأنما الرجل عنها فوق ذى جدد ذب الرياد إلى الأشباح نظار (٢)
 مطرد أفردت عنه حلائله من وحش وجرة أو من وحش ذى قار (٣)
 مجرس وحد جاب أطاع له نبات غيث من الوسمى مبكار (٤)
 سراته ما خلا لباته لهق وفى القوائم مثل الوشم بالقار (٥)
 نبات له ليلة شهباء تسفعه بحاصب ذات إشعان وإمطار (٦)
 دوبات ضيفاً لأرطاة وألحاه مع الظلام إليها وابل سار (٧)
 حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته وأسفر الصبح عنه أى إسفار
 أهوى له قانص يسعى بأكلبه عارى الأشجاع من قناص أنمار (٨)
 محالف الصيد هباش له لحم ما إن عليه ثياب غير أطمار (٩)

- (١) ونت من الونى [وهو الضعف] ، تشذرت : نشطت ، الفتر : الضعف ، خطر : كثر الخطران برجليه على الناقة يحشها على المضى .
 (٢) ذو الجدد : هو ثور الوحش تعلو ظهره خطوط بيض وحمر ، والذب : الدفع ، والرياد والارتباد : التحول . (٣) مطرد : مشرد ، ووجرة وذوقار موضعان ، والوحش اذا افردت عنه حلائله جن وأكثر من العدو فى أرجاء الفضاء . (٤) مجرس : خائف وذلك أن يسمع جرس الانسان أى صوته ، وحد : وحيد ، جاب ، صلب شديد تطاع له الكلا وأطاع : واذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء ، الوسمى : اول المطر . ومثله المبكار . (٥) سراته : ظهره ، لباته : صدره ، لهق : أبيض ، القار : شئ أسود تطلّى به السفن . (٦) ليلة شهباء ويوم أشهب : تهب فيهما ريح باردة ، تسفعه : تلهفه وترميّه ، والحاصب : الريح تقذف بالحصباء وهو الحصى . (٧) الارطاة : شجرة مرة . والواابل المطر الغزير ، والسارى يسح بالليل . (٨) أهوى له : انقض عليه ، اكلبه : كلابه ، الأشجاع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، وعريها محمود فى الرجال أنمار : اسم لقبيلة مشهورة بالصيد .
 (٩) هباش : كثير الهبش وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات ، أى مكاسب ، أطمار : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق .

- يسعى بعضب براها فهي طاوية^(١) طول ارتحال بها منه وتسيار^(١)
حتى إذا الثور بعد النمر أمكنه^(٢) أشلى وأرسل غظفا كلها ضار^(٢)
فكر محمية من أن يفر كما^(٣) كر المحامي حفاظاً خشية العار^(٣)
فشك بالروق منه صدر أولها^(٤) شك المشاعب أعشاراً بأعشار^(٤)
ثم انثنى بعد للثاني فاقصده^(٥) بذات ثغر بعيد القعر نعار^(٥)
وأثبت الثالث الباقي بنافذة^(٦) من باسل عالم بالطعن كرار^(٦)
وظل في سبعة منها لحقن به^(٧) يكر بالروق فيها كر إسوار^(٧)
حتى إذا ما قضى منها لبانتة^(٨) وعاد فيها بإقبال وإدبار^(٨)
انقض كالكوكب الدرى منصلتاً^(٩) يهوى ويخط. تقريباً بإحضار^(٩)
فذاك شبه قلوصى إذ أضربها^(١٠) طول السرى والسرى من بعد أسفار^(١٠)
لقد نهيت بنى ذبيان عن أقر^(١١) وعن تربعهم فى كل أصفار^(١١)
فقلت يا قوم إن الليث منقبض^(١٢) على برائنه لوثة الضارى^(١٢)
لا أعرفن ربرباً حوراً مدامعها^(١٣) كأنهن نعاج حول دوار^(١٣)

- (١) العضب جمع أمضب : وهو اللين الناعم ، طاوية : جائعة .
(٢) النمر : العدو ، أشلى تقول أشلى ، وتقول أشليت الكلب للصيد .
(٣) محمية : حفاظ والمحامى الذائد والمدافع .
(٤) الروق القرن ، المشاعب : الذى يشعب الفدح ويصدعه .
(٥) أقصده رماه بذات ثغر : أى بطعنة ذات ثغر والثغر هنا الشق ،
بعيد القعر : بعيد الفور ، نعار : له نغير (٦) نافذة : أى ماضية ،
باسل : من البسالة وهى الشجاعة . (٧) الاسوار : الرامى الحاذق .
(٨) لبانتة : حاجته (٩) منصلتاً : الانصالات هو المضى فى سرعة .
(١٠) القلووس : الناقة ، والسرى : السير بالليل .
(١١) أقر : واد خصيب حماء النعمان ، وبنى ذبيان : قوم النابغة .
(١٢) منقبض على برائنه : متحفز للوثوب وثبة الأسد الضارى .
(١٣) الربرب : القطيع من البقر شبه به النساء ، حور : جمع حوراء ،
من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها ،
والمدامع : العيون ، والنعاج : يريد بها هنا أيضاً النساء ، ودوار : صنم كن
يطفن حوله .

- ينظرون شزراً إلى من جاء عن عرض بأوجه منكرات الرق أحرار (١)
 خلف العضاريط. لا يوقين فاحشة مستمسكات بأقتاب وأكوار (٢)
 يذرفن دُمعاً على الأشفار منحدرًا يا ملن رحلة حصن وابن سيار (٣)
 إما عصيت فإني غير منفلت مني اللصاب فجنبنا حرة النار (٤)
 إذ أصنع البيت في سوداء مظلمة تقيد العير لا يسرى بها الساري (٥)
 تدافع الناس عنا حين نركبها من المظالم تدعى أم صبار
 ساق الرفيدات من جوش ومن خرد وماش من رهط. ربعي وحجار (٦)
 قرى قضاة حلا حول حجرته مدًا عليه بسلاف وأنفار (٧)
 حتى استقل بجمع لا كفاء له يقف الوحوش عن الصحراء جرار (٨)
 لا يخفض الرز عن أرض ألم بها ولا يضل على مصباح الساري (٩)
 وعيرتي بنو ذبيان خشيتُهُ . وهل على بأن أخشاك من عار

- (١) النظر الشزر: هو النظر في اعراض بمؤخر العين كنظر المبالغض ، العرض : الجانب منكرات الرق احرار صفة للنساء يرميهن السبي بالعبودية . (٢) العضاريط : الخدم ، لا يوقين فاحشة [يريد أن السبي عرضهن للمنكر أى للفحشاء] ، الأقتاب : جمع قتب ، وهو عود الرحل والأكوار الرحال . (٣) الأشفار منابت الهدب . (٤) اللصاب : جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل ، والحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها حرقت بالنار . (٥) سوداء مظلمة : وصف لحرة النار : تقيد العير : تمنعه من المشي . (٦) الرافيدات : بنو ربيعة من كلب بن وبرة ، جوش : جبل ببلاد بني القين ، ربعي وحجار : رجلان من قضاة (٧) قرى قضاة : صفة لربعي وحجارة والمراد الرجل القوي المتين ، حلا : نزلا ، مدا عليه : أمداه ، السلاف : من يتقدمون العسكر ، والأنفار : من يتكون من الجيش من أفرادهم . (٨) استقل : نهض ، لا كفاء له : لا نظير له : والجرار : الجيش الكبير كأنما يجز بعضه بعضا . (٩) الرز : الصوت ، ألم نزل : يعني أنه لا يهاب أرضا ينزل بها حتى يخفض صوته .

(٣) زهير بن أبي سلمى المزنى المضرى

هو زهير بن أبي سلمى : واسمه ربعة بن رباح المزنى ثالث فحول
الطبقة الأولى من الجاهلية . وأعفهم قولاً ، وأوجزهم لفظاً . وأغزرهم
حكمة . وأكثرهم تهذيباً لشعره .

نشأ في غطفان وإن كان من مزينة ، من بيت جل أهله شعراء ، رجلاً
ونساء ، واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المرى ؛ وأول ما أعجبه
من فعله وحبيب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين
عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التي بلغت
ثلاثة آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته ، وهي إحدى المعلقات السبع .

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا
أعطاه . ولا يسأله إلا أعطاه . ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو
فرساً ، فاستحيا زهير منه ، فكان إذا رآه في ملاً قال : أنعموا صباحاً غير
هرم ، وخيركم استثنيت ، وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع ،
متديناً مؤمناً بالبعث والحساب ، كما يبدو من قوله :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفي ، ومهما يكتن الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم
وعمر زهير ، ومات قبل البعثة بسنة .

وكان زهير صاحب روية وتعمل وتهذيب لما يقول ، ولا سيما مطولاته ،
حتى قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذبها في أربعة أشهر ،
ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر ، فلا يظهرها إلا بعد حول ، ولذلك
يسمون بعض مطولاته الحوليات . ومما سبق غيره قوله يمدح هرمأ :

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً

من يلتق يوماً على علاته هرمًا يلتق السباحة منه والندى خُلُقًا
لو نال حى من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا
وشعره يمتاز أولاً بحسن الإيجاز وحذف فضول الكلام وحشوّه ،
بحيث يودع اللفظ. اليسير والمعنى الكثير .
وثانياً بإجادة المدح وتجنب الكذب فيه .
وثالثاً بتجنب التعقيد اللفظى والمعنوى ، والبعد من وحشى الكلام وغريبه .
ورابعاً بقلّة الهذر والسخف فى كلامه ، ولذلك كان شعره عفيفاً يقلّ
فيه الهجاء ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندم على ما صنع .
ومن أشهر المعلقات والمطولات أيضاً :

مُعلقة زهير بن أبى سلمى

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتثلثم (١)
ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم (٢)
بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم (٣)
وقفتُ بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدارَ بعد توهم (٤)
أثافى سغفًا فى معرس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلثم (٥)
فلما عرفتُ الدار قلت لربعها ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من طعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم (٦)

(١) أم أوفى : امرأة زهير ، ودمنة الدار : الأثر ، لم تكلم : لم تظهر ،
أى ، أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم ، وحومانة الدراج موضع ،
وكذلك التثلثم . (٢) الرقمتان : اسم ، مراجع الوشم : خطوطه ،
ونواشر المعصم : عروقه . (٣) العين : البقر ، والآرام : الظباء
وأطلاؤها : أولادها ، والمجثم : المكان الذى يقمن فيه ، يمشين خلفه :
فوجاً بعد فوج وسرباً بعد سرب . (٤) حجة : سنة .
(٥) الأثافى : الحجارة وضع عليها القدر ، سفع : سود ، ومعرس
المرجل : الموضع الذى يكون فيه ، والنؤى : ما يحفر حول الخيام لمنع
السيول ، وجذم الحوض : أصله ، لم يتثلثم ، لم يتكسر .
(٦) الظفائن : الجمال عليها الهودج ، العلياء وجرثم : موضعان ،
والتحمل : الارتحال .

- جعلنَ القنَّانَ عن يمينٍ وحزنهُ
 علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكلة
 (١) وكم بالقنَّان من محلٍّ ومحرم
 (٢) ورَادَ حَواشيها مشاكِهَةُ الدم
 (٣) على كل قيني قشيب ومُفَام
 (٤) عليهنَّ ذلَّ الناعمِ المتنعم
 (٥) فهن ووَادي الرس كاليد للقم
 أنيق لعين الناظر المتوسم
 (٦) نزلنَ به حب الفنا لم يحطم
 (٧) وضعن عصبي الحاضر المتخيم
 (٨) عليه خيالاتُ الأُحبة يحلم
 (٩) تنزل ما بين العشيرة بالدم
 (١٠) رجالُ بنوهُ من قريشٍ وجهرهم
 (١١) على كل حال من سجيل ومبرم
 بكَرنَ بكوراً واستَحَرْنَ بسحرة
 وفيهن ملهى للصديق ومنظر
 كَأَنَّ فئات العهن في كل منزل
 فلما وَردنَ الماءَ زرقاً جمامه
 تذكرني الأحلامُ ليلي ومن تطف
 سعى ساعياً غيظ. بن مرة بعد ما
 فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله
 مِيناً لنعم السيدان وجدتما

- (١) القنَّان : اسم جبل ، الحزن : ما غلظ من الأرض .
 (٢) الأنماط : ثياب تفرش بها الهودج ، وعتاق : جيدة الحوك ،
 والكلة : الستارة [الناموسية] ، وراد موردة ، مشاكهة ، مشابهة .
 (٣) السوبان : اسم واد ، جزعنه : قطعنه ، قشيب : جديد ، مفام :
 واسع . (٤) وركن في السوبان : عرجن عليه ، متنه : ظهره .
 (٥) استحرن : سرين سحرا كاليد للقم : يريد أنهن في قريهن من
 وادي الرس كاليد للقم ، لأنها لا تخطئه في قربها منه .
 (٦) العهن : الصوف ، الفنا : شجر له حب أحمر وفيه نقط سود .
 (٧) جمام الماء : ما اجتمع منه ، والجمام الزرق : المياه الصافية ،
 ووضع العصبي : كناية عن ترك السير ، الحاضر : النازل على الماء ،
 المتخيم : المقيم . (٨) في كتاب « مدامع العشاق » بحث مفصل
 عما قاله الشعراء في طيف الخيال . (٩) الساعيان في هذا الصلح
 هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان واليهما يوجه زهير الثناء .
 (١٠) البيت : هو الكعبة ، وجهرهم : اسم لقوم كانوا ولاية البيت قبل
 قريش وأبادهم الله لبغيهم . (١١) السجيل : الخيط المفرد المبرم
 المفتول : والسجيل هنا والمبرم كناية عن الرخاء والشدة .

- تَدْرَاكُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانِ بَعْدَ مَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطَرَ مِئْشَمٍ (١)
 وَقَدْ قَلَمَا : إِنْ نُدْرِكَ السَّلْمُ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمَ (٢)
 فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمٍ (٣)
 عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعَدَّ هُدَيْتِمَا وَمَنْ يَسْتَبِحُ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ
 وَأَصْبَحَ يَحْدَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمٍ (٤)
 تَعْفَى الْكُلُومَ بِالْمُئِينَ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمَجْرَمٍ (٥)
 يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ وَلَمْ يَهْرِقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مَحْجَمٍ (٦)
 أَلَا أَبْلَغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةٌ وَذُبْيَانِ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مَقْسَمٍ (٧)
 فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صَدُورِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يَكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
 يُوَخِّرُ فَيَوْضِعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ لِيَوْمٍ حِسَابٍ أَوْ يَعَجِّلُ فَيَنْقِمُ
 وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمُو وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ
 مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةٌ وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضَرَّمُ (٨)
 فَتَعْرِكُكُمْ عَرَكَ الرُّحَى بِنَقْلِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تَنْتَجُ فَتَنْثَمُ (٩)

- (١) مِئْشَم : امرأة تباع عطرا . فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم .
 (٢) واسعا خالصا من شوائب الأحقاد .
 (٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم : الانثم ، وهو العدوان .
 (٤) يحدى : يساق ، إفال : جمع أفيل وهو الفصيل ، مزنم : معلم .
 (٥) تعفى : تمحى ، الكلوم ، الجروح ، ينجمها : يؤديها أقساطا .
 (٦) المحجم : وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند القصد .
 (٧) أى : هل حلفتُم لو تعملون شيئا ينقض ما تحالفتُم عليه .
 (٨) يقال ضريرته فضرى : أى هجته فهاج : تضرم : تشعل .
 (٩) الثفال : جلد بسيط تحت الرحى عند الطحن .

- فَتَنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ كُلَّهُم
فَتَغْلُلْ لَكُمْ مَالًا تَغْلُلُ لِأَهْلِهَا
لَحَى حَلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ
كِرَامَ فَلَا ذُو الضَّغْنِ يُدْرِكُ نَبْلَهُ
رَعَوْا مَا رَعَوْا مِنْ ظَمْئِهِمْ ثُمَّ أوردوا
فَقَضَوْا مَنَایَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
لِعَمْرِى لِنِعْمِ الْحَى جَرٍ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ طَوًى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكْنِهِ
وَقَالَ سَأَقْضِى حَاجَتِى ثُمَّ أَتَى
فَشَدَّ وَلَمْ يَنْظُرْ بَبُوتًا كَثِيرَةً
لَدَى أَسَدٍ شَاكِى السَّلَاحِ مُقْدَفٍ
جَرِىءٍ مَتًى يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ
كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تَرْضَعُ فَتُفْطِمُ (١)
قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ (٢)
إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّیَالِیِ بِمَعْظَمِ (٣)
وَلَا الْجَارِمِ الْجَانِ عَلَيْهِمْ بِمِسْلَمِ (٤)
غَمَارًا تَفْرَى بِالسَّلَاحِ وَبِالْدَمِ (٥)
إِلَى كَلٍّ مُسْتَوْبِلٍ مَتَوَخِّمِ (٦)
بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ
فَلَا هُوَ أُنْدَاهَا وَلَمْ يَتَجَمَّعْ (٧)
عَدَوًى بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِى مُلْجَمِ (٨)
لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ (٩)
لَهُ لَبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمِ (١٠)
سَرِيعًا وَإِلَّا يَبْدُ بِالظَّلْمِ يَظْلَمُ

- (١) غلمان أشام : غلمان شؤم ، واحمر عاد : هو عاقر الناقة .
(٢) القفيز : اسم مكيال .
(٣) حى حلال : حالون فى مكان واحد متجاورون ، يعصم الناس أمرهم : يسلم الناس برأيهم ، والمعظم : الحادث الرهيب .
(٤) النبل : الثأر ، الجارم : المجرم .
(٥) الظمأ : الهدنة بين الحربين ، والغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير ، تفرى : انفجر .
(٦) الكلا : العشب ، أصدروا : رجعوا ، مستوبل : متوخم ، مستثقل مردوم .
(٧) الكشح : الجنب . مستكنة : مضمرة .
(٨) ألف ملجم : يريد ألف فارس الجموا خيولهم .
(٩) لم ينظر : لم ينتظر ، والبيوت الكثيرة : قومه وأنصاره ، يريد أنه لم يستعن بأحد ، وأم قشعم : هى المنية .
(١٠) شاكى السلاح : شاهر السلاح ، مقذف : يسرع به كثيرا الى الحروب ، لبـد : الشعر الملبـد على منكبى الأسد .

لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم
 ولا شاركوا القوام في دم نوفل
 فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه
 ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
 ومن يوف لا يندم ومن يفض قلبه
 ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
 ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
 ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه
 ومن يغترب يحسب عدواً صديقه
 ومن لا يذد عن حوضه بسلحه
 ومن لم يصانع في أمور كثيرة
 ومن يجعل المعروف من دون عرضه
 ومهما تكن عند امرئ من خليقة
 وكان ترى من صامت لك معجب
 لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
 وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
 سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
 دم ابن نهيك أو قتيل المثل
 ولا وهب منهم ولا ابن المخزم
 علالة ألف بعد ألف مُصم
 يُطيع العوالي ركبت كل لهزم (١)
 إلى مُطمئن البر لا يتجمجم
 ولو رام أسباب السماء بسلم
 على قومه يُستغن عنه ويُندم
 ولا يعفها يوماً من الذل يندم
 ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
 يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم (٢)
 يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم (٣)
 يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
 وإن خالها تخفى على الناس تعلم
 زيادته أو نقصه في التكلم
 فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
 وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
 ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

- (١) الزجاج : أسفل الرمح ، والعوالي : جمع عالية : وهى أعلاه ،
 للهدم : اللسان الطويل ، والمعنى : من عصى زجاج الرمح وهى لا تقتل .
 أطاع عواليه وهى قتالة : أى من لم يطع باللين يطع بالشدة .
- (٢) الدود : هو الدفع ، ومن لا يظلم يظلم : [يريد به أنه طمع الناس
 أن يبطشوا بالضعيف وأن يظلموا من لا يقدر على الظلم يعنى من لم يدفع
 الظلم بمثله يظلم] .
- (٣) المصانعة : المدارة ، يضرس : يمضغ بالأضراس ، والمنسم : الحافر .

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِ
رَأَيْتُ الْمَنَایَا خَبِطَ عَشَوَاءَ مِنْ تَصَبِ تَمَتَّهْ وَمَنْ تَخْطَى يُعَمَّرُ فِيهِمْ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعَدْتُمْ وَمَنْ يُكْثِرُ التَّسَالَ يَوْمًا سَيُحْرَمُ

(٤) عنتره العبسي

هو عنتره بن عمرو بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وأغربتها
وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة .

وكانت أمه أمة حبشية تسمى زبيبة ، وأبوه من سادات بني عبس .
وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عداد العبيد ،
ولذلك كان عنتره عند أبيه منبوذاً بين عبدانه ، يرعى له إبله ويخيله فرباً بنفسه
عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشبه فارساً شجاعاً هماماً ، وكان
يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعض العرب على عبس ، واستاقوا
إبلهم ، ولحقهم بنو عبس ، وفيهم عنتره لاستنقاذ الإبل ، فقال له أبوه : كر
يا عنتره ، فقال : العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصر ، فقال : كر
وأنت حر ، فقاتل قتالا شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل ، فاستلحقه
أبوه ، ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها .

وطال عمر عنتره حتى ضعف جسمه ، وعجز عن شن الغارات ، ومات
قبيل البعثة .

شعره - لم يشتهر عنتره أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت
عليه الفروسية مكتفياً بها حتى عيره يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر
فاتحج لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي
كانت تسمى المذهبة أيضاً ، وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه ، وحسن دفاعه عنهم
ووفرة جوده معرجا فيها على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجمل المعلقات .

معلقة عنتره العبسى

- هل غادرَ الشعراءُ من متردَم ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١)
يا دار عبلَة بالجِواءِ تكلمى وعمى صباحاً دار عبلَة واسلمى^(٢)
دارُ لآنَسَة غَضِيض طرْفُها طوع العنان لذِيذَة المتبسم^(٣)
فوقفتُ فيها ناقتى - وكأَنَّها فدن - لأَقْضى حاجة المُتْلوم^(٤)
وتحلُّ عبلَة بالجِواءِ وأهلُنَا بالحزنِ فالصَّمانِ فالمتلثم^(٥)
حُيِّتَ مِن ظللِ تقادمِ عهدِهِ أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^(٦)
حلت بأَرْضِ الزائرينِ فأصبحت عسراً على طلابك ابنة مخرم^(٧)
علقتْها عرضاً وأقتل قومها زعماءَ لعمر أبىك ليس بمزعم^(٨)
ولقد نزلت ، فلا تظنى غَيره ، مِنى بمنزلة المحبِّ المكرم^(٩)
كيفَ المزارُ وقد تربع أهلها بعُنِزَتَيْنِ وأهلُنَا بالغَيلم^(١٠)
إنَّ كنتَ أزمعتِ الفراقَ فإنما زُمْتَ ركباً بكم بليلى مظلم^(١١)
ما راعنى إلا حَمولة أهلها وسط الديار تسفُ حبَّ الخمخم^(١٢)

- (١) غادر : ترك ، متردَم : أى شىء يصلح لم يكونوا أصلحوه .
(٢) الجِواء : بلد ، تكلمى : أفصحى وأخبرى ، وعمى وانعمى : أى نعم
الله صباحك وأدامك سالمة . (٣) الفدن : القصر ، والمتلوم : المترقب
المنتظر : وعنى بالمتلوم نفسه . (٤) تحل : تترك ، والصوان والصمان
بمعنى واحد وهو معروف عند العرب (٥) حِيَّت : لك منى التحية ،
من ظلل : المكان تقادم عهده ، أقوى : خلا من السكان ، أقفر : خرب ،
الهيثم : الصقر (٦) الزائرين بالهمزة : الأعداء ، والزائر بالياء : من
الزيارة للأحباب والأصدقاء . (٧) علقتها : أحبتها ، عرضاً :
من غير قصد ، زعماء : ظنا . (٨) نزلت حلت من نسي منزلة المحب
المكرم . (٩) تربع القوم : نزلوا فى الربيع ، والعنيزتان ، والغليم :
موضعان ، يقول : كيف أزورها وقد بعدت عنى بعد قربها .
(١٠) أزمع : نوى وصمم ، زمت الركاب : شدت
(١١) راعنى : أفزعنى ، والحَمولة : الإبل ، تسف حب الخمخم : تأكل
بقلة لها حب أسود إذا أكلته الفم قلت البانها وتغيرت .

فيها الشنان وأربعون حلوبة سوداً كغافية الغراب الأسحم (١)
 إذ تستبيك بذى غروب واضح عذب مقبله لذيد المطعم (٢)
 وكأن فارة تاجرٍ بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم (٣)
 أو روضة أنفاً تضمّن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم (٤)
 جادت عليه كلُّ بكرٍ حرة فتركن كلَّ قرارة كالدرهم (٥)
 سحاً ومسكاباً فكلُّ عشية يجرى عليها الماء لم يتصرّم (٦)
 وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم (٧)
 هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم (٨)
 تسمى وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدم ملجم (٩)
 وحشيتي سرجٌ على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المحزم (١٠)
 هل تبغني دارها شذنية لعنت بمحروم الشراب مُصرّم (١١)

- (١) الحلوبة : الناقة في ضرعها لبن ، الأسحم : شديد السواد .
 (٢) تستبيك : تذهب بعقلك ، غروب : حد ، وغروب الأسنان حدها .
 (٣) فارة : الفارة هنا وعاء .
 (٤) الروضة : الحديقة ، والأنف : التام في كل شيء ، والدمن : المطر الخفيف ، والمعلم : ذو العلامة .
 (٥) البكر : السحابة في أول الربيع وفي عاداتها أن لا تمطر .
 (٦) لم يتصرم : ينفذ ولم ينقطع [وخص مطر العشى لأنه أكثر ما يكون صيفا . (٧ ، ٨) خلا : انفرد ، ببارح : أى بتارك ، غردا : مترنما والتغريد الترنيمة ، الهزج : سريع الصوت ، يحك ذراعه بذراعه : أى يمر أحدهما على الأخرى ، قدح المكب : الذى أكب على الزناد يقدحه على التوالى ، الأجذم : الزناد القصير . [وكلها نعوت لفناء الذباب وترنيمة فوق الغدير] (٩) الحشية : الفراش المحشو ، يعنى أن حبيبته تسمى وتصبح مستريحة ناعمة ، وأما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارساً لها ومدافعاً عن القبيلة . (١٠) حشيتى : فراشى ، سرج : السرج ما يوضع على الجواد ، عبل الشوى : غليظ القوائم يريد جواده .
 (١١) تبغني : توصلنى دارها منزلها ومقامها .

- خطارة غِب السرى زِيَاة تَطَسَّ الآكام بذاتِ خُفٍ مِثْمٌ (١)
وكأنما أَقْصُ الآكام عَشِيَّةً بِقَرِيبٍ بَيْنَ الْمُنْسَمِينَ مُصْلَمٌ (٢)
تَأْوَى لَهُ قَلْصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حَزَقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طَمْطَمٌ (٣)
يَتَبَعْنَ قَلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعَشٍ لَهْنٍ مُخِيمٌ (٤)
صَعَلٌ يَعُودُ بِذَى الْعَشِيرَةِ بِيضُهُ كَالْعَبْدِ ذَى الْفَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ (٥)
شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرَضِينَ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفَرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ (٦)
وكأنما تَنَأَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الْوَحْشَى مِنْ هَزَجِ الْعَشَى مُؤَوِّمٌ (٧)
هُرٌّ جَنِيبٌ كُلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضْبَى تَلْقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ (٨)

(١) خطارة : تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به حاديتها ، غب السرى :
أى بعد السرى ، زيافة : تسرع فى مشيها .
(٢) أقص : أكثر ، والآكام : المرتفع من الأرض ، المنسمان : الظفران
المقدمان فى الخف ، مصلم : مقطوع الأذنين .
(٣) تأوى : ترجع وتسكن ، قلص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .
حزق : جماعات . (٤) يتبعن به ، قلة الرأس : أعلاه ،
والحرج : سرير يحمل عليه المريض أو الميت .
(٥) صعل : صغير الرأس دقيق العنق ، يعود : يأتى الى بيضه ،
ذو العشيرة : اسم مكان ، شبه ذكر النعام بالعبو الأسود عليه فروة طويلة .
(٦) الدحرضان : اسم مورد من موارد الماء ، زوراء : عوجاء مائلة
من النشاط ، والديلم : الأعداء ، والمعنى أنها تجافت عن الحياض
لخوفها منها .

(٧) ينأى : يبعد ، والدف : الجنب ، والوحشى : الجانب الأيمن من
البهائم ، وسمى الجانب الأيمن وحشياً لأنه لا يركب منه الراكب
ولا يحلب منه الحالب ، هزج العشى : صوت الهر الذى يחדشها لأن
السنانير أكثر ما تصيح فى العشيات ، والمؤوم : عظيم الرأس .
(٨) هر جنيب : مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردها باليدين
وبالفم ، والمعنى أنها كثيرة النشاط فى ساعة العشى وهى ساعة الفتور
عند سواها من الإبل فكأنها من نشاطها يחדشها هو تحت إبطها .

أَبْقَى لَهَا طَوْلَ السَّفَارِ مُتَمَرِّدًا سِنْدًا وَمِثْلَ دَعَائِمِ الْمُتَخِمِ (١)

- بَرَكْتَ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا
وَكُنَّ رِبَا أَوْ كَحِيلًا مَعْقِدًا
يَنْبَاعُ مِنْ ذَفَرِي غَضُوبِ جَسْرَةٍ
إِنْ تَغْدِقِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي
أَفْنَى عَلَى بَمَا عَلِمْتُ فَإِنِّي
فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنْ ظَلَمِي بِأَسْلُ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَمَا
بِزَجَاجَةٍ صَفَرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى
وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مَجْنَدِلًا
- بَرَكْتَ عَلَى قَضْبِ أَجَشٍ مُهْضَمِ (٢)
حَشَّ الْوُقُودَ بِهِ جَوَانِبَ قَمَقَمِ (٣)
زِيَاةً مِثْلَ الْفَنِيْقِ الْمَكْدَمِ (٤)
طَبُّ بِأَخَذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَأْمِ (٥)
سَهْلٌ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ
مُرٌّ مَذَاقَتَهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ
رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمَعْلَمِ
قَرَنْتَ بِأَزْهَرٍ فِي الشَّمَالِ مَقْدَمِ (٦)
مَالِي ، وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَكَلَمْ (٧)
وَكَمَا عَلِمْتُ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي (٨)
تَمَكُّو فَرِيضَتَهُ كَشَدَقِ الْأَعْلَمِ (٩)

- (١) أَبْقَى : ترك ، طول السفار : طول السفر وامتداده ، والمقرمذ : المبنى بالآجر ، أراد به سنامها وقد أراد أنه انكمش وتماسك وصلب كما يتماسك الآجر وهو الحجارة الخشنة الملمس .
- (٢) الردع : مورد لبنى سعد ، الأجش : الذي فى صوته خشونة ، المهضم : المخرم ، وقيل المكسر .
- (٣) الرب : ما بقى من عصارة الثمار ، الكحيل : القطران ، معقدا : أوقد تحته حتى انعقد .
- (٤) ينباع : ينفعل ، والذفران : العظمان الناثان خلف الأذنين ، زيافة : متبخثرة فى سيرها ، والفنيق : الفحل من الابل ، والمكدم : المعضع ، والكدم : العض ، وفى رواية المقرم .
- (٥) تغدق : ترخى القناع على وجهك . طب : أى خبير حاذق ، والمستلم : الذى لبس اللامة وهى الدرع .
- (٦) الأسرة : الخطوط والطرائق التى فى وسطها ، قرنت : شددت بكأس أخرى ، أزهـر : أبريق من فضة ، والمقدم : المصطفى .
- (٧) شربت : سكرت ، مستهلك : مستنفد .
- (٨) صحا : أفاق من سكره . (٩) الحليل : الزوج .

سبقت يدى له بعاجل ضربة	ورشاش نافذة كلون العندم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك	إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابح	نهد نعاوره الكماة مكلم (١)
طوراً يعرض للطعان وتارة	يأوى إلى حصد القسى عرمرم (٢)
يخبرك من شهد الوقائع أننى	أغشى الوغى وأعف عند المغنم
فأرى مغنم لو أشاء حويتها	فيصدنى عنها الحيا وتكرى
ومُدجج كره الكماة نزاله	لا ممعن هرباً ولا مستسلم (٣)
جادت يداى له بعاجل طعنة	بمشف صدق الكعوب مقوم
برحبة الفرعين يهدى جرسها	بالليل مغتس الذئاب الضرم (٤)
فشكت بالرمح الأصم ثيابه	ليس الكريم على القنا بمحرم (٥)
فتركه جزر السباع بنشئه	ما بين قلة رأسه والمغنم
ومشك سابغة هتكت فروجها	بالسيف عن حامى الحقيقة معلم (٦)
ربذ يده بالقداح إذا شتا	هناك غايات التجار ملوم (٧)

- (١) تعاوره : يطعنه ذا مرة وذاك اخرى . الكماة : الشجعان ،
 مكلم : مجروح . (٢) الحصد : الكثير المحكم ، والقسى : جمع قوس ،
 والعرمرم : الشديد ، وقيل الكثير .
 (٣) المدجج : الكامل السلاح ، كره الكماة : خافوا منه .
 (٤) الرحبة : الواسعة ، جرسها : الصوت ، والمغتس والمبتقى :
 الطالب ، والضرم : الجياع .
 (٥) فشكت : شقت ، ثيابه : درعه وقيل قلبه .
 (٦) المشك : الدرع ، السابغة : السابلة أضافها لنفسه وهو جائز ،
 هتكت : فضحت وكشفت ، فروجها : جمع فرجة ، وهى الخروق النافذة ،
 الحقيقة : الراية، والمعلم : الذى قد علم نفسه بعلامة فى الحرب
 (٧) الربذ : السريع الضرب بالقداح الحاذق فى لعبها ، اذا شتا :
 لان القحط اكثر ما يأتى العرب فى الشتاء .

- لما رآني قد نزلت أريده أبدي نواجذه لغير تبسم (١)
 فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديد مخدم (٢)
 عهدى به مدّ النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالعظم (٣)
 يبطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبب ليس بتوأم (٤)
 ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وببيض الهند تقطر من دى لمعت كبارق ثغرك المتبسم
 غوددت تقبيل السيوف لأنها حرمت على وليتها لم تحرم (٥)
 فبعشت جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسسى أخبارها لي واعلمي
 قالت : رأيت من الأعادي غرة والشاة ممكنة لمن هو مُرثم
 وكأنما التفتت بجيد جدابة رشأ من الغزلان حرأ أرثم (٦)
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخبئة لنفس المنعم
 ولقد حفِظت وصاة عمى بالضحي إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
 في حومة الحرب التي لا تشتكي غمراتها الأبطال ، غير تغمغم
 إذ يتقون بي الأسنة لم أخم عنها ولكني تضايق مقدمي (٧)

(١) أبدي نواجذه الخ : كلح في وجهي فبدت أضراسه .

(٢) المخدم : من الخدم وهو القطع .

(٣) خضب : طلى ، والعظم : شجر أحمر .

(٤) بطل : لانه يبطل العظام بسيفه ، وقيل : هو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن فعل في حماره ثأراً ، والسرحة : شجرة لا ثمرة لها وإنما يستظل بها ، وتعرف عند العرب بطول ساقها . (٥) الشاة هنا المرأة ، وهو يعني جارته لأن من كانت له جارة فهي في حماه . وكانت محرمة كالأم والأخت .

(٦) الجيد : العنق ، والجدابة بكسر الجيم وفتحها : الظبية أتى عليها خمسة أشهر أو ستة ، والرشأ : الغزال الصغير .

(٧) يتقون بي : يجعلونني وقاية بينهم وبينها بأن يقدموني للموت لم أخم : لم أنكص ، تضايق : ضاق .

لما سمعتُ نداءً مرةً قد علا
ومحلم يسعون تحت لوائهم
أيقنتُ أن سيكون عند لقائهم
لما رأيت القوم أقبلَ جَمْعهم
يدعون عنتراً والرماح كأنها
مازلت أرميهم بغرّة وجهه
فازورّ من وقع القنا بلبانه
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى
والخيل تقتحم الغبار عوابساً
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها
ذُلُّ ركابى حيث شئتُ مُشايعى
ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن
الشامى غرضى ولم أشتمهما

وابنى ربيعة فى الغبار الأقم (١)
والموتُ تحت لواء آل محلم (٢)
ضرب يطيرُ عن الفراخ الجثم
يتذاكرون كررتُ غير مُذمم
أشطان بئر فى لبان الأدهم (٣)
ولبانه حتى تسربل بالدم
وشكا إلى بعبرة وتحمحم (٤)
ولكان لو علم الكلام مُكلمى
من بين شيطمة وأجرد شيطم (٥)
قيل الفوارس «ويك» عنتر أقدم (٦)
قلبي ، وأحفزهُ بأمرٍ مُبرم (٧)
للحرب دائرة على ابنى ضمضم (٨)
والناذرين إذا لم القهما دعى

- (١) النداء : الصياح ، الأقتم : الأسود الحالك .
(٢) هو ابن عوف الشيبانى الذى يضرب به المثل فى الوفاء والعزة يقال « لا حر بوادى عوف » .
(٣) الأشطان : جمع شطن وهو جبل البئر ، شبه الرمح به لظوله ، واللبان بالفتح : الصدر . (٤) ازور : مال ، وشكا : لو كان يستطيع الشكوى ، والعبرة بفتح العين : البكاء والاشفاق .
(٥) تقتحم : تخوض ، والعوابس : الكوالح ، والشيطم والأجرد : القصير الشعر . (٦) ويك : كلمة يقولها المتندم اذا ندم على ما فرط منه ، ولكثرة استعمالها ألحقت بها الكاف ، وقيل « وى » بمعنى أعجب أى عجباً لك يا عنترة .
(٧) ذلل : جمع ذلول ، الذلول من الابل وغيرها سهلة القياد ، وركابى : ما أركبه ، وأحفزه : أدفعه ، والمبرم : المحكم .
(٨) والدائرة : ما ينزل بالناس من بلوى ، وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم ، المريان : قتلها ورد بن حابس العيسى ، وكان عنترة قتل اباهما ضمضما فكانا يتوعدها .

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتَ أَبَاهُمَا جُزْرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشْعَمٍ (١)

(٥) عمرو بن كلثوم التغلبي

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ، وأمّه ليلي بنت مهلهل أختي كليب . نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفراً ، وأكثر ما كانت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحة في مجلس عمرو بن هند ، قام أثناءها شاعر بكر (الحارث بن حلزة الشكري) وأنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمر بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر ، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ؛ ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمّه ليلي بنت مهلهل وأغرى هنداً أمّه أن تستخدمها في قضاء أمر ، فصاحت ليلي وأذلاه ، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ، ثم رحل تَوّاً إلى بلاده بالجزيرة ، وأنشد معلقته الآتية ، وعاش مائة وخمسين سنة ، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

شعره - لم يشتهر عمرو إلا بمعلقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها وعلو فخرها ، ولعل شهرته بالخطابة لا تقل عن شهرته بالشعر الجيد ، ومن سأمي الفخر البليغ :

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا (٢)

(١) يقول مهما ينذراني ومهما يشتماني فلن يلبثا مني مناهما فلقد قدمت أباهما طعمة للسباع والنسور ، والقشعم : الكبير من النسور .
(٢) هبي : استيقظي ، الصحن : القدح العريض ، فاصبحينا : أي اسقينا الصبوح ، وهو شرب الخمر في الغداة ، والأندرينا جمع الأندر : وهي قرية بالشام جمعها بما حوالها .

- مشعشة كأن الحصن فيها إذا ما الماء خالطها سخينة (١)
تجور بنى اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا (٢)
ترى اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لئلا فيه مهينا (٣)
صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا (٤)
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا (٥)
وكأس قد شربت ببعلبك وأخرى في دمشق وقاصرينا
إذا صمدت حمياها أريباً من الفتيان خلت به جُنونا (٦)
فما برحت مجال الشرب حتى تغالوها وقالوا : قد روينا (٧)
وإننا سوف تدركنا المنايا مقدرة لنا ومقدرينا
وإن غداً وإن اليوم رهن وبعد غد بما لا تعلمينا
قفي قبل التفريق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كربة ضربا وطعنا أقر به مواليك العيونا (٨)
قفي نسألك هل أحدثت صرماً لو شك البين أم خنت الأميना (٩)
أفي ليل يُعَاتِبُنِي أبوها وإخوتها وهم لي ظالمونا ؟
تريك إذا دخلت على خلأ وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعى عيطل أدماء بكرٍ تربعت الأجارع والمتونا (١٠)

- (١) مشعشة : ممزوجة ، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس ، والحصن : الورس : سخينا : أى جدنا وتكرمنا من السخاء .
(٢) تجور بمعنى تعدل وتميل ، واللبانة : الحاجة .
(٣) اللحز الضيق ، الشحيح : البخيل .
(٤) صددت : أى صرفت (٥) لست أنا شر الثلاثة فتعدل عنى الكأس .
(٦) حمياها : سورتها ، أريباً : عاقلاً .
(٧) الشرب : جمع شارب ، المجال : موضع المحاولة .
(٨) الكربة : موضع الحرب ، أقر : أى أمكن ، مواليك : هنا بنو عمك .
(٩) الصرم : القطيعة ، والشك : السرعة ، والبين : هنا الفراق ، والأمين : الوفى بالعهد (١٠) العيطل : الناقة طويلة العنق ، والادماء : من الابل ، والظباء : البيضاء بكر : لم تلد ، تربعت : رعت الربع ، الأجارع : جمع أجرع ، وهو الرمل .

- وثدياً مثل حق العاج رخصاً حصاناً من أكف اللامسينا (١)
 ونحراً مثل ضوء البدر وافى باتمام أناساً مدلجينا (٢)
 ومتنى لدنة طالت ونالت روادفها تنوء بما يلينا (٣)
 ومأكمة يضيق الباب عنها وكشحاً قد جنت به جنونا (٤)
 وسالفتى رخام أو بلنط يرن خشاش حليهما ريننا (٥)
 تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلا حديننا (٦)
 وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلاتينا (٧)
 فما وجدت كوجدى أم ثقب أضلته فرجعت الحنيننا
 ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا (٨)
 أباً هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقيننا (٩)
 بأننا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا
 فإن الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفيننا (١٠)
 وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا
 وسيد معشر قد توجه بتاج الملك يحمى المحجريننا
 تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا (١١)
 وقد هرت كلاب الحى منا وشذبنا قتادة من يلينا (١٢)

- (١) العاج : عظم الفيل ، والرخص : اللين ، الحصان : العفيفة ، واللامس : المباشر . (٢) النحر : أعلى الصدر .
 (٣) لدنة : أى لينة ، تنوء : بمعنى تثقل . (٤) المأكمة : رأس الورك .
 (٥) السالفتان : صفتنا العنق ، والرخام والبلنط : حجارة بيض ، الخشاش : صوت الحلى . (٦) أصلا : أصيلا ، وهو العشى .
 (٧) أعرضت : قابلت ، اشمخرت : ارتفعت ، مصلت : مجرد .
 (٨) شقاها : يعنى شؤمها . (٩) يعنى عمرو بن هند
 (١٠) الضغن : الحقد ، ويفشو : يكثر ، الداء الدفين : الكامن .
 (١١) صفونا : جمع صافن ، وهى من الخيل .
 (١٢) هرت : نبحت ، وشذبنا : أى قطعنا ، القتادة : واحدة القناد وهو الشوك .

وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمَوْعِدِينَ (١)
نَعْمُ أَنْاسْنَا وَنَعَفَ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
وَرَثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدُ نَطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا (٢)
وَنَحْنُ إِذَا عَمَادُ الْحَرْبِ خَرَتْ عَلَى الْأَخْفَاضِ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا (٣)
نَطَاعِينَ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غَشِينَا (٤)
بِسُمرٍ مِنْ قَنَا الْخَطَى لَدُنْ ذَوَابِلٍ أَوْ بَبِيضٍ يَعْتَلِينَا (٥)
نَشُقُّ بِهَا رُءُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنَخْلِيهَا الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا (٦)
تَخَالُ جَمَاجِمُ الْأَبْطَالِ مِنْهُمْ وَسَوْقًا بِالْأَمَازِ يَرْتَمِينَا (٧)
نَجْذُ رُءُوسَهُمْ فِي غَيْرِ وَتَرٍ وَلَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَقُونَا (٨)
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مَنَّا وَمِنْهُمْ خُضْبِنَ بَأَرْجُوانٍ أَوْ طَلِينَا (٩)
كَأَنَّ سَيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقُ بَأَيْدِي لَاعِبِينَا (١٠)
إِذَا مَا عَى بِالْإِسْنَفِ حَى مِنْ الْهَوْلِ الْمَشْبِهِ أَنْ يَكُونَا (١١)
نَصْبِنَا مِثْلَ رَهْوَةِ ذَاتِ حَدِّ مُحَافَظَةٍ وَكُنَا السَّابِقِينَا (١٢)
بِفَتْيَانٍ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبٍ فِي الْحُرُوبِ مَجْرَبِينَا
يُدهِدُونَ الرُّءُوسَ كَمَا تَدهِدَى حَزَاوَرَةٌ بِأَبْطَحْهَا الْكُوَيْنَا

(١) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح الى الشامات نبفى من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا . (٢) يبين : يظهر .
(٣) الأخفاض : عمد الأخبية . (٤) تراخى : تباعد .
(٥) السمر : الرماح . والخطى : منسوب الى الخط قرية على ساحل البحر ، لدن : لينة . (٦) نخليها : أى نقطع بها ، فتختلينا : أى نقطع والضمير راجع الى السيوف أيضا . (٧) تخال : تظن ، وسوق : جمع وسق ، وهو المكيال . بالأماز : جمع أمعر وهو المكان الفليظ .
(٨) نجد : نقطع . الوتر الدخل وفي رواية « وبر » (٩) الأرجوان : صبغ أحمر . (١٠) مخاريق : ثياب صفار يلعب بها الصبيان .
(١١) الإسناف : التقدم . (١٢) الرهوة : رأس الجبل ، وذات حد أى كثيرة السلاح .

- حديثاً الناس كلهم جميعاً مقارعة بنيهم عن بنينا (١)
 فأما يومَ خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصبا ثبينا (٢)
 وأما يومَ لا نخشى عليهم فنمعن غارة متلبينا (٣)
 برأس من بني جشم بن بكر ندقُّ به السهواة والحزونا (٤)
 بأى مشيئة عمرو بن هند ؟ نكون لقيلكم فيها قطينا (٥)
 بأى مشيئة عمرو بن هند ؟ ترى أنا نكون الأذلينا
 بأى مشيئة عمرو بن هند ؟ تطيع بنا الوشاة وتزدرينا (٦)
 تهددنا وتوعدنا ! رويداً متى كنَّا لأُملك مقتورينا ؟ (٧)
 وإن قناتنا ياعمرؤ أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا (٨)
 إذا عض الثقافُ بها اشمأزت وولته عشوزنة زبونا (٩)
 عشوزنة إذا غمرت أرنت تشج قفا المثقف والجبينا (١٠)
 فهل حدثت عن جشم بن بكر ؟ بنقص في الخطوب الأولينا (١١)
 ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا (١٢)
 ورثت مهلهلاً والخير منه زهيراً نعم ذخِر الذاخرينا (١٣)

(١) الحديا : التحدى فى القتال ، وهو طلب المبارزة . مقارعة : من القراع فى القتال وهو اصطدام الفارسين . (٢) ثبين : جمع ثبة ، وهى الجماعة .

(٣) نعمن : نسرع . المتلب : المتحزم . (٤) الرأس السيد ، وهو هنا الجماعة . (٥) القيل : السيد . والقطين : الخدم . (٦) الازدراء : الاحتقار . (٧) المقتوى : الذى يخدم بقوة .

(٨ ، ٩) الفناة هنا : العزة . والثقاف : خشبة تقوم بها الرماح ، وشمأزت ارتفعت والعشوزنة : الشديدة الصلبة الزبونة : الدفع .

(١٠) غمرت : أى لينت ، أرنت أى صوتت - تشج : أى تجرح ، والمثقف : المصلح للرماح والقوم . (١١) جشم بن بكر : جد ، الخطوب

الأمور العظيمة . (١٢) دينا : أى طاعة لها ، وهو علقمة بن سيف ابن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم ابن تغلب بن وائل . (١٣) مهلهل : يعنى عديا أخا كليب ، وسمى مهلهل لأنه أول من رقق الشعر .

وَعَتَابًا وَكَلْثُومًا جَمِيعًا بِهِم نَلْنَا تَرَاثَ الْأَكْرَمِينَا (١)
 وَذَا الْبِرَةِ الَّذِى حُدِّثْتُ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى وَنُحْمَى الْمَجْجَرِينَا (٢)
 وَمَنَا قَبْلَةَ السَّاعِى كَلِيبَ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا؟ (٣)
 مَتَى تَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ تَحْدُّ الْحَبْلَ أَوْ تَعِصُ الْقَرِينَا (٤)
 وَنَوْجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا (٥)
 وَنَحْنُ غَدَاةُ أُوقَدَ فِي خَزَازَى رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا (٦)
 وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ لَذَى أَرَاطَ تَسْفُ الْجَلَةَ الْخُورِ الدَّرِينَا (٧)
 فَكُنَا الْأَيْمَنِينَ إِذِ التَّقِينَا وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِيْنَا (٨)
 فَصَالُوا صَوْلَةَ فَيَمْنٍ يَلِيهِمْ وَصُلْنَا صَوْلَةَ فَيَمْنٍ يَلِينَا (٩)
 فَآبُوا بِالْغَنَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مَصْفِدِينَا
 إِلَيْكُمْ يَا بَنَى بَكْرٍ إِلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا الْيَقِينَا
 أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمَنْكُم كِتَابٌ يَطْعَنُ وَيَرْتَمِينَا
 نَقُودُ الْخَيْلِ دَامِيَةً كَلَاهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ لَاحِقَةً بَطُونَا
 عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَانَى وَأَسْيَافٌ يَقْمَنُ وَيَنْحَنِينَا (١٠)
 عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ تَرَى تَحْتَ النَّجَادِ لَهَا غُضُونَا (١١)

- (١) كلثوم : أبوه ، وعتاب : جده . (٢) ذا البرة : كعب بن زهير ابن تيم ، وسمى بهذا لشعرات كانت تحت أنفه مدورة كالبرة فى أنف البعير . (٣) قبله الساعى : ضربه مثلا كالكعبة فى كثرة من يختلف إليه . (٤) القرينة : أصلها أن يقرن جمل صعب الى جمل ذلول . وتعص : تكسر ، وهذا مثل ضربه . (٥) الذمار ما يحق على الانسان أن يحمله . (٦) خزازى : موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت قضاة اذ ذاك وربيعة أحلافا . (٧) أراط : موضع واقعة كانت لهم ، وتسف : تأكل ، (٨) بنو أبينا : يعنى مضر بن نزار وربيعة بن نزار . (٩) الصولة : الحملة . (١٠) اليب : جلود تنسج على هيئة الدروع وتلبس . (١١) السابغة : الدرع الطويلة ، دلاص : براءة ، والنجاد : النطاق ، والغضون : الثنى .

إذا وُضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلود القوم جُونا^(١)

كأن متونهم متون غدير
وتحملنا غداة الروع جرد
وردن دوارعا وخرجن شعنا
ورثناهن عن آباء صدق
وقد علم القبائل غير فخر
بأننا العاصمون إذا أطعنا
وأننا المنعمون إذا قدرنا
وأننا الحاكمون بما أَرَدْنَا
وأننا التاركون لما سخطنا
وأننا الطالبون إذا نقمنا
وأننا النازلون بكل ثغر
ونشرب - إن وردنا - الماء صفوا
ألا سائل بني الطماح عنا
نزلتم منزل الأضياف منا
قريناكم فجعلنا قراكم
متى ننقل إلى قوم رحاها

تصفقها الرياح إذا جرينا^(٢)
عرفن لنا نقائد وافتلينا^(٣)
كأمثال الرصائع قد بلينا
ونورثها إذا متنا بنينا
إذا قبب بأبطحها بُنينا
وأننا الغارمون إذا عُصينا
وأننا المهلكون إذا أُتينا
وأننا النازلون بحيث شينا
وأننا الآخذون لما هوينا
وأننا الضاربون إذا ابتلينا
يخاف النازلون به المنونا^(٤)
ويشرب غيرنا كدراً وطينا
ودُعماً فكيف وجدتمونا^(٥)
فأعجلنا القرى أن تشتمونا^(٦)
قبيل الصبح مرادة طحونا^(٧)
يكونوا في اللقاء لها طحيناً^(٨)

(١) جونا : سودا . (٢) المتون : الأعلى ، شبه أعلى الدروع في بياضها ولعانها بالفدر وهي الحياض إذا حركتها الرياح .
(٣) الروع : الحرب ، والجرد : قصيرة الشعر . (٤) الثغر : المكان الخوف . (٥) بنو الطماح ودعماً : حيان من بني أسد بن ربيعة ابن نزار . (٦) نزلتم حيث نزل الأضياف : أي جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب ولم تنتظر أن تشتمونا . (٧) قريناكم : جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم فطحناكم طحن الرحي والمرداة : الحجر وكل ما يكسر به الشيء فهو مرداة . (٨) أصل الرحي ما استدار من الشيء والرحي هنا الحرب ، تشبيها بالرحي .

يكون ثقالها شرقى نجد ولهوتها قضاة أجمعينا (١)
 على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تفارق أو تهونا (٢)
 طعائن من بنى جُشم بن بكر خلِطَنَ ليسم حسباً وديننا (٣)
 أخذن على فوارسهن عهدا إذا لاقوا فوارس معلمينا (٤)
 ليستلبن أبداناً وبيضاً وأسرى فى الحديد مُقرنيننا (٥)
 إذا ما رخن يمشين الهوينا كما اضطربت مُتون الشاربينا
 يقتن جيادنا ويقلن لسم بُعولتنا إذا لم تمنعنونا (٦)
 إذا لم نحمهن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيننا (٧)
 وما منع الطعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا (٨)
 إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن يُقر الخسف فينا (٩)
 ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
 ونعدوا حيث لا يُعدى علينا ونضرب بالمواسى من يلينا
 ألا لا يحسب الأعداء أننا تَضعضعنا وأنا قد فنينا
 ترانا بارزين وكل حى قد اتخذوا مخافتنا قرينا
 كأننا والسُّيوفُ مسللات ولدنا الناس طرا أجمعينا
 ملأنا البر حتى ضاق عنا كذاك البحرُ نملؤه سفينا
 إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً تخر له الجبابر ساجدين

(١) الثقال : جلدة توضع تحت الرحى للطحين . ولهوتها : أى مقدار ما يطرح فى فم الرحى من الحب . (٢) أى نساءنا اللواتى خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن نفارقهن أو يصرن الى غيرنا . (٣) الميسم : الحسن أى لهن مع جمالهن حسب ودين . (٤) المعلم : الذى يعلم نفسه فى الحرب بعلامة . (٥) الأبدان جمع بدن وهى الدروع . (٦) يقتن : من القوت ، وهو الطعام . جيادنا : جمع جواد . (٧) نحميهن : ندافع عنهن . ما بقينا : ما حيننا . (٨) القلون : جمع قلة ، وهى الخشبة التى يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاء . (٩) يقول اننا أعزاء لا تصل الملوك الى ظلمنا .

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
تنادى المصعبان وآل بكر ونادوا يا لكندة أجمعينا
فإن نغلب فغلابون قدماً وإن نغلب فغير مغلبينا

(٦) طرفة بن العبد البكري

هو عمرو بن العبد البكري : أقصر فحول شعراء الجاهلية عمراً . ومال إلى الشعر والوقوع به في أغراض الناس ، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أنه كان يتطلب معروفيه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له فاضطغنها عليه ، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لهما كتابين ، وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفيا منه ، وبينما هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته ، فعرج على غلام يقرأها له . ومضى طرفة ، فإذا في الصحيفة الأمر بتمتله ، فآلى الصحيفة ، وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك ، وعمره ست وعشرون سنة .

شعره — يجيد طرفة الوصف للناقة في شعر مقتصر فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلو ، ومعاظلة في بعض التراكيب ، واسترسال في وحشي اللفظ . ونحو المعنى وكذلك كان هجاؤه الملوك على شدة وقعه ، ومن أبلغ المقطعات والمعلقات أيضاً :

معلقة طرفة بن العبد البكري

لخولة أطلالٌ ببرقة شهيد تلوح كباق الوشم في ظاهر اليد (١)
وقوفاً بها صخبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجلد (٢)
كأن حدوج المالكية غدوة خلا ياسفين بالنواصف من دد (٣)

(١) خولة . امرأة من بني كلب . وشهد : أكمة في بلاد خثعم .
(٢) وقوفاً : واقفين ، أسي : حزناً ، تجلد : تجمل .
(٣) المالكية نسبة إلى مالك بن صبيعة ابن عم عمرو ، =

- عدوليةً أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاحُ طورا ويهتدى (١)
يشقُّ حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد (٢)
وفى الحى أحوى ينفض المردشادنُ مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد (٣)
خذول تراعى ربرباً بخميلة تناول أطراف البرير وترتدى (٤)
وتبسم عن ألى كآن منورا تخلل حرَّ الرمل دعص له ند (٥)
سقتة إياة الشمس إلا لثاته أسفٌ ولم تكدم عليه بائمداً (٦)
ووجه كآن الشمس ألفت رداءها عليه نقى اللون لم يتخذد (٧)
وإنى لأمضى الهم عند احتضاره بهوجاء مرقال تروح وتغتدى (٨)
أمون كاللواح الإران نسأتها على لاحب وكأنه ظهر برجد (٩)

= والحدوج : الهودج والقباب ، والخلايا : جمع خلية : السفينة الكبيرة : والتواصف : مجارى الماء الى البحر .

(١) عدولية : قديمة ، وهى الكبيرة من السفن وهى تنسب الى موضع يقال له عدول ، ابن يامن : ملاح أو تاجر من اهل البحرين . (٢) حباب الماء طرائفه وما ارتع منه والحيزوم الصدر . والمفايل الذى يجمع ترابا ويخبىء فيه شيئاً مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه فى أحدهما فان أصاب ظفر وان أخطأ قهر . (٣) أحوى : فى لونه سواد فى المراد شجر الأراك والشادن ولد الطيبة اذا قوى . (٤) الخذول : الملتحفة من الظباء ، والربرب : القطيع من الظباء ، الخميلة : الشجر الملتف . البرير : المدرك من ثمر الأراك . (٥) تبسم : يفتر ثمرها واللمى سواد فى الشفة : والمنور : الأحقوان . تخلل : دخل فيه . حر الرمل : النقى منه (٦) الإياء : ضوء الشمس . اللثة مغرز الأسنان . يقول : أسنانها يبيض ، ولثاتها زرق . أسف : أى ذر عليه بائمداً هو الكحل . (٧) ألفت وفى رواية حلت : رداءها . أى بهاءها لم يتخذد : أى يضطرب حتى يصير فيه شقوق .

(٨) الهوجاء : الخفيفة الفؤاد . مر قال : وصف للناقة بشدة السير .

(٩) الأمون : التى أمنت من أن تكون ضعيفة . والارآن : التابوت

الذى يحمل فيه الموتى ، نسأتها : أى زجرتها . واللاحب : الطريق ، والبرجد : كساء من أكسية العرب .

جُمَانِيَّةٌ وَجُنَاءٌ تَرْدِي كَأَنَّهَا	سَفْنَجَةٌ تَبْرَى لِأَزْعَرٍ أَرِيدِ
تَبَارَى عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعَتْ	وِظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبَدِ (١)
تَرَبَّعَتْ الْقَفِيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعَى	حَدَائِقَ مَوْلَى الْأُسْرَةِ أَغِيدِ (٢)
تَرِيْعٌ إِلَى صَوْتِ الْمَهِيْبِ وَتَتَقَى	بَذَى خَصْلَ رَوَاعَاتٍ أَكْلَفَ مَلْبَدِ (٣)
كَأَنَّ جَنَاحِي مُضْرَجِيٌّ تَكْنِفَا	حَفَافِيهِ شَكًّا فِي الْعَسِيْفِ بِمَسْرَدِ (٤)
فَطَوْرًا بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً	عَلَى حَشْفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مَجْدَدِ (٥)
لَهَا فَيَخْذَانِ أَكْمَلَ النَحْضِ فِيهِمَا	كَأَنَّهَا بَابَا مَنِيْفٍ مَمْرَدِ (٦)
وَطَىُّ مَحَالٍ كَالْحَنَى خُلُوفَةٌ	وَأَجْرَنَةٌ لَزَتْ بَدَأَى مَنُضْدِ (٧)
كَأَنَّ كَنَاسِي ضَالَّةً يَكْنِفَانَهَا	وَأَطْرَقَسَى تَحْتَ صَلْبٍ مَوْبَدِ (٨)

(١) تبارى : تشابه . والعِتَاق : الإبل الكرام . والناجيات : المسرعات فى السير والوظيف : ساق البعير ، والمور : الطريق . (٢) تربعت : رعت أيام الربيع ، والقفان . موضعان موصوفان بالرعى لجمودتهما ، والشول . بفتح الشين من الإبل التى جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر . (٣) تريع : تصفى ، والروعة الفرع . والأكلف : الذى فى وجهه لون يخالف لونه وهو صفة من صفات الفحل . (٤) المضرجى : النسر ، تكنفا : أحاطا ، حفافيه : جوانبه . (٥) الطور : المرة الأولى والتارة : المرة الثانية . والزميل : الرديف ، والحشف : الضرع الذى لا لبن فيه وهو المنقبض ، والشن : القربة الخلقة ، والذاوى : هو اليابس ، والمجدد الضرع الذى لا لبن فيه ولا لبن .

(٦) النحض : اللحم ، والمنيف : المشرف ، والمرد : الملس . (٧) المحال : فقار الظهر ، والحنى : القسى خلوفه : مؤخر أضلاعه : وأجرنة : باطن عنق البعير ، لزت : قرب بعضها الى بعض فانضمت واشتدت ، بدأى : أعالى الاضلاع ، منضد أى بعضه فوق بعض . (٨) الكناس : بيت الطباء والضأن ، شبه تباعد ما بين مرفقها وزورها بكناس الطبى حول الشجر : وأطرقسى أى عطنهما وانحنأها . والصلب : الظهر والمؤبد : الموثق ، والأبد القوة .

- لها مرفقان أفتلان كأنها تمر بسلمى دالج متشدد (١)
 كقنطرة الرومى أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرم (٢)
 صهابية العثنون موجدة القرا بعيد وخذ الرجل مواراة اليد (٣)
 جنوحٌ دفاق عندل ثم أفرعتُ لها كتفاها فى معالى مصعد (٤)
 أمرت يداها فتل شزر وأجنحت كأن علوب النسع فى دأياتها (٥)
 تلاقى وأحياناً تبين كأنها بنائق غر فى قميص مقدد (٦)
 وأتلع نهاضٌ إذا صعدت به كسكان بوصى بدجلة مُصعد (٨)
 وجمجمة مثل العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد (٩)

- (١) المرفق : مفصل العضد ، أفتلان : مفتولان ، تمر وفى رواية أمرا : فتلا ، السلم : الدلو له عروة . الدالج : من يمشى بالدلو من البئر إلى الحوض ، متشدد : متكلف للشدة ، ومعنى ذلك أن الذى يسقى الأبل يجعل الحوض بعيدا عن البئر ، فاذا أخرج الدلو من البئر مشى به إلى الحوض .
 (٢) القنطرة : الجسر ، الرومى : أحد البنائين من الروم تكتنفن أى يحاط حوالىها بالبناء ، وتشاد : ترفع . (٣) صهابية : بياض شيب .
 (٤) جنوح : مائلة فى سيرها عن النشاط ، دفاق متدفقة فى السير ، عندل : عظيمة الرأس ، وأفرعت : رفعت ، فى معالى : مرتفع .
 (٥) أمرت فتلت فتلا محكما ، والشزر : القتل إلى اليسار ، وأجنحت : أميلت ، والسقيف : هنا صدرها . ومسند فى رواية منضد بعضه على بعض .
 (٦) العلوب : الآثار ، والنسع : حزام الرجل . والدأيات : مآخير الأضلاع ، موارد : طرق الماء ، والخلفاء : الصخر المساء ، والقردد . الأرض الصلبة .
 (٧) تلاقى : يتصل بعضها ببعض وتتلاقى الطرق من أعلاها وتفترق من أسفلها .
 (٨) الأتلع : الطويل يعنى عنقها ، نهاض : كثير الارتفاع . صعدت : ارتفعت ، السكان : الدقل ، وهو مؤخر السفينة ، والبوصى : ضرب من السفن ، بدجلة . نهر مصعد قاصد إلى العراق .
 (٩) الجمجمة . غطاء الرأس ، وهو يعنى رأس الناقة ، والعلاة . السندان يضرب عليه الحداد ، وعى الملتقى يعنى جمع ملتقى الرأس شبهه بحرف المبرد لصلابته .

- وَنُحِذُ كَقِرطاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٍ كَسَبْتَ الْيَمَانِيَّ قَدُهُ لَمْ يَجْرُدْ (١)
وعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكْنَتَا بَكْهَفِي حِجَاجِي صَخْرَةً قَلْتُ مَوْرَدَ (٢)
طَحُورَانِ عَوَارِ الْقَذَى فَتَرَاهُمَا كَمَكْحُولَتِي مَذْعُورَةً أُمُّ فَرَقْدَ (٣)
وَصَادِقَتَا سَمِعَ التَّوَجُّسُ لِلسَّرَى لَهْمَسٍ خَفِيَ أَوْ لَصُوتٍ مَنَدَدَ (٤)
مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعَتَقَ فِيهِمَا كَسَامَعَتِي شَاةً بِحَوْمَلٍ مَفْرَدَ (٥)
وَأَرْوَعُ نَبَاضٌ أَحْذُ مَلْمَلَمَ كَمِرْدَاةٍ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مَصْمَدَ (٦)
وَأِنْ شِئْتُ سَامِيَّ وَاسْطَ الْكُورِ رَأْسَهَا وَعَامَتٍ بِضَبْعِيهَا نَجَاءَ الْحَفِيدَ (٧)
وَأِنْ شِئْتُ لَمْ تَرَقْلَ وَأِنْ شِئْتُ أَرَقْلْتَ مَخَافَةَ مَلَوَى مِنَ الْقَدِّ مَحْصَدَ (٨)
وَأَعْلَمُ مَخْرُوطٌ مِنَ الْأَنْفِ مَارِنَ عَتِيقٌ مَتَى تَرْجَمُ بِهِ الْأَرْضُ تَزْدَدَ (٩)

- (١) المشفر من البعير كالشفة من الانسان ، والسبت : جلود البقر اذا دبغت بالقرظ .
(٢) الماويتان : المرأتان المصقولتان . أسكنتا : دخلتا .
(٣) طحوران : دفوعان ، العور الخبث الذى يقع فى العين وكذلك القذى ، كمكحولتى : أى عيني . مذعورة خائفة طردها القناص وأفزعها ، والفرقد : ولدها .
(٤) وصادقتا سمع يعنى أذنيها ، والتوجس : الشمع ، والهمس الصوت الخفى : والمندد المرتفع .
(٥) مؤللتان : محدتان كالحرية ، والعتق : الكرم ، والشاة : بقرة الوحش وتسمى نعجة ، وحومل : موضع معروف ، ومفرد : وحيد .
(٦) أروع : فزع ونباض فؤادها . أخذ : قليل الشعر . ململم : أى مجتمع ، كمرداة كصخرة تردى بها الحجارة لصلابتها . الصفيح : الحجارة العريضة . مصمد : مصلب .
(٧) سامى ساوى ، واسط : وسط ، الكور : الرحل عامت مدت يدها كهيئة السابح فى الماء : الضبعين : العضدان ، نجاء : سرعة ، الحفيد : أظلمت . وهو ذكر النعام .
(٨) الارقال : ضرب من السير ، والملوى من القد : السوط ، المحصد : المحكم القتل .
(٩) الأعلم : المشقوق المشفر الأعلى . المارن . مالان من الأنف وهو مقدمة ، عتيق : كريم ، متى ترجم به الأرض : أى تضربها به يريد أنها اذا حطت رأسها الى الأرض أسرع فى السير وذلك لنشاطها وحدثها .

مقدمة ، عتيق : كريم ، متى ترجم به الأرض : أى تضربها به يريد أنها اذا حطت رأسها الى الأرض أسرع فى السير وذلك لنشاطها وحدثها .

- على مثلها أمضى إذا قال صاحبي
وجاشت إليه النفس خوفاً ونخاله
إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أننى
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت
فذالت كما ذالت وليدة مجلس
ولست بحلال التلاع مخافة
فإن تبغى فى حلقة القوم تلقى
تأتنى أصحك كأساً روية
وإن يلتق الحى الجميع تلاقى
ندامى بيض كالنجوم وقينة
جيب قطاب الجيب منها رقيقة
وما زال تشرابى الخمر ولذنى
لى أن تحامتنى العشيرة كلها
رأيت بنى غبراء لا ينكرونى
- ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى
مصاباً ولو أسى على غير مرصد
عُنيت ، فلم أكسل ولم أتبدل
وقد خب آل الأمعر المتوقد (١)
ترى ربها أذيان سحل ممدد (٢)
ولكن متى يسترفد القوم أرفد (٣)
وإن تقتنصنى فى الحوانيت تصطد (٤)
وإن كنت عنها غانياً فاغن وازدد (٥)
إلى ذورة البيت الرفيع المصعد (٦)
تروح علينا بين برد ومجسد (٧)
لجس الندامى بضة المتجرد (٨)
وبيعى وإنفاق طريفي ومتلدى (٩)
وأفردت أفراد البعير المعبد (١٠)
ولا أهل هناك الطراف الممدد (١١)

- (١) أحلت : وثبت ، القطيع : السوط ، أجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع ، الآل : ما يكون فى أول النهار مثل السراب ، الأمعر : الأرض الغليظة التى فيها حصى ، والمتوقد : المشتعل . (٢) ذالت : تبخترت الناقة ، والوليدة الفتية ترى ربها : أى مولاها أذيال : أطراف الثوب التى يصل إلى الأرض ، والسحل : الثوب القطن والممدد : المسوط . (٣) التلعة : من أسماء الأضداد تكون للمرتفع والمنخفض . (٤) حاقة القوم : مجالس أشرافهم ، والحوانيت : بهوت الخمارين . (٥) تأتنى : تجتنى . (٦) ذروة : الذروة أعلى الشئ . (٧) الندامى أصحابى على الخمر ، والقينة : الجارية ، والبرد : الثوب الأبيض ، والمجسد : المصبوغ بالزعفران . (٨) رحيب ، واسع : قطاب الجيب أى مجتمع الجيب . يصف صدرها الرحب والسعة . (٩) الطريف الحديث المكتسب . (١٠) المعبد : المذل المطلب بالقطران . (١١) بنى غبراء اللصوص ، والطراف بيت من جلد : يعنى أنه لا ينكرم أحد .

- أَلَا أَبَاهَاذَا اللَّائِمَى أَحْضَرُ الْوَغَى
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي
فَلَوْلَا ثَلَاثُ هَنٍّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى
فَمَنْهَنْ سَبَقَ الْعَاذِلَاتِ بَشْرِبَةٌ
وَكُرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحْسِنًا
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنِ مُعْجَبٌ
كَأَنَّ الْبَرِينَ وَالْدَّمَالِيَجَ عُلِقَتْ
فَذَرْنِي أَرَى هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا
كَرِيمٌ يَرُوءِي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ
تَرَى جُثُوتَيْنِ مِنْ تَرَابٍ عَلَيْهِمَا
أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي
أَرَى الدَّهْرَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ
لَعَمْرُكَ إِنْ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
- وَأَنْ أَشْهَدُ الْمَذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي (١)
فَدَعْنِي أَبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
وَجَدُكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي
كَمِيتٌ مَتَى مَاتَعَلَ بِالمَاءِ تَزِيدُ (٢)
كَسِيدُ الْغَضَا وَالنَّابِهَةِ الْمُتَوَرِّدُ (٣)
بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمَعْمَدُ (٤)
عَلَى عَشْرِ أَوْ خُرُوعٍ لَمْ يَخْضُدُ (٥)
مَخَافَةٌ شَرِبَ فِي الْحَيَاةِ مَصْرَدُ (٦)
سَتَعْلَمُ إِنْ مَتْنَا غَدًا أَيَّنَا الصَّدَى (٧)
كَقَبْرِ غَوَى فِي الْبَطَالَةِ مَفْسَدُ (٨)
صَفَائِحُ صَمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مَنْصُدُ (٩)
عَقِيلُهُ مَالُ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدُ (١٠)
وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدُ
لِكَالطَّوْلِ الْمَرْخِي وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ (١١)

(١) اللائمي : اللاحي ، وفي رواية الزاجري . (٢) كميته : خمر
تضرب إلى السواد ، تعل : أي يصب الماء عليها . (٣) كرى : عطفي ،
والمضاف الذي أضافته الهموم . (٤) الدجن : المطر الخفيف ، يعجب
من رآه ، والبهكنة : المرأة التامة الخلق . (٥) البرين : الخلاخل في
أنف الناقة ، على عشر : العشر شجر أملس مستنق ضعيف العود شبيه به
عظامها وساعديها للآسته واستوائه . (٦) أنشرب بكسر الشين وضمها
اسم للمشروب : والمصدر : المقلل . (٧) يروى نفسه من الخمر في
حياته والصدى : العطشان . (٨) النحام : كثير السعال عندما
يسأل ، والفوى : الذي يتبع هواه ولذاته . والبطالة : اتباع الهوى والجهل
(٩) الجثوة : التراب المجموع ، صفائح صم صلبة . المنصد : المجموع
بعضه على بعض . (١٠) يعتام : يختار ، الكرام : الخيار والأمجاد ،
ويصطفى : ينتخب ، وعقيله كل شيء خيرته والفاخش : القبيح السيء
الخلق والمتشدد : كثير البخل (١١) الطول : الجبل ، وثنياء أي
طرفاه ، ومعناه أن الإنسان وإن يطل عمره إلا أنه كالفرس لصاحبها إذا
أرادها جذب الجبل إليه .

- فمالى أَرانى وابن عمى مالكا متى أدن منه ينأ عني ويبعد^(١)
يلوم وما أدرى علامَ يَلومني ؟! كما لامني في الحيَّ قرط بن أعبد^(٢)
وأيأسنى من كل خيرٍ طلبته كأننا وضعناه إلى رمس ملحد^(٣)
على غير ذنبٍ قلته غير إننى نشدت فلم أغفل حمولة مبد^(٤)
وقربت بالقري وجدك أننى متى يك أمرٌ للنكيثة أشهد^(٥)
وإن أدع في الجلى أكن من حماها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد^(٦)
وإن يقدفوا بالقدع عرضك أسقمهم بكأس حياض الموت قبل التهدد^(٧)
بلا حدثٍ أحدثته وكمحدث هيجانى وقذفى بالشكاة ومطردى^(٨)
فلو كان مولاي امرءًا هو غيره لفرجَ كربى أو لأنظرنى غد^(٩)
ولكنَّ مولاي امرؤ هو خانقى على الشكر والتسأل أو أنا مُفتدى^(١٠)
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند^(١١)
فذرني وخلقى إننى لك شاكر ولو حل بيتى نائيا عند ضرغدي^(١٢)
فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد^(١٣)

(١) ابن عمى على خلافى ، اتقرب اليه فيبعد عني . (٢) ويبالغ ابن عمى فى الجفاء فيلومنى على ما لا أستحق اللوم عليه كما يفعل قرط بن أعبد . (٣) أيأسنى جعلنى يأسا والرمس القبر : والملحد ، اللحد . (٤) وكل ما ألقاه لا سبب له الا أنى نشدت : طلبت (٥) النكيثة : بلوغ الجهد ، وقيل انتقاض الأمور . (٦) الجلى : الأمر العظيم ، والحماة الذائدون . (٧) القدع : الشتم والقيح . (٨) أى هو متعدي على بلا حدث أحدثته ، هيجانى وطردنى ، والمطرد : الطريد . (٩) يقول لو أن مولاه رجلا آخر لفرج كربى وأنظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم . (١٠) خانقى : مكرهى على شكره على ما لم يفعله ، والا فانا هدف سهامه . (١١) أما أنا فقد ضقت بهذا التجنى لأن الظلم من الأقربين لا يحتمل . (١٢) ضرغدي : جبل بعيد . (١٣) قيس بن خالد : من بنى شيبان ، وعمرو بن مرثد : ابن عم طرفة قيل لما بلغ هذا عمرو ابن عم طرفة وجه الى طرفة فقال له أما الولد فالله يعطيكم وأما المال فلك فيه مالنا ، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرفه عشرة من ابله ، ثم أمر ثلاثة من بنى بنيه فدفع كل واحد منهم الى طرفة عشرة من الأبل .

- فأصبحت ذا مالٍ كثيرٍ وزارنى
أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه
فأليت لا ينفك كشحى بطانة
حسام إذا ما قمت منتصراً به
أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة
وبرك هجود قد أثارت مخافى
فمرت كهأة ذات خيف جلالة
يقول وقد تر الوظيف وساقها
وقال ذروه إنما نفعها له
فظل الإماماء يمتلن حوارها
فإن مت فأنعنى بما أنا أهله
ولا تجعلينى كامرى ليس همه
بطئ عن الجلى سريع إلى الخنا
فلو كنت وعلا فى الرجال لضرنى
ولكن ننى عنى الأعادى جرأتى
- بنون كرام سادة للمسود
خشاش كرأس الحية المتوقد
لعضب رقيق الشفرتين مهند
كنى العود منه البدء ليس بمعضد
إذا قيل مهلا ؛ قال حاجزه قدى
نواديها أمشى بعضب مجرد (١)
عقيلة شيخ كالوبيل يلند (٢)
ألست ترى أن قد أتيت بمؤبد (٣)
وإلا تردوا قاصى البرك يردد (٤)
ويسعى علينا بالسديف المسرهد (٥)
وشقى على الجيب يا ابنة معبد (٦)
كهى ولا يغنى غنائى مشهدى (٧)
ذليل بإجماع الرجال ملهد (٨)
عداوة ذى الأصحاب والمتوحد
عليهم ، وإقدامى وصدقى ومحتدى (٩)

- (١) البرك : الأبل الكثيرة البركة ، والهجود النيام . (٢) الكهأة : الناقة السمينة ، والخيف الضرع . والجلالة الكبيرة ، والوبيل العصا .
(٣) تر : بمعنى انقطع والوظيف مستندق الساق من الأبل والخيول .
(٤) ذروه : اتركوا عناده
(٥) الحوار : الصغير من الأبل ، والسديف : السنام ، والمسرهد : الملقط صفارا (٦) أنعنى : اذكرى من الأفعال ما أنا أهل له وهو يخاطب ابنة أخيه وشقى الجيب معروف ، ويراد به التنويه بشدة المصاب .
(٧) واحذرى أن تجعلينى هينا كرجل لا يغنى مثل غنائى ، ولا يقوم فى الحرب مقامى ولا يشهد مشهدى فى المجالس والخصومات .
(٨) البطيء : الكسول المتقاعد ، والجلى : الأمر الخطير العظيم ، والخنا : الفساد . (٩) يقول ان الجراة والاقدام والصدق وكرم الأصل منعت عنه أعداءه من الاساءة اليه .

- لعمرك ما أمرى على بغمة نهارى ولا ليلى على بسرمد^(١)
ويوم حبست النفس عند عراكه حفاظا على روعاته والتهدد^(٢)
على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائض ترعد
وأصفر مَضْبُوحٍ نظرتُ حوارهُ على النار واستودعته كفَّ مُجْمَد^(٣)
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتىك بالأخبار من لم تزود^(٤)
ويأتىك بالأنباء من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد^(٥)
لعمرك ما الأيام إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود^(٦)
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإنَّ القرين بالمقارن مقتد^(٧)
لعمرك ما أدرى وكأنى لواجل أفى اليوم إقدام المنية أم غد؟^(٨)
فإن تك خلنى لا يفتها سواديا وإن تك قدأى أجدها بمرصد^(٩)
إذا أنت لم تنفع بودك أهله ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد^(١٠)

(١) الغمة : الأمر الذى لا يهتدى له ، والمعنى أنى لا اتحير فى أمرى نهارا ولا ليلا فيطول على الليل ، والسرمد الطويل . (٢) العراك : الازدحام ، أى صبرت النفس عند ازدحام القول فى الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته . (٣) الأصفر هنا الأسود : المجدد الذى يأخذ بكلتا يديه ولا يخرج من يديه شيء . وقبل الذى يضرب بالسهم أو الأمين فى القمار . (٤) ستبدى : ستظهر ، ما كنت جاهلاً ، يعنى ما لم تسمع من قبل ، ويفيدك بها من لم تسأله عنها . (٥) تبع له بتاتا تشتري له زادا . (٦) لعمرك : وحياتك ليست الأيام الا معارة أى عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيرا .

(٧) الرواية المحفوظة لهذا البيت :

عن المرء لا تسأل وسئل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

(٨) وأنا واثق وغيرنا لا يدري ولا يعرف متى يحين حينه .

(٩) فان تك خلنى : فهى جادة ورائى ، ولن أغرب عن عينها ، وان تك قدأى فهى رقيقة مترصدة .

(١٠) إذا لم تنفع ببرك الأقربين والأصدقاء ولم تلحق العطب بالأعداء ببطشك فاتخذ مكانا قصيا .

(٧) معلقة أعشى قيس

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسي — نشأ في بدء أمره
 رويةً لخاله (المسيب بن علس) وقد عمى الأعشى وطال عمره ، حتى انبلج فجر
 الإسلام وعظم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب ، فأعدَّ له قصيدة يمدحه بها
 وقصده بالحجاز ، فلقية كفار قريش وصدوه على وجهه على أن يأخذ منهم
 مائة ناقة حمراء . ويرجع إلى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل ، ولما قرب من اليمامة
 سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات ، ودفن ببلدته (منفوحة) باليمامة .

شعره : يُعدُّ (الأعشى) رابعاً للثلاثة الفحول : امرئ القيس ، والنابغة ،
 وزهير ؛ وإن كان يمتاز عنهم بغزارة شعره ، وكثرة ما روى له من الطوال
 لجياد وتفننه في كل فن من أغراض الشعر ؛ واشتهر من بينهم بالمبالغة
 في وصف الخمر حتى قيل : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير
 إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب .

ولشعره طلاوة وروعة ، ليست لكثرة من شعر غيره من القدماء ،
 ولقوة طبعه وجلبة شعره سُمي (صناجة العرب) حتى ليُخيل إليك إذا
 أنشدت شعره أن آخر يُنشد معك .

ولجلالة شعره كان يرفع الوضيع الخامل ، ويخفض الشريف النابه ، ومن الذين
 رفعهم شعر الأعشى (المحلّق الكلابي) وقد كان أبا ثمانى بنات عوانس رغبت عن
 خطبتهن الرجال لفقرهن ، فاستضافه على فقره ، فمدحه الأعشى ونوه بذكره في
 (سوق عكاظ) فلم يمض عام حتى لم تبق جارية منهن إلا وهى زوجة لسيد كريم ،
 وكان الأعشى يتطرف في شعره ، ويتكسب به ، وعده بعضهم من أصحاب
 الملققات ، وذكر قصيدته اللامية التي يمدح بها الأسود الكندي ، ومطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلالِ وسؤالي وما تردُّ سؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التى أعدها لينشد بها بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمدحه فيها ، فلم يفز بذلك ، أولها :

ألم تغتمض عينك ليلة أرمدا وبت كما بات السليمُ مُسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مههدا
ولكن أرى الدهر الذى هو خائن إذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا
شباب وشيبٌ وافتقارٌ وثروة فلهذا الدهر كيف ترددا
وقصيدته التى أنشد بها فى مدح الملقق أولها :

أرقتُ وما هذا الشهاد المورقُ وما بى من سُقم وما بى تعشق
ومنها :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ كثيرة إلى ضوء نار فى اليفاع تحرق
تشبَّ لمقرورين يصطليانها وبات على النارِ الندى والمحلُق
رضيعة لبان ثدى أم تقاسما بأسحم داجٍ عوض لا نتفرقُ
ترى الجودى جرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندوانى رونقُ
يداه يدا صدقٍ فكفٌ مبيدةٌ وأخرى إذا ما ضنَّ بالمال تنفقُ
وقيل إن معلقته هى التى أولها :

ودعْ هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل (١)
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشى الهويثى كما يمشى الوجى الوحل (٢)
كان مشيتها من بيت جارتها مر السحابة ، لاريت ولا عجل (٣)

(١) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها قريب
له فولد خليداً الآتى ذكره فى شعره .

(٢) الفرعاء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الفرع أى الشعر ،
والعوارض هنا الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقّة الأسنان ،
الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يشف بعد ، فيكون مشيه متثاقلاً فكيف
إذا كان وحلاً ؟ أى يمشى فى الوحل ، يعنى أن هذه الجارية لسمنها وتدلها
تمشى متمهلة متمائلة . (٣) الريث : البطء .

- تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرق زجل^(١)
ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختل^(٢)
يكاد يصدعها — لولا تشددُها — إذا تقوم إلى جاريتها الكسل^(٣)
إذا تقوم يَضُوع المسك أصورةً والزنيق انوردُ من أردانها شمل^(٤)
ماروضةً من رياض الحزن مُعشبة خضراء جاد عليها مُسبلٌ هطل^(٥)
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزرٌ بعميم الثبت مكتهل^(٦)
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل^(٧)
صدت «هريرة» عنا ما تكلمنا جهلاً بأُم خليل، حبل من تصل؟^(٨)
أئن رأت رجلاً أعشى أضرب به ريب المنون ودهر مفندٌ خبل^(٩)

(١) الوسواس : صوت الحلى ، والعشرق : شجرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صفار اذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فيسمع له خشخشة على الحصى .

(٢) تختل : أى تتسمعه استراقاً . (٣) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المثربات بالكسل وقلة العمل في البيت لأنهن مخدومات متنعيمات .

(٤) يضوع المسك : أى تذهب رائحته هناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم وهو نافجة المسك أو حقه ، والزنيق عند العرب : زيت الياسمين ، وأكمله ما كان يميل الى حمرة ولذلك وصفه بالورد . (٥) الحزن : الأرض الفليضة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض وقلاع . (٦) كوكب كل شيء : معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر . أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها . أو يتفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر أى يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتياف الازار . (٧) الأصل : جمع أصيل وهو من العنبر الى الظلام وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملاً رائحة الأزهار يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٨) أم خليل : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجبى . يعنى اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم اذا .

(٩) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمفند : الآتى بالفند وهو السفه فى الراى ، ومثله الخبال .

- قالت هريرة لما جئت زائرها : ويلى عليك وويلى ! منك يارجل^(١)
 إما تريننا حفاة ؛ لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى وننتعل^(٢)
 وقد أقود الصبا يوماً ، فيتبعنى وقد يصاحبنى ذو الشرّة الغزل^(٣)
 وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مثل شلول شلشل شول^(٤)
 فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل^(٥)
 نازعتهم قضب الريحان متكئاً وقهوة مرة راووقها خضل^(٦)
 لا يستفيقون منها ، وهى راهنة إلا بهات ، وإن علوا ، وإن نهلوا^(٧)

- (١) ويل عليك وويلى منك : أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر الى هلاكى .
 (٢) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صددت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شاباً غنياً طروباً غزلاً يشرب الخمر مع فتیان مثله ويستمتع للقيان وينعم بهن فقال : (اما ترينا حفاة لا نعال لنا . . . الخ) أى أن ترينا نتبذل مرة فتمشى حفاة فليس هذا دأبنا فانا أيضاً منتعلون فطوراً نفتقر وطوراً نفتنى .
 (٣) أقود الصبا الخ : أى أتصاحبى ، وآتى بأفعال الفتیان ويصاحبنى منهم الغزل ذوى الشرّة وهى : نشاط الشباب .
 (٤) الحانوت : بيت الخمار ، والشاوى : الذى يشوى اللحم ، والمثل : السواق الخفيف ، واللول والشلشل : الفلام الحار الرأس الخفيف الروح النشيط فى عمله ، والشول : من يشول بالشئ الذى يشتريه المشتري ، فيحمله له ويرفعه .
 (٥) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجعله « هالك كل من . . الخ » خبرها فهناك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر .
 (٦) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ، والقهوة : الخمرة ، الراووق : الوعاء الذى تروق فيه الخمر . وخضل : دائم الندى لا يخف لكثرة شربهم .
 (٧) راهنة دائمة أمامهم أى لا ينتهون الا اذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به (هات) ولو شربوا عللاً بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

يسعى بها ذو زجاجات له نطف مقلص أسفل السربال مُعتمِل (١)
ومستجيب تخال الصنج يُسمعه إذ ترجّع فيه القينة الفضل (٢)

(٨) الحارث بن حلزة اليشكري

هو الحارث بن حلزة اليشكري البكري ، يتصل نسبه إلى يشكر رهط من بكر ابن وائل ولم يوثر عنه غير قطع يسيرة ، ومعلته الآتية التي كان من أمرها أن عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس ، وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبنائهم ، ليكف بعضهم عن بعض وليقيد منها للمعتدى عليه من المعتدى ، فحدث أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض المفازة فماتوا عطشاً ، وتزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فताهوا وهلكوا ، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند ، وكانت ضلعه مع تغلب ، فهاج ذلك الحارث ابن حلزة وكان في المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه ، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكريين ، وقرب الحارث من مجلسه ، وعمر الحارث طويلاً حتى قيل إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة .

(١) النطف : القيرط من اللؤؤ ، ومقلص : مشمر ، والسربال : القميص والمُعتمِل النشيط (المعنى) يسعى بالخمر ساق يحمل زجاجتها مقرط الأذن بأؤلؤ مشمر ذيله معتمِل نشيط .

(٢) ومستجيب : أي ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته . أي أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رفاق من صفر يصفق بأحدهما على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا (الكاسات) وهو أيضاً نوع من الآلات الوترية ، وترجع : تردد النغم ، والقينة : الأمة وقيل إذا كانت مغنية ، والمبرة الفضل : التي تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة .

وشعره: تغلب عليه الجزالة مع الإيجاز، واطراد التعبير من طريق الحقيقة والتشبيه في الغالب، وكذلك ما فيه من الطابع البدوي الذي يكاد يمتاز به شعر الجاهليين، ومعلقته هي:

آذنتنا ببينها أسماء رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا لِبَرْقَةٍ شِمَاءَ فَأَدْنَى دِيَارَهَا الْخُلَصَاءُ (٢)
لَا أَرَى مِنْ عَهْدَتِ فِيهَا فَابْكِي الْيَوْمَ دَلَهَا وَمَا يَحِيرُ الْبَكَاءُ
غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذْ خَفَّ بِالْثَوَى النَّجَاءُ (٣)
بِزُفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أَمَّ مَ رِثَالٍ دَوِيَّةٍ سَقْفَاءُ (٤)
أَنْسَتُ نَبَأَهُ وَأَفْزَعَهَا الْقَنْصَاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَى الْإِفْسَاءُ (٥)

ثم قال:

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْسَاءِ خُطْبٌ نَعْنَى بِهِ وَنِسَاءُ (٦)
إِنْ إِخْوَانُنَا الْأَرَاقِمُ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ
يَخْلُطُونَ الْبِرِّ مَنَا بِذِي الذَّنْبِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلَى الْخَلَاءُ (٧)
زَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيسَرَ مَوَالٍ لَنَا ، وَأَنَا الْوَلَاءُ (٨)

(١) آذنتنا أعلمتنا، ببينها: بفراقها لنا. وثاو: مقيم. أي كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره، وأسماء ليست من هؤلاء ففراقها شاق علينا.

(٢) برقة شماء: مكان، والخلصاء كذلك، الثوى: المقيم.
(٣) النجاء: الاسراع. (٤) الزفيف اسراع النعامة في سيرها والمراد المبالغة في وصف الناقة بالسرعة والهقلة الناعمة والرثال أولادها والواحد رال، والدو: المفازة والدوية المنسوية إليها والسقفاء الطويلة مع انحناء (٥) أنست: أحست، والنباة: الصوت الخفى، والقنص: الصيادون. (٦) نعنى به: نقصد به نحن دون غيرنا، ونساء به يصيبا منه سوء، والأراقم: أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشعار، ويفلون علينا: يتجاوزن الحد في القول علينا، والقبيل: القول والاحفاء: شدة الإلحاح والاستقصاء. (٧) الخلى هنا الخالى من الذنب. والخلاء: الخلو من الذنب كذلك، أي لا تنفع عندهم البرىء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم. (٨) أي فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤخذ عليها فعندهم أن كل من ضرب حملا مثلاً مذنب.

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
 مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مَجِيبٍ ، وَمِنْ تَضٍّ هَالٍ خَيْلٍ خِلَالِ ذَاكَ رِغَاءٍ (١)
 أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَا عِنْدَ عَمْرُو ، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ ؟ (٢)
 لَا تَخْلُنَا عَلَى غِرَاتِكَ ، إِنَّا قَبْلَ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ (٣)
 فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءِ تَنْمِيْنَا حِصُونُ ، وَعِزَّةٌ قَعَسَاءُ (٤)
 قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيِضَتْ بَعْيُونَ النَّاسَ فِيهَا تَغِيْظُ وَإِبَاءُ (٥)
 وَكَأَنَّ الْمُتُونَ تَرْدَى بِنَا أَرُّ عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعِمَاءُ (٦)
 مَكْفَهْرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُّ نُوهٌ لِلدَّهْرِ مُوَيْدٌ صَمَاءُ (٧)
 أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَادُّوْهُ هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأَمْلَاءُ (٨)

(١) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى امر حربنا ،
 والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ
 قيل ان هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه
 وأوضحه تصويراً للحقيقة . (٢) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل
 لذاك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام . (٣) لا تخلصنا : أى لا تحسبنا ،
 والفقرة : اسم مصدر من الاغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف .
 (٤) الشنءاء : البفض وتنمينا : ترفعنا ، والقعساء : الثابتة ، أى
 فبقينا على بفضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم
 مكروه .

(٥) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وببيضت بعيون
 الناس : بيضتها أى أعمتها والباء زائدة والتغيط الترفع والاباء .

(٦) تردى : ترمى وترجم ، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : ائن
 لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد ، والأرعن
 هنا الجبل الذى له حدود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون الأسود ،
 وبنجاب منه : يشق عنه ، والعماء : السحاب الأبيض (٧) وصف هذا
 الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال الصلب المنيع . ولا ترنوه لا تنقصه
 وتزال منه ، والمؤيد : الداهية ، وصماء : لا تسمع اعتذارات . أى أن هذا
 الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهي الصماء .

(٨) الخطئة : الأمر يقع بين القوم ، أو الاقدام على الأمر ، والأملاء جمع
 ملاوهم الأشراف والرؤساء .

إن نبشتم ما بين ملحّة فالصا قب فيه الأموات والأحياء (١)
 أو نقشتم ، فالنقش يُجشمه النا س ، وفيه الصلاح والإبراء (٢)
 أو سكتم عنا ، فكنا كمن أغـمض عيناً في جفنها أقذاء (٣)
 أو منعم ما تسألون فمن حد ثُمّموه له علينا العلاء (٤)
 هل علمتم أيام ينتهب النا س غواراً لكل حى عواء (٥)
 إذ اركبنا الجمال من سعف البح رين سيراً حتى نهاها الحساء (٦)
 ثم ملنا على تيمم فأحرّم نا وفينا بنات مُرّ إماء (٧)
 لا يقيم العزيز بالبلد السه ل ، ولا ينفع الدليل النجاء (٨)
 ليس ينجى مؤائلا من حذار رأس طودٍ وحرّة رجلاء (٩)
 فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذرُ بن ماء الساء

(١) ملحّة والصاقب : موضعان ، أى ان كانت الخطة التى ترضونها ان
 تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين فنيه اموات وأحياء أى
 فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم ، وحذفت الفاء
 الواقعة فى جواب الشرط « وهو فيه الأموات الخ » للضرورة . أو أن
 جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك أو ان جواب الشرط
 الآتى له . (٢) أو نقشتم أى دققتم الاستقصاء ويجشمه : يتكلفه على
 مشقة (٣) وان سكتم عنا فانا نسكت ، ونفضى أعيننا على القذى لأن
 الحق فى جانبنا . (٤) وان منعم ما تسألون فيه من الصلح والتراضى
 فمن الذى أخبرتم أن له العلو علينا ؟ حتى تطمعوا فينا ، وحدث هنا تعدت
 الى ثلاث مفاعيل . (٥) غواراً . أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء
 الصياح . (٦) يريد بالسعف . النخل ، والحساء جمع حسى ، وهو
 الرمل يكون الماء تحته قريباً أى علمتم اذ ركبنا الجمال من نخل البحرين
 حتى انتهينا الى الحساء .

(٧) فأحرّمنا أى دخلنا فى الأشهر الحرام فامتنعنا عن قتالهم وفيها
 بناتهم سبايا ، ومر أبو تديم .

(٨ و ٩) النجاء : الاسراع والفرار . والموائل الذى يطلب مؤئلا أى
 ملجأ ، والطود ، والجبل ، والحرّة الأرض ذات الحجارة السوداء ، والرجلاء
 الغليظة .

(٩١) لبید بن ربیعة العامرى

هو أبو عقيل لبید بن ربیعة العامرى أحد أشرف الشعراء المجیدین .
هو من بنى عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن مضر ، وأمه عبسية ، نشأ
لبید جواداً شجاعاً فاتكاً ، أما الجود فورثه عن أبيه الملقب بربیعة المعتزین
وأما الشجاعة والفتك فهما خصلتا قبيلته . إذ كان عمه ملاعب الأسنة أحد
قرسان مضر فى الجاهلية ، وكان بین قبيلته وبين بنى عبس أخواله عداوة
شديدة ، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبسیین الربیع بن
زیاد ، وعلى العامرین ملاعب الأسنة ، وكان الربیع مقرباً عند النعمان أعرض
عنه فشق ذلك علیهم ، ولبید يومئذ صغير ، يسرح إبلهم ويرعاها ، فسألهم
عن خطبهم فاحتقروه لصغره ، فألح حتى أشركود معهم ، فوعدهم أنه سينتقم
لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام ، بهجاء لا يجالس بعده ولا يؤاكلة فكان
ذلك ، ومقت النعمان الربیع ولم يقبل له عذراً ، وأكرم العامرین وقضى
حوائجهم ، فكان هذا أول ما اشتهر به لبید ، ثم بعد ذلك المقطعات والمطولات ،
وشهد النابعة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن ، ولما ظهر الإسلام وأقبلت
وفود العرب على النبی صلى الله عليه وسلم جاء لبید فى وفد بنى عامر وأسلم ،
وعاد إلى بلاده ، وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله ، وقال :

الحمد لله إذ لم يأتينى أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وهجر الشعر حتى لم يرو له فى الإسلام غير بيت واحد ، هو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها

دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات فى أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة .

شعره : نبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان .

فمن قوله يرثى أخاه أربد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع	وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ
وقد كنت فى أكناف جار مضنة	ففارقنى جارٌ بأربد نافعُ
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا	فكل امرئ يوماً به الدهر فاجعُ
وما الناس إلا كالديار وأهلها	بها يوم حلوها وراحوا بلاقعُ
وما المال والأهلون إلا ودائعُ	ولا بد يوماً أن تردَّ الودائعُ
لعمرك ما تدرى الضواربُ بالحصى	ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ
وما الناس إلا عاملان : فعامل	يتبر ما يبنى وآخر رافعُ
فمنهم سعيدٌ آخذ بنصيبه	ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعُ
ومن جيد الشعر وأبلغه أيضاً :	

معلقة لبید بن ربیعة العامرى

عفت الديار محلها فمقامها	بمنى تأبد غولها فرجاءها (١)
فمدافع الريان عرى رسمها	خلقاً كما ضمن الوحي سلامها (٢)
دمن تجرم بعد أنيسها	حجج خلون حلالها وحرأماها (٣)

(١) عفت : درست ، والمحل والمقام : موضع الحلول والاقامة : تأبد .
توحش . الفول والرجام : جبلان .

(٢) الريان : واد بحمى ضرية ، ومدافع : مجارى المياه به حيث يندفع السيل وعرى : رسمها خلقاً : أى ظهر باليا وانسلام : الحجارة . يذكر أن مدافع الريان لم تبق منها الا آثار تشبه آثار الكتابة على الأحجار .

(٣) الدمن ما اجتمع من آثار ، تجرم : مضى .

- رزقت مرابع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها (١)
 من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب إرزامها (٢)
 فعلا فروع الأبهان وأطفلت بالجلهتين ظبؤها ونعامها (٣)
 والعين ساكنة على أطلائها عودًا تأجل بالفضاء بهامها (٤)
 وحلا السيول عن الطلول كأنها زبرٌ يخذ متونها أقلامها (٥)
 أو رجع واشمة أسف نورها كففاً تعرض فوقهن وشامها (٦)
 فوقفت أسألها؟ وكيف سألنا صمًا خوالد ما يبين كلامها (٧)
 عريت وكان بها الجميع فأكبروا منها وغودر نؤيها وثمائها (٨)
 شاققتك ظعن الحى حين تحملوا فتكنسوا قطناً تصر خيامها (٩)
 من كل محفوف يظل عصية زوج عليه كله وقرامها (١٠)

- (١) المرباع : أوائل الأمطار في الربيع . والنجوم : الأنواء ، وصابها : مطرها والودق : المطر : وجوده : غزيره . ورهامه لينه وصغيره .
 (٢) السارية : السحابة وغاد : يسير بالقدادة . مدجن : مظلم ، لأن المقيم إذا انتشر ملأ الجو بالدجنة وهي الظلمة والارزام : صوت الرعد .
 (٣) الأبهان : النسب أطفلت : أصبحت ذات أطفال ، الجلهتين الجهتين (٤) العين : البقرة وأغلاؤها أولادها ، والعود : حديشة النتاج لأن ولدها يعوذ بها ، تأجل : تجمع وصار أجلا ، والأجل القطيع . (٥) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تجدد ظهورها الأقلام .
 (٦) الواشمة : من تحلى الأيدي بالوشم .
 (٧) الصم البواقى وهي الأثافي ، ما يبين : لا يظهر . (٨) عريت : خلت أكبروا : ساروا في البكرة ، وغودر : ترك ، والنؤى : حفرة حول الخباء تمنع السيل والشمم نيت ضعيف . (٩) الظعن : الجمال عليها الهودج ، أو هي النساء في الهودج ، تكنست الظباء . سكنت الكناس والقطن . الهودج ، تصر خيامها ، يسمع لها صرير . يريد أن ظعن الحى تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالا يصفق بها الريح . (١٠) محفوف صفة للهودج يجف بالديباج ويزدان به جانباه ، يظل . يغطى أو يظلل والعصى هنا أعواد الهودج ، والزوج ، بساط يفرش على الهودج والكلبة ستر رقيق . والقراء . ثوب ملون منقوش .

- زجلاً كأن نِجاج توضح فوقها وظيفاء وجرة عطفاً آرامها (١)
 حفزت وزايلها السرابُ كأنها أجزاءُ بيشتة أثلها ورضامها (٢)
 بل ماتذكرو من «نوار» وقدنأت وتقطعت أسبابها ورمامها (٣)
 مريّة حلت بفيد وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها (٤)
 بمشارك الجبلين أو بمحضر فتضمنتها فردة فرخامها (٥)
 فصوائق إن أيمنت فمظنة منها وحاف القهر أو طلخامها (٦)
 فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشرّ واصل خلة صرامها (٧)
 وأحب المجامل بالجزيل وصرمه باقٍ إذا ظلمت وزاغ قوامها (٨)
 بطليح أسفار تركن بقية منها وأحنق صلبها وسنامها (٩)
 فإذا تغالى لحمها وتحسرت وتقطعت بعد الكلال خداعها (١٠)

(١) زجل : الجماعة ، توضح ووجرة : موضعان ، النجاج : البقر ، عطفت الظبية تعطف جيدها اذا ربضت ، يذكر أن النساء فوق الهوادج كأنهن النجاج أو الأراآم والأعلام . (٢) حفزت : حثت على المسير ، وزايلها : فارقتها ، بيشتة : واد ، والأجزاء منعطف الوادى . الأثل : نوع من الشجر ، والرضام : صخور عظام .

(٣) نوار : اسم حبيبته ، الرمام : القطعة من الجبل البالى ، يريد أن الوصل تقطعت به الأسباب ، (٤) مريّة : تنسب الى مرة بن عوف فيد : موضع فى طريق مكة مرامها : منالها . (٥) الجبلان أجا وسلمى ، محجر : جبل فى بلاد طيىء ، فردة اسم أرض ، الرخاء : موضع كثير الأشجار (٦) الصوائق : جبل قرب مكة وتروى فصعائد ، وأيمنت : سارت نحو اليمن . وحاف : الصخرة السوداء ، والقهر . اسم موضع ، والطلخاء : الفيلة .

(٧) ألبانة : الحاجة ، تعرض : تفير .

(٨) وأحب : أعطى المجامل المكافىء وصرمه باق : أى وقطيعته باقية — اذا ظلمت : اذا مالت مودته عنك وزاغ قوامها أى ملاكها .

(٩) الطليح : الناقة المعيبة . وأحنق بمعنى ضم .

(١٠) تغالى : ارتفع من الهزال ، وتحسرت : تقطعت ، والكلال : الإعياء

الشعر الجاهلي — معلقة ليبد بن ربيعة العامري ٩١

- فلها هبابٌ في الزمامِ كأنها صهباءُ راح مع الجنوب جُهامها (١)
أو ملمعٌ وسقت لأحقب لآحه طرد الفحول وضوبُها وكدامها (٢)
يعلو بها حدب الأكام مسحج قد رابه عصيانها ووحامها (٣)
بأحزّة الثلبوت يربأ فوقها قفر المراقب خوفها أرآمها (٤)
حتى إذا سلخا «جمادى» ستة جزءاً فطال صيامه وصيامها (٥)
رجعا بأمرهما إلى ذى مرة حصد ونجح صريمة إبرامها (٦)
ورى دوايرها السفا وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها (٧)
فتنازعا سبطاً تطير ظلاله كدخان مشعلة يشبُّ ضرامها (٨)
مشمولة غلثت بنابت عرفج كدخان نار ساطع أسنامها (٩)
فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها
فتوسطا عرض السرى وصدعا مسجورةً متجاورا قلامها (١٠)

- (١) الهباب: النشاط : والصهباء : السحابة التي لم يكن فيها ماء ، والجهام الذي لا ماء فيه ، والجنوب : هي الريح اليمانية . (٢) الملمع : الأتان التي قد بان حملها واسودت حلماتها (٣) يعلو : يرتفع . الحدب : ما ارتفع من الأرض المسحج : المفضض رابه أى شككه . والعصيان : الامتناع . والوحام الكراهية لشيء .
(٤) الأحزّة : ما غلظ من الأرض . الثلبوت : موضع في نجد . يربأ : يرفع . قفر المراقب : على موضع الارتقاب . والأرآم : الأعلام .
(٥) أراد ستة أشهر أوله المحرم وآخرها جمادى ، جزءاً : أى استغنيا بالرطب من الكلا عن الماء ، والصيام : عن الماء ، وسلخا : أى مضى عيهما .
(٦) رجعا : الأتان والحمار . بأمرهما : برأيهما ، ذى مرة . قوة ، يعنى الحمار ، حصد : محكم وصريمة : عزيمة ، والإبرام . الأحكام .
(٧) الدواير : مآخير الجوافر . والنسفا . شوك البهي هنا ، المصايف : المرمى أيام المصيف ، سومها : مرها . السهام : وهج الصيف وشدة حره .
(٨) تنازعا : تحاذبا . (٩) اسم الدخان . إذا ارتفع وكثر ، غلثت : خلطت ، العرفج : كثرة الدخان ، ساطع . مرتفع .
(١٠) توسطا : دخلا وسطه عرض السرى : ناحية النهر . وصدعا : شققا . مسجورة : أى عينا مملوءة .

- محفوفة وسط. اليراع يظّلها منها مُصرعُ غاية وقيامها (١)
 أَفْتَلِكْ ؟ أم وحشية مسبوعة خذلك وهادية الصور قوامها (٢)
 خنساء ضيّعت الفرير فلم يرم عُرض الشقائق طوفها وبغامها (٣)
 لمعفر قهدٍ تنازع شلوه ... غبس كواسب ما يمنُ طعامها (٤)
 صادفن منها غرةً فأصبّنها إن المنايا لا تطيش سهاؤها (٥)
 باتت وأسبل واكف من دمة يروى الخمائل دائما تسجامها (٦)
 تجتاف أصلاً قالصاً متنبذاً بعُجوب أنقاء يميل هيامها (٧)
 يعلو طريقة متنها متواتراً فى ليلة كفر النجوم ظلامها (٨)
 وتضى فى وجه الظلام منيرة كجمانة البحرى سل نظامها (٩)
 حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت بكرت تزلُّ عن الثرى أزلّامها (١٠)

(١) محفوفة : محوطة من جميع جوانبها ، يعنى العين ، مصرع : بعضه فوق بعض والغابة : الأجمة وهى الشجر الملتف . (٢) أفْتَلِكْ : الأتان ، أم وحشية : بقرة الوحش مسبوعة : أكل السبع ولدها ، خذلت : تأخرت عن البقر والخذول : المتخلفة ، وهادية متقدمة . (٣) خنساء : قصيرة الأنف ، الفرير : ولد البقرة ، يرم : يبرح ، عرض أى ناحية : الشقائق : جمع شقيقة وهى ما بين الرملتين وطوفها ، أى دورانها وترددتها وبغامها : صوتها . (٤) المعفر ولد البقرة ، والقهد : الأبيض تنازع : تجاذب ، شلوه واحد الأشلاء وهى الأعضاء وغبس الذئاب الفبروكواسب : تكسب ما تأكل ، ما يمن طعامها ليس أحد يمن به عليها . (٥) صادفن : وجدن ، غرة : غفلة ، فأصبّتها : أوقعتها ، لا تطيش : لا تخطىء . (٦) أسبل : هطل ، الواكف : المطر يقيم أياما لا ينقطع ، الخمائل الشجر الملتف والتسجام : كثرة المطر . (٧) تجتاف : تدخل جوفه ، أصلا قالصا ، يعنى أصل شجرة ، بعجوب : أصل الذنب ، يعنى أطراف الرمال ، منتحيا . (٨) الطريقة ، الخطة ، متواترا : متتابعا ، كفر : غطى والنعما : السحاب .

(٩) تضى : تنير والجمانة : الحبة من اللؤلؤ ، سل نظامها : وهو الخيط الذى يسلك فيه اللؤلؤ . (١٠) انحسر الظلام : انكشف ، أسفرت : دخلت فى الاسفار وهو الصبح ، بكرت : غدت بكرة ، تزل : تسرع ، الثرى : التراب ، أزلّامها : قوائمها .

- علّمت تبلد في نهاء صعائد سبعاً تؤوماً كاملاً أيامها (١)
 حتى إذا يئست وأسحق حائق لم يبيله إرضاعها وفطامها (٢)
 وتسمعت رز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها
 فعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها (٣)
 حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضباً دواجن قافلاً أعصامها (٤)
 فلحقن واعتكرت لها مدريةً كالسمهرية حدها وتمامها (٥)
 لتذودهن وأيقنت إن لم تذد أن قد أحم مع الحتوف حمامها (٦)
 فتقصدت منها كساب فضرجت بدم وغودر في المكر سخامها (٧)
 فبتلك - إذ رقص اللوامع بالضحي واجتاب أردية السراب إكامها (٨)
 أقضى اللبانة لا أفرط ريبة أو أن يلوم بحاجة لوأمها (٩)
 أو تكن تدرى « نوارُ » بأننى وصّال عقد حبال جذامها ؟ (١٠)
 تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها (١١)
 بل أنت لاتدرين كم من ليلة طلق لذيد لهوها وندامها

(١) علّمت : تحيرت ، تبلد : تردد ، وتخير ، في نهاء : غابة ، الصعائد : المكان تؤوماً : أى متتابعة لياليها . (٢) أسحق : ارتفع ، والحاق المرتفع وهو ضرعها ، والحاق : الجبل المرتفع . (٣) الفرجان ما بين القوائم . مولى المخافة : صاحب المخافة . (٤) الغضب : جمع أغضب وهى الكلاب . (٥) اعتكرت : اجتمعت ورجعت . مدرية : محددة ، والسمهرية : الرماح المنسوبة الى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح باليمن . (٦) تذودهن : أى تطردهن ، وأن قد أحم : قدر ، الحتوف : جمع حتف وهو الموت والحمام : الموت . (٧) فتقصدت : قصدت يعنى قتلت ، كساب : اسم كلبه ، فضرجت : خلطت ، وغودر : ترك ، فى المكر : موضع القتال ، سخامها : اسم كلب (٨) فبتلك : البكرة ، رقص : ارتفع ، اللوامع بالضحي : الآل ، واجتاب : لبس ، أردية : جمع رداء . (٩) اللبانة : الحاجة ، لا أفرط : لا أشرك ، والريبة : الشك والمخافة . أو أن لا يلوم . (١٠) وصّال . أى أصل ولا أقطع . (١١) تراك أمكنة يقول اذ رأى ما يكره تركها ، أو يرتبط : يتلف ، وبعض بمعنى كل .

- قد بت سامرها وغاية تاجر
أغلى السبأ بكل أدكن عاتق
بصبوح صافية وجذب كرينة
باكرت حاجتها الدجاج بسحرة
وغداة ريح قد وزعت وقرّة
ولقد حميت الخيل تحمل شكّي
فعلوت مرتقياً على مرهوبة
حتى إذا ألفت يداً في كافر
أسهلت وانتصبت كجذع منيفة
رفعتها طرد النعام وفوقه
قلقت رحالتها وأسبل نحرها
ترقى وتطعن في العنان وتنتجى
وكثيرة غرباؤها مجهولة
- (١) وافيت إذ رفعت وعز مدأهما
(٢) أوجونة قدحت وفض ختامها
بمؤتر تأتاله إبهامها
لأعل منها حين هب نيامها
إذ أصبحت بيد الشمال زمأها
فرط وشاحي إذ غدوت لجأها
(٣) حرج إلى أعلامهن قتأها
(٤) وأجن عورات الثغور ظلامها
(٥) جرداء يحضر دونها جرامها
(٦) حتى إذا سخنت وخف عظامها
(٧) وابتل من زبد الحميم حزامها
(٨) ورد الحمامة إذ أجد حمامها
(٩) ترجى نوافلها ويخشى ذامها
(١٠)

(١) بت سامرا: أي فيها وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر .
ويضع الراية ليعرف موضعه بها فرفعها لذلك . عز : غلا . مدأها : خمرها
وسميت مدامة لداومتها في الدن . (٢) السبأ : شراء الخمر .
وجونة : سوداء . والأدكن : الزق . قدحت غرقت . (٣) فرط : من
صفة الفرس السابق . وشكّي : سلاحى . (٤) فعلوت : طلعت مرتقياً
الحرج : الضيق . والأعلام : الصوت . والقتام : الفبار .
(٥) ألفت يدا . يعنى الشمس . والكافر : البحر . وأجن : ستر .
العورات : جمع عورة . موضع المخافة . والثغر ، موضع المخافة أيضاً .
(٦) أسهل . نزل السهل وانتصبت يريد الفرس . ومنيفة ، يريدنخلة
طويلة : الجرام : الصرام . (٧) ركضها في المسير كما تطرد النعام
وفوقه : فوق الطرد وسخنت جمعت ، وخف عظامها : وأسرت . فاذا
عزقت جاد جريها . (٨) الرحالة : سرج . والحميم : العرق ، وأسبل
نحرها : جرى . (٩) إلى الماء وهو الورد . وترقى تعتمد . وتنتهى
تقصد . كأنها حمام أجهد نفسه . (١٠) يريدكم من خطئة وحالة عظيمة
مشهورة حضرتها وكنت المقدم فيها . ترجى قوافلها : فضلها ، ويخشى
عيبها .

غلب تشذر بالدخول كأنها جن البدى رواسياً أقدامها (١)

أنكرت باطلها وبوت بحقها يوماً ولم يفخر على كرامها (٢)
 وجزور أيسارٍ دعوت لحتفها بمخالق متشابه أعلامها (٣)
 أدعو بهن لعاقراً أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها
 فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا تبالة مخصباً أهضامها (٤)
 تأوى إلى الأطناب كل رزية مثل البلية قالص أهdamها (٥)
 ويكلمون إذا الرياح تناوحت خلجاً تمد شوارعاً أيتامها (٦)
 إنا إذا التقت المجامع لم يزل منا لزاز عزيمة جشامها (٧)
 ومقسم يعطى العشيرة حقها ومغذمر لحقوقها هضامها (٨)
 فضلاً، وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها
 من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
 إن يفزعوا تلق المغافر عندهم والسّن يلمع كالكوكب لامها
 لا يطبعون ولا يبور فعالهم إذ لا يميل مع الهوى أحلامها
 فبنوا لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسا إليه كهلها وغلامها (٩)

- (١) تشذر: تهيأ للقتال . الدخول . الأحقاد ، البدى مكان معروف بالجن . رواسياً: يعنى أنها ثابتة . (٢) يؤت: أقررت .
 (٣) الأيسار: الذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح ، والمخالق السابغ من سهام الميسر . (٤) يقول عنده من الخصب مثل ما عند أهل تبالة من الرطب . (٥) الرزية: المرأة متى أهزلها أهلها . والبلية: ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقأ عينها وي طرح حفتها ويلزون وجهها فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضر لها قدر ما بقيت قوائمها . الأطناب: حبال الفساطيط . والإهدام: الخلقان وقائص: قصير مرتفع .
 (٦) التكليل أن يوضع اللحم بعضه على بعض ، الخليج: الجفان ، شوارع جمع شارعة وهى من صفات الأيدى ، أى أيديهم ممدودة للأكل .
 (٧) المحافل: المجامع . لزاز: قرن ، لكل عزيمة جشامها أى متجشم لها ، متكفل بها . (٨) المقسم: يريد عامر بن الطفيل ، والمغذمر: الذى يأخذ من هذا ويعطى هذا ، والهضم: النقصان .
 (٩) بنوا: يعنى آباءه وأجداده ، السمك: المرتفع من الشيء .

فانقح بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
 وإذا الأمانة قسمت في معشر أوفى بأعظم حظنا قسامها
 فهم السعاة إذا العشيرة أفظعت وهم فوارسها وهم حكامها (١)
 وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها
 وهم العشيرة إن يبطأ حاسد أو أن يميل مع العدو لئامها
 ومنه قوله في النعمان يرثيه :
 ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل (٢)
 أرى الناس لا يدرون ما قدر أسرهم بلى كل ذى لب إلى الله واسل (٣)
 ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل أناس سوف تدخل بينهم
 وكل امرئ يوما سيعلم غيبة دويبة تصفر منها الأنامل
 ويعتبر لبيد من رثى نفسه قبل إذا كشفت عند الإله الحواصل
 وموته بقوله لابنتيه وهو محتضر :
 تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
 فإن حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
 وقولا هو المرء الذى لاحليفه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
 إلى الحول ثم اسم السلام عليكم ومن يبك حولاً كما لا فقد اعتذر

(١٠) علقمة بن عبدة التميمى

هو علقمة الفحل بن ناشر التميمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ القيس ، مات قبل الإسلام بزمان طويل ، وإنما قيل له (الفحل) من أجل

(١) السعاة جمع ساع وهو المصلح ، وأفظعت : ابتليت بالأمر الفظيع . وهو المهم .

(٢) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة : استعمال الحيلة ، والنحب : النذر .

(٣) الواسل الطالب والراغب الى الله ، أى أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه .

أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته أيضاً يسمى علقمة الخصى بن سهل ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام وأسلم . وقيل سمي (الفحل) لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها . لأنها فضلت علقمة عليه حين حكماها في الشعر .

(١٠) معلقة علقمة الفحل بن عبدة التميمي

- طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب (١)
تكلفني ليلى ، وقد شط . وليها وعادت عواد بيننا وخطوب (٢)
منعمة ، ما يستطاع كلامها على بابها من أن تزار رقيب (٣)
إذا غاب عنها البعل لم تفش سره وترضى إياب البعل حين يؤوب (٤)
فلا تعدلى بينى وبين مغمر سقتك روايا المزن حين تصوب (٥)
سقاك يمان ذو حبي وعارض تروح به جنح العشى جنوب (٦)

(١) طحابه قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق الى الشيء . وبعيد : تصغير بعد . حان المشيب : قرب أوانه ، أى أضلك قلبك الطروب فى حبك الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب ، والخطاب لنفسه ، ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال : تكلفني الخ .

(٢) شط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها ، عادت : شغلت ، وصرفت مقلوب عداه عن الأمر صرفه ، والعوادى : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشيء والخطوب : جمع خطب وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر .

(٣) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراسة أهلها لها . (٤) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إياها فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى - بالضم - كان المعنى وتجعل إياها ، رضيا حميدا ألا يشك فى صونها .

(٥) فلا تعدلى : فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحقق من الرجال الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ . يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أى تروى حين تمطر ، يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرص عليه ثم عاد الى الدعاء لها فقال ، سقاك الخ .

(٦) أى سقاك سحاب يمان يأتى من ناحية جنوبى نجد ، أصله يمنى خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبي : السحاب المتراكم =

- وما أنت ؟ أم ما ذكرها ربيعةً يخط. لها من ثرمداء قليب (١)
 فإن تسألونى بالنساء فإننى بصير بأدواء النساء طيب (٢)
 إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من وذهن نصيب
 يرذن ثراء المال حيث علمنه وشرح الشباب عندهن عجيب (٣)
 فدعها ! وسلّ الهم عنك بجسرة كهملك فيها بالرداف خبيب (٤)
 إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتى بكلكلها والقصريين وجيب (٥)

وقال أيضاً علقمة الفحل بن عبدة التميمى :

- والحمد لا يشتري إلا له ثمنٌ مما يضمن به الأقسام معلوم (٦)
 والجود نافية للمال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومذموم (٧)

= بعضه على بعض فيكون سيره بطيئاً كأنه يحب ، ويكون لذلك مطره
 غزيراً ، والعارض السحاب المعرض فى الأفق ، والجنوب : الريح
 الجنوبية .

- (١) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للاضراب بمعنى بل ، أى
 ما شأنك ؟ بل ما الداعى لذكرك لىلى ، وهى ربيعة وأنت تميمى ، وقد رحلت
 الى بلادها حيث حط لها فى ثرمداء قليب ، والقليب : البئر وثرمداء
 موضع ، ثم اخذ يصف النساء وطباعهن ، فقال فان تسألونى الخ .
 (٢) الأدوية : جمع داء ، أى بطباعهن المعينة التى بمنزلة الامراض فيهن
 (٣) الثراء : الكثرة أى يحبين من يعلمن عنده مالا ، وشرح الشباب
 أوله ، وعجيب : معجب . (٤) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهملك
 أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف جمع رديف والردف والردف
 كل شئ يكون خلف الراكب ولو حقائب ، والخبيب : السير السريع .
 (٥) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر
 الفسائى ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل
 الناقة : وجهها وأجهدا ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو
 المناسب هنا والقصريان : ضلعان يليان الترقوتين . والوجب خفقان القلب
 أى أنه لشدة اجهادها فى السير اشتد نبض قلبها . وبان ذلك فى كلكلها
 وقصريها لقرب القلب منهما . (٦) يقول : ان الحمد لا يشتري الا
 بأثمان تضمن بها النفوس ، والحمد : الثناء والمدح . (٧) نافية أى مبيد
 ومهلك ، والبخل ، الخ . أى : ان البخل يوفر المال وأهله مأمونون وأدخل
 الهاء فى نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

- والمال صوف قرار يلعبون به على نقادته واف ومجلوم (١)
 ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه أنى توجه ، والمحروم محروم (٢)
 والجهل ذو عرض لا يُستتراد له والحلم آونة في الناس معدوم (٣)
 ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته - لا بد - مشثوم (٤)
 وكل حصن وإن طالت سلامته على دعائمه - لا بد - مهدوم (٥)

أمية بن أبي الصلت

هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر خطير من أشرف ثقيف ، وأحد المتمسكين للدين في الجاهلية . وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد عناف .

منشؤه - نشأ بالطائف ، وكان أبوه شاعراً مشهوراً ، وروى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وما بقى في رُغوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسل ، وخاض في التوحيد وأمر الآخرة ، وتعبد ولبس المسوح . وحرّم الخمر على نفسه وشك في الأوثان . ورأى في الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب ، فطمع أن يكونه ؛ فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . كُشف باله . وحمله الحسد والكمد أن

(١) القرار : النقد . وهى غنم صفار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به . أى يتداولونه ويعبثون به ، واف : كثير ، ومجلوم : مجزوز بالجم أى المقص ، يريد أن منهم من يعطى القليل ومنهم من يعطى الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع . (٢) المعنى : أن الذى جعل الغنم له طعمة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه . ومن حرمه فلن يناله فقضاء الله كائن لا محالة .

(٣) ذو عرض لا يستتراد له ، أى : لا يراد ولا يطلب ، فأت لا تحبه ولا تريده ، آونة : أحيانا ، ومفرده : أوان . (٤) المعنى أن من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شؤم . والغربان يتشاءم بها . فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً من أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر . (٥) يقول : كل حصن دامت سلامة أهليه فيه فلا بد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائمه : أركانه التى يقوم بها .

ينابذه ، ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشا ، ويرثى قتلاهم
 فى وقعة بدر ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره فى ذلك وروى أنه
 هو الذى نزلت فيه آية « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه
 الشيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره فى
 التوحيد والإيمان والثناء على الله يقول : آمن لسانه ، وكفر قلبه .

ومن آخر شعره ما قاله عند موته :

كل عيش وإن تطاول دهرًا منتهى أمره إلى أن يزولا
 ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى فى رموس الجبال أرعى الوعولا
 فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر إن ذا الدهر غولا
 واختص بأكثر مدائحها فى الجاهلية « عبد الله بن جدعان أحد سراة
 قريش وأجوادها » حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم ، وأقام بقية حياته
 بالطائف إلى أن مات بها كافرا سنة تسع للهجرة .

شعره : يعد أمية من أكبر شعراء القرى على قلة الشعر فيهم ، غير أن الذى
 أزرى بشعره فى نظر بعضهم كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية فى شعره
 وكان أمية يسمى السماء : صاقورة ، وحاقورة ، ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه إذا
 خسف ويسميه (الساهور) ويسمى الله فى شعره السلطيط . والتغور ، ونحو ذلك .
 ويمتاز شعره ببعض السهولة فى لفظه ، وبذكره بعض العجائب من
 القصص الخيالية ، والأساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأحوال الآخرة
 وصفات الخالق والخشوع له ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء
 قبله ، ويتخلل ذلك شئ من الحكم والأمثال ، ومن شعره :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا
 رب الحنيفة لم تنفذ خزائنه مملوءة طبق الآفاق سلطانا
 ألا نبى لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا أن سوف تلحق آخرانا بأولانا

الرواية والرواة

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروى من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزوة إلى أهل البدو الأميين ، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها ، وما روى لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجود مختلفة ، وبالطبع لا يحفظ. هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها ، والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون . فقد كان امرؤ القيس راوية أبي داود الإيادي ، وزهير راوية أوس ابن حجر . والأعشى راوية المسيب بن علس . واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب وهم مخزومة بن نوفل وأبو الجهم حذيفة ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبي طالب .

العصر الثاني ، عصر صدر الإسلام ، ويشمل بنى أمية (١)

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العرب أمماً بدوية ، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبصر في علم ، أو تبصر في دين ، أو تفنن في تجارة ، أو زراعة ، أو صناعة ، أو سياسة - وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لاتعدو أغراض

(١) خلفاء بنى أمية هم :

- ١ - معاوية بن أبي سفيان (٦٠/٤١) - ٢ - يزيد بن معاوية (٦٤/٦٠)
- ٣ - معاوية بن يزيد (٦٤/٦٤) - ٤ - مروان بن الحكم (٥٦/٦٤)
- ٥ - عبد الملك بن مروان (٨٦/٥٦) - ٦ - الوليد بن عبد الملك (٩٥/٨٦)
- ٧ - سليمان بن عبد الملك (٩٩/٩٦)
- ٨ - عمر بن عبد العزيز (١٠١/٩٩)
- ٩ - يزيد بن عبد الملك (١٠٥/١٠١)
- ١٠ - هشام بن عبد العزيز (١٢٥/١٠٥)
- ١١ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٦/١٢٥)
- ١٢ - يزيد بن الوليد الأول (١٢٦/١٢٦)
- ١٣ - مروان الجعدي (١٣٢/١٢٧) .

المعيشة البدوية — إلا أن روحاً من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقدتها ونبهتها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولُغتها وجماعتها . فظهر ذلك مبيناً في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الإذعان فيها إلى حكومة الأشراف من قريش وقيم وغيرهما ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ، ويتفاهموا بلسان واحد ، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الإسلام فيهم ، وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النبي الكريم لأمم لشعثهم ، موحداً لكلمتهم مذهباً لطبايعهم ، مبيناً طريق الحق ، وجادة الصواب ، بشريعة عظيمة فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية مليّة وملكٌ كبير — وبالتفاف العرب حول صاحب هذ الدعوة وأنصاره ، وتفهمهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعد لزعة قومهم وخلفائه وولائهم وفتوحهم تحت ألويتهم ممالك الأكاسرة والقيصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمُصاهرة حدث في حياتهم الفكرية واللسانية ، ما يمكن إجماله في الأمور الآتية :

الاول : شيوع اللغة القرشية ، ثم توحيد لغات العرب وتمثلها جميعها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها ، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش — وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الداعي العظيم منهم ، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم . وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي الرسمية بين القبائل والثاني : انتشار اللغة العربية في ممالك الفُرس والروم وغيرها بالفتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها ، واستيطانهم لها واختلاطهم بأهلها .

الثالث : اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً دينياً ، واتباعها خطة نظامية تقتضيها حال الملك وسكنى الحضر .

الرابع : ظهور المعاني والتصورات وتغيّرات الألفاظ والأساليب .

الخامس : ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين : من الموالى ، وأبناء العرب من الفتيات ، وبعض العرب المكثرين من مُعاشرة الأعاجم .

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوى ناسب وصفهما من كثير مما ينبغى أن يقال فيها .

القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية^(١)

القرآن (كتابٌ أحكمت آياته . ثم فصلت من لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ) فيه آيات بينات ، ودلائل واضحة . وأخبار صادقة . ومواعظ . رائقة ، وشرائع راقية ، وآداب عالية بعبارات تأخذ بالألباب أساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ

(١) اعلم أولاً أن اعجاز القرآن من جهة أغراضه . فمجده في كل غرض وموضوع غاية في الأمانة والجلالة ونهاية في الإصابة واطراد الأحكام . فمن تشريع خالد ، وتهذيب بارع ، وتخليص جامع ، وأدب بالغ . وارشاد شامل ، وقصص ومواعظ ومثل سائر ، وحكمة بالغة . ووعد وعيد ، وأخبار بغيث ، الى غير ذلك من الأغراض والمقاصد ، وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم الا في فن واحد من أنواع القول فمن يبرع في الخطابة لا ينبغ في الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب ولأمر ما ضربوا المثل بامرئ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والأعشى اذا طرب والنايفة اذا رهب .

ثانياً : من جهة الفاظه وأساليبه ، فلا تجد منه الا عذوبة في اللفظ ، ودمائة في الأساليب وتجاذبا في التراكيب ، ليس فيها وحشى متنافر ولا سوقى مبتذل ، ولا تعبير عويص ، ولا فواصل متعملة . على شيوع ذلك في كلام المفلقين وأهل الحيلة المتروين حتى أنك لتثرى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منه تفرعه جمالا . وتشمله نورا وتكسوه روعة وجلالا ، الى اجمال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة وتكنية للعربى . وتصريح للأعجمي وغير هذا مما يقصر عن احصائه الامام ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام .

ثالثاً : من جهة معانيه ، فانك تجدها من معين العرب الذى منه يستقون لاطراد صدقها قرب تناولها واطمئنان النفوس اليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود ، من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على نموذج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابير وهو في جملة نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذى لا تبدل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقص . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها ، أو يُفكر في مُحاكاتها ، فهو آية الله الدائمة ، وحُجته الخالدة : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) أنزله الله على رسوله ليُبلغه قومه وهم فحول البلاغة وأمرأء الكلام ، وأناة الضيم ، وأرباب الأنفة والحمية . فبهرهم بيانه ، وأذهلهم افتنانه فاهتدى به من صحَّ نظره ، واستحصف عقله ، ولطف ذوقه ، وصدَّ عنه أهل العناد والمكابرة واللجاج - فتحدَّاهم أن يأتوا بمثله فنكصوا : ثم بعشر سور مثله ، فعجزوا ، ثم بسورة من مثله فانقطعوا ، فحقَّ عليهم إعجازه - قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) .

وللقرآن فضلٌ على اللغة فقد أثرَ فيها ما لم يؤثره أى كتاب سواها كان أو غير ساهوياً في اللغة التي كان بها ، إذ ضمن لها حياة طيبةً وعمراً طويلاً ؛ وصانها من كلِّ ما يشوه خلتها وينوى غضارتها - فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب ، ولم يخطها قلم - منها : اللغة ، والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، والمعاني ، والبديع ، والبيان ، والأدب ، والرسم ، والقراءات ، والتفسير ، والأصول ، والتوحيد ، والفقه .

جمع القرآن وكتابته

وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتَّاب وحيه بكتابة ما يُنزل - وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كله مكتوب ، وفي صدور الصحابة محفوظ ، وفي مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء في الأمصار ، فأمر عثمان ، زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن

ابن الحارث بن هثام - فنسخوا تلك الصحف في مُصحفٍ واحد مرتبٍ
السور - واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم .

صاحب الشريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن
قصي من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبي العرب المستعربة ، وُلد في (مكة)
ونشأ بها يتيمًا ، وربته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، وأرضعته حليلة
بنت أبي ذؤيب من عرب البوادي ، وماتت أمه وعمره ست سنين ، فعاله
جده عبد المطلب ثم مات جده بعد سنتين ، فكفله عمه أبو طالب .

وعندما بلغ أشده تولى رعى الغنم بالبادية مع إخوته في الرضاع ، وكذلك
كانت الأنبياء عليهم السلام . فما من نبيٍّ إلا رعاها . وهذه من حكم الله سبحانه
وتعالى فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهى أضعفُ البهائم سكن قلبه الرفق
والرحمة ، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه ، وخلصها من
شوائب الخلق الغريزية كالحدة والحسد ، ثم اشتغل عليه السلام بالتجارة ، وكان
شريكه فيها السائب ، وخرج إلى الشام يتجر لخديجة بنت خويلد من سراة بني
أسد ، وشرفت بعد ذلك خديجة بزواجه منها ، فكان يعملُ في مالها تاجرا .

صفاته : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط القامة ليس بالطويل
البائن ولا القصير المُتردد مُعتدل السمن ، ضخم الرأس ، عظيم الهامة ،
صلت العجيين ، سهل الخدين ، واسع العينين أسودهما ، أزج الحاجبين
سابغهما ، أهدب الأشفار صبيح الوجه مدور مستوى الأنف مُفلج
الأسنان . رجل الشعر حسنه . عريض الصدر ، رُحْب الراحتين ، سائل
الأطراف ، أزهر اللون ، فلا بالآدم ولا بالشديد البياض .

وكان عليه السلام أفصح قومه لساناً ، وأرجحهم عقلاً وأصحهم فهماً ، وأعظمهم

أمانة ، وخيرهم جواراً وأصدقهم حديثاً ، وأكثرهم اتصافاً بمكارم الأخلاق .
ولما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً إذ نزل عليه
الوحي وهو قائم على جبل (حرَاء) قريباً من (مكة) فأخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو لعبادة الله وحده أقواماً لا دين لهم إلا أن يسجدوا
للأصنام فآمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه
أبو بكر ومولاه زيد بن حارثة الكلبي ، وحاضنته أم أيمن .

وجمع رسول الله عشيرته ، وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وبنو
نوفل ، وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف وقال لهم : (إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ
أَهْلُهُ وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا
مَا غَرَرْتُكُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ
كَافَةً) فقالوا له قولاً لنا إلا عمه أبا لهب .

فلما جهر رسول الله بالدعوة إلى الإسلام بتوحيد الله ونبيذ الأوثان سخرت منه
(قريش) واستهزئوا به في مجالسهم وأضرموا له الحقد والعداوة وآذوه كثيراً ،
وكان أشدهم في ذلك أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي .
ثم أسلم حمزة عم رسول الله ثم عمر بن الخطاب ، فقوى بهما وأسلم بمكة نفر
من ولد (الأوس ، والخزرج) وهما قبيلتان من أهل (المدينة) وعادوا إليها ،
فانتشر فيها الإسلام بهم ، ووفد على رسول الله جمع من أهلها يدعونه وأصحابه
إلى الهجرة إليهم فهاجر ، وبهجرته إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجري .

ولم يقاتل رسول الله أحداً على الدخول في الدين بل كان أمره مقصوراً على
التبشير والإنذار ، فلما ازداد طغيان أهل (مكة) وأخرجوا المسلمين من ديارهم ،
وائتمروا مع غيرهم من مشركي العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن الله
سبحانه وتعالى بقتال المشركين كافة فكانت أول حرب بين رسول الله وبينهم في

(غزوة بدر) وتلتها غزواتٌ عدَّةٌ كان النصر في أكثرها لرسول الله ولجماعته .
 وبعث رسول الله رُسُلَه يدعون إلى الإسلام وهم دحية الكلبي إلى (هِرقل) ملك
 الروم ، وعبد الله بن حُذافة إلى (كسرى) ملك الفرس ، وشجاع الأسدى إلى
 (الحارث الغسانی) ملك البلقاء بالشام . والحاطب بن أبى بلتعة إلى (المقوقس)
 أمير مصر ، وسليط بن عمرو العامرى إلى (هُوذة) صاحب اليمامة . وبعث عمرو
 بن أمية إلى النجاشى (أَصْحَمَة) ملك الحبشة فأسلم . وعمر بن العاص إلى
 (جَيفَر) و (عبدًا) ملكى عمان فأسلما . والعلاء بن عبد الله الحضرمى إلى
 (المنذِر) ملك البحرين فأسلم ، وخالد بن الوليد إلى (بَنى عبد المدان) ، وعلى
 ابن أبى طالب إلى (بنى مَذْحِج) في أرض (اليمن) فأسلموا . وأسلمت (همدان)
 وتابعتها سائر أهل (اليمن) وملوك (حِمَيْر) ثم أقبلت بعد ذلك وفود العرب
 جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يبایعونه على الإسلام .

وحجَّ رسول الله فخطب في الناس خطبة الوداع وهى أكثر خطبة
 استيعاباً لأُمُور الدين والدنيا . وفى يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع
 الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفى رسول الله بالمدينة وفيها دُفِنَ -
 وله من العمر ٦٣ سنة قمرية . وثلاثة أيام .

الحديث النبوى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصحَ الناس وأبينهم وأحكمهم :
 وكانت حياته كلها هداية ونورا . وأفعاله وأقواله جميعها مدادا يستمد منه
 الخلق سدادهم وإرشادهم فى معاشهم ومعادهم - ولهذا حرص المسلمون على
 حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم توفق إلى مثله أمة فى حفظ آثار رُسُلها -
 فجمعوا من كلامه . ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام : ووعوا منها فى
 صُلُورهم ما لا يدخل تحت حصر - وكلامه صلى الله عليه وسلم منزَّه عن

اللفو والباطل ، وإنما كان في توضيح قرآن ، أو تقرير حكم ، أو إرشاد إلى خير ، أو تنفير من شر ، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى .

النثر - لغة التخاطب - الخطابة - الكتابة

كانت لغة التخاطب في مبدأ الإسلام بين العرب الخلف والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المعربة - وكانت لغة الموالى الطائرين عليهم تقرب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حسب طول لبثهم فيهم ، أو قصر مقامهم عندهم ، ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثر عندهم سبى الأعاجم وأسرى الحروب ، ودخل في الإسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا لهم إخواناً وشركاء في الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل ، نشأ للعرب ذرية اختلطت عليهم ملكة العربية ، وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم ، أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثل ما كانت عليه في جاهليتهم ، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هجئة ، والخاصة منهم تشددوا في المحافظة في سلائقهم ، وتحاموا التزوج بالأعجبيات ، وبالغوا في قربة أبنائهم ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يحضرون لهم المؤدبين والمعلمين - كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمرؤهم اقتداءً بكبيرهم (معاوية بن أبي سفيان) في تربية ابنه (يزيد) ومن لحن منهم عدوا ذلك عليه عاراً لا يحى وسبّة لا تزول ، ومن هولاء اللحنين عبد الله بن زياد ، والوليد ابن عبد الملك ، وخالد القسري - مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم .

ومن هنا يعلم السرف في القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والإعجام

الخطابة والخطباء في هذا العصر

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة : إما دعوة دينية ، وإما دعوة سياسية كانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضهم والصد عنها . وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات - كان ظهور الإسلام من الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلها وأثارت الخطابة من مكننها فوق ما كانت عليه في جاهليتها فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم بادیء أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة ، ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البال ولذلك كان دعاة النبي عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأمرأء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاول ، وأن الشرح صرفهم عن اللهو بالشعر الذي لا ينهض بأعباء الخطابة ولا مهيأ الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية ، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب ، بعبارات تفهمها الخاصة والعامة ، وكان لهم من القرآن وأدلتة وحججه والاقتباس منه مددًا يمدد - ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان ، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة الإمام علي - وشامييين بزعامة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبة يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكب الإسلام بمثلها ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ، ولا يُشَقَّ غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (علي بن أبي طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أبي سفيان) ولم تعد كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان .

والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي حتى ممن يعد عليهم اللحن ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة

خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول . إذ كان القوم ورؤساهم عرباً خالصاً يسمعون القول فيتبعون أحسنه .

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة ، والاشتمال بالرداء واختصار المختصرة ، والخطبة من قيام .

وليس في عصور أدب اللغة عصر أحفل بالخطباء من هذا العصر إذ كانت الخطابة فيه سلسلة القيادة على خلفائه وزعمائه لفطرتهم العربية ، ومحلهم من الفصاحة والبيان ، وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة : ثم قال :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق الله وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، إلا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين .
إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطيئ العمد بالسوط والعصا فية للدية مغلظة فيها أربعون خليفة ، في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، والناس من آدم وآدم خلق من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ومن خطبته في حجة الوداع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسكم على طاعته . وأستفتح بالذي

هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أُبَيِّنُ لكم ، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقعٍ هذا ، أيها الناس إن دماءكم وأهوالكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ألاهل يبلغُ ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوعٌ . وإن أول رباً أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قودٌ ، وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بغير . فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ، أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً . ولكم عليهن حق ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم . ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة ، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فاتقوا الله في النساء . واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت اللهم اشهد ! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد ! فلا ترجعن بعد كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . فإنِّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : كتاب الله وسنتي ألا هل بلغت . اللهم اشهد ؟ أيها الناس إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لآدم . وآدم من تراب . وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم ! قال : فليبلغ الشاهد الغائب . والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن أحادبثه عليه الصلاة والسلام :

إِنْ مَثَلٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَانْبَتَتِ الْكَلَاءُ وَالْعُشْبُ الْكَثِيرُ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلَاءً ، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَتْ بِهِ .

إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمُنَّ فِيهَا ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا .

أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّيَمَّنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .
إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ .

مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى .

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ

هُوَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ عَتِيقُ بْنُ أَبِي قَحَافَةَ عُمَانُ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَاجْتَمَعَ نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُرَّةِ بْنِ كَعْبٍ .

وَلَدَ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ بِسِتِّينَ وَبِضْعَةِ أَشْهُرٍ ، وَنَشَأَ مِنْ أَكْرَمِ قُرَيْشٍ خَلْقًا وَأَرْجَحِهِمْ حِلْمًا وَأَشَدَّهُمْ عِفَّةً ، وَكَانَ أَعْلَمُهُمُ بِالْأَنْسَابِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَمَفَاخِرِهِمْ .
صَحَبَ رَسُولَ اللَّهِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَصَدَقَهُ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ : وَلِذَلِكَ سُمِّيَ « الصِّدِّيقُ » وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ،

وشهد معه أكثر الغزوات . وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدته ، حتى انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى .

واختلفت العرب وارتدت عن الإسلام ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم . وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم ، وتستولى على مدائنهم وحصونهم ، وكانت وفاته عام ثلاثة عشر من الهجرة ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال .

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مفوهاً قوى الحجة - شديد التأثير - يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة ، وذلك أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة له عليهم ، فأبى الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة . فخطبهم خطبة لم يلبث الجمع بعدها أن يبايعوه (خليفة) ، وهى :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس نحن المهاجرون ، وأول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : إخواننا في الدين وشركاؤنا في النعم ، وأنصارنا على العدو ، وآويناكم وواسيتكم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، فلا تنفيسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضاً حين بايع للناس البيعة العامة :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني ،

أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم - ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه .
أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وخطب أيضاً الناس ، فقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم :

أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم . وهداكم به ، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم فإن من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى ، فقد أفلح من حفظ . من الهوى والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حى وغدا ميت ؟ ! فاعملوا يوماً بيوم ، وساعة بساعة وتواقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم فى الموتى واصبروا ، فإن العمل كله بالصبر ، واحذروا ، والحذر ينفع ، واعملوا ، والعمل يُقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا وتفهموا . واتقوا ، وتوقوا ، فإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم فى كتابه حلاله وحرامه ، وما يجب من الأعمال وما يكره فإنى لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله ، واعلموا أنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم ، فربكم أطعم وحظكم حفظكم واغبطكم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم وتعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ، ثم تفكروا عباد الله فى إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا فى الشقاء أو السعادة فيما بعد الموت إن الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به

خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره . فإنه لاخير فى خير بعده النار ، ولا شر فى شر بعده الجنة .

من حكم سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه :

(١) صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

(٢) ليست مع العزاء مصيبة . ولا مع الجزع فائدة .

(٣) ثلاث من كن فيه كُنَّ عليه : البغى . والنكث ، والمكر .

(٤) كثير القول يُنسى بعضه بعضاً ، وإنما لك ما وعى عنك .

(٥) أصلح نفسك يصلح لك الناس .

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشى - ثانى خليفة

لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأول من تسمّى من الخلفاء (بأمر المؤمنين)

وأول من أرخ بالتاريخ الهجرى ، ومصرّ الأمصار ودون الدواوين .

ولد رضى الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة .

وحضر مع رسول الله الغزوات كلها ثم لما قبض أعان أبو بكر على تولية

الخلافة ، ولما أحس أبو بكر بالموت عهد بها إليه ، فقام بأعبائها خير

قيام ، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كبرى وقصر .

وقتله غيلة الغلام الشقى أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة المجوسى ، لأنه لم ينصفه

على زعمه فى تخفيض مايدفعه لسيدة من أجرة عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ .

ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ، وكان رضى الله عنه

من أبين الناس منطقاً . وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحكمة ، وأرواهم

للشعر ، وأنقدهم له .

ومن خطبه خطبته إذ ولى الخلافة

صعد المنبر . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس . إني داع فأمّنوا :

اللهم إني غليظٌ. فليكن لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ،
وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم في لهم
ولا اعتداء عليهم ، اللهم إني شحيحٌ فسحني في نوائب المعروف قصداً من
غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سُمة . واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار
الآخرة اللهم أرزقني خفض الجناح ، ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير
الغفلة والنسيان فألهمني ذكرَكَ على كل حال ، وذكر الموت في كل حين ،
اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية
الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين ، والبر والتقوى .
وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ،
والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقني
التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له والمعروف بمعانيه ،
والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .

ومن خطبه في ذم الدنيا

إنما الدنيا أمل مخترم ، وأجل منقض ، وبلاغٌ إلى دار غيرها ، وسير إلى
الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرئاً فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب
ربه ، واستقال ذنبه ، بثس الجار الغنى يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فإن
أبيت لم يعذرك ، وإياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ،
ومؤدية إلى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، وأصح
للبدن ، وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

- (١) من كتم سره كان الخيار في يده . (٢) أشقى الولاة من شقيت به رعيته
- (٣) لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .
- (٤) من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

(٥) أعقل الناس أعذرهم للناس . (٦) لا تؤخر عمل يومك إلى غدك .

(٧) أبست الدراهم إلا أن تخرج أعناقهم . (٨) من يئس من شيء استغنى عنه .

ومن خطبته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري

« أما بعد » فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذه ، آس^(١) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك^(٢) ، ولا يئس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماهى في الباطل ، الفهم ، الفهم فيما تجلج^(٣) في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنة^(٤) ، ثم اعراف الأشياء والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهى إليه ، فإذا أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا استحقت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك وأجلى للعلمى ، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيماً في ولائ أو نسب^(٥) ، فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان^(٦) ، وإياك والقلق والضجر^(٧) ، والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاد الله ما بينه وبين الناس ، ومن

(١) آس بين الناس : سو بينهم . (٢) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه . (٣) تجلج : تردد حتى كان موقع حيرة . (٤) الكتاب . القرآن الكريم . والسنة ما أثر عن النبى من قول أو فعل أو تقرير . (٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس اهلاً للشهادة . (٦) درأ : دفع يربد منه الحدود . (٧) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

تخلق^(١) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله^(٢) ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام^(٣) .

عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموي . ثالث الخلفاء الراشدين ، وموجد نسخ القرآن المبين . ولد في السنة السادسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وآمن في السابقين الأولين وبذل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين وشهد مغازى رسول الله كلها إلا بدرًا - وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى ستة هو منهم - تنتخب الأمة أحدهم خليفة . فانتخبوا بالشورى عثمان ، فأكمل مغازى عمرح ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الأقاليم ، فحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٥ هـ ؛ فكان قتله سبب التفرق بين المسلمين ؛ وكانت مدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشرة يوماً .

وكان رحمه الله من بلغاء الخطباء ، وأوجزهم لفظاً ، وأجزلهم معنى ؛ وأسهلهم عبارة ؛ ومن خطبه بعد أن بويع ، وهى بعد الحمد والثناء :
أما بعد - فإنى قد حملت وقد قبلت ، ألا وإنى متبع ولست بمبتدع ، ألا وإن لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، ومن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ ، والكف إلا فيما استوجبتم - ألا وإن الدنيا ، خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا . ولا تعفوا بها ، فإنها لست بثقة - واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها .

(١) أى ظهر للناس في خلقه نيته .

(٢) شأنه ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته

في الآخرة .

ومن خطبه أيضاً وهى آخر خطبة خطبها :

أما بعد - فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركوا إليها - الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبتى على ما يفنى . فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه حُنة من يأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم . ولا تصيروا أحزاباً : (وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

من حكم سيدنا عثمان رضى الله عنه

(١) ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن . (٢) أنتم إلى إمام فعال أخرج منكم إلى إمام قوال . (٣) يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سُرورك .

الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسين على بن أبى طالب ، وابن عم رسول الله وزوج بنته ، ورابع الخلفاء الراشدين - ولد كرم الله وجهه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أول من آبه الصبيان . وكان شجاعاً لا يشق له غبار ، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك ، وأبلى في نصرته رسول الله ما لم يبله أحد ، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز ، وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام شيعاً أمية ، غضباً منهم لمقتل عثمان وقلة عناية (الإمام على) بالبحث عن معرفة القتلة على حسب اعتقادهم ، فحدث من جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعل أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج الإمام علياً غيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ .

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

وكان كرم الله وجهه أفصح الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم علماً وزهداً وشدة في الحق ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه كثيرة ، منها خطبته - كرم الله وجهه - بعد التحكيم . وهى :

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجلل - وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «أما بعد» فإن معصية الناصح الشفيق ، العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة (١) أمرى ونحلت لكم مخزون رأيى ، (لو كان يطاع لقصير أمر) (٢) فأبيت على إباء المخالفين الجفأة المنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضمن الزند بقدرحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصيح إلا ضحى الغد
ومن خطبة له حين خاطبه العباس وأبو سفيان فى أن يبايعاه بالخلافة : أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح ، هذا ماء آجن ، ولقمة يغص بها آكلها ، ومجنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه فإن أقل يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جرع من الموت هيهات بعد اللتيا والى والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه ، بل اندمجت على مكنون علم ، لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة .

من حكم سيدنا على كرم الله وجهه

(١) روى الشيخ خير من مشهد الغلام . (٢) الناس أعداء ما جهلوا .

(١) أى حكومة الحكمين عمرو بن العاص ، وأبى موسى الأشعري .
(٢) هو مولى جذيمة الأبرش وكان حاذقاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها أجابة لدعوتها فى قبولها زواجه فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلاً .

- (٣) الناس من خوف الذل في الذل . (٤) الصبر مطية لاتكبو وسيف لاينبو .
 (٥) إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه . (٦) قيمة كل
 امرئ مايحسن . (٧) المرء مخبوءٌ تحت لسانه . (٨) استغن عن شئت
 تكون نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره .
 (٩) خير أموالك ما كفأك وخير إخوانك من واساك . (١٠) الناس بزمانهم أشبه
 منهم بآبائهم . (١١) ما هلك امرؤ عرف قدره . (١٢) من عذب لسانه كثر
 إخوانه . (١٣) بشر مال البخيل بحادث أو وارث . (١٤) بالبريستعبد الحر .
 (١٥) إعادة الاعتذار تذكير للذنب . (١٦) إذا تم العقل نقص الكلام .
 (١٧) من أكثر فكره في العواقب لم يشجع . (١٨) الشرف بالعقل والأدب
 لا بالأصل والنسب . (١٩) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع .
 (٢٠) قلب الأحق وراء لسانه ، ولسان العاقل وراء قلبه . (٢١) يعيش
 البخيل في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .
 (٢٢) الولايات مضامير الرجال . (٢٣) الناس أبناء الدنيا ، ولا يُلام
 الرجل على حب أمه . (٢٤) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما
 يعنيه . (٢٥) الحرمان خير من الامتنان .

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إياد الوائلي ، الخطيب المصقع المضروب به
 المثل في البلاغة والبيان ، نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل ، ولما ظهر الإسلام
 أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية فكان يُعده للملمات ، ويتوكأ
 عليه عند المفاخرة .

قدم على معاوية وفد فطلب سحبان ليتكلم ، فقال : أحضروا لي عصاً ،
 قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال ما كان يصنع بها
 موسى وهو يخاطب ربه ، فضحك معاوية وأمر له بإحضارها ، ثم خطب

من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأ ولا ابتداءً في معنى وخرج منه ، وقد بقى منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال سحبان : والعجم والجن والإنس ، وكان سحبان إذا خطب يسيل عرقاً ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ ومما يؤثر من خطبه قوله :

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس : فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حبيتم ، ولغيرها خلقتم . إن الرجل إذا هلك . قال الناس : ما ترك ؟ وقال الملائكة : ما قدم ؟ قدموا بعضاً يكن لكم . ولا تخلفوا كلاً يكن عليكم .

زياد بن أبيه

هو أحد دُعاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها . منشؤه : كان للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب أمة تسمى سمية . قد قرنها بعبد له رومي يدعى عبيداً فولدت له سمية زياداً هذا (في السنة الأولى من الهجرة) فنشأ غلاماً فصيحاً شجاعاً ، فما افتتحت العرب الممالك والأمصار حتى عرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والى البصرة من قبل عمر ، فأظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبه . ولما ولي أمير المؤمنين (علي) الخلافة اضطربت عليه فارس فسار إليها زياد بجمع كثير ، وتمكن بخداعه من إيقاع الشقاق بين روساء المشاغبين . وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائرتهم ، وبقي يتولى لعل الأعمال حتى قتل (علي) فخافه معاوية ، فأرسل إليه المغيرة بن شعبة يستقدمه ، فقدم عليه فادعاه أخاً له واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان ، بدل زياد بن عبيد ، أو ابن سمية ، أو ابن أبيه .

وولاه معاوية العراقيين . وهو أول من جمع له بينهما ؛ فسار في الناس سيرة لم
يها الشعث ؛ وأقام الموج ؛ وكبح الفتنة ، واشتط . في العقوبة . وأخذ بالظنة ،
وعاقب على الشبهة ، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعضاً ، وكان
الشيء يسقط . من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد . حتى يأتى صاحبه فيأخذه ،
بل كان لا يغلق أحد بابيه ، وكان زياد يقول : (لو ضاع جبل بيني وبين خراسان
لعرفت أخذه) وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي (الشدة في غير عنف
واللين في غير ضعف ، المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته) .

وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ .

ومن خطبه البليغة خطبته البتراء^(١) حين قدم إلى البصرة والياً لمعاوية وهي :
أما بعد : فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على النار
هافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام التي ينبت فيها
الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد
الله من الثواب الكريم لأهل طاعته . والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي
الذي لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ،
واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي
لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف يقهر . والضعيفة المسلوبة في النهار
لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم نهاة يمنعون
الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة ، وباعدتم الدين . تعتذرون
بغير العذر ، وتغضون على النكر ، كل امرئ منكم يرد عن سفيهه ، صنع من
لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى
انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطارقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب .

(١) البتراء التي لم يحمد الله فيها .

حرام على الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً ،
 إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله « لين في غير ضعف ،
 وشدة في غير عنف » وإني لأقسم بالله - لا أخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعن ،
 والمطيع بالعاصي ، حتى يلتقي الرجل أخاه فيقول : « إنج سعد فقد هلك
 سعيد » أو تستقيم لي قناتكم ، إن كذبة الأمير بقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم
 على بكذبة ، فقد حلت لكم معصيتي ، وقد كان بيني وبين قوم إجن
 فجعلت ذلك دُبْرَ أذني وتحت قدمي ، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله
 السُّل من بغضي لم أكشف له قناعاً ؛ ولم أهتك له سترًا . حتى يبدى لي
 صفحته . فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم
 قرب مبتئس بقدو منا سيسر ؛ ومسرور بقدو منا سيبتئس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان
 الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بنى الله الذي خولنا لنا عليكم السمع والطاعة فيما
 أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا .

الحجاج الثقفي

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، أحد جبابرة العرب وساستها ، وموطد
 ملك بني أمية ، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع ؛ ولد سنة ٤١ هـ وشب في خلافة معاوية .
 وخدم الحجاج بولاية عبد الملك بن مروان ؛ وابنه الوليد - حتى كان ملكه
 ما بين الشام والصين - ومات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط . بالعراق .

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وشجاعاً داهية
 عنيفاً ؛ قال الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك بن
 مروان والحجاج بن يوسف ، وابن القرية ؛ وكان الحجاج أفصحهم ، ومن مآثره
 اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف

عثمان وإرسالها إلى بقية الأمصار ، ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق فإنه دخل المسجد - معتمداً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً ؟ متكباً قوساً - يوم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق .

فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ، ونهض فقال :
 أنا ابن جلا وطلائع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
 يا أهل الكوفة ، إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني
 لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء ترفرف بين العمام واللحي ، ثم قال :
 هذا أوان الشد فاشتد زيم قد لفها الليل يسوق حطم
 ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
 ثم قال :

قد لفها الليل بعصلي أروع خراج من الدوى
 مهاجر ليس بأعراف

وقال :

قد شممت عن ساقها فشددوا وجدت الحرب بكم فجدوا
 والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد
 لا بد مما ليس منه بد

إني والله يا أهل العراق ما يتحقق لي بالشنآن ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين ، ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه) نشر كنيانته بين يديه ، فعجم عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضجعتم في مراقد الضلال ، لأحزمنكم حزم السلمة^(١) ، ولأضربنكم ضرب غرائب^(٢) الإبل ، فإنكم لكأهل قرية

(١) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تصعب أغصانها ثم نختبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان .
 (٢) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلط وعند الحوض أشد الضرب

كانت آمنة مطمئنة يأتيتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله .
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله ما أقول
إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق (١) إلا فريت (٢) .

وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيאתكم ، وأن أوجهكم لمحاربة
عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة (٣) ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف
بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

طارق بن زياد

هو أحد قراد جيوش الوليد بن عبد الملك ، كان خطيباً مصقفاً ، وبطلاً مقداماً
بعيد الهمّة . يعشق المجد ، وتصبون نفسه إلى الفتوحات ، خرج من المغرب سنة ٩٢ هـ
بأثنى عشر ألف جندي من موطنه ، يقلهم أسطول قوى ، وقد جهز لذلك وعبر
البحر إلى أسبانيا لفتحها ، فلما علم (رودريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده
قابلهم بجيش عظيم ، هالت طارقاً كثرة عدده وكمال عدده ، فبادر طارق وأحرق
أسطوله ليقطع أمل أصحابه في الرجوع ، وقال لهم : « أيها الناس الخ » فاندفعوا
على الأسبان اندفاع اليأس ، وهزموهم شر هزيمة ، ثم إلى طارق فتوحاته في أسبانيا
حتى قبض على (رودريك) آخر ملوك البريغوط بها ، وقتله سنة ٩٤ هـ ، وبعد ذلك
بسنة استقدمه الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة ١٠١ هـ ، وهما خطبته البليغة :
أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا
الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام ، في مأدبة اللثام ،
وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزر لكم إلا
سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستلخصونه من أيدي عدوكم ، وإن امتدت بكم

(١) أقدر . (٢) قطعت . (٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي
صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب
الجديد .

الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم . وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية . فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجو ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أربأً فيها بنفسى ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فيما حظكم فيه أوفر من حظى . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم ملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان واسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون مغنمها خالصاً من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولى إنجازكم على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين ؛ واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه . وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم « للذريق » فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معى ، فإن هلك بعدة فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلك قبل وصولى ، فاخلفونى فى عزمى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون .

الكتابة : خطية ، وإنشائية

الكتابة الخطية : كان الخط . فى مبدأ ظهور الإسلام هو الخط . الأنبارى الحيرى المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازى ، وهو أصل النسخ ، وكان يكتب به النزر اليسير من العرب عامة وبضة عشر من قريش خاصة ، فلما انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على قريش فى يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميئهم ، وفادى الكاتب

منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ، فانتشرت الكتابة بين المسلمين . وحض صلى الله عليه وسلم على تعلمها ؛ ومن أشهر كتّاب الصحابة : (زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام) . ولما فتح المسلمون الممالك ، ونزلت جمهرة الكتاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط . العربى وهندسة أشكاله حتى صار خط . أهل الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط . الحجازى ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفى) وبه كانت تكتب المصاحف وحلى القصور والمساجد وسك النقود . وكان الصحابة وتابعوهم من بنى أمية يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلاً اعتماداً منهم على معرفة المکتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ . فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة ، أشفق المسلمون على تحريف كَلَم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلى علامات فى المصاحف «بصبغ مخالف» فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل نقطتين ؛ وكان ذلك فى خلافة معاوية رضى الله عنه .

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط . الإعجام بنفس المداد الذى يُكتب به الكلام ، حتى لا يختلط . بنقط . أستاذهما أبى الأسود ، وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم شاع فى الناس بعد . الكتابة الإنشائية قسماً : كتابة رسائل ودواوين ، وكتابة تدوين وتصنيف .

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب ونصحاؤهم كلهم كتاباً ينشئون بملكتهم ، ولو لم يخطوا بيمينهم ؛ فكان النبى وأصحابه ، وخلفاؤه يُملون كتبهم على كتّابهم بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت فى حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط . ذلك ، فكان (عمر) أول من دون الدواوين ، وكان كتّاب

الرسائل للخلفاء وعمالهم إما عربياً أو موالي يجيدون العربية ، أما كُتاب الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهلهم يكتبون بلغتهم ، ولما نبغ من العرب من يُحسن عملهم حُوِّلَت هذه الدواوين إلى العربية زمنَ عبد الملك بن مروان ، والوليد ابنه ، وجرى خلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلفاء الراشدين .

ثم لما اتسعت رقعة المملكة ، وقرَّت أمور الدولة ، وازدادت الأعمال ، وشغل الخلفاء عن أن يكلوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم عهدوا بها إلى كبار كتّابهم حتى انتشرت وصارت صناعة مُحكمة ، وكان كثيرٌ منهم يعرف اللغة الرومانية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية ، وهي لغات أمم ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم .

ومن هؤلاء : سالم مولى هشام بن عبد الملك ، أحد الواضعين لنظام الرسائل ؛ وأستاذ (عبد الحميد الكاتب) الذي آلت إليه زعامة الكتابة آخر الدولة الأموية .

مميزات الكتابة الانشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالمميزات الآتية :

(١) الاقتصارُ في أغراضها على القدر الضروري لدولة عربية ؛ والاقتصار في معناها على الإلمام بالحقائق ؛ وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل ؛ واستعمال الألفاظ الفحلة والعبارات الجزلة والأساليب البليغة ؛ إذا كان الكاتب والمكتوب إليه عربياً فصحاء .

(٢) مراعاة الإيجاز غالباً إلا حيث يُستدعى الحالُ الإسهاب ، وبقى الأمر على ذلك ؛ حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية ؛ فأسهب في الرسائل وأطال التعميدات في أولها . وسلك طريقه من أتى بعده .

الكُتّاب

كُتّاب هذا العصر كثيرون ، فقد كان الخلفاء والأمراء والقواد كلهم

كتاباً بُلغاء ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء :

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

وهو عبد الحميد بن سعيد العامريّ نسباً ، الشاميّ داراً ، شيخ الكتاب الأوائل ، وأول من أطال الرسائل ، ونشأ بالأنبار بليغا خصباً .

وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليه أرمينية ، فكتب له مدة ولايته ، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة فسجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولم أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا ؟ قال : إذا تطير معي . قال : الآن طاب لي السجود ، وسجد ، فاتخذ مروان كاتب دولته .

ولما دهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية ، وتوالت عليه الهزائم ، كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان : قد احتجت أن تصير مع عدوّي وتُظهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابك يحوِّجهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي ، وإلا لم تعجز عن حفظ حرّمي بعد وفاقي ، فقال له : إن الذي أشرت به عليّ أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر ، حتى يفتح الله عليك ، أو أقتل معك وأنشد :

أَسِرْ وفاءً ثُمَّ أَظْهَرْ غَدْرَـةً فَمَنْ لِي بِغَدْرِ يَوْسَعَ النَّاسِ ظَاهِرَـةً ؟
وَبَقِيَ حَتَّى قَتَلَ مَرْوَانَ سَنَةَ ١٣٢ هـ ، وَأَخَذَ عَبْدَ الْحَمِيدِ إِلَى السَّفَاحِ
فَقَتَلَهُ سَنَةَ ١٣٢ هـ .

منزلته في الكتابة : اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أول من مهد سبلها وميز

فصولها ، وأطالها في بعض الشئون وقصرها في بعضها الآخر ، وأطال التحميدات في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصة ببدئها وختمها على حسب الأغراض التي تكتب فيها ، وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجز عنه السحر في خلب الأفتدة وجذب النفوس ، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب إليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمنه ما لو قرئ لأدى إلى وقوع الخلاف والفشل وقال لمروان : كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن يك ذلك وإلا فالهلاك ، وكان الكتاب لكبر حجمه يُحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبي مسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه . وكتب على جذاذة منه إلى مروان :
محا السيف أسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ، ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من كتابة المصحف ، وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فإذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا إلى الخلفاء ، وفقهاء الصحابة . ثم لما انتشر الإسلام في زمن بني أمية . واختلطت العرب بالعجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي . وفشا اللحن . وأشفقوا على القرآن من التحريف ، وعلى اللغة من الفساد دونوا النحو ، وكان أول من كتب فيه « أبو الأسود الدؤلي » وقد تلقى مبادئه عن « الإمام علي » وأخذ عنه فتیان البصرة ، وخصوصاً الموالى إذ كانوا أحوج الناس إلى النحو ، وانتغل به أهل الكوفة بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغل به طبقتان طبقه من البصريين وطبقه من الكوفيين ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنحل وكثرت الفتاوى والرجوع فيها إلى الرؤساء ، ومات أكثر الصحابة . خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ، ويتركوا سنة رسول الله ، فآذن أمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » لأبي

بكر محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث ، وانقضى هذا العصر ، ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير ، أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد بن معاوية حبيب إليه مطالعة كتاب الأوائل من اليونان فترجمت له ، ونبغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء ، وأن معاوية استقدم عبيد بن شربة من صنعاء فكتب له كتاب «الملوك وأخبار الماضين» وأن وهب بن منبه الزهرى ، وموسى بن عقبة ، كتباً في ذلك أيضاً كتباً ، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب ، وأن ماسرجويه متطبب البصرة تولى في الدول المروانية ترجمة كتاب أهرون بن أعين ، من السريانية إلى العربية ، وأن يونس الكاتب بن سليمان ألف كتاباً في الأغاني ونسبتها إلى من عنى بها ، ولم يبلغ التصنيف شأواً يذكر .

الشعر والشعراء في هذا العصر

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، فأتاهم بالأمر العظيم ، والحادث الخطير ، حاملاً بإحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله ، والتمسك بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشد ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعهما ، فهبوا يتحسسون الأول ، ويتمرسون أساليبه ومعانيه ويتفرسون ألفاظه ومغازيه ، ما بين معاند يتلمس مطعناً فيه ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأهبوا للثاني : بين ضال يناوئه ، ومهتد يعاضده ؛ فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر ، محولاً مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالمدح بالباطل والهجاء والمغازلة ، وبغض إليهم تلك الفنون المردولة بإزراء القرآن على الشعر بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً

وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن ، كالموعظة والإرشاد ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.. الخ . ولبت الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة ، وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا إلى ما ألقوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف المعارك ، وأحوال الحصار وآلات القتال . ولما آل الأمر إلى بني أمية ، وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين . أصبح الشعر لساناً يعبر عن مقصد كل حزب ؛ حتى أصبح حرفة عتيقة ، وصناعة جديدة ومورد ثروة ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء ، حتى الخلفاء وأولياء عهدهم ، ونصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراتهِ وعباراته بما يأتي .

أغراض الشعر وفنونه

- (١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه ، وخاصة : زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .
- (٢) التحريض على القتال ووصفه - والترغيب في نيل الشهادة رفعا لكلمة الله ، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها .
- (٣) الهجاء - أولا في سبيل الدفاع عن الإسلام يهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروعة وبما رضىه النبي من حسان بن ثابت شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف ، وكان يتحرج عنه المسلمون ولو بالتعريض . زمن النبي وخلفائه ، ولذلك عاتب عمر أمير المؤمنين (الخطيئة) وهدده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين ، ثم صار يتساهل في خطبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر ، وإن لم يصل في الإقذاع والفحش إلى الحد الذي وصل إليه في العصر التالي ، ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفوزدق والأخطل .

(٤) المدح - وقبلما كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ، ونشر الحق على يديه ، وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزهى به نفوسهم تواضعاً .

ثم استرسل الشعراء فيه وقبل ذلك منهم الخلفاء إلى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاة والإشادة بعظمتهم .

معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصوره وتخليهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيراً في ترتيب الفكر ، وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان ، بماهذب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله ؛ وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ. ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها في الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ. وفخامته ومؤلفته لسابقه ولا حقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته . وروعة تأثيره ولاسيما أهل النسيب . ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدث غير ما عرف عنه في الجاهلية .

وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز ، والتطويل فيها واستعمالها في جميع أغراض القصيد ، حتى في افتتاحها بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والذم ونحو ذلك .

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم ، واستقامت ألسنتهم ، ولم يمتد إليهم اللحن ، ولقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحة وبلاغة ، وإحكاماً وإتقاناً حتى فضلهم بعض الرواة على سابقينهم من الجاهليين ومن أتمهر شعراء هذا العصر : كعب بن زهير ، والخنساء ، والحطيئة ،

وحسان بن ثابت ، والنابعة الجعدى وعمرو بن معد يكرب من المخضرمين (١)
وعمر بن أبي ربيعة ، والأخطل . والفرزدق . وجريير ، والكميت ، وجميل ،
وكثير عزة ، ونُصَيْب والراعى ، وذو الرمة من الإسلاميين .

(١) كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين . ومادح النبي الأمين ،
ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب كعب
لإسلامه ، وهجار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فتوعد النبي صلى الله
عليه وسلم وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة . إلا أن يعجى إلى النبي صلى الله عليه
وسلم مسلماً تائباً ، فهام كعب يتراعى على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد ، فلما
ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر رضى الله عنه بالمدينة ، وتوسل به إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم ، فأقبل به عليه وآمن ، وأنشده قصيدته المشهورة الآتية .
فخلع عليه النبي بردته ، فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية
بعشرين ألف درهم ، ثم بيعت للمنصور العباسى بأربعين ألفاً ومات سنة ٢٤ هـ .
شعره : كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق ، وعلو
الكعب في الشعر ، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول : لولا قصائد
لزهير ما فضلت على ابنه كعب . وكفاه فضلاً أن الحطيئة مع ذائع شهرته ،
رجاه أن ينوء به في شعره . فقال :

فمن للقوافي شأنها من يحو كها إذا ما مضى كعب وفوز جرو
ومن شعره قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمر ليس يُدر كها والنفس واحدة والهـم مُنتشر

(١) المخضرم من الشعراء من عاش في الجاهلية والإسلام .

فالمرء ما عاش ممدودٌ له أَمَلٌ لا ينتهى العمرُ حتى ينتهى الأثرُ
ومن قوله أيضاً :

إن كنتَ لا ترهبَ ذى لما تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذا أنا مُنصِتٌ فيك لمسموع خناً القائل
فالسامع الذم شريك له ومُطعمُ المأكول كالأكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من مُنحدرِ سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذمُّه بالحق وبالباطل

ومن قوله أيضاً قصيدة « بانث سعاد » المشهورة — وهى :

بانث سعادُ فقلبى اليومَ متبولٌ مُتيمٌ إثرها لم يُفد مكبول (١)
وما سعادُ غداة البين إذ برزت إلا أغنَّ غضيض الطرف مكحول (٢)
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت كأنه مُنهلٌ بالراح معلول (٣)
شجَّت بذى شيم من ماءٍ مَحنية صافٍ بأبطحٍ أضحى وهو مشمول (٤)
تننى الرياحِ القذى عنه وأفرطه من صوب غادية بيض يعاليل (٥)
ويلُ أمها خلة لو أنها صدقت بوعدها ولو أن النصيح مقبول (٦)
لكنها خلة قد سيطَ من دمها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل (٧)

- (١) بانث : فارقت ، والمتبول : الذى أسقمه الحب ، ومكبول : مقيد .
(٢) الأغن : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب ، غضيض : الطرف : أى فى طرفها كسر وفتور . (٣) تجلو : تكشف وأراد بالعوارض هنا الأسنان ، ذى ظلم : أى ثفر ذى ظلم والظلم ماء الأسنان وبريقها .
(٤) شجَّت : أى مسقى بالخمر مرة بعد أخرى . (٥) مشمول : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها ، وبذى شيم أى بماء ذى شيم والشيم : البرد ، والمَحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق ، والأبطح : مسيل فيه دفاق الحصى ، والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى يرد .
(٦) القذى : ما يسقط فى الماء ، وأفرطه : أى ملأه .
(٧) ويل أمها ، وفى رواية ابن هشام أكرم بها والخلة هنا الصديقة .
(٧) سيط من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره ، والفجع : الإصابة بالمكروه ، والولع : الكذب .

- فما تقوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغول (١)
ولا تمسك بالعهد الذى زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيده إلا الأباطيل (٢)
أرجو وآمل أن تدنو مودتها وما إخال لدينا منك تنويل
فلا يغرنك ما مننت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل
أمتست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيات المراسيل (٣)
نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول (٤)
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة القـ رآن فيها مواعظ. وتفصيل (٥)
لاتأخذنى بأقوال الوشاة ، ولم اذنب ، ولو كثرت في الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل (٦)
لظل ترعد من وجد بواده إن لم يكن من رسول الله تنويل (٧)
مازلت أقطع البیداء مدرعاً جنح الظلام وثوب الليل مسبول (٨)
حتى وضعت يميني ما أنازعها في كف ذى نقمات قوله القيل (٩)
فلهو أخوف عندي إذ أكمله وقيل : إنك منسوب ومستول (١٠)

(١) القول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراعى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق . (٢) عرقوب يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل أنه وعد أخا له ثمر نخلة ، وقال : اعتنى إذا طلع النخل ، فلما أطلع قال له : إذا أبلح ، فلما أبلح قال : إذا ازهى ، فلما ازهى قال : إذا أرطب ، فلما أرطب قال : إذا صار تمراً ، فلما صار تمراً جذه من الليل ولم يعطه شيئاً . (٣) العتاق : الإبل أو الخيل الكريمة ، والنجيات السريعات ، والمراسيل : جمع مرسال وهو السريع . (٤) أوعد : هدد (٥) نافلة : عطية التفصيل ، التبيين . (٦) أى : لقد شهدت برؤية الرسول مشهداً عظيم الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد . (٧) لظل يرعد : جواب لو في البيت السابق ، والبوادر جمع بادرة : وهى ههنا بين المنكب والعنق . (٨) أدرع الظلام : أى لبسه كأنه درع . (٩) ما أنازعها : أى لا اجاذبها والقيل : أى القول المحب . (١٠) أخوف : أى أعظم مسببه للخوف ، ومنسوب : أى مسئول عن نسبك .

- من ضيغم^(١) بضراء الأرض مخدره
 يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
 إذا يساور قرنًا لا يحل له
 منه تظل حمير الجو نافرة
 ولا يزال بواديه أخو ثقة
 إن الرسول لنور يستضاء به
 في عصبه من قريش قال قائلهم
 زالوا، فما زال أنكاس ولا كشف
 يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
 شم العرائين أبطال لبوسهم
 بيض سوابغ قد شكت لها حلق
- في بطن عشر غير دونه غيل^(١)
 لحم من الناس مغفور خراذيل^(٢)
 أن يترك القرن إلا وهو مغلول^(٣)
 ولا تمشى بواديه الأراجيل^(٤)
 مخرج البز والدرسين مأكول^(٥)
 مهند من سيوف الله مسلول
 ببطن مكة لما أسلموا : زولوا^(٦)
 عند اللقاء ولا ميل معازيل^(٧)
 ضرب إذا عرد السود التنايل^(٨)
 من نسج داود في الهيجاء سرايل^(٩)
 كأنها حلق القعفاء مجدول^(١٠)

(١) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق ، وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبذ من الشجر ، والمخدر : مكان إقامة الأسد ، ويطن عشر : مأسدة أى مخدرة ، غيل من بطن عشر دونه غيل ، والفيل : الأجمة — يصفه بالمنعشة والتوحش . (٢) يلحم : أى يطعم اللحم ، مغفور : أى ملقى فى التراب والخراذيل ، القطع .
 (٣) يساور : يواكب ، والقرن المائل ، ولا يحل : لا يسوغ ، والمغلول : المقيد . (٤) الجو : البر الواسع ، والأراجيل جمع رجيل : وهو الرجل غير الراكب . (٥) البز : الثياب ، والدرس : الثوب الخلق ، أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقة ممزقة . (٦) زولوا أى انتقلوا من مكة الى المدينة .
 (٧) النكس : الضعيف ، والكشف : جمع اكشف وهو من لا ترس له ، والميل : جمع اميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزول وهو من لا سلاح له . (٨) الزهر : البيض ، وعرد : فر وأعرض والتنايل : الفصار . (٩) شم العرائين : شم الأنوف ، أى أعزة ، واللبوس السرايل : الدروع أى لباسهم دروع من نسج داود .
 (١٠) بيض : صفة للسرايل ، والسوابغ : الطوال ، والقعفاء : نبات ينسبط على الأرض يشبه حلق الدروع .

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوماً ، وليسوا مجازيعا إذا نبِلوا (١)
لايقطع الطعن إلا في نحورهم وليس لهم عن حياض الموت تهليل (٢)
(٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي

هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي ، فارس اليانين ،
وأحد الشعراء المعمرين ، والخطباء الموفدين .

منشؤه وصفاته : نشأ عمرو بين قومه محمقا أكولا ، لا يؤمل منه خير ،
ولا تلحظ فيه سيادة ، على ضخامة في جثة : وجهارة في صوت ، حتى بلغ زبيداً أن
خشم ستشن الغارة عليهم ، فتأهبوا . ودخل عمرو على أخته ، فقال :
أشبعيني إن غداً الكتيبة ، فأخبرت أباه فقال : سلى هذا المائق ما يشبعه ،
فأكل عنزاً بثلاثة آصع ذرة . وأنتهم خشم فتبلد حتى رأى لواء أبيه مال
وانهزمت زبيد ، فثار وكرّ على خشم ، وتراجع إليه قومه فهزموا الأعداء ،
فأصبح يسمى فارس زبيد بعد أن كان يسمى مائق زبيد ، واشتهر بالشجاعة
حتى هابته أبطال العرب وضرب به المثل في الشجاعة ، وفي ذلك يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حلم أحنف ، في ذكاء إياس

وفي شجاعته يقول عن نفسه : وسرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها
ما خفت أن أغلب عليها - ما لم يلقي حراها أو عبداها . فأما الحران :
فعامر ابن الطفيل ، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان : فأسود
بن عيس - يعني عنتر - والسليك بن السليكة ، وكلهم قد لقيت .

ولما فشا الإسلام في قبائل العرب . وفد مع بعض قومه على رسول الله
فأسلم ثم رجع إلى قومه ، ولما مصرت الكوفة أقام بها حتى كانت وقعة نهاوند
فحضرها تحت لواء النعمان بن مقرن ، ومات بها سنة إحدى وعشرين .

(١) المفاريح : جمع مفراح الشديد الفرح ، والمجازيع جمع مجزاع
الشديد الحزن . (٢) التهليل : الجبن والفرار .

ويُعد عمرو من الشعراء المخضرمين ، ويأتى شعره فى الطبقة الثانية
 من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ،
 وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى .

ومن شعره قوله فى صدق عن نفسه فى الحرب :

ولما رأيتُ الحيلَ زوراً كأنها جداول زرعٍ أُرسلت فاسطرت
 فجاشت إلى النفسِ أوّل مرة فردت على مكروهاها فاستقرت
 علام تقول الرُّمَح يُثقل عاتق إذا أنا لم أطعنُ إذا الخيل كرت
 ومن قوله أيضاً :

أَمِنْ رِيحانة الدَّاعِي السميع يُورِقنى وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
 أَشَابَ الرَّأْسَ أَيَّامٌ طَوَالُ وَهَمٌ مَا تَضَمَّنَهُ الضُّلُوعُ
 وَسُوقَ كَتِيبَةٍ دَلَفَتْ لِأُخْرَى كَأَنَّ نَهَارَهَا رَأْسُ صُلُوعُ
 إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
 وَصِلْهُ بِالزَّرْعِ فَكُلْ أَمْر سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلُوعُ

(٣) الخنساء

هى السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرق
 شعواعر العرب وأحزن من بكى وندب .

كان أبوها عمرو ، وأخوها معاوية وصخر ، وكانت هى من أجمل نساء
 زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم ، فرغبت عنه وآثرت التزوج فى
 قومها ، فتزوجت منهم ، وكانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما قتل
 شقيقها معاوية ، ثم أخوها لأبيها صخر ، جزعت عليهما جزعاً شديداً ،
 وبكتهما بكاءً مرا ، وكان أشد وجدها على صخر ، لأنه شاطرها هى وزوجها أمواله

مراراً ، ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يُعجبه شعرها ، ويستنشدها ويقول (هيه يا خناس) ويومئ بيده .

وما فتئت تبكى صخرًا قبل الإسلام وبعده حتى عميت ، وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة ، فوصتهم وصيتها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف ، فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية سنة ٤٦ هـ فى خلافة معاوية .

شعرها : أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلىة عليها لم ينكر أنها أرثى النساء ، وكان بشار يقول : لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه ، فقليل له : وكذلك الخنساء ، فقال : تلك التى غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام ، فذلك النابغة الذبياني يقول لها ، وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التى مطلعها :

فَدَىٰ بَعِينِيكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ (يَعْنِي الْأَعَشَى) أَنْشَدَنِي قَبْلَكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ أَشْعَرُ
مَنْ بِالسُّوقِ . وسئل جرير : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قال : أَنَا ، لَوْلَا الْخَنَسَاءُ ،
فَقِيلَ : فِيمَ فَضْلُكَ ! قال : بِقَوْلِهَا .

إِن الزمان (وما يَفْنَىٰ لَهُ عَجَبٌ) أَبَقِ لَنَا ذَنْبًا وَاسْتَوْصِلِ الرَّأْسَ
إِن الْجَدِيدِينَ فِي طَوْلٍ اخْتِلَافَهُمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ
وَمَنْ جِيدَ شَعْرَهَا تَرَثَى أَخَاهَا صَخْرًا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخَرٍ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرَىءَ الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النَّجَا د سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

إذا القومُ مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا
 فنال الذى فوق أيديهم من المجد ثم انتمى مُصعداً
 يحمله القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولداً
 وإن ذُكر المجد أَلْفَيْته تَأَزَّرَ بالمجد ثم ارتدى
 ومن قولها ترثية أيضاً :

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني فقد أضحكتنى زمنا طويلاً
 دفعت بك الخطوب وأنت حى فمن ذا يَدْفَع الخطب الجليلاً
 إذا قَبِح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلاً
 ومن بديع قولها :

يُذكرنى طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكلّ غروب شمس
 فلو لا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى
 ولكن لا أزال أرى عَجُولا ونائحة تنوح ليوم نحس
 هما كِلْتاهما تبكى أخاها عشيّة رِزْئه أو غِبْ أَمْس
 وما يَبْكِين مثل أخى ولكن أسلى النفس عنه بالناسى
 فقد ودعت يوم فراقِ صخر أبى حسانَ لذائقى وأنسى
 فيا لهْفى عليه ولهْفَ أُمِّى أَيُصْبِح فى الضريح وفيه يُمسى

(٤) الحُطَيْئَةُ

هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى ، منشؤه معلول النسب ، وكان جشعاً
 سؤولاً ملحفاً دنى النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلاً قبيح المنظر ، رثّ
 الهيئة فاسد الدين ، وعاش الحطيئة مدة الجاهلية ، وجاء الإسلام فأسلم ،
 ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عاش متنقلاً فى القبائل
 يندح هذه تارة ، ويدم تلك أخرى ، وينتسب إلى عبس طوراً ، وطورا إلى

ذهل ، ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس . وكل قبيلة تخطب وده ، وتنتق شر لسانه ، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبسه . فما زال يستشفع إليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدده بقطع لسانه إن هجا أحدا ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنه نكث ، وأوغل في الهجاء بعد موت عمر ، وبقي كذلك حتى مات أوائل خلافة معاوية سنة ٥٩ هـ .

شعره : لولا ما وصم به الخطيئة من خسة النفس ؛ ودناءة الخلق ، وجهالة النسب لكان بإجادته في كل ضربٍ من ضروب الشعر زعيم شعراء المخضرمين على الإطلاق ، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله والشرف . وقلما يوجد في كلام الخطيئة مظنة ضعف ، أو مغمز لغامز من ركاكة لفظ . ، أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية .

ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار . قوله :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناها	وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم (لا أبأ لأبيكم)	من اللوم أو سدو المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا	وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها	وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى	بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
ويعذلنى أبناء سعد عليهم	وما قلت إلا بالذى علمت سعد

ومن أبياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرخٍ	زغب الحواصلٍ لاماء ولا شجر
ألتيت كاسبهم فى قعر مظلمة	فاصفح ، عليك سلام الله يا عمر !
أنت الأمين الذى من بعد صاحبه	ألقى إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الخير

(٥) حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري : شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر شعراء المخضرمين ، وهو من بنى النجار أهل المدينة ، نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأسلم الأنصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه ، كما دافع عنه الأنصار بسيوفهم . وعاش حسان بعد النبي محبباً إلى خلفائه مرضياً عنه ، وعمر قريباً من ١٢٠ سنة ، وبقي أكثر حياته ممتعاً بحواسه وعقله ، حتى وهن جسمه في أواخر عمره ، وكف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٥ هـ .

شعره : كان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية ، وشاعر اليمانية في الإسلام . ولم يكن في أصحاب النبي ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالداهية التي لم يكن لهم قبلها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هجر ، ولما أذن له النبي صلى الله عليه وسلم في هجائهم قال له كيف نهجوهم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينصب له منبراً بالمسجد ، ويسمع هجاءه في أعدائه ، ويقول : « أجب غنى ، اللهم أيده بروح القدس » . وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدة وغبابة لفظ . فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه ، وكثر ارتجاله الشعر ، لان شعره وسهل أسلوبه .

ومن شعره في الجاهلية :

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها	ونسودها في النائبات ونعتل
ويسود سيدنا ججاج سادة	ويصيب قائلنا سواء المفضل
ونحاول الأمر المهم خطابة	فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا	ومتى نحكم في البرية نعدل

ومن شعره في الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم النبي صلى الله عليه وسلم :

إن الذوائب من فھر وإخوتهم قد بينوا سنناً للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق (فاعلم) شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
وعفة ذكرت فى الوحى عفتهم لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
لا يفخرون إذ نالوا عدوهم وإن أُصيبوا فلا خور ولا جزع

(٦) النايعة الجعدى

هو أبو ليلى حسان بن عبد الله الجعدى العامرى أحد القدماء المعمرين
والشعراء المخضرمين ، ووصاف الخيل المشهورين .

قال الشعر فى الجاهلية ، ثم استعصى عليه دهرًا ، ثم نبغ فى الشعر عند
ظهور الإسلام وبعده ، ولذلك سُمى (النايعة) وهو ممن فكر فى الجاهلية ،
وأنكر الخمر وما تفعل بالعقل ، وهجر الأرزلام والأوثان ، وذكر دين
إبراهيم ، وصام واستغفر ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم .
وعاش طويلاً فى الإسلام ، فأقام زمناً مهاجراً ، حتى أيام عثمان رضى الله عنه
فأحس بضعف فى نفسه . فاستأذن فى الرجوع إلى البادية ، فأذن له ثم لما كانت
خلافة (على) شهد معه وقائع صفين ، وظهره بيده ولسانه ، ونال من معاوية
وبنى أمية - ومات بأصبهان سنة ٨٥ هـ - بعد أن عمر مائة وثمانين سنة .

شعره : كان النايعة الجعدى شاعراً مطبوعاً فى الجاهلية والإسلام ، وهو أول
من سبق إلى الكناية فى الشعر عن اسم من يعنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :
أكنى بغير اسمها ، وقد علم الله خفيات كل مكتم

وكان من يصفون الخيل ، فلا يلحق له فى ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل
قال الأصمعى : ثلاثة يصفون الخيل لا يقاربهم أحد . طفيل الغنوى ، وأبو داود
الإيادى والنايفة الجعدى ، وله فى الفخر والهجاء والمديح والثناء شعر كثير .
ومن أشرفه قصيدته التى مدح بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم — وهى :

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ونوحا على ما أحدث الدهر أودرا
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة فخفا لروعات الحوادث أو قرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولى وأذبرا
تهيج البكا والندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قدرا
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا
ومنها فى الفخر :

وإنا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بواد تحمى صفوه أن يكذرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حكيم إذا أورد الأمر أصدرأ

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء — البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى ؟
قال : الجنة يا رسول الله ، قال له : إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته ، قال له الرسول
أجدت لا يفيض الله فاك . فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضت من فيه سن .

(٧) عمر بن أبى ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى المخزومى ،
أشعر قریش وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

ولد بالمدينة ليلة مات أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضوان الله عنه ، وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً مُوسراً ، وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من بعده ، فشب في نعيم وترف ، وقال الشعر صغيراً وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء ، وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض وتعرض للمحادثات المتعطفات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقع منه في بلاءٍ عظيم ، صرن يخفن الخروج إلى الحج ، لأنه كان يتلقاهن بمكة ، ويتربقبن خروجهن للطواف والسعى ، ويصفهن وهن محرمات ، وحلمت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ، ولترقب توبته وإقلاعه ، فلما تهادى في أمره ، وشب ببينات السادات والخلفاء غضب عليه (عمر بن عبد العزيز) ونفاه إلى جزيرة أمام مدينة مصوع ، ثم رأى أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد ، فغزا في البحر ، فاحترقت السفينة التي كان فيها ، واحترق هو أيضاً سنة ٩٣هـ شعره : رقيق بلفظ. رشيق ، ومعنى أنيق ، حتى قال فيه جرير : هذا والله الذى أرادته الشعراء فأخطأته ، وقد سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه ، ومن قوله المشهور :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد	وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة	إنما العاجز من لا يستبد
زعموها سألت جارتها	وتعرت ذات يوم تبترد ^(١)
أكما ينعتنى تبصرنى ؟	عمركن الله ! أم لا يقتصد ^(٢)
فتضاحكن ، وقد قلن لها :	حسن فى كل عين من تود ^(٣)
حسداً حملنه من شأنها	وقديماً كان فى الناس الحسد

(١) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .

(٢) وينعتنى : يصفنى ، عمركن الله اذكركن الله ، يقتصد : يعتدل فلا يبالغ .

(٣) أى ان من تحبه تعتقد انه حسن لدى جميع الناس .

- غادة تفتّر عن أشنبها حين تجلوه أفاق أو برد (١)
 ولها عينان في طرفيهما حورٌ منها ، وفي الجيد غيد (٢)
 قلت : من أنتِ ؟ فقالت : أنا من شفه الوجد ، وأبلاه الكمد (٣)
 نحن أهل الخيف من أهل منى ما لمقتول قتلناه قود (٤)
 قلت : أهلاً ! أنتم بغيتنا فتسمين ، فقالت : أنا هند (٥)
 إنما ضلل قلبي فاحتوى صعدة في سابري تطرد (٦)
 إنما أهلك جيران لنا إنما نحن وهم شيءٌ أحد (٧)
 حدثونا أنها لى نفثت عقداً ، يا حبذا تلك العقد (٨)
 كلما قلت : متى ميعادنا ؟ ضحكت هند ، وقالت : بعد غد !

(٧) الأخطل

هو أبو مالك غياثُ الأخطل بن غوث التغلبي النصراني ، شاعر الأمويين وأمدح ثلاثة شعرائهم المقدمين ، والمتفرد بالتعمق بوصف الخمر دون الإسلاميين ، قال الشعر وهو صبي ، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتئذ (كعب بن جعيل) وهاجاه وظهر عليه ، ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب هجاء الأنصار ،

- (١) الغادة : المرأة ، تفتّر : تظهر ، الأشنب : الفم في أسنانه ماء ورقة وعدوبة ، تجلوه : تكشفه ، الأفاق : جمع أقحوان وهو البابونج البري من نبات الربيع له نوار أبيض . البرد : ماء الفمام يسقط جامدا .
 (٢) الحور : شدة سواد سواد العين مع شدة بياض بياضها الجيد : العنق ، غيد : نعومة . (٣) شفه الوجد : أهزله الحب ، الكمد : الحزن الشديد . (٤) الخيف : ناحية من منى عند مكة ، القود : القصاص .

- (٥) بغيتنا : مطلبنا . (٦) ضلل : صار ضالاً لا يهتدى ، احتوى : اشتمل ، الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثبت ، شبه محبوبته في اعتدال قدها بها ، السابري : الثوب الرقيق الجيد تطرد : تمشى مستقيمة (٧) شيء أحد أي شيء واحد (٨) نفثت عقداً : سحرتني والنفث : النفخ ، والعقد تكون من خيوط ينثف بها قصد السحر .

لتعرض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لأخته في شعره ، أبي عليه ذلك
كعب ، وقال : لأهجو قوماً نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ، ولكني
أدلك على الأخلط ، فبعث إليه وأمره بهجائهم ، فهجاهم بقصيدة منها :
ذهبت قريش بالسماحة والندی واللؤم تحت عمائم الأنصار
فدعو المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بنى النجار
وبلغ الشعر كبار الأنصار فغضبوا ، وشكوه إلى معاوية ، فوعدهم بقطع
لسانه ، فاستجار بيزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه ، ولما ولي يزيد
الخلافة قرَّبه إليه ، وتابعه في ذلك خلفاء بنى أمية ، وبخاصة عبد الملك ،
إذ كان يستعين به على أعدائه ، فقرَّبه إليه وأداناه ، وسمح له بالدخول
عليه بلا إذن ، وأجزل له العطايا ، وسماه شاعر الخليفة .

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق وحُكم فيهما أيهما أشعر؟ عرض
بتفضيل الفرزدق ، فهجاه جرير ، فرد عليه الأخلط ، وكانت الشيخوخة قد بلغت
منه ، فلم يلحق جريراً ، وكان الأخلط يُقيم أزماناً بدمشق ، وأحياناً ببلاده من
أرض الجزيرة ، ومات في أول خلافة الوليد سنة ١٢٥ هـ ، وقد نيف على السبعين .
شعره : كان الأخلط أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول
الإسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكلف والتعمق فيه ، وامتاز بإجادة
المديح والإبداع في معانيه ، قال يمدح بنى أمية ، ويخصُّ بشر بن مروان :
إن يحلموا عنك فالأحلامُ شيمتهم والموتُ ساعة يحمى منهم الغضب
كأنهم عند ذاكم ليس بينهم وبين من حاربوا قربي ولا نسبُ
كانوا موالى حق يطلبون به فأدركوه وما ملوا ولا لغبوا
وإن يكُ للحق أسبابٌ تمد بها ففي أكفهم الأرسان والسبب
هم سعوا بابن عفان الإمام وهم بعد الشماس مروها ثمت اختلبوا

ومنها :

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراه الجود والحسب
تري إليه رفاق الناس سائلةً من كل أوب على أبوابه عصب
يحتضرون سجالا من فواضله والخير محتضر الأبواب منتهب
والمطعم الكرم لا ينفك يعقرها إذا تلاقى رواق البيت والمهب
كان جيرانها في كل منزلة قتلى محرّدة الأوصال تستلب
ومن أفضل شعره قوله :

والناس همهم الحياة ولا أرى طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

(٩) الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي ، أفخر ثلاثة الشعراء
الأُمويين ، وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء .

ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بين البصرة والبادية ، وأتى به أبوه يوماً إلى أمير المؤمنين
على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فسأله عنه ، فقال هذا ابني يوشك أن يكون
شاعراً مجيداً ، فقال له أقرئه القرآن ، فأقرأه وحفظه ، ثم رحل إلى خلفاء بني
أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم ، وأخص من كان يمدحه منهم « عبد الملك بن
مروان » ثم أولاده من بعده ، وكان الفرزدق فوق إقذاعه في الهجو ، وفحشه في
السباب وقذف المحصنات ، يرمى بالفجور ، وقلة التمسك بشعائر الدين ، ثم تاب
في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري ، وكان فيه تشيع يستره أيام اختلافه
إلى بني أمية ، كاشف به آخر حياته حتى أمام الخليفة « هشام » عندما
رأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة ، مهابة وإجلالا « لعل بن الحسين »
فسأل عنه كالمجاهل لأمره ، فشق ذلك على الفرزدق ، وأنشد قصيدته الميمية

الآتية يعرف «بعلی» ويُنكر على «هشام» تجاهله ، فحبسه هشام ثم أطلقه ، وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ، ومات بالبصرة سنة ١١٤ هـ .

شعره : يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه ومداخلة بعض ألفاظه في بعض ، ولذلك يعجب به أهل اللغة والنحو ، وكان يقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) ويعتبر الفرزدق من أفخر شعراء العرب وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية أن يشتبك مع جرير في التهاجي والتساب حتى أفحشا وشغلا الناس بنقائضهما .

ومن جيد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين (وهو على بن الحسين) :
 هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرم
 هذا ابن خيرِ عباد الله كلهم هذا التقى التقى الطاهرُ العلم
 وليس قولك : من هذا ؟ بضائره ألْعُربُ تعرف من أنكرت والعجم
 إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
 ينمى إلى ذروة العز التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
 يغضى حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم
 بكفه خيزران ريحها عبق من كفَّ أروع في عرينه شمم
 يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
 ينشق ثوب الدجى عن نور غرته كالشمس تنجذب عن إشراقها الظلم
 من معشر حبيهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعصم
 إن عد أهل التقى كانوا أنمتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

(١٠) جرير

هو أبو حذرة ، جرير بن عطية ، الخطمي ، التميمي ، اليربوعي ، أحد فحول الشعراء الإسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائيين ، وأنسب ثلاثتهم

المفلقين ، وهو من بنى يَرْبُوعَ أَحَدِ أَحْيَاءِ تميم ، ولد بالهامة سنة ٤٢ هـ ونشأ في البادية ، وفيها قال الشعر ونبغ ، وكان يختلف إلى البصرة في طلب الميرة . ومدح الكبراء ، فرأى الفرزدق وما أكسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة . وهو تميمي مثله ، وودّ لو يسقّفه إلى ما ناله ، وأغراه قومه به للتنويه بشأنهم ، فوقعت بينهما المهاجاة عشر سنين لعوامل سياسية واجتماعية ، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها في البادية وكان الفرزدق مقيماً بالبصرة يملأ عليه الدنيا هجاءً وسباً ، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه إلى البصرة ، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظم أمره ، وشرّق شعره وغرّب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة « يزيد بن معاوية » بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه ، ومن وقتئذٍ عدّ من مداح خلفاء بني أمية ، ومات بالهامة سنة ١١٤ هـ .

وكان في جرير على هجائه للناس عفةً ودين ، وحسن خلق ، ورقة طبع .

شعره : اتفق علماء الأدب ، وأئمة نقد الشعر ، على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر ، ولكل هوى وميل في تقديمه صاحبه ، فمن كان هواه في رقة النسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ . ولين الأسلوب ، والتصرف في أغراض شتى فضل « جريراً » . ومن مال إلى إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ . ورقة المسلك وصلاية الشعر ، وقوة أسره ، فضل « الفرزدق » ومن نظر بعد بلاغة اللفظ . وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء ، واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها حكم « للأخطل » . وإن لجرير في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة ، هي الغاية التي يضرب بها المثل ، فيقال إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله :

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثم لم يحيين قتلتنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهنٌ أضعف خلق الله إنسانا
وإن أمدح بيت قوله :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
وإن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضابا
وإن أهجى بيت مع التصون عن الفحش قوله :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
وإن أصدق بيت قوله :

إني لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعةٌ بحبِّ العاجل
وإن أشد بيت تهكما قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع
ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثي بها امرأته ، وهي التي ندبت بها
نوار امرأة الفرزدق :

لولا الحياءُ لهاجنى استعبارُ ولزرتُ قبرك والحبيب يزارُ
ولقد نظرت وما تمنعُ نظرةً في اللحد حيثُ تمكنُ الإحفارُ
ولَهتِ قلبي إذ علّنبى كبرة وذوو التّمائم من بنيك صغارُ
لا يلبثُ الثمرناء أن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ
صلى الملائكة الذين تخيروا والطيبون عليك والأبرارُ
فلقد أراك كسيت أحسن منظر ومع الجمال سكيئةٌ ووقارُ

(١١) الكميّت

هو الشاعر الخطيب الراوية أبو المستهل الكميّت بن زيد الأسدي الكوفي ،

أشعر شعراء الشيعة الهاشمية ، ومثير عصبية العدنانية على القحطانية ولد سنة ٦٠ هـ - ونشأ بالكوفة بين قومه بنى أسد - إحدى قبائل العرب الفصحاء من مضر ، فلقن العربية ، وعرف الأدب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بمدراسة العلم والأخذ عن الأعراب ، وكان له جدتان أدركتا الجاهلية تقصان عليه أخبارها وأشعار أهلها . فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك ، وأقر له (حماد) الراوية بالسبق عليه .

وقال الكميت الشعر وهو صغير ، وكان لا يذيعه ولا يتكسب به ، ويكتفى بحرفته (تعليم صبيان الكوفة بالمسجد) ولما حصف شعره وقوى أثره ، ولا سيما قصائده التي أعلن فيها تشيعه (لبنى هاشم وآل علي) أنشده الفرزدق مستنصحا له في أمر إذاعته إذا أعجبه فأمره بإذاعته ، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة (بالهاشميات) التي يقول فيها من قصيدة في مدح بنى هاشم :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب	ولا لعباً مني وذو الشب يلعبُ
ولم يُلْهني دار ولا رسمُ منزلٍ	ولم يتطربني بنان مُخضِبُ
ولا السانحاتُ البارحات عشية	أمر سليم القرن أم مر أعضبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي	وخير بني حواء والخير يُطلبُ
بنى هاشمٍ رهط. النبي فإنني	بهم ولهم أَرْضى مراراً وأعضبُ
خفَضْتُ لهم مني الجناح مودَّةً	على كنف عطفاه أهل ومرحبُ
ومالي إلا آل أحمد شيعة	ومالي إلا مذهب الحق مذهبُ
بأى كتاب أم بأية سُنَّة	يُرى حبهم عاراً على ويُحسبُ

شعره : لشعره من التأثير السياسي والمذهبي أثر سيئ شتت شمل الوحدة العربية ، وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ. والرواية فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير والعلم الكثير فكانت عنايتهم بحفظها في الصدور أكثر من كتابتها في السطور .

ولما اتسع علم المسلمين بما أُضيف إليها من تفسير الصحابة والتابعين ، ومن أفعالهم في الدين - تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب .

ولما كان الإنسان عُرضة النسيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب تشددت الصحابة والتابعون وتابعوهم في تصحيح الرواية ، وشدة التوثيق من صدق الرواة تحرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه .

ولما خاف سيدنا (عمر بن عبد العزيز) أن تموت السنة الصحيحة بموت روايتها وبما وضعه الزنادقة والشيعة والخوارج ودسود فيها . أمر العلماء بتدوين الحديث ، وبقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكل شاعر راوٍ أو عدة رواة ، ومن أشهر هؤلاء : هذبة بن خشرم راوية الحطيئة ، وجميل راوية هذبة وكثير راوية جميل ، وأبو شقفل وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ، ومربع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت . وصالح بن سليمان راوية ذى الرمة ، وذو الرمة راوية الراعي .

وبقي الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر - فاشتغل العلماء بالرواية ، وصار الراوي منهم يروى لمئات من الشعراء والشواعر ، وإن لم يكن هو شاعراً .

وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك العصر (عصر بني العباس) فيذكر فيه .

ومع تشديد الناس في تصحيح الرواية سنةً وأدباً حدث في الشعر

والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة ، ونحو ذلك * .

العصر الثالث : عصر الدولة العباسية (١) من ١٣٢ - ٦٥٦ هـ

أحوال اللغة وآدابها في ذلك العصر

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شيء في دولتهم عربي الصبغة ، وكانت جمهرة العرب مُنتشرة في كل مكان امتد إليه سلطانها ، فلما قامت الدولة العباسية بدعوته ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً ، مثل ما وجدت من الفرس وأمم الأعاجم ، فاكتمست بهم دولة بنى أمية ، وأسست دولة قوية ؛ كان أكثر النفوذ فيها للموالى . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزاة ، وابتدأ شأن العرب السياسى يتضاءل من ذلك الحين شيئاً فشيئاً ، واختلطوا بالأعاجم ، وكان من المجموع شعب ممتزج لغة وعادة وخلقاً ، فآثر في اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونشراً ، كتابة وتأليفاً ، ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة ، بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام . أما حال ممالك العرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبعد كثيراً عما كان عليه في العصر الماضى ، ثم سرت إليها عدوى تقليدها للمشاركة في أكثر الأمور .

٢٤٨/٢٤٧	محمد المنتصر	(١) خلفاء بنى العباس الى سنة ٣٣٢:
٢٥٢/٢٤٨	أبو العباس أحمد المستعين	أبو العباس عبد الله السفاح ١٣٦/١٢٣
٢٥٥/٢٥٢	أبو عبد الله المعتز	أبو جعفر المنصور ١٥٨/١٣٦
٢٥٦/٢٥٥	محمد المهتدى بالله	محمد المهدي ١٦٩/١٥٨
٢٧٩/٢٥٦	أحمد المعتمد على الله	موسى الهادي ١٧٠/١٦٩
٢٨٩/٢٧٩	أحمد المعتضد بالله	هارون الرشيد ١٩٣/١٧٠
٢٩٥/٢٨٩	على المكتفى بالله	محمد الأمين ١٩٨/١٩٣
٣٣٠/٢٩٥	جعفر المقتدر بالله	عبد الله المأمون ٢١٨/١٩٨
٣٣٢/٣٣٠	أبو منصور محمد القاهر	أبو اسحق محمد المعتصم ٢٢٨/٢١٨
٣٣٩/٣٢٢	أبو العباس أحمد الراضى	أبو جعفر هارون الواثق ١٣٢/٢٢٣
٣٣٣/٣٣٩	إبراهيم المتقى بالله	جعفر المتوكل على الله ٢٤٧/٢٣٣

ويمكن إرجاع جميع هذه التغييرات إلى ثلاثة أمور ؛ الأول : ما يتعلق بالأغراض التي تؤديها اللغة ، الثاني : ما يتعلق بالمعاني والأفكار ، والثالث : ما يتعلق بالألفاظ والأساليب .

أغراض اللغة

لما قامت الدولة العباسية وتشبه الخلفاء بملوك الفرس في أكثر أمور السياسة والمعيشة ، وحاكتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم ، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تعهد فيها من قبل ، بنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها . ثم تناولت هذه الأغراض في الغرب بعدئذ بفرق يسير ، فكان من تلك الأغراض ما يأتي :

(١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ، ولم يدون في صدر الإسلام من ذلك إلا نزر يسير ، وكذلك الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية .
(٢) تأدية مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصة بعد دخول العرب في غمار الصناعات وبعد تعرب الأعاجم .

(٣) تأدية المقاصد التي استدعاها الانغماس في الترف بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الأمم عصر الدولة العباسية إلى أمد بعيد ، أو اقتضاها نظام الملك والدفاع عنه : كالإمعان في وصف الأشياء النفيسة مما لم يعرف للعرب في صدر الإسلام أو عُرف وكان قليلاً ممقوتاً صاحبه ، وكوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية . وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس كما امتازت الأندلس بالإجادة في وصف مناظر الطبيعة ، ومحاسن الوجود للملازمة بيئتها لذلك ، وكادت تلحق بها في الوصف صقلية وإفريقية إبان ازدهائهما .

(٤) تأدية مقاصد أنواع الخلاعة والسخرية ، مما قل نظيره في صدر الإسلام .

(٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم .

المعاني والأفكار

إن ما حدث في مشارق الممالك الإسلامية ومغاربها ، أثناء العصر العباسي ، من الانقلابات السياسية والاجتماعية ، كان له نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية ؛ ظهر ذلك في عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة ، فمنها : (١) ازديادُ شيوع المعاني الدقيقة . والتصورات الجميلة ، والأخيلة البديعة (٢) التعويلُ على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية ، بالإكثار في الحجج والبراهين العقلية ، وانتحاء مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس ، ولا سيما بعد عصر الترجمة ، وأكثر ما كان ذلك بالشرق ، وقلما عُنيَ به أهل المغرب .

(٣) التهويلُ والغلو في التفضيم المقتبس في المشرق من اللغة الفارسية والسارى بعضه بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس .

الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان : السُّهولة ، والمحسنات البديعية ، ويشمل ذلك ما يأتي :

- (١) انتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة ، وقلة الحاجة إلى الارتجال .
- (٢) ازديادُ الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن ، والاقتباس منه والاستشهاد به .
- (٣) الإكثار من ألفاظ المجاز . والتشبيه . والتمثيل . والكناية ، والمحسنات اللفظية .
- (٤) التوسُّع في إدخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء والعظماء .
- (٥) تفاقُم الخطب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء .
- (٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وغيرها .
- (٧) التأنق في صوغ العبارات وتوثيق الربط . بينها والميل إلى استعمال السجع .
- (٨) التطرف إلى غاية حدِّ الإطناب والإيجاز ، ولكل منهما مقام .
- (٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاس بـمعيار المنطق بـمعيار البلاغة .

وإذا كانت اللغة إما نشرا ، وإما شعراً .

والنشر : مُحدثة . وخطابة . وكتابة . فاحفظ. ما يتلى عليك .

النشر — المحادثة — أو « لغة التخاطب »

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن ، إلا من آحاد عُيروا به ، وإن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن ، ولغة المتعربين من العجم تقل عن هذه الفصاحة ، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة .

فلما تم امتزاج العرب بالعجم ، عصر الدولة العباسية ، تكونت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جمهرة العرب لغات تخاطب علمية ، إلا بين أهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبهم باللسان الفصيح إلى أواسط القرن الرابع ، وبقيت لغات التخاطب في البلاد التي نقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الأعجمية ممزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الإسلام .

وخاف الخلفاء والخاصة من هول تغلب العامية على أبنائهم ، وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة ، فيستغلّق على المسلمين فهم الكتاب والسنة ، وهما كل الدين ، فحرضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة ، ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، الذي استمر في طغيانه إلى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب . حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم ، وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها ، ولكن لم تصبح العامية لغة علم وأدب ، كما وأن ذلك لم يكن طويل الأمد .

الخطابة والخطباء

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق . والإدرسية في المغرب الأقصى ،

والأموية في الأندلس ، من الأمور التي ينشأ عنها كثيرٌ من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعى تأليف الأحزاب ، ودعوة الناس إلى التشيع لزعماء الأحزاب ، كانت دواعي الخطابة متوافرة أسبابها ؛ فكان بين قواد هذه الدول ودُعائها وخلفائها ورؤساء وفودها خطباءٌ مصاقعُ . ثم لما فترت هذه الدواعي باستقرار الدول ، واشتدَّ اختلاطُ العرب بالأعاجم ، وتولى كثير من الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ، ضُعف شأنُ الخطابة لضعف قدرتهم عليها . فلم يمتض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأنُ الخطابة إلا قليلاً في المغرب أيام الحفل وقدم الوفود ، وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعديد من المواسم وخطب الزواج ونحو ذلك وقل فيها الارتجالُ ، أو عدم جملةً ، وحل محل الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات ، وفي الأمور الدينية مجالسُ الوعظ. والتدريس في المساجد والمدارس ، واشتهر في صدر الدولة العباسية جملة خطباء ، أشهرهم : داود بن على ، وشبيب بن شيبه .

داود بن على

هو داود بن على بن عبد الله بن عباس ، خطيب بنى العباس ، وأحد مؤسسى دولتهم ، نشأ هو وإخوانه - وكانوا اثنين وعشرين رجلاً - في قرية الحميمة من أعمال عمان - وكان الوليد بن عبد الملك أجلى « على بن عبد الله بن عباس » وأهل بيته إليها - سنة ٩٥ هـ غضباً عليه .

وكان داود أحد النابغين من إخوانه وكان بليغهم ولسانهم وأخطبهم في وقته ، وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . ولَّاه أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولاه إمارة الحج في هذه السنة ، وولاه معها ولاية الحجاز واليمن واليامة ، فقتل من ظفر بهم من بنى أمية في مكة والمدينة سنة ٣٢ هـ - وهو أول موسم ملكه بنو العباس - وخطبهم الخطبة الآتية وهى :

« شكرا شكرا ، إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصراً . أظنّ عدو الله أن لن نقدر عليه ؟ أن رُوحى له من خطامه ، حتى عثرَ في فضل زمامه ، فالآن حيثُ أخذ القوس باريها وعادت القوس إلى النزعة ، ورجع الملك في نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة ، والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فرشنا . أمِنَ الأسود والأحمر ، لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكم ذمة العباس ، لا ورب هذه البنية - وأوماً بيده إلى الكعبة - لا نهيج منكم أحداً » ثم ذهب إلى المدينة ، ومات بها سنة ١٢٣ .

شبيب بن شيبه

هو شبيب بن شيبه بن عبد الله المنقرى التميمي ، خطيب البصرة ، نشأ بها ، وامتاز بنبالة نفس وسخاء كف ، وحسن تواضع ونزاهة لسان ، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة ، القريبة من حد الإعجاز . قال الجاحظ : يقال إنهم لم يروا خطيباً كشبيب بن شيبه . فإنه ابتداءً بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره ، وقد يطول حتى يقول فيه الراجز :

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

وعرف شبيب أبا جعفر المنصور قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله في حاشية وليّ عهده « المهدي » وبقي كذلك حتى ولي المهدي الخلافة ، فصار من خيرة سماره وجلسائه ، إلى أن مات في حدود سنة ١٧٠ هـ .

ومن خطبه القصار ، ما عزى به المهدي يوم ماتت ابنته « البانوقة » وجزع

عليها جزءاً شديداً - أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً ، وأعقبك صبرا ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خير منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه مالا سبيل إلى رده .

الكتابة - خطية وإنشائية

الكتابة الخطية : تنوع في هذا العصر الخط. الكوفي إلى أنواع أربت على خمسين نوعاً : - ومن أشهرها : المحرّر ، والمشجر ، والمربع ، والمدور ، والمتداخل وبقى مُستعملاً في المباني والسكة إلى حدود الألف . ثم نسي جملة وقد جددت منه أنواع في عصرنا ، أما تاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط. (قطبة) المحرر من الخط. الكوفي والحجازي خطأً هو أساس الخط. الذي يكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحسن عملة غيره من كتاب صدر الدولة العباسية حتى ظهر إبراهيم الشَّحْرَى ، وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثاني فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلاثين وولد يوسف من الجليل القلم الرياسي ، وهو قلم التوقيع ، وعن إبراهيم أخذ الاحول المحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم النصف . هذه هي أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطأً ، يختص كل منها بغرض خاص ، واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف . وأن يكون طول الألف مربعاً مقدار قطة القلم .

وعن الأحول أخذ مهندس الخط. الأعظم الوزير (أبو علي محمد بن مُقْلَة) وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهما اللذان تمَّ على أيديهما هندسة خط. النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن ، وأتما العمل الذي بدأ به (قطبة) فهندس الحروف ، وقدر مقاييسها وأبعادها

وضبطاها ضبطاً محكماً ، واخترعا له القواعد . وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله بن أسد القارئ المتوفى سنة ٤١٠ هـ ، وعنه أخذ أبو الحسن على ابن هلال البغدادى المعروف بابن البواب - المتوفى سنة ٤١٣ هـ - وهو الذى أكمل قواعد الخط . واخترع عدة أقلام ، وإليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته كأمين الدين ياقوت الملكى المتوفى سنة ١٦٨ هـ - كاتب السلطان ملكشاه السلجوقى - أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعباؤا بهذا الاصطلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط . الحجازى إلى الآن بنوع من التعديل - واخترع الجليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً تكتب فوق الحروف ، والفتحة ألفاً ، والكسرة ياءً والشدة رأس شين ، والسكون رأس خاءٍ وهمزة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن ، وهاك ترجمة الخطاط المتفنن المشهور .

ابن مقلة

هو الوزير أبو على محمد بن على بن الحسن بن مقلة إمام الخطاطين . وأحد كبار الكتاب البارعين ، أخذ الخط . عن الأحوال المحرر صنيعة البرامكة ، وتم على يديه ويده أخيه الحسن نقل الخط . من الكوفى إلى الشكل المعروف فى زماننا ، وكان ابن مقلة يتولى فى أول أمره بعض أعمال فارس ، ويجبى خراجها ، وتنقلت به الأحوال إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله سنة ٢١٦ هـ ، ثم كاد له أعداؤه عنده فقبض عليه سنة ٢١٨ هـ ، ونفاه إلى فارس ، ثم وزر للراضى فوشى به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل ، ثم أطمعه نحسه أن يكيد لابن رائق ، أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة . فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانه أيضاً ، حتى مات سنة ٢٢٨ هـ ومن قوله فى تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإنَّ البعض من بعض قريب

وقوله :

ما سئمتُ الحياة لكن توثقت بآيمانهم فبانَتْ يميني
بعتُ ديني لهم بدُنْيَاي حتى حرموني دُنْيَاهُمُو بعد ديني
ولقد حطتُ ما استطعت بجُهدِي حفظ. أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانَتْ يميني فبيني

الكتابة الإنشائية في الرسائل الديوانية والاخوانية

كانت كتابة الرسائل في أوائل حكم بني العباس جارية على نظام كتابتها في أواخر عهد بني أمية ، سالكة الطريق التي سلكها عبد الحميد ، وابن المقفع ، والقاسم بن صبيح ، وعمارة بن حمزة ، ونظراؤهم ، من العناية بجعل عبارتها جزلة بليغة متناسقة الوضع والأسلوب ، لا يقصد بها إلا إفهام المعنى الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حجة ، غير منظور فيها إلى زخرف اللفظ. ومحسناته ، وبقيت كذلك بل زادت حسناً وجمالاً ومراعاة لمقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجياً بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب وتقاصر همهم عن استيفاء أدائها لتغلب الأعاجم من الديلم البويهيين والترك السلجوقيين على سلطان الخلفاء في الشرق ، وتغلب البربر على شمالي أفريقية والأندلس في الغرب ، فلم يعد في الملوك والأمراء من يعنيه أمر العربية وبلاغتها ، وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة ، واضمحلال اللغة في الجملة .

الكتاب

كان أكثر كتاب المشرق في هذا العصر ، من سلالة فارسية أو سوادية ، بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين إلى مرتبة الوزارة - وأول من ارتقى إليها هو أبو سلمة الخلال ، وأشهر من

بلغ نفوذه وسلطانه مبلغاً زاحم فيه الخليفة يحيى بن خالد بن برمك . وابناه جعفر والفضل ، ثم محمد بن الزيات في زمن المعتصم ، والواثق ، وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلالة عربية . ومن أشهر كتاب هذا العصر في الشرق : ابن المقفع ، ويحيى بن خالد بن برمك ، وابناه جعفر والفضل ، وإسماعيل بن صبيح . وعمر بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات ، والحسن بن وهب ، وعلى بن الفرات ، وابن مقلة ، وابن العميد . والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمي . والبديع . والصابي . والعماد الكاتب ، والقاضي الفاضل .

ومن أشهر كتابه في الأندلس : ابن شهيد ، وأبو المطرف بن عميرة ، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب .

ابن المقفع

هو محمد بن عبد الله بن المقفع ، أحد فحول البلاغة ، وثاني اثنين مهد للناس طريق الترسل ورفع لهم معالم صناعة الإنشاء ، وأولهما (عبد الحميد) منشوء - نشأ ابن المقفع بين أحياء العرب ، فكان أبوه (دادويه) المقفع الفارسي يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل بني أمية ، وهو على دين المجوسية ثم أسلم في آخر عمره ، وولد له ابنه هذا حوالي سنة ١٠٦ هـ - وسماه (رؤبه) فنشأ بالبصرة وهي يومئذ حلبة العرب ومُنتدى البلغاء والخطباء ، والشعراء فكان لكل ذلك فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه له ، أعظم أثر في تربيته وتهيبته لأن يصير من أكبر كتاب العربية ، وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها ، وأسلم بمحض من الناس وتسمى (عبد الله) وتكنى بابي محمد .

أخلاقه وبلاغته - كان نادرة في الذكاء ، غاية في جميع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس مُتأدباً متعففاً قليل الاختلاط إلا بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه .

وكان أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني إلى بيان غرض وسهولة

لفظ. ، ورشاقة أسلوب ، ولاتوصف بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة ، حيث يقول : (البلاغة هى التى إذا سمعها الجاهل ظنَّ أنه يحسن مثلها) .
ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال :

(أما بعد) فإنَّ أمر الآخرة والدُّنيا بيد الله . هو يدبرهما ويقضى فيهما ما يشاء لا راد لقمضائه ، ولا مُعقب لحكمه ، فإنَّ الله خلق الخلق بقدرته ، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ، لئلا يطمع أحدٌ من خلقه فى خلد الدنيا ، ووقت لكل شئٍ ميقاتٌ أجل ، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليس أحدٌ من خلقه إلا وهو مُستيقنٌ بالموت ، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد ، نسأل الله تعالى خير المنقلب ؛ بلغنى وفاة فلان . فكانت وفاته من المصائب العظام التى يحتسب ثوابها من ربنا الذى إليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا . فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله ، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة ، وجعلهم من المهتدين .

وقد ترجم كتباً عديدة من أشهرها كتاب (كلیلة ودمنة) وقيل : إن هذا الكتاب من وضع ابن المقفع - وهو قول مقبول لا بأس به - وله كتاب (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) و (الدرة اليتيمة) وقتله الى البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ هـ ، لاتهامه بالزندقة ، والكيده للإسلام بترجمة كتب الزندقة .

إبراهيم الصولى

هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، كاتب العراق ، وأشعر أصحاب المقطعات ، نشأ ببغداد ، فتلقى العلم والأدب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر فى حداثته ، فبرع فيه ، وتكسب به ، ورحل إلى العمال والأُمراء يمدحهم ويستميح جدواهم ، ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه

بخراسان ومدحه ، فوهب له عشرة آلاف درهم ، وجعله الفضل كاتباً لأحد قرّاءه وبقي يتنقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز ، فتحامل عليه وزيره ابن الزيات ، فعزله وسجنه بها ، فكتب إليه يستعطفه ، فلم يزد بذلك إلا جفاءً وغلظة ، ثم اطلع الواثق على ذلك فأطلقه وتولى ديوان الضياع والنفقات في خلافة المتوكل ، ومات سنة ٢٤٢ هـ ومن رسائله معزية عن لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

(أما بعد) تولى الله توفيقك وحياطتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك ؛ إن أفضل النعم تلبية بحق الله فيها من الشكر ، وأوفر حادثة ثواباً حادثة أدّى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر ، ومثلك من قدم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مصيبة فأطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين - عفا الله عنه ! - قضاءه السابق والموقع ، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين - أدام الله عزه ! - وتقدير ما يقدم مثله أهل الحجا والفهم ، ما اعتاضه معتاض وقدمه موفق ، فليكن الله عز وجل وما أظعته به ، وقدمت حقه أولى بك من الأمور كلها ، فإنك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته ، يحسن ولا يتك في توفيقك لشكر نعمه عندك .

ابن العميد

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، نشأ شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرع في علوم الحكمة والنجوم ، ونبغ في الأدب والكتابة وابتدع طريقة الشعر المنشور ، حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه ، وتقلد شريف الأعمال في دولتهم - إلى أن تولى وزارة

ركن الدولة سنة ٣٢٨ هـ فساس دولته ووطد أركانها ، وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء ، وكان يشاركهم في كل ما يعلمون إلا الفقه ، وما زال في وزارته محطّ الرحال ، وكعبة الآمال حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٦٠ هـ .

ومن رسائله إلى أبي عبد الله الطبري : كتابي إليك ، وأنا بحال لولم يُنْغصها الشوق إليك ، ولم يرنق صفوها النزوع نحوك ، لعدتها من الأحوال الجليلة ، وعددت حظي منها في النعم الجليلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ، وفي سعيي بنجاح ، ولكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بُعدى عنك ، ويخلو ذرعى مع خلوى منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك ، وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشملي أنسى ، وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك ، وهل تسكن نفس مُتَشَبِّهة ذات انقسام ، وينفع أنس بيت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك ، جعلني الله فداك ، فامتألت سروراً بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك في لفظك .

وما أقرظهما فكل خصالك مقرظ عندي ، وما أمدحهما ، فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقلي .

بقية خلفاء العباسيين

٥٣٠/٥٢٩	المنصور الراشد لله	٣٣٤/٣٣٣	عبد الله المستكنى بالله
٥٥٥/٥٣٠	محمد المقتدى لأمر الله	٣٦٣/٣٣٤	القاسم المطيع لله
٥٦٦/٥٥٥	يوسف المستنجد بالله	٣٨١/٣٦٣	أبو بكر الطائع لله
٥٥٧/٥٦٦	حسن المستضيء بأمر الله	٤٢٢/٣٨١	أحمد القادر بالله
٦٢٢/٥٧٥	أحمد الناصر لدين الله	٤٦٧/٤٢٢	عبد الله القائم بأمر الله
٦٢٤/٦٢٢	محمد الظاهر بأمر الله	٤٨٧/٤٦٧	عبد الله المقتدى بأمر الله
٦٤٠/٦٢٤	منصور المستنصر بالله	٥١٢/٤٨٧	أحمد المستظهر بالله
٦٥٦/٦٤٠	عبد الله المستعصم بالله	٥٢٩/٥١٢	فضل المسترشد بالله

وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقةً لتقديرى فيك ؛ فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بصرى .

الصاحب بن عباد

هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكتابهم ، ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالقان قزوين ، وتعلم العلم والأدب من أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فلزم صُحبته ، وأخذ عنه الأدب ، وتولى له كتابة خاصته ، ثم تنقلب به الأحوال فى خدمة ملوك بنى بويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله فى ملكها اليد المطلقة ، والأمر النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ .

ويعد ابن عباد فى الكتابة ثانى ابن العميد فى حليته ، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس . ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حل من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما ، ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة ، وقد أهدى إلى ابن عباد مُصحفاً :

ألبر ، أدام الله السيد أنواع ، تطول به أنواع ، وتقصر عنه أنواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً ، فتحفة السيد ، إذ أهدى مالاتشاكله النعم ، ولا تُعادله القيم ، كتاب الله وبياناه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله وهُداه وسبيله ، ومعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، طبع دون معارضة على الشفاه وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقى الملوآن .
لائح سراجاه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، وبذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن لا تحصى فى مطولات الأسفار .
فأصِف الخط . الذى بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد فى نخوة الأقلام ، بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه

فُراه ، وحقا أقول إني لا أحسب أحدا ماخلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة ، ولد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها ، وكان ضليعا في كل فن من فنون العربية ، وخاصة الكتابة والشعر ، جاب الأقطار ، ودخل الأمصار من الشام إلى أقصى خراسان ، في استفادة العلم والأدب وإفادتهما ، وكان كثير الحفظ. للشعر غزير مادة اللغة .

وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء - حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور ، وطاب عيشه بها إلى أن مئى في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمداني ومناظرته ومناصلته ، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها ، فانخذل الخوارزمي انخذالا شديداً ، وكسف باله ، ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ .

وكان الخوارزمي ممن يجرى على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخياً جزالة الألفاظ ، مُحْتَفِلاً بصحة المعاني مع ميل فيه إلى الغريب ، وتقدم له كثير من الرسائل .

بديع الزمان الهمداني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع . منشؤه : نشأ بهمدان ، ودرس العربية والأدب ، ونبغ فيهما ، وضرب في الأرض يتكسب بأدبه ، ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمئة مقامة ، بلفظ. رشيق وسجع رقيق ، وعلى منوالها نسج الحريري ، ثم شجربينه وبين

الخوارزمي ما كان سبباً في هبوب ريحه ، وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحسبان أن أحداً يجترى على الخوارزمي .
وبموت الخوارزمي خلا له الجوُّ عند الملوك والأمراء ، فجول في حواضرهم ، ثم استوطن هَـرَاقَة ، وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم باله ، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ٣٩٣ هـ ، وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات المشهورة .

ابن زيدون

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المشهور بابن زيدون، المخزومي الأندلسي ، ولد سنة ٣٥٤ هـ ، ونشأ في مدينة قرطبة ، وتآدب على كبار أئمتها ، وقال الشعر وأجاده ، ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة . اتصل ببني الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف فحظى عنده ومدحه حتى أصبح لسان دولته الناطق ، وحسامها المسلول ، فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور ، فاعتقله ومكث في مَحْبَسِهِ مدة استشفع فيها إليه بقصائد أبدعها ، ورسائل استنفذ فيها جهده ، فما ألانت له قلباً ، فأعمل الحيلة في فراره من سجنه ، وخلص إلى المعتضد ابن عباد ملك إشبيلية إذ كان أشد ملوك الطوائف رغبة ، فيه وأكثرهم تمسكاً بالأدباء . فآلتى إليه مقاليد وزارته ، وأصبح صاحب أمره ونهيه ، ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان له كما كان أبوه ، وأغدى عليه بره ونعمته . ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ .

القاضي الفاضل

هو أبو علي عبد الرحيم البيساني اللخمي ، ولد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ هـ ، وتعلم على أبيه وغيره ، قدم مصر وهو شاب ، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الفاطمية .

وتعم في ديوان ابن حديد قاضي الإسكندرية ، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستقدم أيام الظافر إليها وكان من كتاب ديوانه ، ولازم خدمة أكابر القضاة والكتاب في الديوان وأخذ عنهم ، وحاكاهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسعة اطلاعه ، وذكارة مادته وسرعة بديته ، وصفاء خاطره .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد بين مصر والشام في الحروب الصليبية . ودبر المملكة أحسن تدبير - وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزر لابنه العزيز على مصر ، ثم وزر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ . ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع له في توليته خطابة الكرك وهي :

أدام الله السلطان الملك الناصر وثبته ، وتقبل عمله بقبولٍ صالحٍ وأثبتته ، وأرغم أنف عدوه بسيفه وكتبته .

خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ، ولما نبا به المنزل عنها وقل عليه المرفق منها وسمع هذه الفتوحات التي طبق الأرض ذكرها ، ووجب على أهلها شكرها - هاجر من هجير عيذاب وملحها ، سارياً في ليلة أملٍ كلها نهار فلا يسأل عن صبحها ، وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسّل بالموك في هذا الملتبس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام ، وعن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائل ضعيف ، ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف - والسلام .

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة إلى التدوين قد اشتدت في مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك الإسلام ، فهب العلماء إلى تهذيب ما كتب في الصحف المتفرقة ، وما حفظوه في

الصدور . ورتبوه وبوبوه وصنفوه كتباً ، وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حث الخليفة (أبي جعفر المنصور) عليه ، وحمله الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقه ، ولم يقتصر على مُعاضدة العلوم الإنسانية ، بل أوعز إلى العلماء والمترجمين أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب ، وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده ، حتى زخرت بحور العلم ، واخترعت الفنون ، وتفرعت المسائل ودونت الكتب في كل فن .

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة إلى رواها ، وبعضها يروى بلفظ . أصحابها غالباً كما في الشعر والخطب والرسائل ، وبعضها بلفظ الراوى كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص ، ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم الشرقية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل ، والتفريع والشرح والاختصار ، وجمع الفروع تحت كليات عامة ، فلم يكن للمؤلفين بُد من حذف أسانيد الروايات ، وترك المحافظة على نقلها بلفظها إلا في الحديث ونحوه .

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هي تفسير ألفاظها الأعجمية بالعربية ، ولم تكن ترجمتها جيدة في (عصر المنصور) ثم صُحِّحت ترجمتها في زمن (الرشيد والمأمون) ثم لما أتقن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم ، وكانت أول أمرها بليغة مفهومة ، ثم عموها على بعض الفقهاء المكفرين لهم والمفرين الأُمراء بقتلهم حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والتوحيد أصعب ما يقرأ باللسان العربي .

العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هي الأدب ، والتاريخ ، والعروض ، والنحو ، واللغة ، والبلاغة

علم الأدب — كانت كتبه في أول هذا العصر رسائل يبحث كل منها في ضرب خاص من ضروبه ، كرسائل ابن المقفع ، ورسائل سهل بن هرون : في الأخلاق ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب الشعر للأصمعي ، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة ، وإذا تابعنا من يقول إن ابن المقفع هو الذي ابتدع كتاب (كليلة ودمنة) ونحله الهند والفرس : كان هذا الكتاب أول كتاب ظهر في (الأدب العربي) الخاص بموضوع واحد ، وأول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة : منه كتاب (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) للجاحظ . واقتنى أثره أحمد بن طيفور في كتابه العظيم (المنظوم والمنثور) في أربعة عشر جزءاً ، ثم أبو العباس محمد المبرّد في (الكامل ، والروضة) ، ثم أبو حنيفة الدينوري وأبو بكر محمد الصولي ، وابن قتيبة صاحب (أدب الكاتب) . وابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) ، وأبو علي القالي صاحب (الأمل) ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب (الأغاني) ، وغيرهم ، ومن أشهر المؤلفين في الأدب : الجاحظ . وأحمد بن عبد ربه ، والحري ، وها هي ترجماتهم .

الجاحظ.

هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ. بن بحر محبوب الكنانى البصرى وُلد حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كل فن : ومارس كل علم عُرِفَ في زمانه مما وُضع في الاسلام ، أو نُقل عن الأمم الأوائل ، فأصبح له مشاركة في علم كل ما يقع عليه الحسن أو يخطر بالبال ، فهو راوية متكلم فيلسوف ، كاتب مُصنّف ، مترسل شاعر ، مورخ عالم بالحيوان والنبات والموات ، وصاف لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيلهم — إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقه المعتزلة ، والأدب المزوج بالفلسفة والفكاهة ، وكان غاية في الذكاء ، ودقة الحس ، وحسن الفراسة ،

وكان سمحاً جواداً كثير المواساة لإخوانه ، وكان على دمامة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح فكاه المجلس غاية في الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام - وهو على الجملة أحد أفذاذ العالم وإحدى حُجج اللسان العربي . وأقام الجاحظ . أكثر عمره بالبصرة يعيش معيشة الأدباء والعلماء ، محبوباً لولاتها وأعيانها ، محبوباً منهم بالعطايا والمنح ، بما يُصنّفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم المختلفة - وكان كثير الانتجاع للخلفاء (ببغداد ، وسراً من رأى) حتى فُلج بالبصرة وبقي مفلوجاً مدة إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران (أم الرشيد) سنة ٢٥٥ هـ ، وله أكثر من مائتي كتاب .

أحمد بن عبد ربه

هو أديب الأندلس وشاعرها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي وُلد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربية فنبغ في جميعها وحفظ منها ما لم يحفظه أحد من علماء زمانه ، وقرأ رسائل المحدثين من المشاركة ، وما ترجم من كتب الأوائل في أكثر العلوم ، وأودع زُبدة ذلك في كتابه (العقد الفريد) وكان يشتغل في حديثه بالشعر ، ويجرى في مضمار اللهو والطرب ، ونظم في ذلك من القصائد والمقطعات الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي على صلفه وكبره حين سمع شعره يسميه (مليح الأندلس) ثم أقلع في كبره عن صبوته ، وأخلص لله في توبته . فاعتدَّ أشعاره التي قالها في الغزل واللهو عملاً باطلاً ، وعمل على أعاريضها وقوافيها قصائد في الزُّهد يُعارضها بها ، وسماها (المُمَحَّصات) ونال من خلفاء بني أمية بالأندلس قبولاً ، وحل عندهم في المكان الأسمى ، وبقي بقرطبة رئيساً مسوداً ، حتى فُلج ، وعاش بعد ذلك عدة سنين ، ثم مات بها سنة ٣٢٨ هـ .

الحريري

هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عثمان الحريري البصري ، المولود سنة ٤٤٦ هـ .

الكاتب الشاعر اللغوى النحوى صاحب البدائع المأثورة فى مقاماته المشهورة التى نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الهمذانى . وأنشأ خمسين مقامة ، أتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون الأدب وأمثال العرب وحكمها ، بعبارة مُسجَّعة مُزينة بأنواع البديع ، ولا سيما الجناس ، ترغيباً للطلاب فى حفظ اللغة وأدبها ، وتفكيكها لهم بمطالعتها ، ونحل وقائعها (أبازيد السروجى) وهو أعربى فصيح من سروج ، كان قد قدم البصرة وأعجبه بها علماؤها ، وسمى راويها عنه (الحارث بن همَّام) - يريد نفسه - وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسى ، وله غير المقامات شعر كثير . ورسائل بديعة وكتب فى النحو واللغة [منها كتابه (درة الغواص فى أوهام الخواص) و (ملحة الإعراب فى النحو) وتوفى بالبصرة سنة ٥٢٢ هـ .

فن التاريخ

أول ما وضع فى التاريخ باللغة العربية الكتاب الذى وضعه عُبيدُ ابن شرية لمعاوية ، وفى صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً فى التاريخ بأقسامه التى من أشهرها :

- (١) فن السير والمغازى ؛ وأشهر من ألف فيه من الأوائل : محمد بن إسحاق .
- (٢) فن الفتوح ؛ وأشهر من ألف فيه منهم : الواقدى ، والمدائنى ، وأبو مخنف .
- (٣) فن طبقات الرجال ، وأشهر علمائه : ابن سعد كاتب الواقدى ، والبخارى
- (٤) فن النسب ؛ وأشهر قدماء علمائه : الكلبي ، وابنه .
- (٥) فن أخبار العرب وأيامها ؛ وأشهر علمائه : أبو عُبيدة ، والأصمعى .
- (٦) قصص الأنبياء ؛ وكتب فيه كثيرون .

(٧) تاريخ الملوك ؛ ومن أقدم من كتب فيه : ابن قتيبة الهيثم بن عدى ، وابن واضح اليعقوبى ، ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبرى الجامع كتابه هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية .

وحاكاه بعده ابن الأثير في تاريخه (الكامل) .

العروض والقافية

أول من اخترع علم العروض «الخليل بن أحمد» من غير سابقة نعلم على أستاذ أو تدرج في وضع ، بل ابتدعه ، وحصر فيه أوزان العرب في خمسة عشر بحراً ، وزاد عليه تلميذ تلميذه الأنخفش بحراً آخر ، ثم لم يزد عليهما أحدا يُعتد به .

أما القافية ، فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ، ولكن الخليل هو أول من فصل الكلازم فيها . وجعلها علماً مدوناً .

النحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يُدرّس في المعاهد ، ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به . كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصّرف .

ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه من البصريين أبو عمر ابن العلاء وتلميذه الخليل ، وتلميذ الخليل «سيبويه» الواضع لأول كتاب جامع في النحو ؛ ثم بعده «الأنخفش» شارح كتابه .

ومن الكوفيين : معاذ الهراء ، والرؤاسي ، وتلميذهما الكسائي . وتلميذه الفراء .

علم اللغة

ويسمى «متن اللغة» ونعني به معرفة معاني ألفاظها المفردة ، وأول ما وضع الأئمة فيه رسائل وكتباً صغيرة في موضوعات خاصة ، فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ورتبه على حروف المعجم مقدماً حروف الحلق ، مبتدئاً منها بالعين ، ولذلك سمي معجمه (كتاب العين) ثم ألف أبو بكر بن دريد معجمه العظيم الذي سماه (الجمهرة) مرتباً

على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن ، وأدرك عصر الأزهري فألف كتاب (التهذيب) على ترتيب الخليل ، ثم وضع الجوهري كتابه المسمى (بالصاح) على ترتيب الجمهرة وابن سيده الأندلسي كتابه (المحكم) على ترتيب الخليل ، وابن فارس كتابه (المجمل) والصاحب بن عباد كتابه (المحيط). وهذه هي أصول كتب اللغة وما بعدها من (العياب ، والتكملة ، ومجمع البحرين) للصاغاني ، و (النهاية) لابن الأثير ، و (لسان العرب) لابن مكرم و (المصباح) للفيومي ، و (القاموس) للفيروزابادي ، فهو جمع لها أو اختصار منها .

علوم البلاغة — المعاني والبيان والبديع

أول كتاب دون في علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء ولا يعلم أول من ألف في المعاني بالضبط. ، وإنما أثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ. في (إعجاز القرآن) وغيره ، وأول من دون كتباً في علم البديع ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وقبل ذلك كان البديع يستعمل في الشعر عملاً ، وبقيت هذه العلوم تتكامل ، ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحل البلاغة عبد القاهر الجرجاني فألف في المعاني كتابه (دلائل الإعجاز) وفي البيان كتابه (أسرار البلاغة) وجاء بعده السكاكي فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم) .

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري ، مخترع العروض ومبتكر المعجمات ، وواضع الشكل العربي المستعمل حتى الآن .

ولد سنة مائة هجرية بالبصرة ، ونشأ بها ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه ، وأكثر الخروج إلى البوادي ، وسمع الأعراب الفصحاء ، فنبغ في العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه ، ولقن ذلك تلميذه سيبويه .

ومما يشهد له بحدّة الفكر وبعد النظر ، اختراعه العروض علماً كاملاً ، لم يحتاج إلى تهذيب بعده ، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب « العين » وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال بلهوه ، وزاد في الشطرنج قطعة سماها « جبلا » لعب بها الناس زمناً ، وبقي الخليل مقبلاً بالبصرة طول حياته ، زاهداً متعففاً مكباً على العلم والتعليم — حتى مات في أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٠ هـ . بصدمة في دعامة مسجد ارتج منها دماغه .

سيبويه

هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر — إمام البصريين ، وحجة النحويين . ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة ، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه ، فعيبت عليه لحنة لحنها في مجلس شيخه ، فنجل وطلب النحو ، ولازم الخليل ، وأخذ عن غيره أيضاً ، وكان الخليل يؤثره على أصحابه ، فدون جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يجمع قبله مثله — ولولا هذا الكتاب الذي رواه عنه ، وشرحه تلميذه الأَخفش ، ما كان لسيبويه خبر يشهر لوفاته كهلا ، ولقلة من أخذ عنه هذا الكتاب ، ولأنه لا يعرف له كتاب غيره وبحسبك هو ، ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٨٠ — وسنه نيف وأربعون سنة .

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة — أحد القراء السبعة ، وإمام الكوفيين في النحو واللغة — نشأ بالكوفة ، وتعلم على الكبر بعد لحنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم ، فلازم أئمة الكوفة حتى أنفذ ما عندهم ، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس في حلقاته ، وأعجبه علمه ، فقال له : من أين علمك هذا ؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج إليها ، وأنفذ خمس عشرة قنينة خبر في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ عنهم ، ولما رجع من البادية وجه إليه المهدي فخرج إلى بغداد فحظي عنده ، وضمه إلى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيد مودب ولده الأمين ،

وكان يجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة على كرسيين مميزين بحضرته ، وما زال على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد إلى الرىّ وهما في صحبته فماتا في يوم واحد فبكاهما ، وقال : دفنت الفقه والعربية بالرىّ - وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد - وكان يروى الشعر ، وليس فيه جيد نظر .

العلوم الشرعية

التفسير - لم يُدَوَّن في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية ، وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين المراد من آياته ، وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية ، أو أنشئت في صدرها طبقة سفيان بن عُيينة ، ووکیع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، وإسحاق بن راهويه ، ومقاتل بن سليمان ، والفراء .

كتب الحديث

أول كتاب جمع في الحديث الكتاب الذي أمر الخليفة الأموي « عمر ابن عبد العزيز » بتدوينه ولم يعرف له خبر بعد ، ثم أخذ العلماء يدونون فيه بعض الخليفة أبي جعفر وأولاده ، فدون الإمام مالك « موطأ » ولما اشتدت رغبة الناس في طلب الحديث وضع كثير من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالإسلام كثيرا من الأحاديث ، فتجرد لها الأئمة الأعلام ، وبينوا صحيحها من فاسدها ، كإسحاق بن راهويه وتلميذه محمد بن إسماعيل البخاري الذي دون كتابه في الأحاديث الصحاح فقط . ، وتبعه تلميذه مسلم ابن الحجاج ، والإمام أحمد بن حنبل ، وأصحاب الكتب الستة الصحاح ؛ وهم : الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبخاري ، ومسلم .

هذه هي أصول الكتب الصحيحة في الحديث .

الإمام البخارى

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ؛ إمام المحدثين ؛ وصاحب « الجامع الصحيح » أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤ ؛ ونشأ بها يتيماً فحفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبي وحُبب إليه سماع الحديث ، فكان سماعه من علماء بخارى وهو لم يناهز البلوغ ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ودخل من أجلها أكثر ممالك المشرق ، وأخذ عنه علماءؤها وأئمتها ، ومنهم أحمد بن حنبل ، وتفقه مبدئياً على مذهب الشافعى ، واستخرج كتابه « الجامع الصحيح » من ستمائة ألف حديث ، فى ست عشرة سنة ، جمع فيه تسعة آلاف حديث مكرراً بعضها بتكرار وجوها ، وقال : إني جعلته حجة بينى وبين الله ، فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه ، ومات سنة ٢٥٦ .

علم الفقه

لما كان المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر نص القرآن لا يستوعبان كل أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان ، كان الاجتهاد ضرورياً فى الدين ، وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة روايته بينهم ، وإمامهم فى مذهبهم « مالك بن أنس » وأهل العراق يرجحون الأخذ بالقياس ، وإمامهم فى مذهبهم « أبو حنيفة » لكثرة ما وضعه متزندقه العراق فى الحديث ثم لما دخل أهل الحجاز العراق ، وتساووا الفريقان فى معرفة الحديث عملوا بهما ونشأ من ذلك عدة مذاهب أشهرها (مذهب أبى حنيفة ، ومذهب مالك ، ومذهب الشافعى ، ومذهب أحمد بن حنبل) وهذه المذاهب الأربعة هى التى ارتضاها معظم الأمة فى أمر دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أئمة مجتهدون فيه .

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق ، ولد سنة ٨٠ هـ من سلالة فارسية ، ونشأ بالكوفة ، وعاصر بعض الصحابة ، وأخذ كل علمه عن شافه الصحابة ونقل عنهم واستنبط. فقهه من القرآن الكريم وما صح عنده من الحديث مع استعمال الرأى والقياس ، وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن الكريم ، وأكثرهم ورعاً وتوخياً للكسب من وجه حل ، رضى أن يعيش تاجر خز ، ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء ، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بنى أمية ، ثم المنصور فأبى ، فسجنه وآذاه ، حتى قيل إنه مات فى سجنه ، وكان يعتذر بأنه لا يأتى نفسه أن تزل ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسن ، وأبى يوسف ، وزفر ، ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ .

الإمام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، وسيد فقهاء الحجاز ، وهو عربى من سلالة أقيال حمير ، ولد سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد ، ورحل إليهم وأخذ عنهم ، وما زال يدأب فى التحصيل وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله فى أرضه ، وضرب به المثل ، فقيل : « لا يفتى ومالك بالمدينة » وعرف الخلفاء قدره فأجلوه ، حتى أن الرشيد رحل هو وأولاده إليه بالحجاز ليسمع « موطأه » فسمعه وأغدق عليه .

وكان مالك أول أمره فقيراً ، فلما كثرت منخ الخلفاء له حسن حاله ، فأظهر نعمة الله عليه ووصل أهل العلم وأشركهم فى ماله ، ومنهم « الشافعى » .
وأمّا أخلاقه من حيث الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تجل عن الوصف حتى إنه كان لا يركب دابة في المدينة إجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وتوفي سنة ١٧٩ هـ بالمدينة - ودفن بالبقيع .

الإمام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، عالم قريش وفخرها ، وإمام الشريعة وحبرها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف . ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها فقيراً تربيه أمه ، ويواسيه ذوو قرابته من قريش ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ، ورحل إلى البادية في طلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقه وحفظ (موطأ مالك) وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ثم رحل في هذه السن إلى (مالك) وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام ، وأضافه وخدمه بنفسه ، ثم رجع إلى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين ، ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ ، فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وفي سنة ١٩٩ هـ أو سنة ٢٠٠ هـ خرج إلى مصر وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته ، وبها أتمى مذهبه بجامع عمرو ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل

هو الإمام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني .

ولد ببغداد من سلالة عربية سنة ٢٦٤ هجرية ، فتعلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث ، واختار نيفاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه (المسند) واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأى ، وظهرت في مدته فتنة (خلق القرآن)

فامتحن بها في مجلس المعتصم ليحييهم إلى القول بخلق القرآن ، فلم يفعل ، فضرب حتى أغمى عليه ، وبقي مدة مريضاً ، ثم عُوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد — حتى مات سنة ٢٤١ هـ .

علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظاهر الكتاب والسنة ، وما وقع فيهما من المتشابه ، أو أَوْهم التشبيه المنافي لتنزيه المعبود توقفوا فيه خوف أن يحيد بهم فهمهم في التأويل عن القصد — غير أن ذلك لم يُقنع من دخل في الإسلام فكثرت جدلهم ، واضطر العلماء أن يُعارضوهم ، وساعدتهم الخلفاء ، وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام «التوحيد» فافترق الراضى عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين . فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وُسُموا (الجماعة) أو أصحاب الحديث ، وفرقة اعتزلتها وخالفتها في بعض المسائل وُسُموا (المعتزلة) أو أصحاب العدل ، وجرى رجالُ الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فألف مذهبه الكلامي الذي سُمي بعد بمذهب الأشاعرة : وغلب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة «وبقي كثير منها إلى الآن» ومذاهب الخوارج وبقي منهم إلى عصرنا بقية في الجبل الأخضر من برقة ، وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وببلاد البحرين .

أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين وُلد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها ، وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، وتبعه في الاعتزال ، واحتج له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هداه البحث أخيراً فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ومن

المعتزلة غالباً في نظره . فتوسط . ، وتغيب عن الناس مدة ألف فيها كتبه في نُصرة أهل السنة ، والرد على أكثر عقائد المعتزلة ، وكان شافعي المذهب .
توفي سنة ٣٢٤ هـ وممن نصر مذهب الفخر الرازي ، وقاربه في مذهبه القاضي أبو منصور الماتريدي .

الإمام الغزالي

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي ، حجة الإسلام ، ولد سنة ٤٥ هـ ونشأ بطوس وتعلم بها مبادئ العلوم ، ثم رحل إلى نيسابور ، ولازم إمام الحرمين الجويني ، وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق ، فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر مُتَكَلِّمِي الأشاعرة وفقهاء الشافعية ، ولما مات الجويني ذهب إلى بغداد ولقي الوزير نظام الملك صاحب المدرسة النظامية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم ، وأقر له فحول العراق بالفضل ، فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات - ثم حجَّ وذهب إلى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها ثم دخل مصر وأقام بالإسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس ، واشتغل بتأليف الكتب الجليلة وفي مقدمتها كتاب « إحياء علوم الدين » ثم ألزم التدريس بنيسابور ، ثم عاد إلى وطنه حيث أمضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر ، حتى مات بالطابران قصبة طوس سنة ٥٠٥ هـ .



نشأة العلوم الكونية المنقولة

وترجمتها وأشهر المترجمين والمشتغلين بها

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أربعة علوم : المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والإلهيات ، وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة ، والكيمياء . وفن المواليذ الثلاثة ، والطب والصيدلة والفلاحة .

وتشمل الرياضيات : علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات (الميكانيكا) علم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن متعلقاته علم الجغرافيا الرياضية ، ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق وفنون الموسيقى .

وتشمل الإلهيات : علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدرجات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجنّ والملائكة ، ونحو ذلك . وهذه العلوم فطرية في الإنسان من حيث إنه متفكر متمدين لا تختص بها أمة دون أخرى ، فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذات حضارة ولذا ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية ، واستقدم « المنصور العباسي » كثيراً من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطبّ والفلك والسياسة .

ولما جاء عصر المنصور فتر أهرُ الترجمة إلى زمن الرشيد والبراهمة فتحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ؛ وصححو بعض ما ترجم زمن المنصور . ثم جاء عصر (المأمون) فزخرت بحور الترجمة ، وبعث إلى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة والحجاج ابن مطر ، وحُنين بن إسحاق ؛ فاختروا كتباً حملوها إلى بغداد وترجمت ، وتعلمها الناس وصححو أغلاطها ، واستدركوا عليها ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في هذه العلوم كلها ؛ وظهر بينهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحقُ فلاسفة اليونان ومن هؤلاء فيلسوف الإسلام والعرب (أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح الكندي) وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي ؛ وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضي هذا العصر : وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة ؛ ومحمد بن موسى الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ومذيع الحساب

الهندي بين العرب ؛ ثم ذهب طورُ الترجمة والتصحيح وتلاه طورُ التأليف والتكميل والاختراع فأتى به بالعجب العُجاب أبو نصر محمد بن طرخان الفاراني الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون ؛ والتي استنبط. الأفرنج بحكاياتها آلة المعزف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وأبو بكر محمد ابن زكريا الرازي الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة ١٦٤ هـ ، والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الفلكي الرياضي المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . وكان لدولة الفواطم في مصر اشتغال بهذه العلوم ، فاشتهر في دولتهم في الفلك والرياضيات ابن يونس ، وفي الطب ابن رضوان وغيرهما .

ولم يُعن أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق ، وأشهر من نبغ منهم فيها أبو الوليد القاضي أحمد بن رُشد ، وأبو القاسم الزهراوى ، ومن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبس أهل (أوروبا) كثيراً من أصول مدنياتهم الحاضرة .

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء ، والقواد سوقٌ نافقة ، حتى عند روساء الأعاجم من الديلم والترك ، ودام كذلك إلى انتهاء الدولة العباسية ، وهذه العناية العظيمة بل وكثرة قائله تفنن الناس وأدخلوا عليه فنوناً لم تُعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعبد به ، وتشكل أسلوبه ، وتنوعت معانيه بما يُطابق أغراض استعماله .

ولم يقتصر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ، ومن سلاسل العرب بالأمصار الأخرى ، غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالي مثل بشار ، وأبي نواس ، ومسلم ، وأبي العتاهية ، وابن الرومي .

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام ، والبحتري ، وابن المعتز ، والمتنبي

وأبو فراس وأبو العلاء المعري ، وابن هاني الأندلسي ، والشريف الرضي :

(١) بشار بن برد

هو أبو معاذ بشار المرعبي بن برد ، أشعر مخضرمي الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ومهد طريق الاختراق والبديع للمتفنين ، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة فنشأ بشار فيهم ، واختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة ، حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر ، وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، لا يألف ولا يؤلف .

شعره : قد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع ، وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء ، وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين . وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة ، حتى عد شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ، ومجازاً يعبر عليه الشعر من مرابع البداوة إلى مقاصير الحضارة ومات مقتولاً سنة ١٦٧ هـ ، ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح قوله :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كفٍّ أمسك الغلُّ أختها وما خير سيفٍ لم يؤيد بقائم
وخلُّ الهويني للضعيف ولا تكن نؤوماً فإن الحرَّ ليس بنائم

وقوله :

ظلُّ اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عللٌ زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تُعطى القليل ولم تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنعك قلته فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمود
وقال :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تُعاتبه
فعض واحداً أو صلّ أخاك فإنه مُقارفُ ذنب مرةً ومُجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
وقال :

خليلى إن المال ليس بنافع إذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنْتُ إذا ضاقت على محلة تيممتُ أخرى ما على مضيق
وما خابَ بين الله والناس عامل له في التقى أو في المحامد سوق
وما ضاق فضلُ الله عن متعفف ولكن أخلاقَ الرجال تضيق

(٢) أبو نواس

هو أبو الحسن بن هانئ، الشاعر المتفنن، والجاد الماجن، وصاحب الصيت الطائر، والشعر السائر. ورأس المحدثين بعد بشرار، وهو فارسي الأصل، ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ، ونشأ يتيمًا، فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده؛ فتعلم العربية ورغب في الأدب، فلم تعبأ أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن معانة الشعر، إلى أن صادفه عند العطار (والبة ابن الحباب) الشاعر الماجن الكوفي. في إحدى قدماته إلى البصرة، فأعجب كل منهما بالآخر، فأخرجه والبة معه إلى الكوفة فبقي معه ومع ندمائه من خلعتها؛ وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعاً. وقدم ببغداد فبلغ خبره (الرشيد) فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنانة، ثم انقطع إلى مدح محمد الأمين الخليفة العباسي، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيزه فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد عام ١٩٨ هـ وكان أبو نواس جميل الصورة، فكه المحضر، كثير الدعابة، حاضر البديهة، متيناً في اللغة والشعر والأدب..

شعره : أجمع أكثر علماء الشعر ونقدته وفحول الشعراء على أن (أبا نواس) أتمتع المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفنناً وأبدعهم خيالاً ، مع دقة لفظ ، وبديع معنى وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر ، وامتاز بقصائده الخمريات ، ومقطعاته المجونيات ، وأراجيزه الطرديات (أقواله في تبكيه إلى الصيد ومطاردته) وكان شعره ليقاح الفساد ، والقذوة السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى الذكر ، وإبداعه وصف الخمر ، فكان نموذج سوء لمن تأخر ، ومن ذلك قوله :

دَعْ عَنْكَ لَوِي فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاءٌ وداوْنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
صفراءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سِرَاءُ
رَقَّتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى مَا يِلَاثُهُمَا لَطَاقَةٌ ، وَجِفا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ
فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لِمَازَجَهَا حَتَّى تُولَدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ
ومن قوله لما حضرته الوفاة :

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمْتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يَكُونُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرِمُ ؟
أَدْعُوكَ رَبٌّ كَمَا أَمَرْتُ تَضَرُّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ ؟
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلَ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

(٣) مسلم بن الوليد

هو صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصارى ، أحد الشعراء المفلقين ، قال الشعر في صباه ، ولم يتجاوز به الأمراء والروساء ، مكتفياً بما يناله من قليل العطاء ، ثم انقطع إلى يزيد بن يزيد الشيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة (هارون الرشيد) ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ، ولما أصبح الحل والعقد بيد ذى الرياستين (الفضل بن سهل) وزير المأمون في أول خلافته قرّبه وأدناه وولاه أعمالاً بجرجان ، ثم الضياع

بأصبهان ، واكتسب منهما مئآت الألوف وأنفقها في لذاته وشهوته ، ولما مات
الفضلُ لزم منزله ونسك ، ولم يمدح أحداً حتى مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .
شعره : أول من تكلف البديع في شعره ، واستكثر منه في قوله :
ومزجَ كلام البدويين بكلام الحضريين ، فضمَّه المعاني اللطيفة ، وكساه
الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحضريين .

ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلبى :

نفسى فداؤك يا داؤد إذ علقْتُ أيدي الردى بنواصى مضمرِ القودِ
تجود بالنفس إن ضنَّ الجواد بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ
وقوله :

دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهرُ مما كان أعطاني
ما كنت أدخرُ الشكوى لحادثة حتى ابتلى الدهر أسرارى فأشكاني
(٤) أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد ، أطلعُ أهل زمانه شعرا ،
وأكثرهم قولاً ، وأسهلهم لفظاً ، وأسرعهم بهيئةً وارتجالاً ، وأول من فتح
للشعرَاء باب الوعظ . والتزهيد في الدنيا ، والنهى عن الاغترار بها ، وأكثر
من الحكمة .

وُلِدَ بعين التمر قرب الأنبار سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ بالكوفة في عمل أهله
وكانوا باعة جرار ، إلا أنه رباً بنفسه عن عملهم ، وقال الشعر في صباه ،
وامتزج بلحمه ودمه ، فذاع صيته وسلك طريق خلعاء الكوفة ، ثم قدم بغداد
ومدح المهدي ، ثم عرضت له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر ، حتى حبسه الرشيد
لعدم تلييته ما اقترحه عليه من القول فيه ، ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته ،
وعاد إلى قول الشعر على عادته ، وترك الغزل والهجاء ، وبقي على ذلك مدة
الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون ، حتى مات سنة ٢١١ هـ ببغداد

شعره : يمتاز بالسهولة المتناهية بالنسبة لأهل عصره . ومن قوله يمدح المهدي :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرَ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تَعْطِهِ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
وَإِنْ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَغْضٍ (لَا) إِلَيْهِ لِيُبْغِضَ مِنْ قَالَهَا

وكتب على البديهة في ظهر كتاب :

أَلَا إِنَّا كُلْنَا بَائِدٌ وَأَيْ بَنَى آدَمَ خَالِدٌ
وَبَدَّوْهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلَّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدٌ
فِيَا عَجِبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهِ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَ وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

(٥) أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي . أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت
بذكرهم الركبان ، وخلد شعرهم الزمان ، ثانيهم البحتري ، وثالثهم المتنبى .

وُلِدَ مِنْ سُلَالَةٍ عَرَبِيَّةٍ سَنَةَ ١٩٠ بِقَرْيَةِ جَاسِمٍ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَنُقِلَ
صَغِيرًا إِلَى مِصْرَ ، فَنَشَأَ بِهَا فَقِيرًا وَكَانَ يَسْقِي الْمَاءَ بِالْجَرَّةِ فِي جَامِعِ عَمْرٍو .
وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ وَحَفِظَ مَا لَا يَحْصَى مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ وَنَبِغَ فِي قَوْلِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
مَقَرِّ الْخِلَافَةِ فَمَدَحَ الْمُعْتَصِمَ وَحَظِيَ عِنْدَهُ ، وَمَدَحَ وَزِيرَهُ مُحَمَّدَ بْنَ الزُّيَّاتِ ،
وَالْحَسَنَ بْنَ وَهْبٍ ، الَّذِي وَلَاهُ بَرِيدَ الْمَوْصِلِ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٢٣٢ هـ .

شعره : يعد أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين انتهت إليه معاني
المتقدمين والمتأخرين ، وظهر والدنيا قد مُلئت بترجمة علوم الأوائل وحكماتها

من اليونان والفرس والهند ، فحُصِفَ عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها ، وهو الذى مهد طريق الحكم ، والأمثال للمتنبى وأبى العلاء وغيرهما ، ولذلك كان يقال : إن أبا تمام والمتنبى حكيمان ، والشاعر هو البحتري .

وأجاد أبو تمام فى كل فن من فنون الشعر ، أما مراثيه فلم يعلق بها أحد جاش صدره بشعر ، وأشهرها القصيدة التى رثى بها محمد بن حميد الطائى ، ومنها :

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدح الأمرُ	فليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذرُ
تُوفيت الآمالُ بعد محمدٍ	وأصبح فى شغل عن السفر السفرُ
وما كان إلا مالٌ مَنْ قَلَّ مالهُ	وذخراً لمن أَمسى وليس له ذخِرُ
وما كان يدرى مُجتدى جُود كفه	إذا ما استهلكت أَنه خُلِق العسرُ
ألا فى سبيل الله مَنْ عَطَلت له	فِجَاج سبيلِ الله وانثغر الثغرُ
فتى كلما فاضت عيون قبيلة	دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكرُ
فتى دهره شطران فيما ينوبه	ففى بأسه شطرٌ وفى جوده شطرُ
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة	تقوم مقام النصرِ إن فاته النصرُ
وما مات حتى مات مَضْرَبُ سيفه	من الضرب واعتلت عليه القنا السمرُ
وقد كان قوت الموت سهلاً فردّه	إليه الحِفاظُ المرُّ والخلقُ الوغرُ
ونفسٌ تعاف العارَ حتى كأنما	هو الكفر يوم الرُّوع أو دونه الكفرُ
فأثبت فى مستنقع الموتِ رَحْلُهُ	وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ
عَدَا غَدْوَةً والحمد نسج رِداءه	فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
تردَّى ثيابَ الموت حمراً فما دجا	لها الليل إلا وهى من سندس خضرُ

(٦) البحتري

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى — أشعر الشعراء بعد أبى نواس .

وُلد سنة ٢٠٦ هـ بناحية منبج في قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين في شواطئ الفرات ، ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحةُ العرب ، ولازم وهو فتى أباً تمام وعليه تخرج ، ثم خرج إلى العراق وأقام في خدمة (المتوكل والفتح ابن خاقان) محترماً عندهما إلى أن قتلا في مجلس كان هو حاضره ، فرجع إلى منبج بين أعراب طيء ، وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد ، وسراً من رأى ، حتى مات سنة ٢٤٨ هـ .

وكان على فضله وفصاحته من أبخل خلق الله وأقدرهم ثوباً ، وأكثرهم فخراً بشعره ، حتى كان يقول إذا أعجبه شعره : (أَحْسَنْتُ والله !) ويقول للمستمعين : ما لكم لا تقولون أحسنت . والكثير على أنه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر منه .

شعره : كله بديع المعنى ، حسن الديباجة ، صقيل اللفظ . سلس الأسلوب كأنه سيلٌ ينحدر إلى الأسماع محموداً في غرض سوى الهجاء ، ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي ، واعتبروا أمثال أبي تمام والمتنبي والمعري حُكماء ، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنى بها في زمنه من شعره المطبوع في ديوان حافل . ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ، ويصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر :

بالبر صُمت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضية تَفْطُر
فانعم بيوم الفطر عيداً إنه	يوم أغرُّ من الزمان مُشْهَر
أظهرت عز المُلْك فيه بجحفل	لجب يُحاط الدين فيه ويُنصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت	عُدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى	والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تُميد بثقلها	والجوُّ معتكر الجوانب أخبر

والشمس طالعةٌ توقد في الضحى طوراً ويُطفئها العجاج الأَكدر
حتى طلعت بِضوءِ وجهك فانجلت تلك الدُّجى وانجاب ذاك العشير
فافتنَ فيك الناظرون فإضبع يومى إليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم الله التي لا تُكفر
ذكروا بطلعتك النبيَّ فهللوا لما طلعت من الصفوف وكَبَروا
حتى انتهيت إلى المصلى لابساً نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشيةً خاشعٍ متواضع لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو أنَّ مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر
أبديت من فصل الخطاب بحكمة تُنبئ عن الحق المبين وتخبر
ووقفت في بُردِ النبيِّ مذكراً بالله تنذِرُ تارةً وتبشِّرُ

(٧) ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح الرومي مولى بنى العباس ،
الشاعر المكثّر المطبوع ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعاني
المخترعة ، والأهاجى المقدّعة .

وُلد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ونشأ بها ، وأقام كل حياته بها ، وكان كثير
التطير جدّاً ، وكان القاسم بن عُبَيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وفلتات
لسانه ، فسلط عليه من دس له السم في الدسم إلى أن مات سنة ٢٨٣ هـ ببغداد .
شعره : قال الشعر في كل غرض ، ولا سيما الوصف والهجاء ، ونَبَغَ
في الشعر نبوغاً لم يقصر به كثيراً عن درجة البُحتري ، وربما فاقه في
اختراع المعاني النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ، ووضعها
في أحسن قالب ، ومن جيد قوله :

... وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءه .
لو لم يُقدّر فيه بُعد المستقى عند الورود لما أطال رِشائه

(٨) ابن المعتز

هو أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي أشعر بني هاشم وأبرز الناس في الأوصاف والتشبيهات .

ولد سنة ٢٤٩ هـ في بيت الخلافة وتربى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرد وشعلب ومهر في كل علم يعرفه أئمة عصره ، وفلاسفة دهره ، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتابها ، وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة ، خشية أن يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك ، وولوا المقتدر صبياً ، ثم حدثت فتن عظيمة ، فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة فلما رأى غلمان المقتدر أن الأمر سيخرج من أيديهم تآمروا على قتله ، وخنق من ليلته سنة ٢٩٦ هـ ، وشعره سهل العبارة مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع ، يعرف فيه نصرة النعيم .

(٩) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، وخاتم الثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في محلة كندة ، ونشأ بها ، وأولع بتعلم الشعر من صباه وخرج إلى بادية بني كلب فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظم شأنه بينهم ، حتى وشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدي بآن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب ، وتبعه منهم خلق كثير ، ويعشى على ملك الشام منه ، فخرج لؤلؤ إلى بني كلب وحاربهم ، وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه .

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له ، ثم تكسب بالشعر مدة انتهت بلحاقه بسيف الدولة بن حمدان ، فمدحه بما خلد اسمه أبدا الدهر .

ثم قصد كافورا الإخشيدى أمير مصر ومدحه ، ووعد كافور أن ينقلده إمارة أو ولاية - ولكنه لما رأى تغاليه في شعرة وفخره بنفسه عدل عن أن يوليه ، وعاتبه بعضهم في ذلك فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أما يدعى المملكة بعد كافور ؟ فحسبكم - فعاتبه أبو الطيب واستأذنه في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ ، وخرج منها يريد الكوفة ، ومنها قصد عضد الدولة بن بويه بفارس فأرأى ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد إلى بغداد ، وخرج إلى الكوفة فخرج عليه أعراب بنى ضبة وفيهم فاتك بن أسد وكان المتنبي قد هجاه هجاء مقذعاً ، فقاتلهم قتالا شديداً حتى قتل المتنبي وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ هـ .

شعره : لا خلاف عند أهل الأدب في أنه لم يبلغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ شأوه أو دانه ، والمعرى على بعد غوره ، وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبى الطيب ويقدمه على نفسه وغيره ، ويؤخذ هذا من قوله :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة	فلا تظن أن الليث يبتسم
أعيدها نظرات منك صادقة	أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
أنا الذى نظر الأعشى إلى أدنى	وأسمعت كلماتي من به صمم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره	إذا استوت عنده الأنوار والظلم
يا من يعز علينا أن نفارقهم	ووجدنا كل شئ بعدكم عدم
إن كان سركم ما قال حاسدنا	فما لجرح إذا أرضاكم ألم

وبيننا لو رَعَيْتُمْ ذاك مترفة
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
إذا تَرَحَّلْت عن قوم وقد قدرُوا
ألا نُفارقهم فالرَّاحلون هُم
وقوله :

ذو العَقْل يَشْقَى في النعيم بعقله
لا يخدعَنَّكَ مِنْ عدُوٍّ دمعُه
لا يسلم الشرف الرَّفِيع من الأذى
والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ومن البليَّة عدل من لا يروعِي
ومن العداوة ما ينالُكَ نفعه
وقوله :

ما كنت أحسب قبل دَفْنِكَ في الثرى
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى
خَرَجوا به والكُلُّ بالك حَوْلَه
حتى أَتوا جدثاً كأنَّ ضريحه
كفل الثناء له بردٌ حياتِه
لما انطوى فكانه منشور
أن الكواكبَ في التراب تمور
رضوى على أيدي الرجال يسير
صعقات موسى يَوْمَ دَكَّ الطور
في كلِّ قلبٍ مُوجدٍ محفور
لما انطوى فكانه منشور

(١٠) ابن هانيء الاندلسي

هو القاسم محمد بن هانيء الأزديُّ الأندلسي ، شاعر المغرب ومتنبيّه ، ولد
بإشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولما نبه شأنه اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر
الأموي ، ومدحه بغرر القصائد ، فأحله منزلة سنية ، وأغدق عليه العطايا ،
هأكب على اللهو والطرب والاستهتار ، واتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بالفلسفة .
ولما شاع ذلك عنه نقم عليه أهل إشبيلية ، وأشركوا عاملها في التهمة «

وكادوا يهيمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية ، فاجتاز البحر إلى عدوة المغرب ، ومدح ولاته من قبل المعز الفاطمي ، ثم نوى خبره إلى المعز فوجه في طلبه ، فوفد عليه بإفريقية ، ومدحه فاصطفاه واتخذته شاعر دولته .

ولما فتح جوهر مصر ، وبني القاهرة ، ورحل إليها المعز ليتخذها دار ملكه شيعه ابن هاني ، ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه ، ولما وصل إلى برقة مات بها سنة ٣٦٢ ، وعمره ٣٦ سنة .

شعره : لم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا بر المغرب جميعه من يفوق «ابن هاني» في صناعة الشعر أو يساويه ، فقد كان عندهم في الشهرة والإجادة

وشرف الشعر بمنزلة المتنبي عند المشاركة ، ومن قوله في وصف الخيل :
وصوَاهِلُ لا الهَضْبُ يوم مُغارها هَضْبُ ولا البِيدُ الحزُونُ حَزُونُ
عُرِفَتْ بساعة سَبَقها لا أَنها عَلَقَتْ بها يوم الرهان عُيُونُ
وَأَجَلُ عِلْمِ البَرَقِ فيها أَنها مَرَّتْ بجانحتيه وهي ظَنُونُ
ومن قوله الموهم الكُفْر في مطلع قصيدة يمدحُ بها المعزُ :

ما ثَبَّتْ لا ما شَاءَتْ الأَقْدَارُ فاحْكُمُ فَأَنْتَ الواحِدُ القَهَّارُ

(١١) أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي ، الشاعر الفيلسوف ولد بمَعْرَةَ النعمان سنة ٣٦٣ ، وجُدِر في الثالثة من عمره فكُفَّ بصره ، وتعلم على أبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة واحدة ، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة ، ودخل بغداد ، وأقبل عليه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ إقبالا عظيما ثم جفاه ، ولما رجع إلى المعرة أقام ولم يبرح منزله ، ونسك . وسمى نفسه رهين الحبسين : (محبس العمى ، ومحبس المنزل) وبقى فيه مكباً على التدريس والتأليف ، ونظم الشعر مُتَمَتِّعاً بعشرات من الدنانير في العام يستغلها من عقار له مجتنباً أكل الحيوان وما يخرج منه مدة ٤٥ سنة مكْتَفِياً

بالنبات والفاكهة والدُّبْس ، متعللاً بأنه فقير ، وأنه يرحم الحيوان . وعاش عزباً وعمرَ إلى أن مات سنة ٤٤٩ من الهجرة بالمعرة وأوصى أن يُكتب على قبره :

هذا جنّاهُ أبى عــــلى وما جَنَيْتُ على أحد

شعره : وله كثيرٌ من الشعر يُناقض بعضه بعضاً في حقيقة العالم والشرائع والمعبود ، وللناس في اعتقاده أقوال كثيرة ، والظاهر أنه كان شاكراً متحيراً ، وهو أحكم الشعراء بعد المتنبي ويُفضل عليه في الغريب والأخيلة الدقيقة والطبيعيات والاجتماعيات والأخلاق ، والقوانين ونظام الحكومات ، والفلسفة والشرائع والأديان ، ولذلك يفضلهُ الإفرنج عليه ، وهو في هذه الأمور معدوم النظير ، ومن مراثيه الجيدة قوله :

غير مُجدٍ في مِلَّتِي واعتقادِي نوحُ باكٍ ولا ترنم شادٍ
وشبيةٌ صوتُ النعي إذا قيــــسَ بصوت البشير في كل نادٍ
أبكتُ تلكمُ الحمامة أُمَ غَنّــــتْ على فرع غُصْنِها الميادِ
صاح هذه قبورنا تملأُ الرّحــــبُ فأين القبور من عهد عادٍ
خفف الوطء ما أظن أديمَ الأرــــض إلا من هذه الأجسادِ
وقبيح بنا وإن قدم العهــــدُ هوانُ الآباء والأجدادِ
سر إن اسطعت في الهوائِ رويداً لا اختيلاً على رُفَاتِ العبادِ
ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضدادِ
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآبادِ
فاسأل الفرقدين عمن أحسّا من قبيل وآنسا من بلادِ
كم أقاما على زوال نهار وأناراً لمديح في سوادِ
تعبٌ كلها الحياة فما أعجــــبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ
إن حُزنًا في ساعة الموت أضعا ف سرورٍ في ساعة الميلادِ
خلقِ الناس للبقاء فضلتُ أمة يحسبونهم للنفاذِ

إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لٍ إِلَى دَارٍ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الْجَسْمُ فِيهَا وَالْعِيشُ مِثْلُ السَّهَادِ

ومنها :

بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ
وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ
فَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مِنْ لَيْسَ يَغْتَرُّ بِكَوْنِهِ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

وله :

ضَحِكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً وَحَقٌّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنَّ يَبْكُوا
تُحِطُّنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّهَا زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

(١٢) ابن خفاجى الأندلسى

هو أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَفَاجَى (شاعر شرقى الأندلس)
وأشهرُ وُصَافِ الطَّبِيعَةِ . ولد بعزيرة شقر من أعمال بلنسية شرقى الأندلس
سنة ٤٥٠ هـ ، فتعلم ونظم الشعر ، وكتب الرسائل الإخوانية البليغة ، وما زالت
شمس أدبه فى صعود حتى صار واحد زمانه فى الأندلس ، وغلب على شعره
وصف الحوادث الجوية ، ومناظر الطبيعة بأخيلة جميلة وتشبيهات بديعة .
وله غزلٌ رقيقٌ ، ومدحٌ بارعٌ ، ورثاءٌ بليغٌ .

شعره : يمتاز بالجزالة وكثرة المعانى وازدحامها فى اللفظ . حتى يحتاج
فى فهمها إلى التأمّل على خلاف مذهب الأندلسيين . وتوفى سنة ٥٣٣ هـ .

ومن قوله يصف زهرة :

وَمَائِسَةٌ تُرْهِى وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا عَلَيْهَا حُلَى حُمْرًا وَآرِيَةً خُضْرَا
يَذُوبُ لَهَا رَيْقُ الْغَمَائِمِ فِضَّةً وَيَجْمَدُ فِي أَعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرَا

وقوله :

يَا أَهْلَ أَنْدَلَسِ لِلَّهِ دَرَكُم مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ

ما جنةُ الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذى كنتُ أختارُ
لا تحسبوا بعد هذا أن تدخلوا سقرًا فليس تدخلُ بعد الجنة النارُ
وقال في ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى :

درسوا العلوم ليملكوا بجدهم فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذ مال مساجدٍ وكنائس
(١٣) الطغرائى (١)

هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن محمد الطغرائى ، صاحب (لامية العجم) وهو أصبهانى الأصل ، برع في الكتابة والشعر حتى كان أُوحد زمانه ، ولم ينبغ بعده في الشرق من يُضاهيه ، وترقّت به الحال في خدمة سلاطين آل سلجوق إلى أن صار وزيراً للسلطان مسعود بن محمد السلجوق صاحب الموصل ، ولما قهره أخوه السلطان محمود كان أول من اعتقل الوزير أبو إسماعيل الطغرائى ، فدسّ بعض حسدته من رؤساء الكتاب إلى السلطان محمود أنه ملحد ، فقتله ظلمًا سنة ٥١٣ هـ .
ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عيون الشعر ، وقد كان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ هـ .

(١٤) البهاء زهير

هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن على المهلبى الأزدي المصرى ، صاحب السهل المتنع ، والغزل الرقيق ، والعتاب الرفيق . ولد بوادى نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ، ونشأ بمصر ببلدة قوص ، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخرج معه في خدمته إلى بلاد الشام والجزيرة ، فلما نكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانصوائهم إلى ابن عمه الملك

(١) الطغرائى من يكتب الطغراء (وهى الطرة) وكانت تكتب في الدولة السلجوقية فوق البسملة بخط معلق فيها نعوت السلطان والقابله .

الناصر ، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله ، حفظ البهاء عهد صاحبه ، ولم يخدم غيره ، وأقام بنابلس حتى استردَّ الصالحُ ملك الديار المصرية فقدم إليها في خدمته ، واتخذهُ وزيراً - حتى مات بوباء في شوال سنة ٦٥٦ هـ .
شعره : كانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره الذي هو أسهل نظماً ولفظاً .
الرواية والرواة

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية ، واختص كل فريق من الناس برواية شيء - فلما دُوِّنت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه فيها ، وأخذ أمر الرواية يضمحل شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم ، ولا سيما الأدب ثم اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء - ولكل رواية مشهورون .
وأما رُواة الأدب والشعر خاصة فاشهرهم « حماد » الراوية الكوفي (وخلف الأحمر البصري) وأبو عمرو الشيباني الكوفي ، والسكري البغدادي .
ومن رُواة الأدب بجميع فنونه لغة وشعراً وأخباراً - أبو عمر بن العلاء وأبو عبيد معمر بن المثنى ، والأصمعي ، وأبو زيد الأنصاري ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وغيرهم ؛ وهاك ترجمة أشهرهم في الرواية :
الأصمعي

هو شيخ رُواة الأدب ، الإمام الثبت الحجة الثقة التقى ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي البصري .
ولد سنة ١٢٣ هـ - ونشأ بالبصرة ، فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة ، وأخذ عن فصحاء الأعراب ، وأكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وتعلم من (خلف الأحمر) نقد الشعر ومعانيه ، وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة : إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة ، فقال له رجل : منها البيت والبيتان ، فقال : ومنها المائة والمائتان ، وعمر حتى أدرك زمن « المأمون » وأراد وزيره أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن ، ومات سنة ٢١٦ هـ ، وله مؤلفات كثيرة

العصر الرابع عشر : الدول المتتابعة التركية ٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لما اكتسح التتار مملكة الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا وشرق أوروبا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا ، وشرعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم ، وترغيبهم في التأليف ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العُجْمَة منهم ، أما علوم العربية وآدابها فلم يكن لها مَبَاة ترجع إليه إلا البلاد العربية كالشام ومصر ، غير أن اللغة التركية العثمانية أصبحت هي اللغة الرسمية للأعمال الديوانية والسياسية في جميع الممالك العثمانية ، فزاحمت اللغة العربية ودخلت في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية .

النشر - لغة التخاطب

كادت تحل محل اللغة العامية العربية (في أعلى الجزيرة وشرق العراق) اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشيء من الألفاظ العربية . أما في بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع لغلبة العناصر العربية فيها ، ثم أخذت العناية بها في الانحطاط

الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجمع والأعياد ، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات ، وبقيت لغة الخطابة اللهجة العربية وحدها ، أو مع الترجمة إلى الأعجمية .

الكتابة ، الكتابة الخطية

درج الخط . في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة ، وابن البواب وياقوت الملوكي ، وياقوت المستعصمي ، واستعملت فيه أكثر أنواعه ، وما زال

الخط. يجرى في مضماره ، حتى قبض على عنانه مُتكسبو الترك العثمانيين ، فأبدعوا في تحسينه مما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق ، ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسي إمام الخطاطين العثمانيين ، وجلال الدين ، ودرويش علي ، والحافظ. عثمان المتوفى سنة ١١١٠ هـ .

الكتابة الإنشائية - كتابة الرسائل

اتبعت في كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقة القاضي الفاضل التي أساسها المعاني الخيالية ، والتزام السجع والمحسنات البديعية ، وعُضد هذه الطريقة من كتاب هذا العصر - شهاب الدين محمود الجلي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ - ومحيي الدين بن عبد الظاهر وابن فضل الله العمري وأولاده ، وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك ، وصدر حكومة العثمانيين ، ولما غلبت التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر والأمصار أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال .

الكتاب

(١) القاضي محيي الدين عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري ، ولد سنة ٦٢٠ هـ ، ورباه والده ، وبرع في كتابة الرسائل ، سلكا طريقة القاضي الفاضل ، وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه ، وبعض أيام المنصور قلاوون ، ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الله من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذي ظل مرعياً في مصر والشام حتى نسخه النظام التركي العثماني ، وتوفي سنة ٦٩٢ هـ ، وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن في تعزيزه على موت ابنه ، ويظهر التجلد على فقده :

ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، لا نأسف معه على فائت ، ولا نأسى على مفقود ، وإذ علم الله (سبحانه وتعالى) حسنُ الاستنابة إلى قضائه ، والاستكانة إلى عطائه ، عوض كلَّ يوم ما يقول المبشر به ، هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغلظ. أكباداً ممن له قلب ، لايبالى بالصددمات كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقرت أو جلت ، ولا بالأزمات إن هى توات أو تولت . ولا بالجفون إن ألفت ما فيها من الدموع والهجوع وتخلت ، ويخافُ من الدهر من لاحتب أشطره ، ويأسفُ على الفائت من لايأت الخطوب الخطرة ؛ على أن الفادح يموت الملك الصالح (رضى الله عنه) وإن كان منكباً ، والنافع بشجوه ، وإن كان مبكياً ، والنائح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسف مذكياً ، فإن وراء ذلك من تثبيت الله عز وجل ما ينسفه نسفاً ، ومن إلهامه الصبر ما يجدد لتمزق القلوب مابه ترفاً ، وبكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحا .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمرى

هو الشاعر الكاتب المصنف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله للعمرى ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب (مسالك الأبصار) ولد بمدينة دمشق سنة ٤٠٠ هـ ، وتفقه وتأدب على أبيه وغيره وتوفى سنة ٤٧٩ هـ ومن إنشائه فى وصف (قط. زباد) من رسالة طويلة : « (وقط. الزباد) الذى لا تحكيه الأسود فى صورها ، ولا تسمح غزلانُ المسك بما يخزنه من عرفة الطيب فى سررها كم تنقل فى بيوت طابت موطناً ، ومشى من دار أصحابه فقال : (ربنا عجل لنا قطناً) »

(٣) لسان الدين بن الخطيب

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف

بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة ، وكان وزيراً
لأبي الحجاج يوسف ولد سنة ٧١٣ هـ بمدينة غرناطة ، وتأدب وتفقه واجتمع
له من الحكمة والأدب ملكة يلذ بها أدباء الأندلس كتابه وشعرا وتصنيفاً
وسياسة ، ومات مقتولاً سنة ٧٩٠ هـ .

ومن قصار رسائله : رسالة في الشوق ، كتبها إلى ابن خلدون ، وهى بعد
الديباجة : أما السوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبر فصل به أية
درج ، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن
ينشق من روح الأرج ، وأتى بالصبر على إبر الدبر ؟ ومطولة اليوم والشهر ،
حتى حكم القهر ، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر ، عن إنسانها المبصر ؟
أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد . وفى الجسد مُضْغَة
يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ؟ وإذا كان
الفراق هو الحمام الأول ، فعلام المعول ؟ أعيت مراوضة الفراق على
الراق . وكانت لوعة الاشتياق أن تفضى إلى السياق :

تركتمنى بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرعُ سنى ندماً تارة وأستمح الدمع أحياناً

التدوين

ألف علماء هذا العصر تآليف جمّة أخلفت على العربية بعض ما أباده التناثر
والصليبيون من الكتب النفيسة . ويرجع أكثر الفضل فى ذلك إلى علماء العصر
والشام وجالية الأندلس . أما أعاجمُ المشرق وإن ألفوا فى العلوم الإسلامية
والفلسفة فإن تأثير بيئتهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التناول ، ضعيفة الأثر .

الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السبقُ فى وضع الكتب الجامعة التى

تبحث في عدة علوم أدبية أو ملحقة بها ، ومن هؤلاء : شهاب الدين النويري صاحب نهاية الأرب ، وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القلقشندي صاحب صبح الأعشى . ومن أَلَف في الأدب بمناح مختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والعُرر ، وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل الأحباب ، وحسن التوصل إلى صناعة الترسل ، وشهاب الدين أحمد الأبشيهي صاحب المتطرف ، والنواجي صاحب حَلبة الكميّات .

بقية العلوم الإسلامية

لما أباد التتار بقية العلماء والنحاة في الشرق ، كاد أفق المشرق والشام ومصر يصفو من النحاة وأهل اللغة ، لولا أن تداركها الله بدخول التتار في الإسلام ومعاضدتهم هم والدول التي خلفتهم للعلم والعلماء ، بجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس والمغرب قبيلَ حادث التتار وبعده كابن مالك والشاطبي وأبي حيان وابن منظور الإفريقي ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كواكب العصور المتأخرة فدوّنوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشأوا في العصور المظلمة .

كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً ، وكانت في الشروح والمطولات مبسطة . ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر : ابن خلكان ، وابن خلدون ، والسيوطي ، وابن مكرم ، والفيروزابادي ، وعز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ - وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - وابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ - ولسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ - وسعد الدين التفتازاني سنة ٧٩١ هـ - والسيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ - والشهاب الخفاجي .

(١) ابن خلكان

هو قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي إبراهيم بن أبي بكر خلكان الإربلى ولد سنة ٦٠٠ هـ بمدينة إربل ، وأقام بها إلى سنة ٦٢١ هـ ، ثم رحل إلى حلب ومكث بها سنين ، ثم عاد إلى دمشق ، وأقام بها مدة ، ثم أقام بصر ، وتولى القضاة بها وفيها ألف أكثر تاريخه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام — إلى أن مات سنة ٦٨١ هـ . ثم تم عليه محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتابه (فوات الوفيات) .

(٢) ابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ولد بتونس سنة ٧٣٢ هـ ، وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن أكابر العلماء ، وقرأ الكتب العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب ، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطر شارب ، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بني الأحمر ، فحظى عندهم . وألف تاريخه في خلال أربعة أعوام ، ومقدمته التي لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج ، فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ ، زمن سلطانها برقوق ، ثم استقدم أهله وولده من المغرب ، فغرقت بهم السفينة ، فأقام بصر حزيناً ، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ إلى أن مات سنة ٨٩٨ هـ .

(٣) جلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخضيرى السيوطي ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، ونشأ يتيماً وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته ، وابتدأ في التصنيف وسنه ١٧ سنة ، ثم لازم الأشياخ وطلب العلم في بقاع الأرض ، ونسج في كثير من العلوم ، وتولى التدريس والإفتاء ، ولم يكن أشهر منه في زمنه وقد ترك للناس أكثر من ثلثائة مصنف وتوفى سنة ٩١١ هـ بالقاهرة .

الشعر

لما كان أكثر الملوك والأمراء فى هذا العصر أعاجم بالفطرة كان ميلهم إلى الشعر العربى غير طبيعى ، ولذلك انقرض الشعر العربى من أواسط آسيا ، وبقيت صباغة منه بالعراق والجزيرة ، وبقي على شئ من الرونق فى الشام ومصر والأندلس والمغرب . غير أنه قل التكبس به فيها ، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة فى الدواوين صناعة ، واستعملوا الشعر فى تملق الملوك والروساء وفى إظهار التفصح والتسلية ، فهجر قوله فى الأغراض الهامة ، وعُدل به إلى أغراض أخرى .

الشعراء

ظهر فى هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الأنصارى المتوفى سنة ٦٦٢ هجرية : وجمال الدين بن نباتة المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية ، وشهاب الدين التلعفرى المتوفى سنة ٦٧٥ هجرية ، والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٩٥ هجرية ، والإمام البوصيرى المتوفى سنة ٦٩٥ هجرية وابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية ، وأبو بكر بن حجة الله المتوفى سنة ٨٣٧ هجرية ، وصنى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ هجرية ، وفخر الدين بن مكانس المتوفى سنة ٨٦٤ هجرية ، وابن ممتوق الموسوى المتوفى سنة ١١١١ هجرية .

١ - البوصيرى

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى البوصيرى ، صاحب البردة والهمزية ، ولد بدلاص ، ونشأ ببوصير ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب ، فقال الشعر البليغ فى جده وهزله ، ومن شعره الجيد قوله فى برده :
 أمين تذكر جيران بنى سلم مزجت دمعاً جرى فى مقلة بدم

أم هبت الريحُ من تلقاءِ كاظمة
فما لعينيك إن قلت اكفها همتا
أيحسبُ الصب أن الحب منكم
ومنها :

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على
فاصرف هواها وحاذر أن توليه
وراعها وهي في الأعمال سائمة
كم حسنت لذة للمرء قاتلة
واخش الدسائس من جوع ومن شبع
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت
ومن قصيدته الهزبية في مدح النبي عليه الصلاة والسلام التي أولها :

كيف ترقى رُقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
يُسأووك في علاك وقد حا ل سنا منك دونهم وسنا

وتوفي البوصيري سنة ٩٦٥ هـ بالإسكندرية ، وقبره بها مشهور يزار .

٢ - صفى الدين الحلى

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطائي الحلى شاعر الجزيرة .
ولد سنة ٦٧٧ هـ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات ، فتأدب ونظم
الشعر وتوفي سنة ٧٥٠ هـ ، ويعتبر صفى الدين من أئمة البديع المبتدعين
في أنواعه المغالين في استعماله من شعورهم بلا كثير تكلف ، وهو أول
من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات ، مثال
بردة البوصيري ومن قوله في الأدب :

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلا بنطقك قلما تفهم
لم تعط. مع أذنيك نطقا واحداً إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

وله :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه فتلک له عند الشدائد أعوان
تهافت على حفظ اللغات مجاهدا فکل لسان في الحقيقة إنسان

٣ - ابن نباتة المصري

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة ، أشعر شعراء المصريين
زمن المالیک ، ولد سنة ٦٨٦ هـ ونشأ بالقاهرة ومات سنة ٧٦٧ هـ ، ومن شعره قوله :
يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجاً ودار وقتك من حين إلى حين
ولا تُعانِد إذا أصبحت في كدر فإنما أنت من ماء ومن طين

٤ - ابن معتوق الموسوى

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوى ، شاعر العراق في عصره ، وسابق
حلبته في رقة شعره ، ولد سنة ١٠٢٥ هـ ونشأ بالبصرة .
وابن معتوق من كبار شعراء الشيعة ، مدح عليا والشهيدین بما يخرج
عن حد الشرع والعقل ، ومات سنة ١١١١ هـ .
ويمتاز شعره بالركة وكثرة المجازات ، حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جملة .

العصر الخامس : عصر النهضة الأخيرة

محمد على - سنة ١٢٢٠ هـ

قدم « محمد على » إلى مصر ضابطاً في الحملة التي وجهتها تركيا لإخراج
الفرنسيين من مصر ، وكان راجح العقل ، استطاع أن يجمع حوله أعيان
المصريين وكبار علمائهم بلطف معاملتهم وحسن معاشرتهم ، فأحبوه وآثروه ،
وأعانوه على الحكومة التركية حتى قلده ولاية مصر وهي لذلك كارهة .
وكان أول هم لمحمد على في ولاية الحكم أن يتخلص من المالیک ،
فأوقع بجمهرتهم في القلعة سنة (١٨١١ م) .

بعد ذلك وجه همته إلى أن ينشئ جيشاً له كل ما للجيش الحديثة ، فأنشأ في قصر ابن العيني مدرسة حربية إعدادية سنة ١٨٢٥م وجمع فيها التلاميذ من طوائف مختلفة إلا المصريين ، غير أن هذه التجربة أخفقت فاضطر إلى أن يجعل أكثر التلاميذ بعد من المصريين ، وكانت لغة التعليم الأساسية هي التركية ، وكانت تدرس إلى جانبها العربية وغيرها ، وكان قد سبق فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الأوروبية لدراسة الفنون الجندية . ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب في جهة أبي زعبل من ضواحي القاهرة ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين .

مدرسة الطب

علمت أن هممة محمد على اتجهت بآدى الأمر إلى إنشاء جيش منظم مجهز بجميع الوسائل الحديثة ، ولم يكن في مصر إلى ذلك الوقت أطباء اللهم إلا نفر قليل من الإفرنج لتطبيب مرضى الجنائيات الأجنبية ، وكانت إذا نشبت المعارك الحربية يدعى بالحلاقين ليأسوا الكلوم ويضمّدوا الجروح ، لهذا عمد محمد على إلى إنشاء مدرسة طبية بجهة أبي زعبل في سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) يقوم بإزائها مستشفى كبير ، ودعا لها بأساتذة من الإفرنج ، وكان التعليم في هذه المدرسة شاقاً مجهداً ، فإن أساتذتها لم يكونوا يعرفون العربية ، وطلابها لا علم لهم باللغات الأفرنجية فدعت هذه الضرورة إلى أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون .

إيقاظ محمد على الشرق بحسن بلائه في السياسة والحرب .

استمكن سلطان محمد على بما أعد من جيش قوى في البر ، وأسطول عظيم في البحر ، وعلم عال يأخذ به أبناء البلاد ، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مما يرد من الغرب ، ومشروعات للرى ضاعف بها استثمار الأرض ، وغير ذلك من وسائل

الإصلاح ، ولقد استعانت به تركيا في إخماد الفتن في أطراف بلادها ، كما استعانت به في حروبها مع الدول الأخرى ، كما تمكن بجيشه من فتح السودان كما اقتطع شطرا من أملاك تركيا بعد أن شجر الخلف بينه وبينها ، وكاد يظفر بحاضرة ملكها لولا أن تآلّبت عليه الدول الأوروبية وحلن بينه وبين غايته . أما الأسطول الضخم الذى بناه محمد على ، فقد أحرقتة تلك الدول غيلة في واقعة (نافارين) .

ولقد أتى بالعلماء والأساتذة وأهل الفنون من أوروبا ، وبعث البعث إلى بلادها ، وأقام المدارس في مصر على نهج مدارسها ، وتقدم بترجمة ما يحتاج إليه في وسائل الحياة المختلفة ، وبهذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب .

إسماعيل وإتمامه بناء جده

قبض محمد على باشا في سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩م) بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثا فيها من الموت بعثاً ، وأنهضها نهضة قوية تلفت لها وجه التاريخ ، وما كاد الملك يصير إلى حفيده عباس الأول حتى خبت تلك النهضة فأغلقت المدارس ، وعُظلت المصانع وفترت تلك الحركة العظيمة التى تناولت جميع مرافق الحياة في البلاد . وكذلك كان شأن خلفه سعيد ابن محمد على طول أيام حكمه ، حتى إذا انتهت ولاية مصر في سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣م) إلى إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد على تأثر في سبيل الإصلاح بخطى جده العظيم وراح يُتِم ما بُنى لمجد مصر ، ونهض بوجوه الإصلاح التى تقوم عليها الثروة والقوة والعلم والعظمة في كل البلاد .

مظاهر النهضة الحديثة في العلم والأدب ^١

لم يكن للبعث العلمية التى أوفدها محمد على في مُبتدأ الامر إلى أورب شأن جليل ، وأولها كان في سنة (١٨١٣م) على أنه مابرح يؤالى إرسال البعث

حتى كانت سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) إذ أوفد إلى أوروبا بعثة عظيمة يزيد عدد طلابها على الأربعين . أحرزوا قبل سفرهم قدراً صالحاً من التعليم والثقيف ، وظل بعد هذا يُوفد البعث العلمية إلى مختلف البلاد الأوربية للتبحر في العلوم والفنون ، ولم يَقْنَع بهذا بل أقام في باريس نفسها (مدرسة) جمعت نحو الأربعين طالباً ، فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده .

الترجمة والتأليف

كان أول عهد مصر بالترجمة في هذا العصر ، ما قام به أولئك المترجمون الذين جاء بهم محمد علي ليؤدوا بالعربية إلى طلبة مدرسة الطب ما كان يُلقيه عليهم أساتذتهم من الدروس باللغة الأجنبية ، فلما أخرج بعض هؤلاء الأساتذة بلغاتهم كتباً ورسائل في فنون الطب ، وأريد ترجمتها إلى العربية جاء محمد علي بطائفة ممن تفقهوا في العربية لمعاونة أولئك المترجمين على تحرير العبارة وضبط المصطلحات العلمية ، بقدر ما اتسع له علمهم بالعربية ، وما عثروا عليه من مصطلحاتهم ، وكان هذا عملاً شاقاً مضيئاً .

وكانت جمهرة المترجمين أول الأمر من الأطباء ، لأن الطب أول العلوم الحديثة التي عُنى بدراستها في مصر بعد العلوم العربية ، ثم توالى الترجمة في العلوم والفنون الأخرى على يد من تخرجوا فيها من الطلاب .

أما التأليف في العلوم الحديثة فكان في مبتدأ الأمر ضئيلاً ، وكان أكثره من وضع الأجانب الذين جاء بهم محمد علي ليبثغي بهم وسائل الإصلاح المنشود . على أن المصريين قد جعلوا يُقبلون على معالجة ، وخاصة من عهد إسماعيل حتى بلغ اليوم غاية محمودة ، وما زالت البلاد تتطلع منها إلى المزيد (١) .

(١) ومن أبرع من برعوا (في اثناء هذه النهضة) في التأليف والترجمة في فنون الطب والصيدلة ، مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم ، إبراهيم بك النبراوي ١٢٧٩ هـ (١٨٦٧ م) وأحمد بك حسن الرشيدى =

حالة اللغة العربية وآدابها فى هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية فى أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال ، فلما استولى محمد على باشا على مصر رأى - كما علمت سابقاً - أن يُربى من يكون خيرَ واسطة لنقل المعارف الأوروبية إليها ، فبعث إلى أوروبا بثلاثة بعوث علمية ، فى أزمنة مختلفة ، كَوْنَتْ بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط ، فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة فى العلوم المختلفة ، فأحدث ذلك فى اللغة العربية انقلاباً عظيماً ،

= ١٢٧٢ هـ (١٨٦٥ م) ، ومحمد على باشا البقل ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) وأحمد بك ندى ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) وسالم باشا سالم ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، ومحمد الدرى باشا ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) ، وممن برعوا كذلك فى العلوم الرياضية ترجمة وتأليف محمد بك بيومى ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) ، وتهجت باشا ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ، ومحمود باشا الفلكى ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) ، وشفيق بك منصور ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) ، ومختار باشا المصرى ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) ، وإسماعيل باشا الفلكى ١٢١٩ هـ (١٩١١ م) .

ومن خير من ألفوا فى العلوم المختلفة فى صدر هذه النهضة : الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) ، والشيخ شهاب الدين المصرى ١٣٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ، ورفاعة بك رافع الطهطاوى ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) ومحمد قدرى باشا ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) ، وأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥ هـ (١٨٧٨ م) ، والشيخ عبد الرحمن نجا الأيسارى ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) ، والشيخ حسين المرصفى ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) والشيخ محمد بيرم ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) ، وعلى مبارك باشا ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، والشيخ محمد العباسى المهدي ١٣١٥ هـ (١٨٩٩ م) ، وعثمان بك جلال ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) ، وأمين فكرى باشا ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ، والشيخ إبراهيم اليازجى ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وقاسم بك أمين ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، وعمر بك لطفى (١٩١٤ م) وعلى ابو الفتوح المتوفى سنة (١٩١٣ م) ، ومحمد بك النجارى ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ، وأحمد فتحى زغول باشا ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ، وجرجى زيدان بك (١٩١٤ م) وإسماعيل سرهنك باشا (١٩٢٤ م) ، والشيخ محمد بك الخضرى (١٩٢٦ م) .

ولا شك فى أن هذه النهضة الحديثة مدينة فى مستهلها لشيخ المترجمين على الاطلاق رافع بك كما أنها مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين المصلح العظيم على مبارك باشا .

واكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة ، ورأى الأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسبونه نتيجة كدّهم ، وثمرة أفكارهم ، فالتفتوا حولها ، وصار أيضاً للدولة كتاب وشعراء ومُنشئون ، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل ركدت ريحها في زمن عباس باشا الأول ، وزمن سعيد باشا ، ثم تَنَسَّمت في عصر إسماعيل وما لبثت أن صارت رخاء طيبة فأعاد سيرة جده في نشر العلم ، وظهرت ثمرة أعماله في حياته ، وكانت مصر تُوشك أن تكون قطعة من أوروبا .

النثر — المحادثة — أو لغة التخاطب

كانت العامية في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين ، ودخل في عبارتهم كثير من الفصحح ، انتقل ذلك لمعاشريهم من الأميين ، وبعض النساء ، ومما ساعد على ذلك جعل التقاضى باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات .

الخطابة

كان المصريون والسوريون في أوائل هذا العصر لا يستعملون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر إسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر ، والتف لفيف حوله من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته ، وألف منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها من الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية ، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر ، وفشت بعد عصر إسماعيل في زمن توفيق باشا وعباس حلمى باشا ، ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم المتوفى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) والشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ومصطفى كامل

المتوفى عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) وسعد باشا زغلول المتوفى عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٧ م) والشيخ عبد العزيز جاويش بك المتوفى عام ١٩٢٧ م وغيرهم ، حتى بلغت الخطابة في عصرنا هذا مبلغاً عظيماً .

الكتابة الخطية

وقف الخط. في سبيل تقدمه على الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة وقف القرن العاشر ، والحادى عشر ، والثانى عشر : من خطاطى الترك ، وكل من نشأ بعدهم فإنما هو متبع طريقتهم . وأشهرهم . عبد الله زهدى ، وهو الذى خط. بالقلم الجليل جدران المسجد النبوى ، وجدران سبيل والدته عباس باشا الأول بالصليبية بالقاهرة ، ومحمد مونس أفندى ، وتخرج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطى قطرنا المصرى .

الكتابة الإنشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين فى أواخره شأن يُذكر ، لجعل التركية هى اللغة الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير فى الممالك العثمانية إلا قليلا ، وشرعت تتغير فى مصر ، ثم لما انشئت المدارس النظامية ، نشأت طبقة من كُتاب الدواوين رُقُوا كتابتها ، وقد هجر السجع الذى أكثر منه الأقدمون إلا أن (عبد الله باشا فكرى) أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة أَلَمَّ به فى كثير من مكاتباته الرسمية . وقد سبق كثير من رسائله فى فن المكاتبات ، أما كتابة التأليف والصحف فأخذت تنحُو منحى كتابة ابن خلدون فى مقدمته ، ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير (الوقائع الرسمية) والإشراف على تحرير الجرائد ترقّت كتابتها كثيرا ، ودرجت فى سبيل التقدم إلى الآن .

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التى أُلُفَتْ أو ترجمت فى مصر علمية ، لشدة احتياجها لها ، أما سوريا فكانت حالة الأدب فيها فى النصف الأول من العصر الحاضر خيرا منها

في مصر ، ولكن مصر نهضت في النصف الثاني ، واسترجعت حياتها الأدبية ،
وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها ، وألف فيه عدة كتب ، وانحط شأن سوريا
في العربية فلم ينبغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقهم ،
ومن أشهر العلماء الأزهريين في هذا العصر : الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المتوفى
في ١٢٤٠ (١٨٢٥ م) والشيخ حسن العطار المتوفى في ١٢٥٠ (١٨٣٤ م) ومن غير
الأزهريين من أهل النهضة الحديثة : رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلى
مبارك باشا المتوفى في ١٣١١ (١٨٩٣ م) وجمال الدين الأفغاني المتوفى في ١٣١٤
(١٨٩٧ م) وجورجي بك زيدان المتوفى في ١٣٣١ (١٩١٤ م) وأحمد فارس
الشدياق اللبناني المتوفى في ١٣٠٥ (١٨٨٧ م) والدكتور يعقوب صروف صاحب
مجلة المقتطف المتوفى في ١٣٤٦ (١٩٢٧ م) وولي الدين بك يكن المتوفى في ١٣٢٩
والشيخ محمد عبد المطلب المتوفى في ١٣٥٠ (١٩٣١ م) والشيخ محمد بك الخضري
المتوفى في (١٩٢٦ م) والشيخ أحمد مفتاح المتوفى في ١٣٢٩ وفتحى باشا زغلول
المتوفى في (١٩١٤ م) والشيخ نجيب الحداد المتوفى في (١٨٩٩ م) وعبد الله
يأشا فكرى ، والشيخ حسين المرصفي المتوفى في ١٣٠٧ (١٨٨٩ م) والشيخ
ناصر اليازجى المتوفى في ١٢٨٧ ، وإبراهيم بك المويلحى المتوفى في ١٣٣٣ ،
ومحمد بك المويلحى المتوفى في (١٩٣٠ م) وقاسم بك أمين المتوفى في ١٣٢٦ ،
والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى المتوفى في (١٩٢٤) والشيخ إبراهيم اليازجى
المتوفى في ١٣٢٣ (١٩٠٦ م) وحفنى بك ناصف المتوفى في ١٣٣٧ والشيخ
على يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى في ١٣٣١ (١٩١٣ م) وأديب
إسحاق المتوفى في ١٣٠٣ (١٨٩٢ م) ومصطفى بك نجيب المتوفى في ١٣٣٠
وإسماعيل باشا صبرى ، وبطرس البستاني المتوفى في ١٣٠١ (١٨١٣ م)
وسليم باشا قنلا المتوفى في ١٣١٠ (١٨٩٢ م) .

وهاك ترجمت بعض زعماء النهضة الحديثة :

(١) رفاعة بك الطهطاوى المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعة بك الحنينى الطهطاوى ، شيخ المترجمين ، وإمام النهضة الحديثة ، ولد بطهطا من أسرة شريفة ، وتآدب وتعلم فى الجامع الأزهر ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش ؛ ولم يلبث أن اختاره محمد على باشا إماماً ومعلماً لأول بعث علمى أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ ، فراقته علوم أوروبا وعظمتها فأكبّ بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ هـ اختاره محمد على باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبى زعبل . واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار فى إنشاء جريدة « الوقائع المصرية » وتحريرها ثم نُقل إلى مدرسة المدفعية (الطبية) ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة ، ثم انتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى إدارة مجلة (روضة المدارس المصرية) وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفى عام ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالا هم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألفه كتاب « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » .

(٢) عبد الله فكرى باشا المتوفى عام ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م

عبد الله فكرى بن محمد بليغ الضابط . ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهرى ، وهو من أركان النهضة الأدبية فى الديار المصرية . ولد عام ١٢٥٠ هـ ، وأكبّ على تعلم علومه بالأزهر ، مشغلاً أيضاً باللغة التركية ، واستخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية فى عدة مناصب ، آلت إلى نقله إلى حاشية سعيد ثم إسماعيل باشا ، فعُهد إليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك ثم تقلب فى جملة مناصب آخرها نظارة المعارف عام ١٢٩٩ هـ ، وبقى بها حتى زمن الثورة العربية . فسقط مع الوزارة ، واتهم فى الثورة فقبض عليه ، ثم اتضحت براءته فأطلق ورُد إليه معاشه ؛ بعد أن استعطف الخديوى توفيق باشا بقضيدة طويلة . وتوفى عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) .

وكان فكري باشا كاتباً بليغاً ، سلك في كتابته طريقة كتّاب القرن الرابع كالبديع الهمداني ، والخوارزمي من التزام السجع القصير ، القليل التكلف ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصني مدرس دار العلوم : (لو تقدم به الزمان ؛ لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همدان) .

(٣) على مبارك المتوفى عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرخ المؤلف المترجم ، الربى العظيم على ابن مبارك بن سليمان بن إبراهيم مؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية . ولد عام ١٢٣٩ هـ ، وكان والده يُرسله إلى مُعلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه ، وهرب من المعلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتّاب حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبي زعبل ، فصحبهم ودخل المدرسة ثم اختير في جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العيني . وعمره ١٢ عاما ، ودرس الرياضة فبرع فيها فاختر طالباً بمدرسة الهندسة ، فأكمل في خمسة أعوام درس فن الهندسة ، وأرسل إلى أوروبا عام ١٢٦٠ هـ ليلمع علومه بها فمكث نحو أربعة أعوام درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدّم لعباس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد إلى رياسة ديوانها ، فقام به خير قيام ، وألف بعض الكتب الدراسية ، فكان أول من نظم المدارس المصرية ، وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً للسكك الحديدية وناظراً للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية ، فقام بذلك جميعاً في آن واحد خير قيام ؛ ومن أعماله العظيمة إنشاء دار الكتب وإنشاء مدرسة دار العلوم ليوفق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ومات عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٢ م .

(٤) الشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م

هو المصلح الكبير المجتهد الكاتب الخطيب الإمام الشيخ محمد عبده

أحد أركان النهضة العربية وموسى الحركة الفكرية ، ولد عام ١٢٥٦ هـ بإحدى قرى مديرية الغربية ، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ، ثم رغب في التعليم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدى ، ثم انتقل إلى الأزهر ونبغ في علومه - ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغانى سنة ١٢٨٦ ، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة لزمه الشيخ محمد عبده ، وكان أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته ، والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ واختير سنة ١٣٩٥ مدرساً للأدب والتاريخ العربى بدار العلوم ، ومدرسة الألسن ، ثم اختير لإصلاح لغة (الوقائع المصرية) ثم صار رئيس تحريرها - وفى هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها - وحدثت عقب ذلك الثورة العربية ، ونفى من مصر إلى سورية ، وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوروبا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس ، فأنشأ معاً جريدة (العروة الوثقى) ثم عفا عنه الخديوى وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية ، ثم مفتياً للديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل فى إصلاحه ، وما زال كذلك حتى توفى سنة ١٢٢٣ .

(٥) الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م

هو الشيخ الوقور ، اللغوى ، الحجة ، التقى الشيخ حمزة فتح الله .
وُلد رحمه الله بشعر الإسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) ونشأ بها .
وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم فى سلك طلبة العلم بجامع الشيخ إبراهيم باشا - ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن فى قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل ، وحفظ الغريب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، واختير (فى منتصف العقد الثالث من عمره) محرراً فى إحدى الصحف التونسية فمكث هناك حوالى ثمانى سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة

الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر فوجد نار الثورة العربية مستعرة ، فانضم إلى حزب الخديوى توفيق ، وكتب وخطب في تأييده ، وبعد أن انتهت الثورة العربية استخدم في وزارة المعارف ، ومكث بها زهاء ثلاثين سنة ، متنقلاً بين التفتيش والتدريس ، حتى مات سنة ١٩١٨ م .

علمه وأعماله : كان الشيخ كثير القراءة في كتب اللغة ، والأدب ، والحديث ، شديد الحفظ . والذكر ، قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعراً ، أو مثلاً ، أو قصة ، وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكمها على سنن العربية الفصيحة وهو أعلم من شاهدناه باللغة والأدب والصرف . عهد إليه بالتدريس في دار العلوم ، فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ . والمبرد والقالى والمرضى ، وأظهر ما كان ذلك في (مواهبه الفتحية) .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها ، فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدخيل ، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ويتحفهم بمراذفة تارة ، ويرشدهم إلى المظان أخرى ، فيتنبه بذلك الغافل . أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، تقياً ورعاً ، لاتأخذه في الله لومة لائم .

وكان يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله خصهما بكل مزية .

مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته ، كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية وباكورة السلام في حقوق النساء في الإسلام ، ورسالة التوحيد ، وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن الكريم ، وغير ذلك .

شعره وكتابته : كان بدوى الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه ، وتراكيبه . وأساليبه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء ، فمنه قوله :

كم جامع بالثرثراً راضه سفر فوق الثرى بين أكوار وأقتاب

إن الشواء ثواء والقصور قبو
ر العاجزين ولا إبراء للخابي
ومن بغى نبيل مجد وهو في دعة
فقد بغى من صفاء در أحلاب
والمرء في موطن كالد في صدف
والتبر في معدن والنبيغ في غاب
والسيف مثل العصا لمن كان مُعتمداً
وزامر الحى لا يحظى باطراب
وأزهّد الناس في علم وصاحبه
أدنى الأجرة من أهل وأصحاب

باحثه البادية السيدة ملك حفنى ناصف المتوفاة سنة ١٣٣٧ هـ

هى : المفكرة ، الكاتبة ، الشاعرة ، السيدة ملك حفنى ناصف .
ميلادها ونشأتها : ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م ؛ ولما ميزت أرسلها
والدها إلى إحدى المدارس الأولية ، ثم إلى المدرسة السنية فحصلت منها على
شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهى أول سنة تقدمت فيها
الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالى ، واختيرت
مدرسة في مدارس البنات بالقاهرة ، وفى سنة ١٩٠٧ م تركت التعليم العلمى
واشتغلت بالتعليم العلمى في بيت زوجها .

أخلاقها وأعمالها : كانت مدة دراستها خير نموذج لقريناتها ، من
أخلاق سامية ، وسريرة صافية ، ونفس أبيّة ، ومثابرة على العمل .

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لالسبب ، سوى
أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يتركن بيوتهن إلى من لا يحسن القيام
عليها والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن في الفقر المدقع ، والبلاء الشديد ،
وكانت إذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ،
وتعرف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم .
كل أولئك لتكون لها رأياً صحيحاً ، وفكراً ناضجاً في تربية البنات ،
إصلاح حال الأمهات ، وظلت تستسهل في ذلك الصعب ، وتستحلى المرء .

وكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجل مالا ينافى الشرع الشريف ، وألا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئاً ثقيلاً ينوء به بعلمها ، ولها فى ذلك خُطب فى محافل نسوية ، كان لها تأثير فى عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة ، وكان بيتها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشرقيات يستترن به فى الوقوف على مبلغ رقى المرأة المسلمة ، وما ينتظرن من شئونها المستقبلية ، ولم يكن شئ من ذلك كله لنسيها ما يجب لزوجها ، والبر بىذوى قرباها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر ، وأشد ما كان برها لوالدها

آثارها العلمية :

(١) كتابها الذى أسمته (النسائيات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته فى (الجريدة) خاصاً بالمرأة . (٢) حقوق النساء ، وهو كتاب لم يطبع بعد : أنجزت منه ثلاث مقالات : الأولى فى الموازنة بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة المتدينة الغربية فى الحقوق المالية ، والثانية فى حقوق المرأة المسلمة من جهة إدارة الأعمال العامة ، والثالثة فى المرأة المسلمة من جهة الانتخاب . (٣) رسالة اضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد فى مايو عام ١٩١١ م بمصر الجديدة ضمنيتها آراؤها السيدة فى وسائل ترقية المرأة المصرية .

ثم عاجلتها الحمى الأسبانية عام ١٣٣٨ هـ فاحتضرت وهى فى ريعان شبابها ويانع عمرها ، فتركت بفقدائها فى العالم النسوى المصرى فراغاً لم يُشغل بعد .

كتابتها : إن الناظر فى كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة صحيحة الألفاظ عربية الأسلوب ، خالية من تصنع السجع ، وترى ذلك واضحاً فى كتابها (النسائيات) شعرها : قالت الشعروهى فى الحادية عشرة من عمرها . وكان بدء أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه فى المدرسة تارة جداً ، وتارة هزلاً ؛ وشعرها حسن الديباجة ، جميل الأسلوب يعد فى الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر .

وهاك نموذجاً من نثرها وشعرها - رسالة كتبتها من رمل الإسكندرية لصديقة لها - وهى :

«عزيزتى السيدة بلسم

أحييك ، ولولا برودة البحر لالتهبت إليك شوقاً ، ولولا تصبرى لطرت إليك حباً ، وإنى لم ينسنى صفاء السماء صفاء ودك ، ولارقة النسيم رقة حديثك إنما شجاني وذكرنى ، ولم أكن ناسية .

حبيبتي : ليتك معى ترين الطبيعة بجمالها ، ترين البحر يزخر كالرعد والأمواج تتلاطم زرافات ووحداناً ، صفاء فى البحر ، وصفاء فى السماء ، كأنهما قلبان ، وتسمعين تغريد الطيور ، وحفيف الأشجار ، إنها لعمرك مناظر تلهى المرء ، ولكن هيهات لمثل أن تلهو ، وهى ما يكنه الدهر ، وما يخبئه الليل والنهار ، تقبلى منى أحر قبلاى ، وأوفر أشواقى » .
ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية .

سيرى كسيرى السحب لا تنأى ولا تتعجلى
لا تكنسى أرض الشوا رع بالإزار المسبل
أما السُفور فحكمه فى الشرع ليس بمُعْضَل
ذهب الأئمة فيه بـ——ين مُحَرَّم ومُحَلَّل
ويجوز بالإجماع منه—— عند قصد تأهل
ليس النقاب هو الحجاب فقصرى أو طوّل
فإذا جهلت الفرق بينهم——ا فدنك فاسأل
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى
لا أبتغى غير الفضية——ة للنساء فأجمل

الشعر

كانت حالة الشعر فى النصف الاول من هذا العصر لاتزيد شيئاً مذكوراً على

ما كانت عليه في العصر الماضي ، إذ كانت حكومة (محمد علي باشا) في أول أمرها تركية الصبغة ، وكان هو أمياً لا يحل عنده الأدب محل العلم الذي عليه مدار تأسيس المملكة ، ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في الترقى .

وسارت مصر في طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن (إسماعيل باشا) وكان هو متادباً ، وعصره غاصاً بالأدباء ، فتقدم الشعر في عصره خطوات تمثلت في شعر السيد على أبي النصر ، والشيخ علي الليثي ، ثم طفر طفرة إلى عظيم الشعراء (البارودي) .

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأول في مصر ، حتى كان العصر الحاضر ، ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه ، فهب أهله يتفكحون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ويستمعون الشعر ، ويحضرون المجامع العظيمة لإنشاده ، فأقبل الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة ، ونحوبه نحو الشعر الإفرنجي من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوجدان ، والعواطف النفسية ، وكثير من الشعراء بعد البارودي ، لم يحاك القدماء في نذب الديار ، ووصف الطعائن ، وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القطار ، والكهرباء ، والمسرة ، والبرق ، ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والعراق ، إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر .

ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت ، خلوه من تكلف البديع والجناس ، والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحولة يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس .

نماذج من النظم

قال المرحوم السيد على أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م :

بصادر آمالي ووارد خاطري كلفتُ فيا نفسي الأبية خاطري

ولا تجزعي إن هال خطب فربما تدين الأماني لامرئ غير قادر
وكوفي على حمل الأذى مستعدة فكم عادل أرخى العنان لجائر
ولا تشتكي الأيام إلا لمنصف فلا خير في الشكوى إلى غير ناصر
ومن لم يكن ذا همّة هاشمية أخافته في الهيجا بروق البواتر

وقال محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ يمدح شريف مكة ويعاتبه :

ترنو النجوم بلحظها البراق والجو في الإرعاد والإبراق
فإذا تبسمت البروق لغبطة بكت السماء بدمعها المهرق
عاملتموني بالجفاء رويدكم الورد ذو أرج بلا إحراق
مالي أراكم تنكرون مكانتي الشمس لا تخفى مع الإشراق
قلدتم غيري الجميل وقلتم حسب المغرد زينة الأطواق
أسديتم الجدوى له وسددتم طرق الرجاء على بالإطراق
إن لم يكن مثلي يسىء ومثلكم يغضى فأين مكارم الأخلاق

وفي الحكم للمرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م :

كل حال لصدّه يتحوّل فالزم الصبر إذ عليه المعول
يا فؤادي استرح فما الأمر إلا ما به محكم القضاء تنزل
قدرٌ غالب وسرُّ الخفايا فوق عقل الأريب مهما تكمل
رب ساعٍ لحتفه وهو ممن ظنّ بالسعى للعلا يتوصّل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدين المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ يرثي إبراهيم باشا :

صبراً على ما قد مضى إذ لا مخلص من قضا
كيف التصبر والمنا يات ذات غضب مُنتضى
أردت بإبراهيم مذ بلغ المقام المرئضى
وإليه آل الأمر في حكم (الإيالة) وانقضى

فمضى وقلت مورخاً (الله يرحم من مضى)

٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠ ١٢٦٤ هـ

حفى ناصف بك المتوفى ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م

هو القاضى الفاضل الشاعر الكاتب ، محمد حفى ابن الشيخ إسماعيل .
ابن الشيخ خليل بن ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية .
سنة ١٢٨٢ هـ يتما فقيراً ، فكفلته جدته أم أبيه .

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يفرط فى ضربه ، ففر ماشياً على .
قدميه إلى الأزهر وجود فيه القرآن ، وحفظ . فيه المتون ، ودرس فقه الشافعى ، .
وعلوم اللسان العربى واشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما حتى أصبح من .
شعراء الأزهر المعدودين ، وكان أول الناجحين من الطلبة المقبولين فى دارالعلوم ، .
وبقى أولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير مدرساً وضابطاً لمدرسة الخرس .
والعميان ، ثم نقل إلى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن ، .
ثم نقل مدرساً بمدرسة الحقوق ، وفى أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين .
تأليف سلسلة كتب سهلة ، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فآلف خمسة كتب .
لم يزل العمل فى التعليم جارياً عليها ثم نقل إلى القضاء الأهلى ، فمكث يترقى .
فى درجاته مدة عشرين سنة ، كان فى خلالها مثال العدل والنزاهة ، ونقل من .
وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف .

وتوفى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ودفن يوم الأربعاء .
بمقبرة الإمام ، وكان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً ، وأرقهم فكاهاة ، .
وأملهم نادرة وأحضرهم جواباً ، مع دعاة فيه .

شعره : لم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التى نشأت بعد طبقة .
البارودى ، وعبد الله باشا فكرى ، وكل من نبغ بعد من انتهت إليهم .
الرياسة فى الشعر فعليه تعلم ، وله قلد ، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان .

وأكثر شعره من النوع السهل الممتنع ، الكثير الملح المطربة والنكت الأدبية المعجبة ، حتى في المراثى ، لثمثيلها في صورة جديدة بديعة ، فمن ذلك قوله :
 أتقضى معى إن حان حينى تجارى وما نلتها إلا بطول عنائى
 وأبذلُ جهدى فى اكتساب معارفٍ ويفنى الذى حصلته بفنائى
 ويُحزنى أَلَا أرى لى حيلة لإعطائها من يستحق عطائى
 إذا ورث الجهال أبناءهم غنى وجاهاً فما أشقى بنى الحكماء
 ومن شعره أيضاً يخاطب أحد الرؤساء :

أحييت آمالى وكنت أمتها من طول مالمقيت من إخوانى
 أدلى بإخلاصى لهم وأذود عن أعراضهم بجوارحى ولسانى
 محضتهم ودى فلما أيسروا كانت بداية أمرهم نسيانى

مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

هو مصطفى بن على أفندى المهندس ، المولود بالقاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤م ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية ، ثم انتقل إلى مدرسة والده عباس باشا الأول ، وفي أثناء وجوده في هذه المدرسة توفي والده فانتقل إلى مدرسة القربية ، فآتم فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧ م ثم تحول إلى المدارس الثانوية ، ونال في نهايتها شهادة البكالوريا بتفوق باهر ، وذكاء نادر ، مما لفت إليه نظر المرحوم على باشا مبارك ناظر المعارف ، فاخصه بمرتب شهرى يصرف إليه مساعدة له ، وكان منظوراً إليه بعين الإجلال والاحترام من إخوانه ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن الإلقاء ، وفصاحة اللسان ، وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته في المسائل العلمية والاجتماعية ، والكل يعجبون به ، ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً ، ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهارة ، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلاً فكان يتلقى دروسهما حتى نال الكفاية منهما ،

ذهب إلى (طولون بفرنسا) وأدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية .
وفي أثناء دراسته للحقوق تنبه خطره إلى المسائل السياسية ، وأصبح همه
إنقاذ مصر من الاحتلال ، وكان يتردد على الجرائد الوطنية ، فيكتب فيها
آيات الوطنية ، وأنشأ المجلة المدرسية ، وألف كتاب المسألة الشرقية ، ورواية
فتح الأندلس ، وكتاباً في حياة الأمم والرق عند الرومان ، وكلها ترمى إلى تحبيب
الاستقلال ، وإحياء الشعور الوطنى في أفكار المصريين ، واجتمع مصطفى بالمرحوم
« عبد الله النديم » الخطيب المفوه والكاتب البليغ ومشعل نار الوطنية من قبل ،
فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليمات العظيمة ، وأضاف ذلك إلى معلوماته
الماضية ، ونهض نهضة الأسد إلى فريسته ، وأدكى أوار الوطنية في عقول
الشباب الناهض ، وتطورت مصر الفتاة إلى يومنا هذا في مراقى التقدم
والنجاح ، وقد طار صيته في الآفاق ، وأنشأ جرائد اللواء العربى والفرنسى
والإنكليزى لهذا الغرض ، وتوفى يوم الأربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م
وخطبه الطنانية كثيرة معروفة لانطيل بذكرها .

محمد بك فريد المتوفى سنة ١٩١٩ م

هو المخلص الأمين ، محمد بن أحمد باشا فريد ، والدته أميرة من
فضليات سيدات الخلفاء العباسيين ، وكان ميلاده في ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ،
وعاش ٥٢ سنة ، ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل
أغا ، ثم دخل المدارس الثانوية وفاز بشهادة البكالوريا ، ثم دخل مدرسة
الحقوق حتى نال الشهادة النهائية في شهر مايو سنة ١٨٨٧ م ، وعقب ذلك
عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الخديوى عباس باشا بالرتبة الثانية ،
ثم تدرج في وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية ، وفي
خلال ذلك كان يكاتب أمهات الصحف العربية والإفريقية ، حتى استقال

من خدمة الحكومة في ٢١ نوفمبر عام ١٧٩٦م ، واشتغل بالمحاماة ، وانضم بكل قواه إلى الحزب الوطني لتحرير مصر والسودان ، ولازم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل ، وقد ألف كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ العائلة الخديوية ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وتاريخ الرومان ، وأنشأ مجلة « الموسوعات » وكتب آلاف المقالات في المؤيد واللواء والصحف الأوربية ، وألقى مئات من الخطب في بلاد الشرق والغرب ، وتعرف بكثير من ساسة العالم .

ولما شعر المرحوم مصطفى كامل باشا بدنو الأجل ، جمع رجال الحزب الوطني وأوصاهم بانتخاب « فريد » بعده رئيساً ، فقام برياسته خير قيام ، وقد ضحى بنفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حباً في الوطن ، حتى مات غريباً في يوم الاثنين ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩م ، ونقلت جثته من بلاد ألمانيا لدفنها بالقاهرة ، فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه عام ١٩٢٠م ، وشيعت باحتفال مهيب ، ورثته صحافة العالم شرقاً وغرباً .

فمن رثاه المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى عام ١٣٥٩هـ ، قال من قصيدة طويلة :

من ليوم نحن فيه لغد	مات ذو العزّة والرأى الأسد
أيها النيل لقد جلّ الأسى	كن مداداً لي إذا الدمع نفد
فلقد ولي فريد وانطوى	ركن مصر وفتاها والسند
خالد الآثار لا تخش البلى	ليس يبلى من له ذكر خلد
قل لصبّ النيل إن لاقيته	في جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصرًا لاتني عن قصدها	رغم ما تلقى ، وإن طال الأمد
هاسترح واهناً في غبطة	فلقد بذرت الحب والشعب حصد

(٧) سعد باشا زغلول

هو الزعيم الأكبر سعد بن الشيخ إبراهيم زغلول المولود ببلدة إبيانه بمديرية الغربية عام ١٢٧٧هـ ، قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف ، وحضر علوم اللغة والأدب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع ، وغيرها على فطاحل العلماء ثم تعيين محرراً لجريدة « الوقائع المصرية » الرسمية بالداخلية ، ثم انتقل معاوناً بنظارة الداخلية في مدة وزارة « محمود سامي باشا البارودي » ثم تعيين مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة ، وذلك مدة اشتداد الثورة العربية ، ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضواً في لجنة تنقيح قانون الجنايات بالاستئناف ، ثم اختاره اللورد « كرومر » أن يكون وزيراً للمعارف . ثم وكيلاً للجمعية التشريعية إلى أن تطورت الحالة الوطنية في القطر المصري ، فانتخبته الأمة وكيلاً عنها في مطالبة إنجلترا بالجلء عن مصر والسودان .

ومن كلماته الماثورة في الوطنية :

١ - لا استعباد ، لا استعمار ، لاحماية ، ولا رقابة ، لا تداخل لأحد في شأن من شئوننا ، هذا ما نريد ، وهذا مالا بد أن نحصل عليه .

٢ - أقسم بالوطنية وعزتها : لو كنت أعرف أني أقود أمة بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا إدراك ، كما يصفها أعداؤها ما رضيت أن أكون قائداً لها .

٣ - إن قوتنا ليست مستمدة من الخارج ، بل هي نفوسنا ، فلتكن نفوسنا قوية تصل إلى غايتنا .

٤ - الإرادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ذلت كل صعب ، ومحت كل عقبة ، وقهرت كل مانع مهما كان قويا ، ووصلت عاجلاً أو آجلاً إلى الغاية المطلوبة .

٥ - لا يمكن أن نعتبر للحكوميين مذهباً ، لأن المذهب يقتضى مبادئ وقواعد ، أمّا هم فقاعدتهم القوة ، وما يعتمد على القوة لا يصح أن يسمى مذهباً . ومن كلماته الماثورة في الحرية وحدودها :

١ - كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقاً ، مهما كان مصدره عالياً ، ومهما كان الأمر به .

٢ - كل تقييد للحرية لابد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظلماً .

٣ - الصحافة حرة ، تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد من تريد ، فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا ، بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه .

٤ - نحن نحب الحرية ، ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها ،

٥ - جميل جداً أن يقال لا تحجروا على الناس ، ولا تقيدوا حريتهم ،

وإنها لنعمة لذيذة يحسن وقعها في الأسماع والقلوب ، ولكننا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم ، بل نريد حماية الحق وصيانتته من أن يتمتع به غير صاحبه من حيث يحرم منه صاحبه .

ومن آرائه في التشريع :

١ - كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة .

٢ - لاتصدقوا أن هناك قاعدة يرجع إليها القاضى في تقدير العقوبة ، أو أن هناك ميزاناً تُوزنُ به الجزاءات ، وإنما هي أمور اجتهادية يلهم بها القاضى إلهاماً .

٣ - الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة .

٤ - إننا إذا احترمنا أمراً للحكومة ، نحترمه لأنه نافع للأمة ، لا لأنه

صادر من تلك القوة المسيطرة .

٥ - يجب أن ننقاد للقانون . وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلة ،

بل عزاً وشرفاً .

٦- إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفِّها ، مُدافعين عنها فما عليها إلا أن تتبع الحق والعدل ، وتحترم القانون .

٧- يُعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون .

٨- الذى يلزمنا أن نفاخر به هو أعمالنا في الحياة لا الشهادة التى فى أيدينا .

٩- أعاهدكم عهداً لا أchied عنه على أن أموت فى السعى إلى استقلالكم ، فإن فزت فذاك ، وإلا تركت لكم تميم ما بدأت به .

هذا قليل من كثير لانهيط به جميعا ، خصوصا خطبه المطولة الممتعة التى تكاد أن تكون فى درجة الإعجاز ، ولا غرابة فى ذلك . فقد كان معروفاً بالشجاعة والصراحة يمتلك فى يده أعنة الألفاظ وأعذبها وأخفها وقعا على النفوس عن أقسى المعانى وأخشنها بأرق الألفاظ وأعذبها وأخفها وقعا على النفوس والأسماع ، خصوصا وأنه قدير على التأثير على نفس السامع ، وامتلاكه أزمة الأهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب ، واقتداره على إسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية أو السياسية إلى قاعدتها العامة التى توضع طريقا وتكشف الغامض منها .

ولقد كان مُشرعا يبحث النظامات ويدققها ، وسياسيا يبارز خصمه مبارزة الرجل الذى يحسن تقليب الحسام بين يديه ، فلا كلماته تعرق حجب الآداب ، ولا تتجاوز حدّ اللياقة ، لقد كان كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على آكام الزهر فلا يرتفع صوت ، ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين وأكثر ، حتى وافاه القدر المحتوم فى أواخر أغسطس سنة ١٩٢٧ م ، وعمره نحو ٦٧ سنة ، وقد خلفه زعامة حزب « الوفد المصرى » حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا .

(٨) مصطفى النحاس

هو مصطفى بن الشيخ محمد النحاس من أعيان بندر سمبود .

ولد (مصطفى النحاس) من أبوين كريمين عريقين في الحسب والنسب ،
توفي يونيه سنة ١٨٧٩ م .

وتربى تربية منزلية قيومة طبعته على الأمانة والاستقامة والنزاهة وأنشأته على
الخير والعدل والصلاح والتقوى ، فشب على مكارم الأخلاق من الصغر :

رَضَعَ الأخلاق من ألبانها إن للأخلاق وقعاً في الصغر

وما بلغ السادسة من عمره إلا وهو يزاول مبادئ التعليم في أحد مكاتب
البلدة ، وما تجاوز العاشرة من عمره إلا وكان حافظاً لجميع القرآن الكريم
حفظاً جيداً ، ثم ارتحل به والده إلى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية
بمنظارة أمين سامى في ذلك الوقت ، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر ،
وعكف على دروسه حتى كان في كل امتحاناته أول فرقة ، وبعد إتمام الدراسة
الابتدائية التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقسم الداخلى ، وأظهر جداً واجتهاداً
وتفوقاً ونبوغاً منقطع النظير ، حتى المرحلة الأخيرة التى كللت بنجاح عظيم ،
لفت نظر روسائه إليه ، حتى وصل خبره إلى اللورد « كتشنر » الذى رغب في
رؤيته ، ثم التحق بمدرسة الحقوق ، وتخرج منها في يونيه سنة ١٩٠٠ م ،
واشتغل بالمحاماة إلى أوائل سنة ١٩٠٤ ، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية
وظلَّ يخدم العدالة نيفاً وخمسة عشر عاماً ، حتى نادى المغفور له (سعد
زغلول) بوجوب المطالبة بحق مصر والاستقلال فانضم إليه ، وانضوى تحت
علمائه ، وأخذ يسعى في تحرير وطنه بكل إخلاص وتضحية عظيمة .

وقد تقلد رئاسة الحكومة المصرية ست مرات .

الأولى عام ١٩٢٨ م ، والثانية عام ١٩٣٠ م ، والثالثة عام ١٩٣٦ م ،
والرابعة عام ١٩٣٧ م بعد جهاده الذى نالت فيه مصر استقلالها التام ،
وإلغاء الامتيازات الأجنبية .

هذه لمحة وجيزة من تاريخ حياة مصطفى النحاس (محامياً ، وقاضياً ،
وخطيباً ، وخصماً سياسياً ، ووزيراً ، ورئيساً للوزارة) .
ومن خطبه :

« لاشك أن من يتولى الدفاع عن حقوق الأفراد وحريتهم مدفوعاً
بواجب مهنته وشعور التقديس لطائفته إنما هو مسوق حتماً للاشتراك فى
الدفاع عن حقوق المجموع وحریات المجموع ، لأن حقوق المجموع وحریات
المجموع إنما هى مجموع حريات الأفراد وحقوق الأفراد » .
ومن قوله :

- (١) ليس مثل الصراحة سياسة ناجمة فى وقت الخطر .
- (٢) إن القلوب إذا اتصلت لا تقوى على فصلها قوة مهما فتكت
أو بطشت .
- (٣) ما كان لقوة فى الوجود أن تحقق آمال شعب ، ولا أن تبدد
وحدة أمة .
- (٤) إنما الموت فى سبيل الأوطان حياة .
- (٥) ليس مصير الأمم لعبة فى أيدي اللاعبين ولا هو تجربة فى أيدي المجربين .
- (٦) إن للحق قوة معنوية هى من روح الله يقذفها على الباطل فتدمغه
خإذاً هو زاهق .

- (٧) مصر أمة جديرة حقاً بأن تكون مصدر السلطات .
- (٨) إن الأمر فى قضية الأمة أمر الأمة وحدها لا كلمة لسواها ولا
معمل على غير رضاها .

- (٩) الأمم الحية لا تغلبُ وقد تعود مصر أن تقهر قاهرها ، ولدهر قلبٌ إن صفا اليوم لشخص فى غد يتقلب .
- (١٠) اضطهاد الأحرار يزيدهم تمسكا بالحرية أضعافاً مضاعفة .
- (١١) إذا كان اعتناق المبدأ القويم فضيلة فإن الثبات على هذا المبدأ هو فضيلة الفضائل .
- (١٢) إن الأمة هى الأول والآخر ، وهى الأصل الذى يجب أن ترجع إليه كل الأمور .

(٩) الغازى مصطفى كمال

أشهر حماة الشرق ، وداهية أقطاب السياسة الغازى (مصطفى كمال) المولود فى سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م ، ولما بلغ السنة السادسة من عمره أدخله والده مدرسة ابتدائية ، وما لبث أن تركها على أثر وفاة والده ، ثم انتقل إلى قرية أخرى مع والدته بها خاله الذى كفله ، وعهد إليه القيام بحراسة الحقول والاشتغال بالزراعة مدة فأوجست والدته خيفة من ضياع إبّان شبابه بدون جدوى ، وصحت عزيمتها على إرساله إلى دار جدته فى (سلانيك) ودخل فى (المدرسة الملكية الإعدادية) غير أنه لم يوفق للتعليم بها - وذلك لشغفه بحب (المدرسة الرشدية العسكرية) الابتدائية ، فدخلها وأخذ يتبحر فى الرياضيات ، ويناقدش أستاذه المدعو (مصطفى بك) القائل له : إن بين اسمى واسمك اشتباها ، فيجدر أن أضيف إلى اسمك لفظة (كمال) للتمييز بيننا ، وقد أتم الدراسة فى هذه المدرسة العسكرية الابتدائية ، وفاق زملاءه فى العلوم الرياضية بحيث لم يصادف أية صعوبة فى امتحان المدرسة الإعدادية العسكرية الثانوية فى (مناستر) وتزود بقسط وافر فى اللغة الفرنسية ، وفى خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركى (المشهور (عمر ناجى بك) فارتشف من منهل العذب ، وتآدب بأدبه ، ودرس عليه

آداب اللغة التركية ، وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة التى تنجذب نفسه إليه وترتاح به ، رغم النصائح التى كان يلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم : « إذا أردت أن تكون جُندياً حقيقياً فاترك الأدب وخيال الشعراء » وبعد إتمامه الدراسة فى تلك المدرسة سافر إلى الآستانة سنة ١٣١٣ هـ ، والتحق بالمدرسة الحربية ، وكان شغفه عظيم بالعلوم والأدب ، ومزاولة الخطابة وأساليبها فتولد من ذلك توقه إلى حُب الاشتغال بالسياسة ، خصوصاً وقد وقعت فى يده كتب الوطنى العظيم (نامق بك كمال) فطالعتها مرارا ، ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت فى عقيدته (الوطنية) وكان ذلك فى عهد المرحوم (السلطان عبد الحميد) الداهية العظيم ، ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برتبة (مُلازم ثان) ، ولما انتقل إلى مدرسة أركان حرب بدأ يتعرف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكتنف إدارة البلاد وسياستها من السوء والفساد ، فكان أول ما فكر فيه أن يفهم زملاءه البالغ عددهم نحو ٥٠٠٠ طالب ، موقف البلاد الإدارى والسياسى .

وقد فكروا جميعاً فى تأسيس جريدة تكون لسان حالهم ، وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها غير أن (إسماعيل) مفتش المدارس وقف على حركتهم ثم وُشئ بهم إلى السلطان . وقال له : إن ناظر المدرسة (رضا) هو المسئول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية . واستمر مع رفاقه على إصدار جريدتهم حتى سنى مدرسة أركان حرب .

وبعد أن خرج من المدرسة برتبة (يوزباشى) فى أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكاناً خاصاً فى (بك أوغلى) رغبة فى استئناف العمل وعقد الاجتماعات ، أصدر القرارات لصالح الوطن ، ولكن لم تـُض مدّة وجيزة حتى اعتقل بضعة أشهر ، ثم أطلق سراحه وأصرَّ على اشتغاله بالسياسة حتى نَفَتْهُ الحكومة إلى ولاية الشام للخدمة فى الجيش ، وقد أسس هناك (جمعية الحرية) وأسس لها

فروعاً في بيروت ويافا والقدس ، وفي كل مدينة حلَّ فيها ونزل بها ، ولما كان انتشار مبادئ الجمعية غير ممكن في تلك المدن عزم على السفر إلى (مقدونيا) حيث هناك الأرض صالحة لبذر تلك المبادئ ، والعمل على إنمائها وإنباتها نباتاً حسناً ، وأطلع جمعيته على رأيه ، وعلى ذلك سعى أفرادها وتمكن من إصدار إذن يستطيع به السفر في بادى الأمر إلى (أزمير) وعلى إثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكرى باشا) المعروف بوطنيته الحارة ، وطلب منه مساعدته ، ولما شد الرحال إلى مقدونيا ، وركب البحر غير وجهته إلى مصر ، ومنها إلى بلاد اليونان ، ثم إلى سلانيك رغبة في إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس . وقد أسس في مدينة سلانيك فرعاً عاماً للجمعية ، وما كانت حكومة الآستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله حتى سافر إلى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة ، فاستصدرت جمعية الحرية أمراً بتعيينه على الحدود المصرية . وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام ، ثم طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا ، فقبل طلبه بالقبول ، وعلم بعد وصوله إلى سلانيك أن جمعية الحرية غيرت اسمها باسم جمعية (الاتحاد والترقى) وما وافى إعلان الدستور حتى برز إلى ميادين السياسة بفضل إعلانه جميع الأسرار . ولما نشبت الثورة الرجعية في الآستانة سنة ١٩٠٩ م أخمدها واستتب الأمن ، ثم تعين بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس .

وكان كثيراً ما يكتب لإصلاح شأن الجيش ، فكان ذلك من الأسباب الجوهرية التي بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه ، وكان جزاؤه تعيينه قائداً للألأى الثلاثين ، فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسى ؛ إذ أفسح له مجالاً واسعاً لالقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية للضباط والقواد ، ثم بعد ذلك دعت حكومة الآستانة ، وعينته ضمن أركان الحرب العامة فيها ، وقام بصحبة المرحوم

(شوكت باشا) بالحركات الحربية لإخماد الثورة فى بلاد ألبانيا . وقد ذهب متنكرا إلى مصر على أثر إعلان الحرب الإيطالية سنة ١٩١١م وسافر منها إلى بنغازى ، ثم عاد إلى الآستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار ، وتعين رئيسا لأركان الحرب ، بعدها عاد إلى الآستانة ، وتعين مُلحقاً عسكرياً فى سفارة (صوفيا) عاصمة بلغاريا ، ومكث هناك مدة سنة كاملة . ولما نشبت الحرب العامة سنة ١٩١٤ م تعين قائداً للفرقة السادسة عشرة فى (تكفور طاغ) ثم تعين قائداً لفيلق ديار بكر ، وبعدهما تولى قيادة الجيوش وعُين بعد ذلك قائداً للقوات الحجازية ، ثم عاد إلى ديار بكر ، ومنها عاد إلى الآستانة وأخذ القيادة على عاتقه ، وحصل بينه وبين كبار القواد الألمانين مناقشات أدت إلى استقالته ، وسافر من الآستانة مع (ولى العهد) إلى ألمانيا ، وفيها تقابل مع القائدين (هند نبورج ، ولوندرف) . وقد صحت عزيمته على ترك الآستانة والتوغل فى داخلية البلاد ، وقد بذل جهده فى العمل على إنقاذ الوطن خاصة والشرق عامة ، وبينما كان مشغلا بتهيئة الأسباب لذلك ؛ إذ تلقى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشا لجيش (الصاعقة) مع ضرورة ذهابه إلى الأناضول ، فتقبل ذلك بالسُرور العظيم ، وقام إلى الأناضول ، وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معا لذلك الجيش ، وكان ذلك من أهم العوامل الفعالة للوصول إلى تحقيق إنقاذ الوطن ، ولما شعرت الحكومة بخطئها استدعى فى الحال إلى الآستانة ، فرفض واستقال ، وسعى فى جمع نواب الأمة فى الأناضول ، وقد افتتح المجلس الوطنى الكبير يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ م ، وأخذ فى مباشرة الأعمال والقيام بواجب البلاد ، وكان شغله الشاغل (كيف تمثل إرادة الأمة أحسن تمثيل؟؟) .

وقد تم له ما أراد ، ففاز بالنصر والسداد ، وفق الله أمثاله إلى ما فيه صلاح العباد ، وقد اجتمع بين يديه إمارة السيف والقلم ، وخطبه أشهر من أن تذكر .

ومن أقواله فى حُبِّ الوطن العزيز : إن وطننا العزيز لا يموت ولن يموت ،
وإذا فرضنا المحال وسلمنا بموته (لا قدر الله) فكاهل الكرة الأرضية لن
يستطيع حمل تابوته الجسيم . نعم لا يسقط . مُهشما ، مقطع الأوصال ،
ما دام فرد منا يتنسم نسيم الحياة .

ومن آرائه فى تعليم المرأة : تعليم المرأة (أُم الوطن) وتثقيف عقلها بالعلوم
الدينية والمعارف الأهلية من أهم ما ترمى إليه نهضتنا العلمية الوطنية .
ومن وصفه للفلاح : سيد تركيا ، بل سيد العالم الحقيقى (الفلاح) لأنه هو
العنصر الأول فى تكوين عناصر الأمة وكيانها ، والوطن بدونها لا شئ ، بل الوطن
هو ، فيتعين أن نعتنى به عناية خاصة ، وأن نضع قبل كل شئ سعادته نصب أعيننا .

شعراء العصر الحاضر

(١) محمود سامى باشا البارودى

هو ربُّ السيف والقلم ، أمير الشعراء ، وشاعرُ الأمراء (محمود سامى باشا
ابن حسن حسنى بك البارودى) أحد زعماء الثورة العربية ، وأشعر الشعراء
المتأخرين بالديار المصرية - وُلد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتآدب وأدخل المدرسة
الحربية ، ومازال يترقى حتى ولَّاه الخديوى توفيق نظارتى الحربية والأوقاف ،
ثم ولى رئاسة مجلس النظر قبيل الثورة العربية ، فلما اضطرت نيران
الثورة أرغمه زعماءها على اصطلاء نارها فخبَّ فيها ووضع ، وحُكم عليه
بعد انتقضائها بالنفى إلى جزيرة (سيلان) حتى عَمى ، وشفع فيه ، فأذن له
بالقُدوم إلى مصر ، بعد مُضى ١٧ سنة من منفاه ، وبقي فى منزله يشغل
بالآدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م ، ومن قوله :

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر وإنما صفوه بين الورى لَمَعُ
لو كان للمرء فكر فى عواقبه ما شان أخلاقه حرص ولا طمع

وكيف يُدرك ما فى الغيب من حدث من لم يزل بغرور العيش ينخدع
 دهرٌ يغرُّ وآمال تسرُّ وأعمَّـارُ تمرُّ وأيام لها خدعٌ
 يسعى الفتى لأُمور قد تضرُّ به وليس يعلم ما يأتى وما يدعُ
 يا أيها السَّادرُ المزورُّ من صلف مهلاً فإنك بالأيام مُنخدعُ
 دع ما يُريب وخذ فيما خلقت له لعلَّ قلبك بالإيمان ينتفعُ
 إنَّ الحياة لثوبٌ سوف تخلعه وكل ثوبٍ إذا ما رث ينخلعُ
 ومن قوله فى الحماسة والفخر (وهو آخر ما قاله) :

أنا مصدرُ الكلامِ البوادي بين المحاضر والنوادي
 أنا فارسُ أنا شاعرُ فى كلِّ ملحمة ونادي
 فإذا ركبت فإننى زيد الفوارس فى الجلاذ
 وإذا نطقت فإننى قس بن ساعدة الإيادي

وقال يصف هرمى الجيزة وأبا الهول :

سل الجيزة الفيحاء عن هرمى مصر لعلك تدرى عيب ما لم تكن تدرى
 بناءً إن رداً صولة الدهر عنهما ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر
 أقاما على رغم الخطوب ليشهدا لبانيهما بين البرية بالفخر
 فكم أُمم فى الدهر بادتْ وأعصرِ خلت وهما أعجوبة العين والفكر
 تلوح لآثار العقول عليهما أساطير لا تنفك تتلى إلى الحشر
 رُموزٌ لو استطلعت مكنون سرها لأبصرتَ مجموعَ الخلائق فى سطر
 فما من بناءٍ كان أو هو كائن يُدانِيهما عند التَّأمل والخبر
 يُقصرُ حسناً عنهما صرحُ بابل ويعترف الإيوان^(١) بالعجز والبهر
 كأنهما ثديان فاضا بدرةً من النيل تروى غلة الأرض إذ تجرى

(١) هو إيوان كسرى كان بهوا عظيما فى قصره بالمدائن وسقفه أزج معقود وبه سمى قصر الأبيض .

وبينهما بلهيب^(١) في زى رابض أكب على الكفين منه إلى الصدر
يقلب نحو الشرق نظرة وامق كأن له شوقاً إلى مطلع الفجر
مصانع فيها للعلوم غوامض تدل على أن ابن آدم ذو قدر
رسا أصلها ، وأمتد في الجو فرعها فأصبح وكرّاً للساكنين^(٢) والنسر^(٣)

(٢) أحمد شوقي المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

أشهر شعراء العربية في العصر الحاضر ، وأقدرهم على التصورات
البديعية ، هو شاعر النيل المرحوم أحمد شوقي بك ، ابن أحمد شوقي بك ،
المولود بمصر سنة ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م .

شعره : ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ،
وحيث يشاء ، لايجهد فكره ، ولايكده في معنى أو في مبنى . فأما المعنى فيجئته على
مرامه أو على أبعد من مرامه ، ولاينضب عنده ، لأنه يستخلصه من عقل فوار
الذكاء ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب ، في لغات الإفرنج والأعراب ، فلسفة
الحقوق وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التي يحفظ منها غير يسير ، إلى
مشاركات علمية وتنبهات فنية ، استفادها من مطالعته في صنوف الكتب
واتخذها عن ملاحظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب . وأما المبنى
فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول ، ترى فيه من نسج (البُحترى) ومن
صياغة (أبي تمام) ومن وثبات (المتنبي) ومن مفاجآت (الشريف) ومن
مُسلسلات (مهيار) . ومن قوله (يصف هيكلاً أنس الوجود) :

أيها المنتجى (بأسوان) داراً كالثرياً تُريدُ أن تنقِضاً

(١) اسم لأبي الهول عرف به صدر الاسلام . ولعل أبا الهول
محرف عنه .

(٢) السماكان : نجمان نيران في السماء أحدهما السماك الرامح
والثاني السماك الأعزل .

(٣) النسر : كوكبان . الواقع والطائر . وفي النسر تورية .

اخلمع النعل واخفض الطرف واخشع
 قف بتلك (القصور) في اليم غرق
 كعذارى أخفين في الماء بضاً (١)
 مشرفات على الزوال وكانت
 شاب من حولها الزمان وشابت
 رب (نقش) كأنما نفخ الصا
 و (دهان) كلامع الزيت مرّت
 و (خطوط) كأنها هُدب ريم (٢)
 و (ضحايا) تكاد تمشي وترعى
 و (محاريب) كالبروج بنتها
 شيدت بعضها الفراعين زلفى (٣)
 و (مقاصير) أبدلت بفتات المسك ترباً وباليواقيب قضا (٤)
 حظها اليوم هدةً وقديماً
 سقت العالمين بالسعد والنحس إلى أن تعاطت النحس محضاً (٥)
 صنعة تدهش العقول وفن
 يا قصورا نظرتها وهي تقضى (٦)
 أنت سطرٌ ومجد مصر كتاب
 وأنا المُحتفى بتاريخ مصر
 ربُّ سرٍّ بجانبيك مزال
 لا تحاول من آية الدهر غمضا
 مُمسِكاً بعضها من الذعر بعضا
 سابحات به وأبدین بضاً
 مشرفات على الكواكب نهضا
 وشباب الفنون مازال غصاً
 نِعُ منه اليدين بالأمس نفضا
 أعصرُ بالسراج والزيت وضاً (٧)
 حسنت صنعة وطولا وعرضا
 لو أصابت من قدرة الله نبضا
 عزماتٌ من عزمة الجن أمضى (٨)
 وبني البعض أجنبٌ يترضى (٩)
 صرّفت في الحظوظ رفعاً وخفضاً
 كان إتقانه على القوم فرضاً
 فسكبتُ الدموع والحق يُقضى
 كيف سام البلى كتابك قضا
 من يصن مجد قومه صان عرضاً
 كان حتى على (الفراعين) غمضا

(١) بضاً : البض ، الرخص : الجسد . (٢) وضاً : وضاء .
 (٣) ريم : غزال . (٤) أمضى : أحد . (٥) زلفى : تقريبا .
 (٦) يترضى : يطلب الرضا . (٧) قضا : حصا .
 (٨) محضاً : خالصاً . (٩) تقضى : تفنى .

قل لها في الدعاء لو كان يجدى
 حار (فيك) المهندسون عقولا
 أين ملك حيالها وفريد
 أين (فرعون) في المواكب تترى
 ساق للفتح في الممالك عرضاً
 أين (إيزيس) تحتها النيل يجرى
 أسدك الطرف كاهن ومليك
 يعرض المالكون أسرى عليها
 ما لها أصبحت بغير مجير
 هي في الأماسر بين صخر وبحر
 أين (هوروس) بين سيف ونطع
 ليت شعري قضى شهيد غرام
 رب ضرب من سوط فرعون مض (٤)
 وهلاك بسيفه وهو فان
 قتلوه فهل لذلك حديث
 يا إمام الشعوب بالأمس واليو
 (مصر) بالنازليين من ساح معن (٦)
 كن ظهيراً (٧) لأهلها ونصيراً
 قل لقوم على (الولايات) أيقا
 شيمة النيل أن يني وعجيب

تاساء الجلال لا صرت أرضاً
 وتولت عزائم العلم عرضي
 من نظام النعيم أصبح فضاً (١)
 يركض المالكين كالخيل ركضاً
 وجلا للفخار في السلم عرضاً
 حكمت فيه شاطئين وعرضاً
 في ثراها وأرسل الرأس خفضاً
 في قيود الهوان عانين جرضي (٢)
 تشتكى من نوائب الدهر عضاً
 ملكة في السجون فوق حضوضي (٣)
 أهذا في شرعهم كان يقضى؟
 أم رماه الرشاة حقداً وبغضاً
 دون فعل الفراق بالنفس مضاً
 دون سيف من اللواحق ينضى (٥)
 أين راوى الحديث نثراً وقرضاً؟
 م ستعطى من الثناء فترضى
 وحمى الجود حاتم الجود أفضى
 وابذل النصح بعد ذلك محضاً
 ظ إذا ذاقت البرية غمضاً
 أخرجوه فضيع العهد نقضاً

(١) فضا : مفضوض . (٢) جرضي : مغمومين .
 (٣) حضوضي : جبل في البحر . (٤) مض : مرجع .
 (٥) ينضى : يسيل . (٦) معن : هو معن بن زائدة أحد
 كرماء العرب . (٧) ظهيرا : نصيرا .

حاشه (١) الماء فهو صيد كريم ليت بالنيل يوم يسقط غيضا (٢)
شيدوا المال ، والعلوم قليل أنقذوه بالمال والعلم نقضا (٣)

وقال أيضاً فى استنهاض همم العمال من قصيدة :

أيها العمال أنفوا العم	ر كذا واكتسابا
واغمروا الأرض فلولاً	سعيكم أمست يبابا (٤)
أتقنوا الصنعة حتى	تأخذوا الخلد اغتصابا
إن للمتقن عند اللب	والناس ثوابا
أتقنوا يحببكم الله	ويرفعكم جنابا
أرضيتم أن تُرى مص	ر من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماء	للصناعات وغابا
أيها الغادون كذ	محل ارتيادا وطلابا
فى بكور الطير للرز	ق مجيئاً وذهابا
اطلبوا الحق برفق	واجعلوا الواجب دابا
واستقيموا يفتح الله	لکم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا الله	أو تُرضوا الكتابا
إنها رجس فطوبى	لامرى كف وتابا
تُرعى الأيدي ومن ير	عش من الصناع خابا
إنما العاقل من	يجعل للدهر حسابا

(١) حاشه : من حاش الصيد : أخرجه فى كل مكان .

(٢) غيضا : من غاض الماء غيضا ، نقص أو غار فذهب فى الأرض .

(٣) نقضا : النقص ما انتقض من البناء ، أى انتكث .

(٤) الأرض اليباب : الخراب .

وقال أيضاً في وصف الصحافة من قصيدة :

لكل زمان مضي آيةٌ وآية هذا الزمان الصحف
لسانُ البلاد ونبض العبا دوكهف الحقوق وحرب الجنف (١)
تسيرُ مسير الضحى في البلا د ، إذا العلم مزق فيها السدف (٢)
وتمشى تعلمُ في أمة كثير بها لا يحط. الألف !
فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإن السعادة غيرُ الظهو ر ، وغير الثراء ، وغير الترف
ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يُكتنف
خذوا القصد واقنعوا بالكفا ف واخلوا الفضول يغلها السرف (٣)
وروموا النبوغَ فمن ناله تلقى من الحظ. أسنى التحف
وما الرزق مجتنبٌ حرفة إذا الحظ. لم يهجر المحترف
إذا آخت الجوهريَّ الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له في الصدف (٤)
وإن أعرضت عنه لم يحلُ في عُيون الخرائد (٥) غير الخزف

(٣) المرحوم محمد حافظ. إبراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ. بن إبراهيم أفندي فهمي المولود سنة ١٢٨٨ هـ . يقول الشعر في كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ويتعب في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج تماثيل جميل من حجره . يؤثر الجزالة على الرقة ، وله فيها آيات ، يطرق الموضوع في الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع ، شأن الصانع القدير الذي

(١) الجنف : الحيف . (٢) السدف : الغلام .

(٣) الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة ، وغالها السرف

يقولها : أبى عليها . (٤) اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير .

(٥) الخرائد : العذارى .

يبدأ بأصعب ما بين يديه ، آمناً أن تهن عزيمته دون الإجادة بعد ، عالماً أن الكلام لا بد أن يأتيه في أى مقام طبعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخير نفائس مفرداتها ، وأعلاق حلالها . له غرام باللفظ. لا يقل عن الغرام بالمعنى ، وفي أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فإذا فاته الابتكار حيناً في التصور لم يفته الابتكار حيناً في التصوير ، أولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء .

فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربى في مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته ، وإضاءته وأثره الخالد .

أما شعره فشعر البيان ، وإن من البيان لسحراً - ومن شعره الاجتماعى قوله :

كم ذا يكابد عاشق ويُلَاقِ	في حُب مصر كثيرة العشاق
إني لأحملُ في هوائِ صباية	يامصر ، قد خرجت عن الأطواق
لهنى عليك ، متى أراكِ طليقة	يحمى كريم حماكِ شعبُ راق
كلفُ بمحمود الخلال مُتيمُّ	بالبدلِ بين يديكِ والإنفاق
إني لتطربنى الخلالُ كريمة	طربَ الغريب بأوبة وتلاق
ويهزئنى ذكر المروعة والندى	بين الشماثل هزة المشتاق
ما البابلية في صفاء مزاجها	والشربُ بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكئوس وتختفى	والبدرُ يشرق من جبين الساق
بألد من خُلقِ كريم طاهر	قد مازجته سلامة الأذواق
فإذا رُزقتَ خليفة محمودة	فقد اصطفاك مقسمُ الأرزاق
فالناسُ هذا حظه مالٌ ، وذا	علم ، وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصنا	بالعد كان نهاية الإملاق

والعلم إن لم تكنفه شمائلُ
لا تحسبن العلم ينفعُ وحدهُ
من لى بتربية النساء فإنها
الأم مدرسة ، إذا أعدتها
الأم روضُ إن تعهدهُ الحيا
الأم أستاذ الأساتذة الألى
أنا لأقول : دعوا النساء سوافراً
يدرجن حيث أردن ، لا من واز
يفعلن أفعال الرجال لواهيأ
في دورهن شؤونهن كثيرة
كلا ، ولا أدعوكم أن تسرفوا
ليست نساؤكم حلى وجواهرأ
ليست نساؤكم أثاثا يُقتنى
تشكل الأزمان في أدوارها
فتوسطوا في الحاليتين وأنصفوا
ربوا البنات على الفضيلة ، إنها
وعليكم أن تستبیر بناتكم

تُعليه كان مطية الإخفاق
ما لم يُتوجُ ربه بخلاق
فى الشرق علّة ذلك الإخفاق
أعددت شعباً طيب الأعراق
بالرى ، أورك أيما إيراك
شغلت مآثرهم مدى الآفاق
بين الرجال يجلن فى الأسواق
ع يحذرن رقبته ولا من واق
عن واجبات نواعس الأحداق
كشئون ربّ السيف والمزراق
فى الحُجب والتضييق والإرهاق
خوف الضياع نصان فى الأحقاق
فى الدور بين مخادع وطباق
دولا ، وهن على الجهود إراق
فالشر فى التقييد والإطلاق
فى الموقفين لهن خير وثاق
نور الهدى . وعلى الحياة الباقي

(٤) المرحوم إسماعيل صبرى المتوفى سنة ١٩٢٣ م

هو أحد شعراء الطبقة الأولى فى هذا العصر ، ويمتاز بجمال مقطعاته
وعذوبة أسلوبه إلى ما لا يجاريه فيه مُجار .

وأكثر ما ينظم فلخطة تخطر على باله ، من مثل حادثة يشهدها ، أو
خبر دى بال يسمعه ، أو كتاب يطالعه ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين
عادة إلى أربعة إلى ستة ، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة .

وهو شديد النقد لشعره ، كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريد ذوقه من رقة اللفظ ، وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسبته ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٤م ، وتوفى سنة ١٩٢٣ م .

ومن قوله يصف الأهرام :

لا القوم قومي ولا الأعوان أعوانى	إذا ونى يوم تحصيل العلى وان
ولست إن لم تؤيدنى فراعنة	منكم بفرعون على العرش والشان
ولست جباراً ذا الوادى إذا سلمت	جباله تلك من غارات أعوانى
لاتقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً	فماؤه العذب لم يُخلق لكسلان
ردوا المجرة كدّاً دون مورده	أو فاطلبوا غيره رياءً لظمان
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم	لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسان
أمرتكم ، فاطيعوا أمر ربكم	لا يثن مستمعا عن طاعة ثان
فالملك أمر وطاعات تسابقه	جنباً إلى جنب إلى غايات إحسان
لا تتركوا مستحيلاً فى استحالتة	حتى يُميط لكم عن وجه إمكان
مقالة قد هوت عن عرش قائلها	على مناكب أبطال وشجعان
مادت لها الأرض من دُعرودان لها	ما فى المقطم من صخر وصوان
لو غير فرعون ألقاها وإلا	فى غير مصر لعدت حلم يقظان
لكن فرعون إن نادى بها جبلاً	لبت حجارتُهُ فى قبضة البانى
وآزرته جماهيرٌ تسيل بها	بطاحُ واد بماضى العزم ملآن
يبنون ما تقفُ الأجيال حائرة	أمامه بين إعجاب وإذعان
من كل ما لم يلد فكر ولا فتحت	على نظائره فى الكون عينان
ويُشبهون إذا طاروا إلى عمل	جنا يطيرُ بأمر من سليمان
برا بذى الأمر لاخوفاً ولا طمعاً	لكنهم خلقوا طلاب إتقان

أَهْرَامُهُمْ تِلْكَ ، حَى الْفَنِّ مَتَّخِذًا
 قَد مَرَّ دَهْرٌ عَلَيْهَا وَهِيَ سَاخِرَةٌ
 لَمْ يَأْخُذِ اللَّيْلُ مِنْهَا وَالنَّهَارُ سَوَى
 كَأَنَّهَا وَالْعَوَادَى فِي جَوَانِبِهَا
 جَاءَتْ إِلَيْهَا وَفُودُ الْأَرْضِ قَاطِبَةٌ
 فَصَغُرَتْ كُلُّ مَوْجُودٍ ضَخَامَتِهَا
 وَعَادَ مُنْكَرُ فَضْلِ الْقَوْمِ مُعْتَرِفًا
 تِلْكَ الْهَيْكَلُ فِي الْأَمْصَارِ شَاهِدَةٌ
 وَأَنَّ فِرْعَوْنَ فِي حَوْلٍ وَمَقْدَرَةٍ
 إِذَا أَقَامَ عَلَيْهِمْ شَاهِدًا حَجْرٌ
 كَأَنَّمَا هِيَ وَالْأَقْوَامُ خَاشِعَةٌ
 تَسْتَقْبِلُ الْعَيْنَ فِي أَثْنَانِهَا صُورٌ
 لَوْ أَنَّهَا أُعْطِيَتْ صَوْتًا لَكَانَ لَهُ
 أَهْنُ الْأَلَى سَجْلُوا فِي الصَّخْرِ سِيرَتَهُمْ
 بَادُوا ، وَبَادَتْ عَلَى آثَارِهِمْ دُولٌ
 مِنْ الصَّخُورِ بَرُوجًا فَوْقَ كَيَوَانٍ
 بِمَا يُضْعَضَعُ مِنْ صَرْحٍ وَإِيْوَانٍ
 مَا يَأْخُذُ النَّمْلُ مِنْ أَرْكَانِ ثَهْلَانٍ
 صَرَعَى بِنَاءُ شَيَاطِينٍ لِشَيْطَانٍ
 تَسْعَى اسْتِثْيَاقًا إِلَى مَا خَلَدَ الْفَانِي
 وَغَضَّ بَنِيَانَهَا مِنْ كُلِّ بَنِيَانٍ
 يُثْنَى عَلَى الْقَوْمِ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
 بِأَنَّهُمْ أَهْلُ سَبْقٍ ، أَهْلُ إِمْعَانٍ
 وَقَوْمُ فِرْعَوْنَ فِي الْإِقْدَامِ كَفَآنٍ
 فِي هَيْكَلٍ قَامَتْ الْأُخْرَى بِبِرْهَانٍ
 أَمَامَهَا صُحُفٌ مِنْ عَالَمٍ ثَانٍ
 فَصِيحَةُ الرَّمْزِ دَارَتْ حَوْلَ جَدْرَانٍ
 صَدَى يُرْوَعُ صَمَّ الْإِنْسِ وَالْجَانِ
 وَصَغُرُوا كُلُّ ذِي مُلْكَ وَسُلْطَانٍ
 وَأَدْرَجُوا طَىَّ أَنْخَبَارٍ وَأَكْفَانٍ

(٥) خليل مطران

هو شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام ، ولد عام ١٨٧١ م .
 ببعلبك وتعلم بها ، ثم قدم مصر عام ١٨٩٣ ، واشتغل بمكاتبة الصحف ،
 وأنشأ باسمه « المجلة المصرية » عام ١٨٩٩ م ، وأنشأ أيضاً « جريدة
 الجوائب المصرية » ، وله ديوانه المسمى « ديوان الخليل » .

شعره : مجمع الصور ، وملعب الخيال ، ونفسه كالصحيفة الحساسة ،

ينطبع عليها كل ما يمر بها . بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم ، بل
وجه البحيرة الصافي يحركه كل ريح .

ومن قصيدة له يصف الأسطول الإيطالي لسواحل الشام ويستنهض الهمم :

بلادى لا يزال هواك منى	كما كان الهوى قبل الفطام -
أقبل منك حيث رمى الأعادى	رغاماً طاهراً دون الرغام -
وأفدى كل جلود فنيث	وهى بقنابل القوم اللثام -
لحى الله المطامع حيث حلت	فتلك أشد آفات السلام -
تشوب الماء وهو أغر صاف	وتمشى فى المشارب بالسقام -
أقول: وقد أفاق الشرق دُعراً	من الحال الشبيهة بالمنام -
على صخب المدافع فى حُماة	ورقص الموت بين طلى وهام -
أقول بصوته لحماة دار	رماها من بناقة الغرب رام -
أبأة الضيم من عرب وترك	نسور الشم آساد الموائى -
قروم العصر فرساناً ورَحلاً	نجوم الكَر من خلف اللثام -
بنا مرض النعيم فنسْمُونَا	وغى يشفى من الصفو العقام -
بنا برد المكوث فادفتونا	بحمى الوُثب حيث الخطب حام -
بنا عطل السماع فشنفونا	بقعقة الحديد لذى الصدام -
على هذا الرجاء ونحن فيه	نسير مُوفقين إلى الأمام -

وقال أيضاً فى « نابليون » وهو يَرَقِب السماء فى آخر أيامه :

قالوا لنابليون ذات عَشية إذ كان يَرَقِبُ فى السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أُمْنية فأجاب أنظر كيف أفتتح السما !

أبواب الشعر العربي - الباب الأول فى المديح

قال أُمية بن أبى الصلت المتوفى فى أول ظهور الإسلام حامداً شاكراً للإله

لك الحمدُ والنَّعماءُ والملكُ رَبِّنا فلا شىءَ أعلى منك مجدًا وأمجدُ
ملكُ على عرش السماء مُهيمنُ لعزته تعنو الوجوه وتسجدُ
فسبحان من لا يعرف الخلقُ قدره ومن هو فوق العرش فرد موحدُ
هو الله بارى الخلق والخلق كلهم إمامٌ له طوعاً جميعاً وأعبُدُ
ملكُ السماوات الشَّداد وأرضها يدوم ويبقى ، والخلقة تنفدُ

وقال أيضاً فى الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك :

إله العالمين وكل أرض وربُّ الراسيات من الجبالِ
بناها وابتنى سبعا شداداً بلا عمدٍ يُرَيْنَ ، ولا رجالِ
وسواها وزينها بنور من الشمس المضيئة والهلالِ
ومن شهب تلاًلاً فى دُجائها مراميهما أشدُّ من النصالِ
وشق الأرض فانبجست عيوناً وأنهاراً من العذب الزلالِ
وبارك فى نواحيها وزكى بها ما كان من حرث ومالِ
فكل مُعمِّر لابد يوماً وذى دنيا يصير إلى زوالِ
ويفنى بعدُ جدته ويبلى سوى الباقي المقدس ذى الجلالِ
وسيق المجرمون وهم عُراة إلى ذات المقامع والنكالى
فنادوا ويلنا ويلا طويلا وعجوا فى سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحرُّ النار صالى
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والكمالِ

وقال محمود سائى البارودى مادحاً سيد الأمة ، من قصيدة كشف الغمة :

(محمد) خاتم الرُّسل الذى خضعت له البرية من عُرب ومن عجمِ
سميرٌ وحى ومجنى حكمة وندى ساحةً وقرى عاف ورى ظمِ

قد أبلغ الوحى عنه قبل بعثته مسامع الرسل قولاً غير منكم
فذلك دعوة إبراهيم (١) خالقه وسر ما قاله عيسى (٢) من القدم
أكرم به ، وبآباء مُحجَّلة جاءت به غرة فى الأعصر الدهم
قد كان فى ملكوت الله مُدخراً لدعوة كان فيها صاحب العلم
نور تنقل فى الأكوان ساطعه تنقل البدر من صلب إلى رحم

وقال شوقى مادحاً أفضل الخلق على الإطلاق من قصيدة نهج البردة :

(محمد) صفوة البارى ورحمته وبُغية الله من خلق ومن نسّم
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة متى الورود ؟ وجبريل الأمين ظمى
سناؤه وسناء الشمس طالعة فالجرم فى فلك والضوء فى علم
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد باذخ فى مظهر سنم
نوا إليه فزادوا فى الورى شرفاً ورب أصّل لفرع فى الفخار نعى
حواه فى سبحات الطهر قبلهم نوران قاما مقام الصلب والرحم
لما رآه بحيراً قال نعرفه بما حفظنا من الأسماء والسم

وقال أبو تمام مادحاً المعتضد بالله :

إلى قطب الدنيا الذى لو بفضله مدحت بنى الدنيا كفتهم فضائله
من البأس والمعروف والجود والنقى عيال عليه رزقهن شمائله
هو البحر من أى النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

(١) يشير الى قوله تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

(٢) يشير الى قوله جل ذكره : « ومبشرا برسول يأتي من بعدى

وقال مادحاً المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة :
 السيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ من الكتبِ فى حَدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللَّعبِ
 بيض الصَّفائح لا سود الصِّحائف فى فَتْحُ تَفْتَحُ أَبْوابَ السَّماءِ له
 غادرت فيها بهم الليل وهو ضُحى حتى كَان جلابيب الدجى رَغبت
 أَجْبته معلنًا بالسيف مُنْصَلْتًا خليفه الله جازى الله سعيك عن
 إِنْ كَانَ بين صروف الدهر رحم هَبِين أَيَّامُك اللاتى نُصرت بها
 وقال أبو العلاء المعرى :

إِلَيْكَ تنهى كل فخرٍ وسُودٍ فَبَلِّ اللىالى والأَنَامِ وجدِّ
 لجدك كان المجد ثم حويته ولابنك يبنى منه أَشْرَفُ مَقْعَدِ
 ثلاثة أَيَّام هى الدهر كله وما هن غير الأَمْس واليوم والغدِ
 وما البدر إلا واحدٌ غير أَنه يغيب ويأتى بالضياء المجدِ
 فلا تحسب الأقمار خلقًا كثيرة فجملتها من نيرٍ متردِّ
 وللحسن الحسنى وإن جاد غيرُهُ فذلك جودٌ ليس بالمتعمدِ
 وقال أبو الطيب المتنبى مادحاً سيف الدولة :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك مِلء الزمان ومِلء السهل والجبلِ
 فنحن فى جدل والروم فى وجلٍ والبرُّ فى شغل والبحر فى خجلِ
 لیت المدايح تستوفى مناقبه فما كليبٌ وأهل الأعصر الأولِ
 خُذْ ما تراه ودع شيئًا سمعت به فى طلعة البدر ما تغنيك عن زُحَلِ

وقد وجدت مكان القول ذا سعة
إن الإمام الذى فخر الأنام به
تمسى الأمانى صرعى دون مبلغه
وقال أيضاً يمدح أبا شجاع :

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ
واجز الأمير الذى نعماه فاجئةُ
فربما جزت الإحسان مؤليه
وإن تكن محكمات الشكل تمنعنى
وما شكرتُ لأن المال فرحنى
لكن رأيتُ قبيحاً أن يجادلنا
فكنت مُنبِتَ روض الحزن باكره
غيثٌ يُبينُ للنظار موقعه
لا يُدرك المجد إلا سيدُ فطنُ
لا وارثُ جهلت يمناه ما وهبت
قال الزمانُ له قولاً فافهمه
تدرى القناة إذا اهتزت براحته
كفاتك ، ودخول الكاف منقصةُ
القائدُ الأسد غلتها برائنه

وقال أيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث عام ٣٤٣ هـ :

على قدرِ أهل العزم تأنى العزائمُ
وتأنى على قدرِ الكرام المكارم
وتعظمُ فى عين الصغير صغارها
وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
يكلف سيف الدولة الجيش همه

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغُمُ
يفدى أتم الطير عمراً سلاحه نسور الفلا أحداشها والمقشاعُمُ
وما ضرها خلقٌ بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أئى الساقيين الغمامِ
سقتها الغمام الغرُّ قبل نزوله فلما دنا منهل سقتها الجماجمِ
بناها فاعلى والقنا تقرر القنا وموجُ المنايا حولها متلاطمِ
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمامِ
طريدة دهر ساقها فردتها على الدين بالخطى والدهر راغمِ
تبيدُ الليالى كل شئ أخذته وهُنَّ لما يأخذن منك غوارمِ
وكيف ترجى الروم والفرس هدمها وذا الطعنُ أساس لها ودعائمِ

وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

تعزت أم حذرة ثم قالت : رأيت الواردين ذوى امتناح
ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
سأشكرُ إن رددت على ريشى وأنبت القوادم فى جناحى
ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه :

كم باليامة من شعشاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصَّوت والنظر
من يعدك تكفى فقد والده كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك بعدك ملهوف كأن به خبلا من الجن أو مساً من البشر
إننا لنرجو إذا ما الغيثُ أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
أنى الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الأراولُ قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمِل الذَّكر ؟

وقال أيضاً ندحه :

يعودُ الفضلُ منك على قریش
وقد أمنت وحشهم برفق
وتدعو الله مجتهداً ليرضى
وما كعبُ ابن مامة وابن سُعدى
وتفرجُ عنهم الكُربَ الشدادا
ويعى الناس وحشك أن يصادا
وتذكر فى رعيتك المعادا
بأجودَ منك يا عمرُ الجوادا

وقال الشعالبى المتوفى سنة ٤٣٩ هـ مادحا الأمير أبا الفضل الميكالى :

لك فى المفاخر معجزاتُ جمّة
بحران بحرٌ فى البلاغة شابه
وترسل الصابى تزين علوه
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو
شكراً فكم من فقره لك كالغنى
وإذا تفتق نورُ شعرك ناضرا
أرجلت فرسان الكلام ورض
ونقشت فى فص الزمان بدائعاً
أبدأ لغيرك فى الورى لم تجمع
شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعى
خط ابن مقّة ذو المحل الأرفع
كالوشى فى برد عليه موشع
وافى الكريم بُعيد فقر مدقع
فالحسن بين مرصع ومصرع
ت أفراس البديع وأنت أمجد مبدع
تزرى بآثار الربيع المدرع

وقال أبو محمد اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح :

أقسمت بالفائز المعصوم معقده
لقد حمى الدين والدنيا وأهلها
اللابس المجد لم تنسج غلائله
وقد ملكته العوالى رق مملكة
أرى مقاماً عظيماً الشأن أوهمنى
ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها
خليفة ووزير مدّ عدلها
زيادة النيل نقص عند فيضها
فوز النجاة وأجر البر فى القسم
وزيره الصالح الفراج للعمم
إلا يد الصانعين السيف والقلم
تغير أنف الثريا عزة الشمم
فى يقظتى أنه من جملة الحلم
عقود مدح فما أرضى لكم كلمى
ظلا على مفرق الإسلام والأمم
فما عسى يتعاطى هاطل الديم

وقال المرحوم حافظ. إبراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهنئه :
 رَأَيْتَكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشِعَ فقلت أبوحفص ببرديك أم على
 وخففتُ من حزني على مجد أمة تداركتها والخطبُ للخطب يعلى
 طلعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح ابن مقبل
 وجردت للفتيا حسام عزيمة بحديه آياتُ الكتاب المنزل
 محوت به في الدين كل ضلالة وأثبت ما أثبت غير مفضل
 لئن ظفر الإفتاء بفاضل لقد ظفر الإسلام منك بأفضل

الباب الثاني في الفخر والحماسة

قال السموال بن عدياء المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة :

إذا المرء لم يندس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل (١)
 وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل (٢)
 تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فقلت لها : إن الكرام قليل (٣)
 وما قل من كانت بقاياها مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول (٤)
 وما ضررنا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عزيز وجارُ الأكثرين ذليل (٥)
 لنا جبل يحتله من نجيرة منيع يردُّ الطرف وهو كليل (٦)

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة : والمعنى أن الإنسان إذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأى ملابس يلبسه بعد ذلك كان جميلاً .

(٢) وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها : أى من لم يصير النفس على مكارها فلا سبيل له إلى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم ضيم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونّه تذلاً . (٣) يقال غيرته كذا وغيرته بكذا والأول المختار . (٤) الشباب : جمع شاب كالشبان ، وقوله : أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين ، والكهول جمع كهل ضد الشبان . (٥) وضرنا يحوز في أما أن تكون نافية ، والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير . (٦) قيل انه أراد يذكر الجبل العز والسمو : وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموال الذي يقال له الأبلق الفرد بنسأه أبوه ، وقيل بنسأه سليمان عليه السلام .

- رساً أصله تحت الثرى وسما به (١)
هو الأبلق الفرد الذى شاع ذكره
وإن لقوم لا نرى القتل سبة
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وما مات منا سيد حتف أنفه
تسيل على حد الطبات نفوسنا
صفونا فلم نكدراً وأخلص سرنا
علونا إلى خير الظهور وحطنا
فنحن كماء المزن مافى نصابنا
وننكر إن شئنا على الناس قولهم
إذا سيد منا خلا قام سيد
إلى النجوم فرع لا ينال طويل (١)
يعز على من رآه ويطول (٢)
إذا ما رآته عامر وسلول (٣)
وتكرهه آجالهم فتطول (٤)
ولا ظل منا حيث كان قتيل (٥)
وليست على حد الطبات تسيل (٦)
إناث أطابت حملنا وفحول (٧)
لوقت إلى خير البطون نزول (٨)
كهام ولا فينا يعد يخيل (٩)
ولا ينكرون القول حين نقول (١٠)
قؤول لما قال الكرام فعول (١١)

(١) رسا أصله الى آخر البيت يريد به أنه أثبت جبل فى الأرض وأعلى طود عليها . (٢) الأبلق الفرد الذى شاع ذكره هو حصن السموال بناه أبوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصيدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت تمرّد مارد وعز الأبلق .

(٣) السبة العار ، وعامر وسلول قبيلتان ، يقول : اذا حسب هؤلاء القتل عارا عدته عشيرتى فخرا . (٤) يقرب الى آخر البيت يشير به الى أنهم يفتبطون لافتحامهم المنايا وأن عامراً وسلولا يعمرّون لمجانبتهم الشر كراهة للموت وجبا للحياة . (٥) يقال مات فلان حتف أنفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ، قيل ان أول من تكلم بقولهم حتف أنفه هو النبى صلى الله عليه وسلم . (٦) الطبات : جمع طبة وهى حد السيف . قيل أراد بالطبات السيوف كلها فأضاف الحد إليها أى أنهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون الا بالسيف ولا يقتلون بالعصى ولا بالحجارة كما يقتل رعاى الناس . (٧) المراد بالسرا هنا الأصل الجيد .

(٨) علونا الى آخر البيت يشير به الى صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم . (٩) كماء المزن يريد بذلك . تشبيهه صفاء انسابهم بصفاء المطر والنصاب الأصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد .

(١٠) ولا ينكرون الى آخر البيت معناه أنهم لشدة بأسهم وحماستهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم . (١١) يعنى أن السيادة مستقرة فينا حتى اذا خلا منا سيد قام سيد يقول ماتقول الكرام ويفعل ماتفعل .

وما أخدمت ناراً لنا دون طارق ولا ذمناً فى النازلين نزيل (١)
 وأيامنا مشهورة فى عَدُونَا لها غَرَرٌ معلومة وحُجُول (٢)
 أسيافنا فى كل شرق ومغرب بها من قِرَاع الدَّارِ عين فُلُول (٣)
 مُعوّدة ألا تسلّ نصالها فتغمد حتى يُستباح قبيل (٤)
 مَلَى إن جهلت الناس عنا وعنهم فليسوا سواءَ عالمٌ وجهول (٥)
 فإن بنى الديان قطبٌ لقومهم تدورُ رحاهم مولهم وتَجُول (٦)

وقال عنتره العبسى المتوفى سنة ٧ قبل الهجرة :

لعمرك إن المجد والفخر والعلا ونيل الأمانى وارتفاع المراتب
 لمن يتلقى أبطالها وسراتها بقلب صبور عند وقع المضارب
 ويبنى بحدّ السيف مجداً مشيداً على فلك العلياء فوق الكواكب
 ومن لم يروّ رُمحه من دم العدا إذا اشتبكت سُمر القنا بالقواضب
 ويعطى القنا الخطى فى الحرب حقه ويبرى بحد السيف عرض المناكب
 يعيش كما عاش الذليل بغصة وإن مات لا يجرى دموع النوادب
 فضائلُ عزم لا تباعُ لضارع أسرار عزمٍ لا تذاع لعائب
 برزتُ بها دهرًا على كل حادث ولا كحل إلا من غبار الكتائب

- (١) وما أخدمت نار لنا يشير بذلك الى أنهم لكثرة كرمهم يديمون
 إيقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم يشئى عليهم كل نزيل .
 (٢) الحَجُول : جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة فى
 أعدائنا فهى بين الأيام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل .
 (٣) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين أصحاب
 الدروع . (٤) القبيل : الجماعة من آباء شتى وجمعه قبائل يقول
 عودت أسيافنا أن لا تجرد من أغمادها فتزد فيها إلا أن يستباح بها
 قبيل ، وفى رواية قتيل . (٥) عنا وعنهم ويروى عنا فتخبر معناه
 أن كنت جاهلة بنا فسلى الناس تخبرى بحالنا فالعالم والجاهل مختلفان
 (٦) القطب الحديد المفروس فى الطباق الأسفل من الرحى يدور
 عليه الطباق الأعلى منها ، والمعنى أن أمر قبيلهم لا يستقيم ولا يتم إلا بها
 مثل الرحى لا يتم أمرها إلا بالقطب .

إذا كذب البرق اللومع لشائم
سكتُ فغراً أعدائى السكوتُ
وكيف أنامُ عن سادات قوم
وإن دامت بهم خيل الأعادى
بسيف حده موجُ المنايا
خلقت من الحديد أشد قلباً
وإنى قد شربت دم الأعادى
وفى الحرب العوان ولدت طفلاً
فما للرمح فى جسمى نصيب
ولى بيت علا فلك الثرىّا
فبرقُ حسامى صادق غير كاذب
وظنُونى لأهلى قد نسيت
أنا فى فضل نعمتهم رُبيتُ
ونادُونى ، أجبت متى دُعيتُ
ورُمحُ صدره الحنف المميت
وقد بلى الحديد وما بليت
بأقحاف الرؤوس وما رويت
ومن لبن المعامع قد سقيت
ولا للسيف فى أعضاى قوت
تخرُ لعظم هيبتة البيوت

وقال أيضاً فى الحماسة والفخريوم المصانع :

إذا كشف الزمان لك القناعا
فلا تخش المنية والتقيها
ولا تختَر فراشاً من حرير
وحولك نِسوة يندبن حزناً
يقول لك الطبيب دواك عندى
ولو عرف الطبيب دواء داء
وفى يوم المصانع قد تركنا
أقمنا بالدوابل سوق حرب
حصانى كان دلال المنايا
وسيفى كان فى الهيجاء طبيباً
أنا العبد الذى خبّرت عنه ،
ومد إليك صرف الدهر باعا
ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تبك المنازل والبقاعا
ويهتكُ البراقع واللفعا
إذا ما جسَّ كفك والذراعا
يردُّ الموت ما قامى النزاعا
لنا بفعالنا خبرا مُشاعا
وصيرنا النفوس لها متاعا
فخاض غمارها ، وشرى وباعا
يداوى رأس من يشكو الصداعا
وقد عاينتنى فدع السماء

ولو أرسلتُ رمحى مع جبان
ملأتُ الأرض خوفاً من حسامى
إذا الأبطال فرّت خوف بأسى
وقال أيضاً فى الفخر والحماصة :

أُعَادَى صَرْفَ دَحْرٍ لَا يُعَادَى
وَأُظْهِرُ نُصْحَ قَوْمٍ ضِيعُونِ
أُعَلِّلُ بِالْمَنَى قَلْباً عَلِيلاً
تَعِيرُنِي الْعِدَا بِسَوَادٍ جَلْدَى
وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالَ حَوْ
وَحُضْتُ بِمَهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا
وَعُدْتُ مُخْضَباً بِدَمِ الْأَعَادَى
وَسِينِي مُرْهَفَ الْحَدِيدِ مَاضٍ
وَرَمَحِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِيناً
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسَنَانُ رُمَحِي
لَمَا رَفَعْتَ بَنُو عَبْسٍ عِمَادَا

وقال يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ، ويفتخر بقومه :

لَا يَحْمِلُ الْحَقْدَ مَنْ تَعَلَّوْا بِهِ الرُّتْبُ
لِلَّهِ دَرٌّ بَنَى عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا
قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جَمَالَهُمْ
لَنْ يَعْيبُوا سَوَادَى فَهُوَ لِي نَسَبُ
إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ يَا نَعْمَانُ أَنَّ يَدَى
إِنْ الْأَفَاعَى وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامَسَهَا
الْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نَعْمَانُ أَىَّ فِتْنَى
وَلَا يَنَالُ الْعَلَى مِنْ طَبْعِهِ الْغَضْبُ
مِنَ الْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَنَسَّلُ الْعَرَبُ
وَالْيَوْمَ أَحْمَى حِمَاهُمْ كُلَّمَا نَكَبُوا
يَوْمَ النَّزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِ النَّسَبُ
قَصْبَرَةٌ عِنْدَكَ فَالْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ
عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْبِيَائِهَا الْعَطَبُ
يَلْقَى أَخَاكَ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْعَصَبُ

ففي يخوض غمار الحرب مُبْتَسِماً
 إن سلاً صارمه سالت مضاربهُ
 والخيْلُ تشهد لي أني أكفكفها
 إذا التقيت الأعادي يومَ معركة
 لي النفوس وللطير اللحوم ولا
 لا أبعد الله عن عيني غطارِفَةً
 أسود غاب ولكن لا نيوب لهم
 تعدو بهم أعوجيات مضمرة
 ما زلت ألتقي صدور الخيل مندفعاً
 فالعنى لو كان في أجفانهم نظروا
 والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي
 وقال أيضاً في إغارته على بني حريقة :

حكّم سيوفك في رقاب العذل
 وإذا الجبان هناك يوم كريمة
 فاعص مقاتله ولا تحفل بها
 واختر لنفسك منزلاً تعلو به
 إن كنت في عدد العبيد فهمتي
 أو أنكرت فرسان عبسي نسبتي
 وبذابلي ومهندي نلت العلي
 ورميت رمحي في العجاج فخاضه
 خاض العجاج محجلاً حتى إذا
 ولقد نكبت بني حريقة نكبة
 وقتلت فارسهم ربيعة عنوة
 وإذا نزلت بدار ذل فارحل
 خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
 واقدم إذا حقّ اللقاء في الأول
 أو مت كريماً تحت ظلّ القسطل
 فوق الثريّا والسماك الأعزل
 فسنان رمحي والحسام يقر لي
 لا بالقرابة والعديد الأجزل
 والنار تقدح من شفار الأنصل
 شهد الواقعة عاد غير محجل
 لما طعنت صميم قلب الأخيل
 والهيذبان وجابر بن مهلهل

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل
وقال هبة الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٢٣٥ هـ :

سَوَاىَ يَهَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبِ الرِّدَى وَغَيْرَىْ يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ مُخْلِّدًا
وَلَكِنِّى لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
وَلَوْ مَدَّ نَحْوَى حَدَثِ الدَّهْرِ كَفَهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسَى أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
تَوَقَّدُ عَزْمَى يَتْرَكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحُلِيَّةَ حُلْمَى تَتْرَكُ السَّيْفَ مَبْرَدَا
وَفَرَطُ احْتِقَارَى لِلْآنَامِ لِأَنِّى أَرَى كُلَّ عَارٍ مِنْ حُلَى سُودْدَى سُدَا
وَيَبْأَى إِبَائَى أَنْ يَرَانِى قَاعِدًا وَإِنِّى أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدَى لِي الْمَاءَ مِنْنَةً وَلَوْ كَانَ لِى نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَوْرِدَا
وَلَوْ كَانَ إِدْرَاكُ الْهَدَى بِتَذَلُّ رَأَيْتُ الْهَدَى أَلَا أَمِيلُ إِلَى الْهَدَى
وَقَدْ مَا بَغِيرَى أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَبَا وَبِى وَبِفَضْلِى أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا
وَإِنَّكَ عَبْدٌ يَازَمَانُ وَإِنِّى عَلَى الرَّغْمِ مِنْى أَنْ أَرَى لَكَ سَيَدَا
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّى وَاطِئُ الثَّرَى وَلِىْ هِمَّةٌ لَا تَرْضَى الْأَفْقَ مَقْعَدَا
وَلَوْ عَلِمْتَ زَهْرُ النُّجُومِ مَكَانَتِى لَخَرَّتْ جَمِيعًا نَحْوَ وَجْهِى سُجَّدَا
أَرَى الْخَلْقَ دُونِى إِذْ أَرَانِى فَوْقَهُمْ ذِكَاةً وَعِلْمًا وَاعْتِلَاءً وَسُودَدَا
وَبِذَلُّ نَوَالِى زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا مِنْ الْغَيْظِ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَحْرِ مُزِيدَا
وَلِىْ قَلَمٌ فِى أَعْمَلَى إِنْ هَزَزْتَهُ فَمَا ضَرَبْنِى أَلَا أَهْزُ الْمُهْنَدَا
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ فَإِنْ صَلِيلُ الْمَشْرِقِ لَهُ صَدَا
وقال حسان بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٥٤ هـ :

لَعَمْرُ أَبْيَكِ الْخَيْرِ يَا شَعْتُ مَا نَبَا عَلَى لِسَانِى فِى الْخُطُوبِ وَلَا يَدَى
لِسَانِى وَسَيَفِى صَارِمَانِ كِلَاهِمَا وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مَنُودَى
وَإِنْ أَلَكُذَا مَا كَثِيرُ أَجْدُ بِهِ وَإِنْ يُهْتَصَرُ عُودَى عَلَى الْجَهْدِ يَحْمَدُ

فلا المال يُنْسِينِي حِيَاثِي وَعَفَتِي ولا واقعات الدهر يفلتن مبردى
وإني لمعط. ما وجدت ، وقائل لموقدٍ نارى ليلة الريح أوقد
وإني لقوالٌ لذى البث مرحباً وأهلاً إذا ما جاء من غير مرصد
وإني ليدعوني الندى فأجيبه وأضربُ بيض العارض المتوقد
وإني لحلوٌ تعتريني مرارة وإني لتركُّ لما لم أعود
وإني لمنزجٍ للمطى على الوحى وإني لترك الفراش الممهد
وللفرزدق :

لنا العزة القعساء^(١) والعدد الذى عليه إذا عدَّ الحصى يتخلف^(٢)
ومنا الذى لا ينطقُ الناس عنده ولكن هو المستأذن المتصرف^(٣)
تراهم قعوداً حوله وعيونهم مكسرة أبصارها ما تصرف^(٤)
ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا^(٥) وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا^(٦)
ولا عز إلا عزنا قاهر له ويسألنا النصف الذليل فتنصف^(٧)
وما قام عنا قائم فى ندين^(٨) فينطق إلا بالتى هى أعرف^(٩)
وقال وقد نزل فى بادية وأوقد ناراً فرآها ذئب فأتاه فأطعمه وأنشد :
وأطلس عَسالٍ وما كان صاحباً دعوتُ بنارى موهنأ فأتانى^(١٠)

(١) العزة القعساء أى القوة والمنعة الشامخة الثابتة .
(٢) يعنى عددنا كثير ، وعدد الحصى أقل منه . (٣) يعنى منا
من لا يتكلم فى مجاسه إلا بأذنه ولا يفعل إلا بأمره . (٤) يعنى ما تنظر
يمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته . (٥) يعنى نحن سادة أشراف
تمشى أمام الناس . (٦) يعنى إذا أشرنا الى الناس أن قفوا أوقف
بعضهم بعضاً طوع اشارتنا . (٧) ويطلب منا الضعيف النصفه
والعدل فتمكنه من ذلك . (٨) الندى كفى والنادى مجتمع القوم .
(٩) يعنى لا ينطق الا حيث يحسن الكلام واذا نطق جاء بالقول
الصادق الذى لا يمكن لأحد أن ينكره . (١٠) الأطلس : الذئب
الخبث الذى فى لونه غبرة مائلة السواد ، والعسال الذى يضطرب فى
عدوه ويهز رأسه . الموهن : الساعة الأولى بعد نصف الليل أى دعوته
بسيب إيقاف النيران فى الساعة الأولى بعد نصف الليل فجاء الى .

فلما دنا قلتُ ادنْ دونك إنني
فبتُّ أقدُّ الزاد بيني وبينه
وقلتُ له لما تكشَّر ضاحكا (٣)
تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونني
وأنت امرؤٌ ياذنب والغدر كنتما
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى
وقال الشريف الرضي (٨):

غير العلى منى القلى والتجنب
إذا الله لم يعذرك فيما ترُومه
ملكْتُ بحلمى فرصة ما استرقها
لئن تك كفى ما تطاول باعُها
فحسبى أنى فى الأعادى مبغض
وللحلم أوقاتٌ ، وللجهل مثلها
يصول على الجاهلون وأعتلى

- (١) أى لما جاء وقف فقلت له اقترب وخذ إشارة الى اعطائه الزاد .
(٢) أقد أى أقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحما بدليل القد .
(٣) لما تكشَّر لما أبدى ضاحكا أى كأنه يضحك . (٤) يعنى ومقبض سيفى ثابت فى يدى . (٥) يعنى إذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معى كالمصطحبين . (٦) يعنى مع أنى أعرف أنك والغدر متلازمان لا تفترقان ومعناه أن شيمته الغدر .
(٧) تلتمس القرى تطلب الضيافة وشبابة السنان حده .
(٨) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن موسى الأبرش الشريف الملقب بالرضى ذى الحسين نقيب الطالبين المولود سنة ٣٠٦ هـ وتوفى سنة ٤٠٦ هـ ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكرىلاء ، ودفن عند أبيه ، ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام أبى العباس أحمد المقتدر :

عظفا أمير المؤمنين فأنسا
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
الا خلافة ميزتك فأننى
فى درجة العلياء لا نتفرق
أبدا كلانا فى المعالى معرق
أنا عاطل منها وانت مطوق

يرُون اَحْتَمَالِ غَصَّةٌ وَيَزِيدُهُمْ
وَأَعْرَضَ عَنْ كَأْسِ النَّدِيمِ كَأَنَّهَا
وَقُورٌ فَلَا أَلْحَانَ تَأَسَّرُ عَزَمَتِي
وَلَا أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوَصْفِهَا
لَسَانِي حَصَاةٌ يَقْرَعُ الْجَهْلُ بِالْحِجَا
وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عَزَائِمِي
عَرَائِبُ آدَابِ حَبَائِي بِحِفْظِهَا
تَعْلَمُ فَإِنْ الْجُودُ فِي النَّاسِ فَطَنَةٌ

لَوَاعِجَ ضَعْنِ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضِبُ
وَمِيقُ غَمَامٍ غَائِرِ الْمَزْنِ خُلْبُ
وَلَا تَمَكَّرُ الصَّهْبَاءُ بِي حِينَ أَشْرَبُ
وَلَا أَنْطِقُ الْعَوَاءَ وَالْقَلْبُ مَغْضَبُ
إِذَا نَالَ مِنِّي الْعَاضَةُ الْمُتَوَثِّبُ
فَضَالَاتٍ مَا يَعْطِي الزَّمَانُ وَيَسْلُبُ
زَمَانِي وَصَرَفُ الدَّهْرِ نَعْمَ الْمُؤَدَّبُ
تَقُومُ بِهَا الْأَحْرَارُ وَالطَّبِيعُ أَغْلَبُ

وقال العميد مويد الدين الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ :

أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِغَيْرِ فَضَائِلِي
وَأِنْ كَرُمْتُ قَبْلِي أَوَائِلُ أُسْرَتِي
وَمَا مِنْصَبٌ إِلَّا وَقْدَرِي فَوْقَهُ
إِذَا شَرُفَتْ نَفْسُ الْفَتَى زَادَ قَدْرَهُ
كَذَاكَ حَدِيدُ السَّيْفِ إِنْ يَصْفُ جَوْهَرًا
وَمَا الْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْوَلَايَةِ بَسْطَةٌ
وَلَا كَانَ لِي حَكْمٌ مَطَاعٌ أَجِيزُهُ
فَأَعْذَرْتُ إِنْ قَصُرْتُ فِي حَقِّ مُجْتَدٍ
وَلَوْلَا تَكَالُيفُ الْعَالِي وَمَغَارِمُ
لَأَعَيْتُ نَفْسِي فِي التَّخْلِ مَرَادَهَا

إِذَا مَا سَمَا بِالْمَالِ كُلُّ مُسَوِّدٍ
فَإِنِّي، بِحَمْدِ اللَّهِ، مَبْدَأُ سُوءِ دِي
وَلَوْ حَطَّ رَحْلِي بَيْنَ نَسْرِ وَفَرَقْدٍ
عَلَى كُلِّ أَسْنَى مِنْهُ ذِكْرًا وَأَمْجِدٍ
فَقِيمَتُهُ أَضْعَافُهُ وَزُنُّ عَسْجِدٍ
فَهَلَا بِفَضْلِي كَاثِرُونِي وَمَحْتَدِي؟
يَطُولُ بِهَا بَاعِي وَتَسْطُو بِهَا يَدِي
فَأَرْغَمُ أَعْدَائِي وَأَكْبِتُ حُسْدِي
وَأَمِنْ أَنْ يَعْتَادَنِي كَيْدُ مُعْتَدٍ
ثَقَالُ، وَأَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
فَذَاكَ مُرَادِي مَذْنَشَاتُ وَمَقْصَدِي

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

مهلا بنى عمنا ، مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لاتطمعوا أَن تهينونا ونكرمكم
مهلاً بنى عمناً من تحت أثلتنا
الله يعلم أَنَّا لا نجبكم
كل له نيةٌ في بغض صاحبه
وَأَن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا
سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
ولا نلومكم إِن لم تحبونا
بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وقال محمد بن عبد الله الأزدي :

لا أدفع ابن العم يمشی على شفا
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه
وحسبك من دُلّ وسوء صنیعة
وقال حطان بن المعلی :

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حَكْمِهِ
وَغَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغَنَى
أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا
لَوْلَا بُنْيَاتُ كَرْزَبِ الْقَطَا
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ
وإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا
لَوْ هَبْتَ الرِّيحَ عَلَى بَعْضِهِمْ
مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ
فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي
أَضْحَكُنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي
رُدْدَنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَا مَتْنَعَتَ عَيْنِي مِنَ الْغَمْضِ

وقال أوس بن حبياء :

إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهُوَانَ فَأُولُهُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَهِينَهُ
هَوَاناً وَإِنْ كَانَتْ قَرِيباً وَأَوَّصَرُهُ
فَقَدَرُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادَرُهُ

وقال سعد بن ناشب :

وتفننني فيما ترى من شراستي
وشدة نفسي أم سعد وما تدري

فقلت لها إن الكريم وإن خلا
وفى اللين ضعف وفى الشراسة هيبه
وما بى على من لان لى من فظاظه
وقال إبراهيم النبهانى :

تعزّ فإن الصبر بالحرّ أجمل
فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعاً
لكان التعزّى عند كل مصيبة
فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت
فما لينت منّا قنّاة صليبة
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا

وله :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم
فدام لى ولهم ما بى وما بهم
أنا الذى يجدونى فى صدورهم

وقال سالم بن وابضة :

إن التخلق يأتى دونه الخلق
أحمى الذمار وتومئى به الحدق
إذا الرجال على أمثالها زلقوا

وقال تأبط شراً :

إذا المرء لم يحتل وقد جدّ جدّه
أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

وقال حبيب بن أوس أبو تمام الطائي :

أنا ابن الذي استرضع الجود فيهم وقد ساد فيهم وهو كهلٌ ويافعُ
نجومٌ طواليع جبال فوارع غيوث هواميع سيول دوافعُ
مضوا وكأن المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
فأى يد في المحل مدت فلم يكن لها راحةٌ من جودهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا فضاع وما ضاعت لدينا الودائع
بها ليل لو عاينت فيض أكفهم لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع
إذا خفت بالبذل أدواح جودهم حداها الندى واستنشفتها المدامع
رياح كريح العنبر الغض في الندى ولكنها يوم اللقاء زعازع
هي السم ما تنفك في بلدة تسيلُ به أرماحهم وهو نافع
أصارت لهم أرض العدو قطائعاً نفوس لحسد المرهفات قطائع
بكل فتى ما صاب من روع وقعة ولكنه قد شبن منه الوقائع
إذا ما أغاروا فاحتوا ما معشر أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
فتعطى الذي تعطيهم الخيل والقنا أكف لإرث المكرمات موانع

وقال أبو فراس الحمداني (١) المتوفى سنة ٣٥٧ هـ :

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كأن الدهر غنى غافل

(١) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفي سنة ٣٥٧ هجرية عن عمر ٣٧ سنة ، وكان فرد دهره وشمس عصره أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، فله دره شاعرا من قبل ومن بعد ، وأنشد وهو يحتضر يخاطب ابنته :

ابنتي لا تجزعي فكل حى الى ذهاب
نوحى على بحيرة من خلف سترك والحجاب
قولى اذا كلمتنى فعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فرا س لم يمتع بالشباب

مواعيد آمال حتى ما انتجعتها
تدافعى الأيام عما أريده
فمثلى من نال الأعادى بسيفه
وما لى لا تمسى وتصبح فى يدي
أحكم فى الأعداء عنها صوارماً
وما زال محمى الحمائل عنوة
ينال اختيار الصنح عن كل مذنب
لنا عقب الأمر الذى فى صدوره
أصاغرنا فى المكرمات أكابر
إذا صُلت صولا لم أجد لى مُصاولاً
وقال : إنا إذا اشتد الزما
ألفيت حول بيوتنا
للقا العداء بيض السيو
هذا ، وهذا دأبنا
وقال :

وإنى لنزأل بكل مخوفة
وإنى لجرار لكل كتيبة
ولا راح يطغى بأثوابه الغنى
وما حاجتى فى المال أبغى وفوره
أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى
ولكن إذا حُم القضاء على امرئ
وقال أصبحابى الفرار أو الردى
ولكننى أمضى لما لا يعينى

كثيرٌ إلى نزالها النظر الشرر
معودة ألا يحل بها النصر
ولا بات يثنى عن الكرم الفقر
إذا لم أفر عرضى فلا وفر الوفر
ولا فرسى مهر ولا ربة غمر
فليس له بر يقيه ولا بحر
فقلت هما أمران أحدهما مر
وحسبك من أمرين خيرهما الأمر

ومنها: يُمْنُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا
 وَقَائِمٌ سَيْفٌ فِيهِمْ دَقَّ نَصْلُهُ
 سِيدُ كَرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدَّهُمْ
 وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتَ اكْتَفَوْا بِهِ
 وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوْسُطُ. بَيْنَنَا
 أَعْزُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوَى الْعِلَا
 وَقَالَ: غَيْرِي يَغْيِرُهُ الْفَعَالُ الْجَافِي
 لَا أَرْتَضِي وَدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدِمِ
 إِنْ الْغَنَى هُوَ الْغَنَى بِنَفْسِهِ
 مَا كُلُّهُ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًّا
 وَتَعَاَفَ لِي طَمَعُ الْحَرِيصِ فَتَوَقَّى
 وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي
 وَقَالَ: أَتَدْعُو كَرِيمًا مِنْ يَجُودُ بِمَالِهِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ يُنْجِي الْفَرَارَ مِنَ الرَّدَى
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْدَرْتُ لَوْ أَنَّ مُسْعِدًا
 وَمَا عَابَكَ ابْنُ السَّابِقِينَ إِلَى الْعِلَا
 وَمَالِكَ لَا تَلْقَى بِمَهْجَتِكَ الْقَنَا
 عَلَى ثِيَابٍ مِنْ دِمَائِهِمْ حَمْرُ
 وَأَعْقَابُ رِمَحٍ حَطَمَ الصَّدْرُ
 وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءُ يَفْتَقِدُ الْبَدْرُ
 وَمَا كَانَ يَغْنَى التَّبَرُّ وَلَوْ نَفَقَ الصَّفَرُ
 لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
 وَأَكْرَمُ مِنْ فَوْقِ التُّرَابِ وَلَا فَخْرُ
 وَيَحُولُ عَنْ شَيْمِ الْكَرِيمِ الْوَافِي
 عِنْدَ الْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْإِنْصَافِ
 وَلَوْ أَنَّهُ عَارَى الْمَنَاقِبِ حَافٍ
 وَإِذَا قَنَعْتَ فَبَعْضُ شَيْءٍ كَافٍ
 وَمَرْوَعَتِي وَقِنَاعَتِي وَعُفَافِي
 مَأْوَى الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
 وَمَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ أَكْرَمُ
 عَلَى حَالَةٍ فَالْصَبْرُ أَرْجَى وَأَحْزَمُ
 وَأَقْدَمْتُ لَوْ أَنَّ الْكَتَائِبَ تُقَدِّمُ
 تَأَخَّرَ أَقْوَامٍ وَأَنْتَ مُقَدِّمُ
 وَأَنْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ

وقال أبو الطيب المتنبى فى سنة ٣٥٤ هـ :

أُطَاعَنَ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
 وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
 تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
 وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآبِي كَأَنَّ لِي
 وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ
 وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفَى نَفْسُهَا أَمْرُ
 تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذَعِرَ الذَّعْرُ
 سِوَى مَهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ

ذَرِ النفس تَأْخُذُ وَسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقَ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمَرُ
وَلَا تَحْسِبَنَّ الْمَجْدَ زِفَا وَقِينَةً فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السِّيفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ
وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ الْمُلُوكِ وَأَنْ تَرَى لَكَ الْهَيَوَاتِ السُّودَ وَالْعَسْكَرَ الْمَجْرُ
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَثْمَلُهُ الْعَشْرُ
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِنَا قِصْ عَلَى هَبَةٍ فَالْفَضْلُ فَيَمْنُ لَهُ الشُّكْرُ
وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمِيعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ ، فَالذِّى فَعَلَ الْفَقْرُ

وقال صفى الدين الحلّى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ :

سَلِ الرَّمَّاحَ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا وَاسْتَشْهَدْ الْبَيْضَ هَلْ خَابَ الرِّجَافِينَا
لَقَدْ سَعِينَا فَلَمْ تَضْعُفْ عَزَائِمُنَا عَمَّا نُرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا
قَوْمَ إِذَا اسْتَخْصَمُوا كَانُوا فِرَاعِنَةً يَوْمًا وَإِنْ حَكَمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
إِذَا ادْعَوْا جَاءَتْ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً وَإِنْ دَعَوْا قَالَتْ الْآيَامُ آمِينَا
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شُرْفًا أَنْ نَبْتَدِيَ بِالْأَذَى مِنْ لَيْسَ يُوْذِينَا
بَيْضُ صَنَائِعِنَا سُودٌ وَقَائِعِنَا خَضِرُ مَرَابِعِنَا حُمْرُ مَوَاضِينَا
لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مَنَى وَلَوْ رَأَيْنَا الْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا

وقال أبو العلاء المعرى :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ (١)
أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَةٍ يَصْدُقُ وَاشٍ أَوْ يَخِيبُ سَائِلٌ (٢)
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْعَلَا وَالْفَضَائِلُ (٣)

(١) أى قد جمعت بالعفة والشجاعة والحزم والجود ، وسلوك هذا الطريق هو المجد أى أن أفعالى كلها واقعة فى سبيل المجد ثم فصل أفعاله ، وعدّها وكانت كلها من خلال المجد . (٢) أى بعد أن جربت الأمور التى تخفى وعرفتها لا أصدق الساعى بينى وبين اخوانى بالافساد أو أخيب من يرجو معروفى ويطلب نائلى أى لا أفعّل ذلك استفهام بمعنى الإنكار . (٣) أى ذنوبى كثيرة عندما لا يناسبه حالى وذلك لقصوره ونقصه ولا ذنب لى الا فضائلى وعلو شأنى .

- كَأْنِي إِذَا طَلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ (١)
 وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَمِنْ لَهُمْ بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْءُهَا مُتَكَامِلُ (٢)
 يُهِيمُ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمَرُ وَيُثْقِلُ رِضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ (٣)
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرُ زَمَانَهُ لَأَتَّ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ (٤)
 وَأَغْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمُ وَأَسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جِحَافِلُ (٥)
 وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يَحُلْ لِجَاهِهِ وَنَصَلُ يَمَانٍ أَغْفَلْتَهُ الصِّيَاقِلُ (٦)
 فَإِنْ كَانَ فِي لِبْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السِّيفُ إِلَّا غَمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ (٧)
 وَلَوْ سَنَطِقُ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهُ مَنْزَلِي عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ السَّمَائِينَ نَازِلُ (٨)

(١) الطوائل : جمع طائل وهو الثروة ، يقول متى فقت أهل العصر بالنضائل أو أبغضوني وعادوني وصرت كأني وترت الناس وأن عندى لهم ديونا يطالبوني بها . (٢) أى يجهد حسادى فى ستر حالى واخفاء أمرى وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتى فى البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد اخفاء شمس قد تكامل ضوءها وشعاعها أى لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن فكذلك اخفاء ذكرى غير ممكن .

(٣) الليالى فى موضع نصب لأنه مفعول به ، وسكن لضرورة الشعر أى يهم بعض ما أضمر من الهموم الليالى . (٤) أى أنى وإن كنت الذى آخر زمانه أفعّل من الأمور العجيبة ما عجزت الأولون زمانا عن مثاله أى سبقت الأوائل فى المساعى وإن تأخر زمانى .

(٥) لا يصرفنى عن همى أمر من الأمور بل اغدو أول النهار لحاجاتى ولو كان الصباح سيوفا لم يثننى عن قصدى والصبح يشبهه بالسيف لبياضه وهيئته وأسرى فى الليل المظلم لما يهمنى ولا تمنعنى ظلمة الليل عن قصدى ولو كان جحافل وهى جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش وبالعكس . (٦) يصف اعتزاله الأمور وإيثاره ملازمة الخمول والتنزه عن الأعمال مع استعداد للانهاض الى معالى الأمور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يمنى قد صدىء طول عهده بالصقل ، أى كما تعطل الجواد عن تحلية لجامه وطول عهد السيف بالصقل . (٧) أى ليس الشرف فى ملابس الأعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان ذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله . وليس كذلك وإنما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلى بأوصاف الشرف ومعالى المجد . (٨) أى منطقي لا يرضى لى بفاية منزلتى هذه مع ارتفاعها وعلوها فانها قد بلغت السماكين بل يقتضى أعلى وأشرف منها .

- لدى مَوْطَن يشتاقيه كل سيد
وما رأيت الجهل فى الناس فاشياً
فواعجباً كم يدعى الفضل ناقص
وكيف تنام الطير فى وكناتها
ينافس يومى فى أمسى تشرفاً
وطال اعترافى بالزمان وصرفه
فلو بان عُنتى ما تأسف منكبي
إذا وصف الطائى بالبخل مادر
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة
- ويقصرُ عن إدراكه المتناول (١)
تجاهلتُ حتى ظنَّ أنى جاهل (٢)
ووا أسفاً كم يُظهر النقص فاضل (٣)
وقد نُصِبَت للفرقدين الجبائل (٤)
وتحسُدُ أسحارى على الأصائل (٥)
فلستُ أبالى من تغول الغوائل (٦)
ولو مات زندى مابكته الأنامل (٧)
وعيرَ قُسا بالفهاهة باقل (٨)
وقال الدجى يا صبح لونك حائل (٩)

(١) أى منزلى عند محل يتمنى كل سيد أن يبلغه ويرقى الى حده .
ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول اليه (٢) أى لما كثر الجهل فى
الناس وعز العلم والفضل وجهل قدرها تكفّت الجهل وسترات فضلى
تشبها بأهل زمانى حتى ظن بى جاهل مثلهم .

(٣) يتعجب من ادعاء الناقص التحلى بالفضل زورا - ويتأسف من
اظهاره النقص مع فضله تشبها بانجاهلين فى زمانه (٤) الوكنات : جمع
وكنة وهى الموضع الذى ينام فيه الطير والجبائل جمع جبالة وهى الشبكة
التي ينصبها للصيد ضرب لنفسه مثلاً بالفرقدين علواً ولغيره بالطير فى
أوكارها . (٥) ينافس يفاخر أى أن الوقت الذى أكون فيه يتشرف بى ،
فسائر الاوقات يحسد الوقت الذى أكون فيه فصار أمسى المنقضى يحسد
يومى الحاضر لكونى فيه - وكذلك نحسد الاصائل الأسحار التي أكون فيها

(٦) طالما عرفت الزمان وأحواله ، ونانت منى حصادته وصروفه ،
وتمرنت نفسى على نوائبه فصرت لا أجزع على المصائب ولا أبالى بمن تنزل
نوازل الدهر . (٧) يهون على نفسه خطوط الزمان بعد معرفته بصروفه
حتى لو أصيب عضده وبان لم يتأسف أى لم يجزع منكبه عليه ، ولو مات
زندى لم تبك أنامله عليه من أن الكف لا تبطش إلا بواسطة قوة الزند وما
دانه (٨) يعنى بالطائى حاتم الطائى وقد سار به المثل فى الجود ، ومادر
لأنه سقى ابله من بعض الحياض فلما شرب ابله وصدرت عن الماء ملح فى
الحوض ومدر الحوض أى لطحه بالطين لئلا يشرب منه غيره فسمى مادرا ،
وقبل أبخل من مادر (٩) انسها كوكب خفى تمتحن به الابصار ، أو حين
ينعكس الامر بأن يصف السهى الشمس بالخفاء مع بهائها ، ويصف الدجى
الصبح بأن حائل اللون أى متغير .

وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرت الشهب الحصى والجنادل (١)
فياموت زُرْ إن الحياةَ ذميمةً ويانفسُ جدى إن دهرَكَ هازل (٢)

وقال المرحوم محمود سامى باشا البارودى :

ولى شِيمةٌ تأبى الدنيا وعزمةً تردُّ لُهامَ الجيش وهو يَمُورُ
إذا سرت فالأرضُ التى نحن فوقها مرادٌ لمهرى والمعاقلُ دور
فلا عَجَبٌ أن لم يصرفنى منزل فليس لعقبانِ الهواءِ وكُور
همامةٍ نفس ليس ينفى ركاها رواح على طول المدى وبُكور
معوذةً ألا تكف عُنانها عن الجدِّ إلا أن تتمُّ أمور
لها من وراء الغيب أذنٌ سميعة وعينٌ ترى ما لا يراه بصير
وفيت بما ظنَّ الكرامِ فِراسةً بأمرى ومثلى بالوفاءِ جدير
وأصبحت محسودَ الخِلالِ كأننى على كل نفس فى الزمانِ أمير
إذا صُلّت كفَّ الدهر من غلوائه وإن قلت غُصّت بالقلوب صدور
ملككت مقاليد الكلامِ وحكمةً لها كوكبٌ فخم الضياء منير
وإنى امرؤٌ صعب الشكيمة بالغُ بنفسى شأواً ليس فيه نكير
وقال أيضاً :

سواى بتحنانِ الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويلعب
وما أنا ممن تأسر الخمر لُبه ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخوهم إذا ما ترجّحت به سورةٌ نحو العلا راح يدأب
ننى النومَ عن عينيه نفسٌ أبيةً لها بين أطراف الأسنة مَطلب

(١) أى إذا كانت الأرض تباهى السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب فى العلو . (٢) أى إذا كانت الامور معكوسة على وصف لم تبق رغبة فى الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى المامه ليقطع الحياة الذميمة التى لا يحمدنها صاحبها لما يرى من الامر المحال : يأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعينها غير معرجة على شيمة الدهر فى تلونه وعدم ثباته .

لُبَانَةُ نَفْسٍ أَصْغَرَتْ كُلَّ مُأْرَبٍ فَكَلَّفَتْ الْأَيَّامَ مَا لَيْسَ يَوْهَبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطَ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَى خَالٌ وَلَا ضَمْنِي أَبُ
وَمَنْ تَكُنِ الْعُلَيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلِ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبُّ

وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفاه سنة ١٣٢٠ هـ :

بِيدِ الْعَفَافِ أَصُونٌ عِزٌّ حِجَابِي وَبِعَصْمَتِي أَسْمُو عَلَى أَتْرَابِي
وَبِفِكْرَةٍ وَقَادِقٍ وَقَرِيحَةٍ نَقَادَةٌ ، قَدْ كَمَلْتُ آدَابِي
مَا ضَرَنِي أَدْنَى وَحَسَنَ تَعْلَمِي إِلَّا بِكُونِي زَهْرَةَ الْأَلْبَابِ
مَا عَاقَنِي خَجَلِي عَنِ الْعَلِيَا ، وَلَا سَدْلُ الْخِمَارِ بِلَمَّتِي وَنِقَابِي
عَنْ طَى مُضَارِ الرِّهَانِ إِذَا اشْتَكْتَ صَعْبَ السَّبَاقِ مَطَامِحِ الرِّكَابِ
بَلْ صَوْلَتِي فِي رَاحَتِي ، وَتَفَرَّسِي فِي حَسَنِ مَا أَسْعَى لِخَيْرِ مَآبِ

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزناني المتوفى سنة ١٩٣٤ م :

أَرِقْتُ وَأَصْحَابِي خَلِيُونَنُومُ وَمَا أَنَا ذُو ثَارٍ وَلَا أَنَا مُغْرَمُ
وَلَكِنْ هَمًّا بَيْنَ جَنْبِي هَاجَهُ عَلَى ذَوُو الْقُرْبَى ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
فَإِنْ يَكُ حُلْمِي مَدَّ أَعْنَاقَ جَهْلِهِمْ فَلَا زِلْتُ فِيهِمْ يَجْهَلُونَ أَحْلَمُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَغْلِبُ الْجَهْلُ حِلْمَهُ وَيَنْزَوُ عَلَى الْأَعْرَاضِ أَوْ يَتَهَجَّمُ
وَلَكِنْ صَفْوَحٌ حِينَ أَظْلَمُ قَادِرًا وَإِنْ كُنْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَايِنِ أَظْلَمُ
فَإِنْ كَانَ حُلْمُ الْقَادِرِينَ مَذَلَّةً فَإِنِّي ذَلِيلٌ غَيْرُ أَنِّي مُكْرَمُ
هُمُومًا تَلْمُؤًا عِرْضِي لَغَيْرِ جَرِيرَةٍ سِوَى أَنَّهُمْ مِنِّي وَأَنِّي مِنْهُمْ
أَوْطَى أَكْنَافِي لَهُمْ وَأَحْوَطُهُمْ مِنَ الدَّهْرِ لَا أَشْكُو وَلَا أَتَبَرَّمُ
يَطُولُ عَلَى اللَّيْلِ إِنْ طَالَ لَيْلُهُمْ وَمَهْمَا يَطْلُ لَيْلِي فَهُمْ عَنْهُ نَوْمُ
وَيُنْكَرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى فِضَائِلِي وَمَا ضَرَنِي إِنْكَارُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ

الباب الثالث فى شكوى الزمان والحال

قال الشَّنْفَرى (١) المتوفى سنة ٥١٠ هـ :

أقيموا بنى أُمى صدور مطيِّكم فإنى لقوم سواكم لأميل (٢)
فقد حمت الحاجات والليل مُقْمِرٌ وشدَّتْ لطياتٍ مطايا وأرحل (٣)
وفى الأرض مناى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى مُتْعَزِلٌ (٤)
لعمركم فى الأرض ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقِل (٥)
ولى دُونكم أهلون سيدٌ عمَلَس وأرقطُ. زُهلولٌ وعرفاءُ جِيَالٌ (٦)

(١) هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر المشهور من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ م والشنفرى هو العظيم الشفتين وهو شاعر الأزدي من العائدين من لا تاحقه الخيل ، منهم هذا وسليك بن سليكة ، وعمر بن برق ، وأسير بن جابر ، وتأبط شرا - وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بنى سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول الشنفرى لطرفك ثم يرميه فيصب عينه ، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذى أمسكه أسير بن جابر أحد العدائين وقد رصد له حتى نزل فى مضيق ليشرب الماء فوقف له فأمسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بجمجمته فضر بها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتل مائة والله أعلم بذلك .

(٢) مطا : جد فى السير ، والمطية الدابة تمطو فى سيرها جمعها مطايا ومطى (٣) حم الأمر حما قضى . والنطيات جمع نطية وهى النية (٤) نأى عنه بعد ، والقلب بكسر القاف شدة الكراهة وتغزل عنه تنحى (٥) (المعنى) وحياتك أن الأرض لا تضيق على الإنسان العاقل الذى يستعمل عقله فى ادراك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الأسد والذئب والعملس بفتح العين والميم واللام المشددة القوى على السير السريع والذئب الخبيث والأرقط النمر ، والزهلول كعصفور الاملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذى هو بمنزلة عرف الفرس ، وجيالة ممنوعتان من الصرف وجيل بلا همزة الضبع .

- هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدِعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدِيهِمْ وَلَا الْجَانِ بِمَا جَرَّ يَخْذَلُ (١)
وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٍ غَيْرُ أَنْى إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ (٢)
وَأِنْ مَدَّتِ الْأَيْدَى إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلَهُمْ إِذَا أَجْشَعَ الْقَوْمُ أَعْجَلُ (٣)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِسَطَةِ عَنْ تَفْضُلٍ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ (٤)
وَإِنِّ كَفَانِي فَقَدْ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا بِحَسْنَى وَلَا فِى قَرْبِهِ مَتَعَلُّ (٥)
ثَلَاثَةٌ أَصْحَابُ : فَوَادٍ مَشِيعٌ ، وَأَبْيَضُ إِصْلِيَّتٍ ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا رِصَائِعُ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمَحْمَلُ (٦)
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنْتَ كَأَنَّهَا مَرْزَاةٌ تُكَلِّى تَرْنَ وَتَعُولُ
وَلَسْتُ بِمُهَيَّافٍ يَعْنَى سَوَامَهُ مَجْدَعَةٌ سَقْبَانُهَا وَهَى بَهْلُ (٧)

(١) جر على نفسه وغيره جريرة أى ذنبا والجريرة الذنب والخيانة .
(٢) الأبى كعلى من يكره الدنيا ولا يحتمل الضيم والباسل الاسد الشجاع والطريدة ما طردته وأبعدته من ناحية وضممته اليك من الصيد والفرسان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص وأسوؤه أخذ الانسان نصيبه والطمع فى غيره (٤) المعنى : وما دعانى الى ذلك الا توسعنى بالفواضل اليها عن أفضل القوم وهو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلان شجعه ويأتى أيضا بمعنى خرج معه ليوذعه . والاصليت السيف النصقيل الماضى والعطل القوس الطويلة العنق الصلبة المتن .

(٦) قوس هتوف ذات صوت حنون ، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة أو كل حلقة مستديرة فى سيف أو سرج أو غيره ، ونيطت اليها عقلت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزاة المصابة بالرزايا ، والشكلى الفاقدة أولادها ، وأعول ركع صوته بالبكاء والصياح المعنى : قوس طنانة رنانة من نبات مزينة بالحلى ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالى فهى تبكى وتعول لفقده .

(٧) المهيف : السريع العطش ، والسوام : الابل البراعية ، وناقاة باهل لاصرار عليها ولاخطام ولاسمة لها ، يقال : بهلت الناقاة حل صرارها أو مجدعة محبوسة على غير علف وسبقان جمع وهو ولد الناقاة .

- ولا جُبَاءً أَكْهَى مَرْبٍ بِعَرْسِهِ يطالها في شأنه كيف يفعل (١)
 ولا خَرْقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ يَظَلُّ بِهِ الْمَكَاءُ يعلو ويسفل (٢)
 ولا خَالَفٍ دَارِيَّةٍ مُتْعَزِّلٍ يروح ويغدو داهناً يتكحل (٣)
 ولست بعليٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلْفَ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ (٤)
 ولست بمحيّاز الظلام إِذَا انتَحَتِ هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل (٥)
 إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي تطاير منه قَادِحٌ وَمُفْلَلٌ (٦)
 أُدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتَهُ وَأَضْرِبَ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأَذْهَلُ (٧)

(١) جبأ كنصر : جبن والأكهى الجبان الضعيف ومرب بعرسه أى زوجته لزمها وقعد معها كأرب ، المعنى : ولست بالجبان الضعيف الذى يلزم قريبته ويطلعها على أمره ويأخذ رأيها فيه . (٢) الخرق : كتف الذى يندھش ويبعث لأقل شيء والهيى الواحد من النعام ويسمى بالظليم ، والمكاء كزمان : نوع من الطير . (٣) يقال فلان خالفه اهل بيته وخالفهم بمعنى أنه غير نجيب لا خير فيه اذ أنه يقعد بعدهم ويأتى حالف بمعنى أحمق والدارية الملازم لبيته . (٤) العل الصغير الجسم الضعيف والألف الرجل الثقيل اللسان العيى بالامور والاعزل الخالى من السلاح ، المعنى : ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتبكون فى الامور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقىهم من الخوف (٥) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده ، الهوجل المفازة البعيدة لا علم بها ، والناقاة بها من هوج من سرعتها والرجل الأهوج والدليل والعسيف صيفة مبالغة من عسف فى انسير خبط فيه خبط عشواء ، واليهماء عند أهل البادية السيل والجمل الهائج الصئول ، وعلى ذلك يمكن أن يقال ناقاة بهماء .

(٦) المعز : الصلابة ، ومكان امعز : صلب وارض معزاء : صلبة ، والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، والمنسم كمجلس خف البعير ، والمفلل المكثر والمراد بالقادح هنا الذى يضرب بفيره فيفتته ويخرج منه الشرر .

(٧) صفحا اما مصدر من صفح عنه مفعول له على معنى اصرف عنه التذكرة اعراضا عنه واما ظروف بمعنى الجانب على معنى انحن التذكر عنه جانبا كما تقول ضعه جانبا .

- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يَرَى لَهُ عَلَى مِنَ الطُّولِ مِنْ أَمْرٍ مُتَطَوِّلٍ (١)
 وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الدَّامِ يُلْفَ مَشْرَبٍ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَى وَمَأْكَلٍ (٢)
 وَلَكِنْ نَفْسًا حَرَةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضِّمِيرِ إِلَّا رَيْثِمًا أَتَحُولُ (٣)
 وَطَوَى عَلَى الْخَمَصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطُهُ مَارِيٌّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ (٤)
 وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ (٥)
 غَدَا طَاوِيًّا لِلرَّيْحِ يَعْزُضُ هَاقِيًّا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسَلُ (٦)
 فَلَمَّا لَوَاهُ الْقَوْتِ مِنْ حَيْثُ أُمُّهُ دَعَا ، فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ تُحَلِّ (٧)
 مُهَلِّلَةٌ شَيْبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفِّيٍّ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ (٨)

(١) الطول : الفضل والانعام وتطول عليه امتن وانعم (٢) الدام العيب والدم ، المعنى : ولولا انى اخشى العار والمذمة التى تلحق الباذلين ماء وجوهم لأجل المأكول والمشرب لكان عندى من اشكالها والوانها كل ما تشتهيهِ الأنفس (٣) الضمير : الذل ، وريثما معناها مقدار ما .
 (٤) الخمص : الجوع والحوايا جمع حوية كغنيمة ما تحوى وانطوى بعضه على بعض من الأمعاء والخيوط جمع خيط ، ومارى اسم صانع مشهور يفتل الخيوط وأغار شد الفتل ، المعنى : وأضمر أمعائى بالجوع حتى تصير مثل الخيوط يشد قتلها مارى المشهور بفتل الخيوط : (٥) الزهيد : القليل والأزل السريع والمصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده ، التنسوفة المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس ، وان كانت معشبة وجمعها تنائف ، والطحلة لون بين الغبرة والسواد بيباض قليل وذئب أطحل لونه الطحلة (٦) عدا طاويا أى بكر بالضرب فى الأرض جائئا ويعارض الريح يسابقه وهافيا مسرعا وخات البازى انقض على الصيد وخات الرجل اختطف ، وأذئاب الشعاب أطراف الأراضى التى بين الجبال ، وعسل الذئب يعسل عسولا وعسلا : اشتد اهتزازة فى عدوه .
 (٧) لواه القوت قتله وضممه . وأمه قصده . ونظائره نحل يعنى أمثاله
 (٨) المهلة الضامرة المنقوشة ، والقдах جمع وقده وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله .

- أَوِ الْخَشْرَمُ الْمَبْعُوثُ حَشْحَفَ دَبْرِهِ مُحَابِيضاً أَرَسَاهُنْ سَامُ مُعْسَلٌ^(١)
 مُهْرَتُهُ فَوْهَ كَأَنَّ شِدْوَ قَهَا شُقُوقَ الْعَصَى كَالْحَاتٍ وَبُسْلٌ^(٢)
 فَضْجٌ وَضَجَتْ بِالْبِرَاحِ كَأَنَّهَا وَإِيَاهُ نَوْحٌ فَوْقَ عَلِيَاءٍ ثُكُلٌ^(٣)
 وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَاتَّسَى وَاتَّسَتْ بِهِ مَرَامِيلَ عَزَّاءَ وَعَزْتَهُ مَرْمَلٌ^(٤)
 شَكَوْشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدَ وَارْعَوَتْ وَلِصْبَرٍ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُو أَجْمَلٌ^(٥)
 وَقَاءٌ وَفَاءَتْ بِادْرَاتٍ وَكَلَّهَا عَلَى نَكْظٍ مِمَّا يَكَاثِمُ مَجْمَلٌ^(٦)
 وَتَسْرِبُ أَسَارَى الْقَطَا الْكَدْرَ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرِيباً أَحْشَاؤُهَا تَتَصَلَّصُ^(٧)

(١) الخشرم كجعفر جماعة النحل وأمير النحل ومأواها ، وحشحت كحث أحض وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ، ومحابيض جمع محبض كمنبر عود يشتر به العسل أو يطرد به الدبر ، وهى هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى الى محابيض ، ورأسى وقف وأوقف وسام مرتفع ومعسل : طالب العسل .

(٢) المهرة الواسعة ، والفوه جمع الأفوه هو والواسع ألفم أو الذى يخرج أسنانه من الشفتين ، والشدوق أطراف الفم من باطن الخدين ، كالحات شديدة العبوس ، وبسل كربيها المنظر .

(٣) البراح كسحاب المتسع من الأرض التى لا زرع بها وشجر .

(٤) أغضى على الشيء سكت ، واتسى اقتدى والمرملة الذى نقد زاده ، وعزاها سلاها على مصابها ، المعنى : ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على جوعها وسلته على مخمصته .

(٥) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع منه ، المعنى : شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الرجوع - والصبر أحسن من الشكوى التى لا تفيد .

(٦) فاء رجع ، وبادرات مسرعات ، والنكظ محرقة الجوع الشديد .

(٧) أسار : جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب . القطا : نوع من انطير صوته قطا قطا وهو ثلاثة أضرب كدرى وجونى وغطاط - فالكدري الفبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفرة الحلق وهو الطف من الجونى ، والجونى السود البطون والاجنحة وهو أكبر من الكدرى ، والغطاط كسحاب الفبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الاجنحة طوال الارجل والاعناق

- هممتُ وهمتُ ، وابتدرنا وأسدلت وشمر منى فارطُ مُتمهلُ (١)
 فوليتُ عنها وهى تكبو لعقره يباشره منها دقونٌ وحوصلُ (٢)
 كأنَّ وغاها حجرتيه وحوله أضاميمُ من سفر القبائل نزلُ (٣)
 توافين من شتى إليه فضمها كما ضم أذوادَ الأصاريم منهلُ (٤)
 فعبَّت غشاشاً ثم مرت كأنها مع الصبح ركبٌ من أحاطة مجفلُ (٥)
 وآلفُ وجه الأرض عند افتراشها بأهدأ تنبيه سنانن قحلُ (٦)

= لطاف لا تجتمع أسرابا بل أكثر ما يكون ثلاث واثنان الواحدة غطاة ويقال ان القطا يطلب الماء على مراحل عديدة أبلغها بعضهم الى عشرين .

(١) سدل ثوبه وشعره وأسده : أرخاه وأرسله ، وفرط القوم يفرطهم فرطا وفراطة فهو فارط تقدمهم الى الورد لاصلاح الحوض والدلاء .

(٢) تكبو تنكب على وجهها . والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء فى أقصى الحوض والدقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين ، والحوصلة للظير كالمعدة للانسان ، المعنى : وقد انصرفت عنهم بعد ما رويت وتركتها تنمى بأذقانها وحواصلها فى الماء لترتوى من شدة العطش الذى أصابها من اجهادها نفسها فى الطيران .

(٣) انوغى كالغنى الصوت والجلبة ، والحجرة الناحية والاضاميم جمع اضافة بكسر الهمزة وهى الجماعة والسفر القوم المسافرون ، والمعنى : كان جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر .

(٤) توافين اليه تلاحقن الى الماء وشتى أى من جهات متفرقة والاذواد جمع ذود وهو جماعة الابل والأصاريم جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الأعراب .

(٥) العب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الجماعة فى شربها ، وغشاشا أى عبا قليلا عجلا غير مرئى وأحاطة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير اليه ينسب مخلاف أحاطة باليمن والمحدثون يقولون وحاطة وأجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها .

(٦) الأهدأ المنكب المسترخى اللحم أو تنبيه ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقحل مجردة من اللحم .

- وأعدلُ منحوضاً كأن فصوصه كعابٌ دحاها لالعِبِ فهى مُثلُ (١)
 فإن تبتئس بالشنفري أم قسطل لما اغتطبت بالشنفري قبل أطول (٢)
 طريدُ جنابات تياسرنَ لحمه عقيرته لأياها حم أول (٣)
 تنامُ إذا ما نام يقظى عيونها حثاثاً إلى مكروهه تتغلغل (٤)
 وإلفُ هموم ما تزال تعودُه عياداً كحُمى الربع أو هى أثقل (٥)
 إذا وردتْ أصدرتها ثم إنها تؤوب فتأنى من تحت ومن عل (٦)

(١) أعدل معناه أسوى وأفرش لرأسى وأجعل لها وسادة ومنحوضا يعنى ساعدا قليل اللحم : والفصوص المراد بها هنا الأصابع والكعاب لعب على شكل الاقماع ودحاها بمعنى بسطها . ومثل معناها مائلة وقائمة بين يدى اللاعب .

(٢) تبتئس تحزن وأم قسطل الحرب واغتطبت سرت وقرت عينا .

(٣) كان من عادات العرب غير المحموده اذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويجعلوا لها سهامها بعضها ذوات أنصباء وبعضها غفل بلا نصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون السهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الأنصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هى لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقام لهم : يسر ، والناقة التى تذبح فيه يقال لها جزر . ويقال لها عقيرة لأنها تعقر وتنحر ويقال تياسروا أى أخذ الأنصباء من اللحم ، ويقال حم بمعنى دنا وقرب .

(٤) تنام أى الجنائيات والمراد أصحابها وحثاثا سراعا وتتغلغل تدخل بشدة . (٥) الالف والأليف الحليف المعاود ، والعودة الرجوع مرة بعد أخرى وربعت عليه الحمى جاءت ربعا يعنى ترددت عليه فى كل أربعة أيام مرة تتركه فى الثلاثة وتأتيه فى الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع .

(٦) تؤوب ترجع ، والمعنى : كلما ثارت على جيوش الهموم وأحاطت بى من كل جانب رددتها عنى بعزم ماض وصبر جميل .

- فإما تراني كابنة الرمل ضاحياً على رقة أحنى ولا أتنعل^(١)
 فإني لمولى الصبر أجتأب بزّه على مثل قلب السمع والحزم أفعل
 وأعدم أحياناً وأغنى ، وإنما ينالُ الغنى ذو البعدة المتبذل^(٢)
 فلا جزع من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أتخيّل^(٣)
 ولا تزدهى الأجهال حلمى ولا أرى سئولا بأقعب الأقاويل أنمل^(٤)
 وليلة نحسن يصطلى القوس ربها وأقطعه اللاتي بها يتنبّل^(٥)
 دغشت على غطش وبغش وصبتى سعار وإرزيرٌ ووجرٌ وأفكل
 فأيمتُ نسواناً وأيتمتُ ولدة وعدت كما أبدأت والليل أليل^(٦)

(١) فاما ترانى باهمال أن حملا على لو كقراءة فاما ترين بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية ، وضحا بارزا للشمس ، وعلى رقة معناها سوء العيش ، ومولى الصبر أو اليه ، واجتأب القميص لبسه ، والبز الثياب ، والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون أنه لا يموت حتف أنفه كالحية وأنه فى عدوه أسرع من الطير ووثبتته تزيد على ثلاثين ذراعا .

(٢) أعداما وأعداما بالضم افتقر وذو البعد بالضم أى صاحب الابتعاد فى الأرض ، والمتبذل من لا يصون نفسه .

(٣) الجزع نقيض الصبر ، الخلة الحاجة والفقر والمرح البطر والاختيال المعنى : الفقر لا يظهر على ترحا والفنى لا يبدى منى مرحا .

(٤) تزدهى : تستخف والأجهال جمع جهل شذوذاً لأن قياسه أجهل وجهل الى أنه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحرف اللين ، والباء فى بأعقاب بمعنى عن ، والأنمل : النمام وهو نمل ونامل ومنمل كمجلس ومنبر ونمال كشداد ، ونمام ، وقد نمل كنضر وعلم ، وأنمل نم .

(٥) اصطلى استدفأ والأقطع جمع قطع وهو القضيبي تبرى منه السهام وتنبل بالأقطع اتخذها نبلا ، ودغش عليه كمنع هجم وفى الظلام دخل ، والغطش الظلمة والبغش المطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والأرزيز برد صفار كالمنح ، الوجر والحقذ والفل والفيظ والأفكل الرعدة :

(٦) أيمت نسوانا يعنى قتلت رجالهن فتركتهن بلا أزواج ، وأيتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعنى قتلت آباءهم ، وأبدأت بدات والليل أليل يعنى طويل الظلمة .

- وَأَصْبَحَ غَنَى بِالْغَمِصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَانِ مَسْئُولٌ وَآخِرُ يَسْأَلُ^(١)
 فَقَالُوا : لَقَدْ هَرَّتْ بَلِيلُ كَلَابُنَا فَقَلْنَا أَذْئَبَ عَسَ ، أَمْ عَسَ فَرَعْلُ^(٢)
 فَلَمْ يَكُ إِلَّا نَبَأَةٌ ثُمَّ هُوَ مَت فَقَلْنَا قِطَاةَ رِيْعَ ، أَمْ رِيْعَ أَجْدَلُ
 فَإِنْ يَكُ مِنْ جَنِّ لَا بَرْحَ طَارِقًا وَإِنْ يَكُ إِنْسَاءً مَا كَهَا الْإِنْسُ يَفْعَلُ
 وَيَوْمَ مِنَ الشَّعْرَى يَذُبُّ لَعَابِهِ أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَانِهِ تَتَمَلَّمُ^(٣)
 نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَذَا الْكَنْ دُونَهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْإِنْحَمَى الْمَرْعَبِلُ
 وَضَافَ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ طَيَّرَتْ لِبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَجَّلُ
 بَعِيدٌ بِمَسِّ الدَّهْنِ وَالْفُلَى عَهْدُهُ لَهُ عَبَسَ عَافٍ مِنَ الْغَسَلِ مُحَوَّلُ^(٤)

(١) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد بن الوليد رضى الله عنه ببنى خديمة .

(٢) هر الكلب هريرا صوت صوتا دون النباح وعسر طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبع والنبأة الصوت الخفى وهوم هز رأسه من النعاس ، والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا والأجدل الصقر وريع أخيف ولا برح معناه لقد أتى بالبرح وهو الشدة وها فى كها ضمير القصة دخلت عليه الكاف شذوذا .

(٣) الشعرى نجم يطلع فى شدة القيظ واللعب معناه هنا ما تراه فى شدة الحر كأنه منحدر من السماء اذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضا لعب الشمس ، والرمضاء الأرض الشديدة الحرارة وتلملم تقلب وانكن السير والانحى برد معروف والمرعبل الممزق ، وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائد جمع لبدة وهى الشعر المتراكم وأعطافه جوانبه وترجل تمشط ، الملعنى : وكم يوم من أيام الشعرى التى تتصاعد فيها الأبخرة وتتململ فيها الأفاعى من شدة الحر عرضت له وجهى بغير سستر ومشيت فيه ولا شىء على جلدى الا ثوب ممزق وشعر مسترسل اذا هبت عليه الريح لم تطير منه الا لبيد فى كل جانب منه لم تمسه الأمشاط .

(٤) الفلى تفلية الرأس من القمل . والعبس محرقة ما تعلق بأذنان الأبل من أبوالها وأوبارها يجف عليها ، وعاف من الفصل لم يفسل والمحول الذى أتى عليه الحول .

وخرق كظهر الترس قفر قطعتُه بعاملتين ظهره ليس يعملُ (١)
 فالحقتُ أولاه بأخراه موفياً على قنة أقعى مراراً وأمثلاً (٢)
 تروُدُ الأراوى الضخم حولي كأنها عذارى عليهن الملاء المذبل (٣)
 ويركدن بالآصال حولي كأنني من العصم أدفي ينتحي الكيخ أعقل (٤)

وقال الطغرائي يواسي معين الملك في نكبته :

فصبراً معين الملك إن عنّ حادث فعاقبة الصبر الجميل جميل
 لا تيأسن من صنع ربك إنه ضنينٌ بأن الله سوف يديل
 فإن الليالي إذ يزول نعيمها تبشر أن الثائبات تزول
 ألم تر أن الليل بعد ظلامه عليك لإسفار الصباح دليل
 وأن هلال النضو يقمر بعد ما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
 فقد يعطف الدهر العسير قياده فيشفي عليل أو يبيل غليل
 ويرتاش مقصوص الجناحين بعد ما

تساقط ريش واستطار نسيل

ولا غرو إن أخت عليك فإنما يُصادم بالخطب الجليل جليل

(١) الخرق الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أي ليس يسلك .

(٢) أوفى عليه : أشرف ، والقنة بضم القاف قلة الجبل وأقعى في جلوسه تساند إلى ما وراءه ومثل قام منتصباً .

(٣) الرود الذهاب والمجيء والأراوى جمع روية بالضم والكسر وهي أنشئ الوعول والعذارى جمع عذراء وهي البكر ، والملاء بضم الميم نوع من الأردية والمذبل طويل الذيل .

(٤) الركود والسكون والثبات ، والآصال جمع أصيل وهو العشي بضم جمع أعصم هو الوعل الذي في موضع المعصم منه بياض ، والأدفي الذي يميل قربناه ناحيتي ظهره وينتحي يعتمد : والكيخ ناحية الجبل ، وأعقل ممتنع في الجبل .

ما أنت إلا السيفُ يسكنُ غمدهُ ليشتى به يوم النزالِ قتيلُ
أما لك بالصديق يوسف أسوة فتحملَ وطء الدهر وهو ثقیلُ

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي وهو في منفاه :

محا البينُ ما أبقت عيونُ المهامني فثبّت ولم أقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياقٌ وغربةُ ألا شداً ما ألقاه في الدهر من غبنِ
فإن أكُ فارتقت الديارَ فلي بها فوادُ أضلته عيون المها عني
بعثت به يومَ النوى إثرَ لحظةٍ فأوقعه المقدار في شركِ الحُسنِ
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا فليس كاللنا عن أخيه بمُستغنى
ولما وقفنا للوداع وأسبكتُ مدامعنا فوق الترائب كاللزنِ
أهبت بصبري أن يعودَ فخاني وناديتُ حلمي أن يثوبَ فلم يغنِ
وما هي إلا خطوةٌ ثم أقلعت بنا عن شطوط الحى أجنحة السفنِ
فكم مُهجة من زفرة الوجد في لظى وكم مُقاة من غزرة الدمع في دجنِ
وما كنتُ جرّبتُ النوى قبل هذه فلما دهنتي كدت أقضى من الحزنِ
ولكنني راجعت حلمي وردّني إلى الحزم رأى لا يحومُ على أفنِ
ولولا بُنيّاتٌ وشيبٌ عواطلُ لما قرعت نفسي على فائت سني

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقيةُ دمع في مآقينا
كنّا قِلادة جيد الدهر وانفركت وفي يمين العلا كنّا رياحيننا
كانت منازلنا في العزّ شامخة لا تشرق الشمس إلا في مغانينا
وكان أقصى مئى نهر المجرة لو من مائه هزجت أقداح ساقينا
والشهبُ لو أنها كانت مُسخرّة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وُصُوف الدهر ترمقنا شرراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاء ولا نشبُ ولا صديقٌ ولا خل يُواسينا

وقال أيضاً في شكوى الزمان والحال :

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلَ الدَّمَ	وَعُدْتُ وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّنْدَمَ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودَّعٌ	رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسَاءً وَمَغْنَمًا
تَبْلُغُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَبِالْأَسَى	زَمَانًا وَجَادَتَهُ الْمَنَى فَتَادَمًا
أَضُرَّتْ بِهِ الْأَوَّلَى فَهَامَ بِأَخْتِهَا	وَإِنْ سَاءَتِ الْأُخْرَى فَوَيْلَاهُ مِنْهُمَا
فَهُبِّي رِيَّاحَ الْمَوْتِ نَكْبَاءً وَاطْفِئِي	سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَتَحَطَّمَا
فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي	وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ لِلْحَرِّ أَعْصَمَا
فِيَا قَلْبَ لَا تَجْزَعْ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى	فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَسْأَلَا
وَيَاعَيْنِ قَدْ آنَ الْجُمُودُ لِمَدْمَعِي	فَلَا سِيلَ دَمْعٍ تَسْكِبِينَ وَلَا دَمًا
وَيَا يَدُ مَا كَلَفْتِكَ الْبَسْطَ. مَرَّةً	لَذَى مَنَةِ أَوَّلَى الْجَمِيلِ وَأَنْعَمَا
فَلَهُ مَا أَحْلَاكَ فِي أَنْمَلِ الْبَلَى	وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمَا
وَيَا قَدَمِي مَا سَرَّتْ بِي لِمَذَلَّةٍ	وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سَلَمًا
فَلَا تَبْطِئْ سِيرًا إِلَى الْمَوْتِ وَاعْلَمِي	بِأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مِنْ مَاتَ مَكْرَمًا

وقال السيد أحمد الهاشمي يشكو ما أصاب الشرق :

قَضَيْتُ شَبِيبَتِي وَبَذَلْتُ جُهْدِي	فَلَمْ تَكُنْ الْحَيَاةُ كَمَا أُرِيدُ
إِلَى كَمْ أَسْتَحِثُّ النَّفْسَ عِزْمًا	وَكَمْ أَسْعَى ، وَغَيْرِي يَسْتَفِيدُ ؟
نَهَضْتُ ، فَقِيلَ : أَى فِتَى ؟ فَلَمَّا	خَبِرْتُ الْأَمْرَ أَعْجَبَنِي الْقُعُودُ
وَإِنِّي بَعْدَ مَجْهَدَةٍ وَقَوْمِي	كَضَارِبَةٍ وَقَدْ بَرَدَ الْحَدِيدُ
وَحِيدٌ بَيْنَهُمْ وَلَعَلَّ يَوْمًا	عَصِيْبًا فِيهِ يَفْتَقِدُ الْوَحِيدُ
لَنَا فِي الشَّرْقِ أَوْطَانُ ، وَلَكِنْ	تَضَيَّقُ بِنَا كَمَا ضَاقَتْ لُحُودُ
تَنَازَعُ أَهْلُهَا فَلِكُلِّ حِزْبٍ	جَمِيٌّ ، وَلِكُلِّ مَمْلَكَةٍ عَمِيدُ
نَقِيمُهَا عَلَى ذُلِّ وَفَقْرٍ	وَنَظْمًا لَا يَسُوحُ لَنَا الْوَرُودُ
أَكَاذِيبُ السِّيَاسَةِ بَيِّنَاتُ	تَكِيدُ بِهَا الْحُكُومَةُ مَا تَكِيدُ

وعود كلها كذبٌ وزور
إذا ما الملك شيد على خداعٍ
ومن لم يتخذ مُلكاً صحيحاً
وقالوا دولةٌ نشأت حديثاً
كذبتم ما لنا في الأمر شيءٌ
وقالوا : أمة نهضت تُدّعى
تفرّق أهلها ومضى بنوها ،
أرى الأمل الذى نحيا عليه
خذوا بنفوسكم طُرُق المعالى
وجرح الشرق يضمده بُنوه
نيام أغرقوا فى النوم حتى
أرى الحرية اختضبت دماءً
وأقسيمُ أن عاشقها زعيم
رخيص كل ما بذلوه فيها
إذا جُعِلت لها الأرواح مهراً
يسوم المجد طالبه بَغالٍ
إذا سهل النزول إلى حضيض
قال أحمد شوقي بك يشكو ما أصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب الكبرى :

قم ناج « جِلِّق » وانشر رسم من بانوا
هذا الأديم كتاب لا كِفَاء له
الدين والوَحى والأخلاق طائفة
ما فيه إن قلبت يوماً جَوَاهره
بنو أُمِيَّة للأنبياء ما فتحوا

فكم وإلام تخذعنا الوعود؟
فلا يبقى الخداع ولا المشيد
فلا تُغنى الممالك والحدود
تؤيدها السياسة والعهود
فقولوا : إننا شعب عبيد
بحق كاد طالبه يبيد
وفى أرواحهم عزم عتيد
أضاء من الصباح له عمود
فدهركم عِصائُ عتيد
وهل يتلاءم الجرح القصيد ؟
أشيع بأنهم شعب بليد !
وقد خفقت لطالبها بنود
بخطبتها ولو قطع الوريد
ولا تغلو النفوس ولا النقود
فإن لمجدها كتب الخلود
ولا يطغى به الثمن الزهيد
يشق إذا إلى القمم الصُعود

مشت على الرسم أحداثٌ وأزمان
رث الصحائف ، باقٍ منه عنوان
منه وسائرُهُ دنيا وبُهتان
إلا قرائح من راد وأذهان
وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكا سريرُ الشرقِ تحتهمُ فهل سألت سرير الغرب ما كانوا؟
 عالين كالشمس أطراف دولتها فى كل ناحية ملك وسلطان
 ياويح قلبى مهما انتاب أرسهم سرى به الهم أو عادته أشجان
 بالأمس قمت على الزهراء أندبهم واليوم دمعى على الفيحاء هتان
 فى الأرض منهم سموات وألوية ونيراتٌ وأنواء وعقيان
 معادن العز قد مال الرغام بهم لو هان فى تُربه الإبريزُ ما هانوا
 لولا دمشق لما كانت طليطلةُ ولا زهت ببني العباس بَعْدان^(١)
 مررت بالمسجد المخزون أسأله هل فى المصلى أو المحراب مروان
 تغيرَ المسجد المحزون واختلفت على المنابر أحرار وعبدان
 فلا الأذان أذانُ فى منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان
 آمنت بالله واستثنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
 قال الرفاق وقد هبت خمائلها الأرض دار لها الفيحاء بُستان^(٢)
 ١ جرى وصفق يلقانا بها بردى كما تلقاك دون الخلد رَضوان^(٣)
 دخلتها وحواشيها زمردةُ والشمس فوق لجين الماء عقيان^(٤)

(١) احدى لقات كثيرة فى بغداد .

(٢) الفيحاء : من أسماء دمشق والخمائل جمع خميلة وهى الشجر الكثير اللتف .

(٣) يقول : ان مكان « بردى » من دمشق كمكان رضوان خازن الجنان من جنة الخلد ، فهو دليل ضيوفها اليها ، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تاوى اليها السعادة . ومقاصف لا تبلفها الهموم وقوله : جرى وصفق ، من قولهم ، صفق فلان الشراب ، أى حوله من اناء الى اناء ليصفيه وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على امرأ غسان فى البريص . وهى غوطة دمشق ، فقال :

لله در عصاة نادمتهم
 اولاد جفنة حول قبر أبيهم
 يسقون من ورد البريص عليهم
 يوما بخلق فى الزمان الأول
 قبر ابن مارية الكريم المفضل
 بردى يصفق بالرحيق السلسل

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

- والحورُقى (دمر) أوحول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان (١)
 و (رَبْوَة) الوادى فى جلاب راقصة الساق كاسيةٌ والنحر عريان (٢)
 والطير يصدحُ من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان (٣)
 وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه ، فهو أصباغٌ وألوان (٤)
 وقد صنى (بردى) للريح فابتردت ادى سُتور حواشيهن أفنان (٥)
 شيدوا لها الملك وابنوا رُكن دولتها فالملك غرسٌ وتجديد ، وبنيان

وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين الزركلى فى سورة الشهيدة من قصيدة :

الأهل أهلى والديار ديارى وشعار « وادى النيرين » شعارى

(١) الجور فى صدر البيت شجر بأسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق ، وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن ، لأن أعالى هذه الأشجار مكسوة أوراقها وسائرهما عريان ، و « دمر » و « الهامة » من متنزهات دمشق فى وادى بردى .

(٢) يقول ان ربوة هذا الوادى على خلاف ما فيها من أشجار الحور . فإذا كانت الأشجار كاسية النحور عارية السوق فان جبال الربوة كاسية الساق بما فيها على سفحها من أشجار ومرج وأزهار بينما نحرها عريان لتجرد أعالى تلك الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور و « الربو » هى متنزه دمشق الغريب وصفها الله تعالى فى القرآن الحكيم بقوله (ربوة ذات قرار ومعين) قال ياقوت فى معجم البلدان : هى موضع ليس فى الدنيا أنزه منه (٣) العيون عيون الماء يسمع خيرها مع الحان اليلابل والعصافير فى الجبال والأودية . (٤) جمع فوق نوع من الثياب والمراد هنا الزهر .

(٥) بردى هو نهر دمشق . وينبع من جبال الزبدانى على مسافة أربعين كيلو مترا ونيف من دمشق فى شمالها الغربى ، وينحدر فى وادى بردى حتى اذا بلغ ينبوع (الفيحة) انضم هذا اليه . ثم ينفصل عنه (نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق فى لحف جبل قاسيون . وينفصل عنه بعد ذلك نهر ثورا فيجرى فى جنوب نهر يزيد ، ثم ينفصل عن بردى نهر (بانياس) والقنوات ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة ، حتى اذا ارتوت منه بسائتيها وضواحيها الشرقية انصب فى بحيرة المرج ، وكان الشربانيون يسمون بردى (نهر أبانا) وسماه اليونان (خريستو ورثه) أى مجرى الذهب .

ما كان من ألم « بجلق » نازل
 إن الدَّم المَهْرَق في جنباتها
 دمعى لما منيت به جارٍ هنا
 يا وامِضَ البرق اطمئن وناجنى
 ماذا هناك ؟ فإن صوتاً راعنى
 النار مُحْدِقَةٌ « بجلق » بعدما
 تنساب في الأحياء مُسرِّعة الخطى
 والقوم منغمسون في حمثاتها
 الطفل في يد أمه غرض الأذى
 والشيخ متكئاً على عُكازه
 وارِى الزناد . فزنده بى وارِى
 لدمى ، وإن شِفَارَهَا لشِفارى
 ودى هناك على ثراها جارى
 إن كنت مُطَّلِعاً على الأسرار
 والصوت فيه جفوة الإذعارِ
 تركتُ « حُماة » على شفيرِ هار
 تأنى على الأطمار والأعمار
 فتكا بكل مُبرِّء صَبَّار
 يُرمى ، وليس بخائضٍ لِغمارِ
 يُرمى ، وما للشيخ من أوزارِ

وقال أيضاً سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب :

يا ساهر الليل ، ما للبرق يأتلق
 هل بالطبيعة ما بى ؟ أم ألم بها
 مُرَبَّدَةٌ لم يهَمُّ في جوها قمر
 قدَّت من الليل سربالا يجللها
 مرأى يمثّل هول الحزن مختبطاً
 والمُزَنُ تُرْعِدُ والأنواء تصطفق
 ما بالديار ، فثارت كلها حنق
 ولا تنفَسُ في أطرافها فلق
 وحف الذبول فلم يسفر لها أفق
 بين الجوانح مُدَّتْ دونه الطرق

أبصرت بالعين ما استشعرت من كمد

في النفس لج به التبريح والأرق
 ويح الهموم كم أرختُ أعينها
 شعثاً تدفق أرسالا وتستبق
 هوجاء تسمع منها كلما اقتربت
 صوت السلاسل فوق الصخر تنزلق
 تهوى إلى وأهوى مُطبقين معاً
 حتى نصرع ملتفين نعتنق
 هاجت وهجت فكانت ثم ملحمة
 دارت وسال دى يجرى به العرق

الباب الرابع في وصف الشعر

آراء الحكماء والشعراء فيه

إن من الشعر لحكمة . قال أفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « سمي الشاعر شاعراً لفطنته » . (الأخفش)

وَجِدَّ الشعر حيث وجد السحر شقيقان ليس يفترقان . (إلياس فياض)

إن المنشئ يولد مطبوعاً على الإنشاء ، كما يولد الشاعر مطبوعاً على النظم . والشعراء لسان حال الأمة ، وتراجمة شعورها ، وعنوان إحساسها ، والشعر العصري أضاف إلى معارفنا معاني جديدة يرقى بها الخيال ، وتتسع بها التصورات المبنية على الحقائق . (الهلال)

الشعراء زينة المجالس . (الأمين بن هارون الرشيد)

الشاعر العربي الذي يمكن أن يترجم أكثر شعره من غير أن تفقده الترجمة جماله هو شاعر الحقائق . (الدكتور شبلي شميل)

الشعر عاطفة ذائبة ، أو فكرة متوقدة ، أو خاطرة عميقة سبكت في قالب موزون الكلام والنغمة . (الآنسة م)

ما الشعر إلا تصوير الخيال ، والشعر النفس في شكل الأشعار التي قدنيه من أفهام الناس ، فقدر الشعر ورقته وبلاغته يكون على قدر تنبه إحساس الشاعر ورقة عواطفه . (وسيلة محمد)

الشعر إنه قديم مات ودفن في العواطف الراقية ، فجعل شعور النفس كفناً له كلما تحركت العواطف ولمس الكفن استيقظ . ذلك الإله وملاً الدنيا أنيناً مدهشاً . (توفيق مفرح)

ولولا خللٌ سنّها الشعر ما درى بغاة العلا كيف تبني المكارم

أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذى

تبقية أرواح له عطران

وما المجدُّ لولا الشعرُ إلا معاهدٌ وما الناسُ إلا أعظمُ نخراتِ
(أبو تمام)

أجلُّ الشعر ما في البيت منه غرابة نكتة أو نوع لطف
وبئس الشعر بيت ليس فيه أماكن غير حيطان وسقف

للشعر في كل عصر مَرَكِبٌ خَشِنٌ لا يستقلُّ عليه الراكب الواهن
(ناصف اليازجي)

ليس شعراً إلا الذي كلُّ بيتٍ فيه معنى يدعو إلى الأسماع
(خليل اليازجي)

وخير الشعر ما أوحاه طبعٌ فكان له بأفئدة ديب
معانيه قد اتسقت بلفظ. يكاد لفرط رقيقه يذوب
(عيسى المفلوف)

الشعر كالجزآة يُر سم فيه عقل الناظم
(إبراهيم الحوراني)

وما الشعر إلا الشهد والسحر والطلی يجلى المنى يرقى العقول ويسكر
وما الشعر لا أدرى وأدرى لأننى تصوُّرته لكنه لا يصوِّر
(فائز السمعانى)

أنصت فكل لسان شاعر هزج حتى الكواكب والأقمار والشهب
(المقتطف)

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكرٌ وأى حسن لشعر غير مبتكر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالى من العصر

وهو الشعر لا أعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ، ولا عن فنونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه
(معروف الرصافى)

انظم الشعرَ ولازم مذهبي في أطراح الرفد لا تبغ النحل
فهو عنوانٌ على الفضل وما أحسن الشعر إذا لم يبتذل
(ابن الوردى)

الشعرُ دُرٌّ والخيال بحور والفكر فُلك في العباب يَمُورُ
والشعر ما ابتكر الذكاء مولداً معنى له يرتاح منك شعور
فإذا أتى نظماً فتلك صناعةٌ أخرى جلاها الطبع والتحريم
(سليم عنحورى)

وقول دعبل بن على الخزاعى يصف الشعر الخالد :

يقول : إن ذاق الردى مات شعره وهيهات ! عمر الشعر طالت طوائله
سأقضى ببيت يحمد ، الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردىء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى ، وإن مات قائله
العناية بلغة الشعر لعدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بُتْ أجمع بينها حتى أقومُ ميلها وسِنادها
نظر المُثَقِّفِ فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه مُنادها
سحر البيان لأبى تمام :

كشفتُ قناع الشعر عن حرٍّ وجهه وطيرته عن وكره وهو واقعُ
بِغَرٍّ يراها من يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجا وهو شامعُ
يود ودادا أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقاً إليها مسامعُ
وصف قصيدة لابن الرومى :

نظم الفكرُ دُرَّها غير مثقو ب ، إذا الدرُّ شين بالثقيب
لم يعبها سوى قواف تشاغل ن عن المدح فيك بالتشبيب
يطرب السامعين أيسر ما فيه ل وإن أنشدت فلا تطريب
سودت فيك كل بيضاء تسويز دأ تراه العيون كالتذهيب

لو يناعى بيانها العُجْمُ يوماً
عَرَبُ العجم أَيْما تعريب
سير الشعر للمتنبى :

وما الدهرُ إلا مِنْ رُؤَاةٍ قصائدى
إذا قلت شعراً أصبح الدهرُ مُنْشِداً
فسار به من لايسيرُ مُشَمِّراً
وغنى به من لا يغنى مغرداً
أَجْزَنِى إِذَا أَنشَدْتُ شعراً فإنما
بشعرى أَتَاكَ المادحون مردداً
سهولة الشعر لبشار :

عميتُ جنيناً ، والذكاء من العمى
فجئتُ عجيب الظن للعلم موئلاً
وغاض ضياء العين للعلم رافداً
لقلب إذا ما ضيَّع الناس حصلاً
وشعر كزهر الروض لاءمت بينه
يقول إذا ما أحزن الشعر أسهلاً
شعر هوجو لحافظ :

ما تُغَوِّرُ الزهر فى أكمامها
ضاحكاتٍ من بُكاءِ السُّحْبِ
نظمَ الوسمى فيها لؤاؤا
كثنايا الغيدِ أو كالحب
عند من يَقْضَى بآهٍ منظر
من معانيه التى تلعب بى
وله أيضاً يصف طيارة :

يجرى بسابحة تشه
ق سبيلها شقَّ الإزار
وتكاد تقدح فى الأذ
ير فيستحيل إلى شرار
مثلَ الشهاب انقضَّ فى
آثار عفريت وطار
فإذا علتْ فكدعوة أ
مُضْطَرُّ تحترقُ الستار
وإذا هَوَتْ فكما هوت
أنثى العقاب على الهزار
وتُسِفُّ آونة وآ
ونّة يعيدُ بها أزورار
فيخالها الراؤون قد
قرت وليس بها قرار
لعب الجواد أقلَّ ليه
ثأ من ربيعة أو نزار

أو كالقلوب من الحما ثم فوق ملعبه استطار
وكأنها في الأفق > ين يميل ميزان النهار
والشمس تُلقي فوقها حُلل اصفرار واحمرار
ملك تمثله لنا السِما فيأخذنا انبهار

وقال أيضاً المرحوم حافظ إبراهيم يصف زلزال صقلية سنة ١٩٠٩ م :
نبشاني إن كنتم تعلمان ما دهي الكون أيها الفرقدان
غضب الله أم تتردت الأرزض فانتحت على بني الإنسان
ليس هذا سبحان ربّي ولا ذا لكن طبيعة الأكوان
غليان في الأرض نفس عنه ثوران في البحر والبركان
وب أين المفرّ والبحر والبر على الكيد للورى عاملان ؟
كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان
سابع تحتنا مطل عليه حائم حولنا مناء مداني (١)
فإذا الأرض والبحار سواء في خلاق كلاهما غادران (٢)
وقال البحترى يصف سيفاً :

يتناول الروح البعيد مناله عفواً ويفتح في القضاء المقفل
يغشى الوغى فالترس ليس بحده من حده والدرع ليس بمقل
ماض وإن لم تمضه يد فارس بطل ومصقول ، وإن لم يصقل
مصنع إلى حكم الردى فإذا مضى لم يلتفت ، وإذا قضى لم يعدل
متوقد يبرى بأول ضربة ما أدركت ، ولو أنها في يذبل
فإذا أصاب فكل شيء مقتل وإذا أُصيب فما له من مقتل

وقال فقيده الأدب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى يصف القلم :

(١) مناء مدان : مقارب . (٢) الخلاق : الحظ أو الدين وانما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة .

كم آثار اليراعُ خطباً كميناً وأمات اليراع خطباً مُثارا
قطراتٌ من بين شقيه سالت فأسالت من الدما أنهارا
كان غصناً فصار عوداً ولكن لم يزل بعد يحمل الأثمارا
كان يستمطرُ السحاب فحالاً الأ مر فاستمطر العقول الغزارا

وقال المرحوم أحمد شوقى يصف أبا الهول :

أبا الهول ، طالت عليك العصر وبُلِّغْتَ في الأرض أقصى العمر (١)
فيالدة الدهر لا الدهرُ شه اب . ولا أنت جاوزت حدَّ الصغر (٢)
إلام ركوبك متن الرما ل لطى الأصيل وجوب السحر (٣)
تسافرُ متنقلاً في القرو ن ، فأبأن تلقى غبارَ السفر ؟
أبينك عهدٌ وبين الجبا ل ، تزولان في الموعد المنتظر ؟ (٤)
أبا الهول ، ماذا وراء البقا ء ، إذا ما تطاول غير الضجر ؟ (٥)
عجبت للقمان في حرصه على لبدٍ والنسورُ الآخر (٦)

(١) العصر : الدهر فالعصر جمع عصر بسكون الصاد ومعنى طول الدهر على أبى الهول أنه عمر أعماراً طويلاً ، والعمر بضم العين والميم لفة في العمر . (٢) فيالدة الدهر : فيا أبا الدهر وقرينه فكأنك والدهر توأمان خلتما معا فى أوان ، ولا أنت جاوزت حد الصغر : أى برغم أنك بلغت فى الأرض أقصى العمر . (٣) الام ركوبك : انه تصوير شعري بديع لتصوير أبى الهول راكباً متن الرمال يطوى الليل والنهار ويسافر متنقلاً فى القرون والأدهار ، وجوب : فى معنى طى . (٤) فى الموعد المنتظر : يوم يزول كل شيء أى اليوم الآخر . (٥) ماذا وراء البقاء : يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبى سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا ، لا أبالك ، يسأم (٦) هو لقمان بن عادىاء ، وتزعم العرب أنه هو الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستقى لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين عمر سبع بقرات سمر من أطيب عفر فى جبل وعمر لا يمسها القطر ، أو بقاء عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحققر الأبقار وأثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له يا عم ما بقى من عمرك الا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد . ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر =

- وشكوى لبيد لطول الحياة ولو لم تطل لتشكى القصر (١)
فإن الحياة تفل الحديد إذ لبسته ، وتبلى الحجر
ولو وجدت فيك يا ابن الصفا ة لحقت بصانعك المقتدر (٢)
أبا الهول ، ما أنت في المعضلا ت ! لقد ضلت السبل فيك الفكر (٣)
تحيرت البدو ماذا تكو ن ، وظلت بوادي الظنون الحضر (٤)
فكنت لهم صورة العنفوا ن ، وكنت مثال الحجى والبصر (٥)

= فيجعله في جوبة الجبل الذى هو أصله كيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أكثر فإذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع فأخذه فوضعه فى ذلك الوضع وسماه لبدا وكان أطولها عمرا ، فضربت العرب به المثل : فقالوا طال الأبد على لبـد فعاش لقمان ، كما زعموا ، ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبـد وهذا ، ولقمان بن عادياى غير لقمان الحكيم وغير اليهودى الذى آناه الله من الكنوز ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، كلا الاثنين مذكور فى القرآن الكريم .

(١) « وشكوى لبيد » أى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة الخ كان لبـد من المعمرين روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين سنة . وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية - أما شكواه التى ألمع إليها فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبـد ؟! يقول اذا لم يكن وراء البقاء المتطاوّل إلا الضجر فأنى أعجب للقمان فى حرصه على أن تطول حياته وللبـد الذى وان مل الحياة وسئم من طولها فانه لا محالة كان أكثرها شكاه اذ هى لم تطل لأن حب الحياة جبلة وغريزة مركوزة فى الطباع .

(٢) « وجدت » أى الحياة « يا ابن الصفاة » الصفاة الحجر الصلد الذى لا ينبت شيئا وفى المثل فلان ما تندى صفاته : وفى الحديث لا تفرع صفاة أى لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه الحجر « لحقت الخ » أى لأدركك الموت .

(٣) ما أنت فى المعضلات ، خبرنى أى معضلة أنت فى المعضلات وای معنى مخفى .

(٤) تحيرت : يقول حار الناس قاطبة فى أمرك حاضرهم والبادى .
(٥) صورة العنفوان لما ينطوى عليه جسمك الذى صور على صورة أسد من معانى القوة ومثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الانسان من معانى الفطنة والبصر بالأمور .

- وسِرْكُ في حُجْبِهِ كُنْمَا أَطَلَتْ عَلَيْهِ الظُّنُونُ اسْتَتَرُ (١)
وما راعهم غير رَأْسِ الرِّجَا لِ عَلَى هَيْكَلٍ مِنْ ذَوَاتِ الظَّفَرِ
ولو صُورُوا مِنْ نَوَاحِي الطَّبَا ع تَوَالُوا عَلَيْكَ سِبَاعُ الصُّورِ (٢)
فِيَا رَبِّ وَجْهٍ كَصَافِي النَّمِي ر تَشَابَهَ حَامِلُهُ وَالنَّمِرُ
أَبَا الْهَوْلُ ، وَيَحْكُ لَا يُسْتَقْد لِ مَعَ الدَّهْرِ شَيْءٌ وَلَا يَحْتَقِرُ (٣)
تَهَزَّاتِ دَهْرًا بِدِيكَ الصَّبَا ح فَنَقَرَ عَيْنِيكَ فِيمَا نَقَرَ (٤)
أَسَالُ الْبِيَاضَ وَسَلَّ السَّوَا د وَأَوْغَلَ مِنْقَارُهُ فِي الْحُفْرِ
قَعَدْتُ كَأَنَّكَ ذُو الْمَحْبِسِي نِ قَطِيعَ الْقِيَامِ سَلِيبَ الْبَصْرِ (٥)
كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبِيكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ، ذُنُوبُ الْبَشَرِ
كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاءُ الْقَضَا ء عَلَى الْأَرْضِ أَوْ دِيدَانِ الْقَدْرِ (٦)
كَأَنَّكَ صَاحِبُ رَمَلٍ يَرَى خَبَايَا الْغُيُوبِ خِلَالَ السُّطْرِ (٧)

(١) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتما ومخفيا في حجبته . والناس من أمرك في ظلام . (٢) ولو صوروا أى ما كان ينبغي أن يروع الناس منك أن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائعهم لتولوا عليك كأنهم وحوش ، فيارب وجه كصافى النمر الماء الناجع فى الراى أو النامى أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته . (٣) لا يستقبل لا يعد قليلا وهذا البيت كالتمهيد لما بعده . (٤) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبت الدهر بأبى الهول وتشويبه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو جزء أبى الهول به وسخره منه وعدم اكترائه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح ، هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول انه ورد فى بعض الآثار لا تسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة (٥) « المحبسين » المحبس الموضع الذى يحبس فيه ، وكان يقال عن أبى العلاء المعرى رهين المحبسين أى رهين عماه وبيته : فكأنه من عماه فى المحبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكوته فى محبسين . (٦) « ديدبان » فارسية معربة أصلها ديدة بان ومعنى ديدة العين وبان ذو أى الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندى المكلف بالحراسة .

(٧) « السطر » السطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر .

- أبا الهول ، أنت نديمُ الزما نِ نجىُ الأوانِ سَمِيرُ العصر (١)
 بَسَطْتَ ذراعِيكَ من آدم ووليت وجهكَ شطرَ الزمر (٢)
 تُظِلُّ على عالمٍ يستهـِلُّ وتوفى على عالمٍ يُحتَضِر (٣)
 فعينُ إلى من بدا للوجُو دِ ، وأخرى مشبعةٌ من عبر (٤)
 فحدث فقد يُهتدى بالحديـث وخبر فقد يُوتى بالخبر
 ألم تبُلُ فرعون فى عزهِ إلى الشمس مُعتزياً والقمر (٥)
 ظليل الحضارة فى الأولـين—ينَ ، رفيع البناء ، جليل الأثر (٦)

(١) « نجى الأوان » النجى بوزن فعيل الذى تسارد - وفى الحديث « اللهم بمحمد نبيك وبموسى نبيك » هو المناجى المحدث للانسان .
 (٢) « من آدم » أى من قديم « الزمر » جمع زمرة الجماعة من الناس والمراد هنا الناس جميعا . (٣) « يستهـِلُّ » يعنى يقدم على الدنيا من استهـِلَّ الصبى باليكاء رفع صوته وصاح عند الولادة « يحتضر » حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت . (٤) وأخرى مشبعة من عبر ممن مضى . (٥) « ألم تبُل فرعون » بلاء يباوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر كالتجاشى الملوك الحبشة وقيصر للملوك الرومان وفرعون أصلها فى الهيروغليفية مركبة من بى وهى أداة التعريف كأل ، ورع أى الشمس فتكون كلمة واحدة ورع او راهوا معبود العتو والحبوت وما فى معناهما من مدلولات كلمة فراعنة عند العرب ، قوى حاكم جبار يقاتل احتفاظا بالحياة ، وإبقاء على الكون ومن هنا كاز واذن لا يقصد بفرعون فرعوننا معنا ولكن جميع فراعنة مصر وقد أبتلاهم أبو الهول « الى الشمس معتزيا » يقول ألم تبُل يا أبا الهول فرعون وهو فى عزه حتى لكانه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى الى شئ قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صور أوزيريس « الشمسى » وأوزيريس « القمر » لأنهم من اصنامهم فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة . (٦) « ظليل الحضارة » مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون فى ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة فى الحضر خلاف البدو والبادية وهى المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لها بها قرار .

- يؤسس في الأرض للغابري ن ويغرس للآخرين الثمر (١)
وراعك ما راع من خيل قمب يز ترمي سنابكها بالشرر (٢)
جوارف بالنار تغزو البلا د ، وآونة بالقنا المشتجر
وأبصرت إسكندراً في الملا فثيب العلا في الشباب النضر (٣)

(١) « للغابرين » الغابر من الأضداد فيكون بمعنى الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت أما أن فرعون يخلو ذكر الماضين باقامة الآثار لهم والتمثيل ويفرس ثلاثين ما يجنون ثمرة من دور العلم والعرفان وما إليها ، وأما أن فرعون يؤسس للآتين ويفرس لهم كل ما يجدى ويشمر .
(٢) « قمبيز » هو ابن قورش الأكبر الذى أسس دولة الفرس العظيمة ومعلوم أن الفرس من الدول التى غزت مصر واستولت عليها حيناً من الدهر قال المؤرخون أخذ الفرس فى غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين تولى الملك « أبسمتيك الثالث » أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الفزاة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم « قمبيز » بجيش جرار لفتح البلاد التى طالما شرهت نفس أبيه قورش العظيم الى اخضاعها وكانت مصر اذ ذاك حصينة غاية فى المنعة ، يقول مؤرخوا الاغريق أن أحد الجنود اليونانية هو الذى خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التى يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة « بلوز » « الفرما » بحرا وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا وبعد مقاومة عنيفة جهتى بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيرا وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد الثمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهيكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته الى فارس مات فى الطريق سنة ٥٢١ ق م ، ولما ولى ملك مارس دارا الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلًا عظيمًا للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيراً من المدارس وفتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر فى واقعة « مرثون » فى حربه مع الاغريق فخرجوا عن طاعته وطردهوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق م ، ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق م . (٣) « اسكندر » هو الاسكندر الأكبر المقدونى الفاتح العظيم . قال المؤرخون بعد أن هزم الاسكندر الفرس =

تبليج في مصر إكليله فلم يعد في الملك عمر الزهر
شاهدت قيصر كيف استب د وكيف أذل بمصر القصر ؟
وكيف تجبر أعوانه ؟ وساقوا الخلائق سوق الحمر ؟
وكيف ابتلوا بقليل العدي د من الفاتحين كريم النفر
رى تاج قيصر رعى الزجا ج ، وفل الجموع وثل السرور (١)
فدغ كل طاغية للزما ن فإن الزمان يقيم الصعر (٢)
رأيت الديانات في نظمها وحين وهى سلكها وانتشر (٣)

= في واقعة أفسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وقد كان الفرس استدعوا حاميتها منها بسبب حربهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر إلى « بلوز » « الفرما » سنة ٢٣٢ ق.م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت أبوابها ودخلها دون عناء حتى أن الوالى الفارسى لم يجرؤ على مقاومته وقابله فى منف بترحاب ، ومن ثم سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون ، فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية فأدخل منها فى مصر الموسيقى والالعب النظامية ، ولما رأى الاسكندر أن قرية « راقودة » وهى قرية صغيرة كانت بقرب الاسكندرية ذات موقع بحرى موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هى الاسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للاسكندر فى مصر خرج الى فتوحاته الأخرى فى المشرق ، وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ق.م وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ولم يقم بمصر كما ترى الا قليلا ، فذلك حيث يقول فى البيت التالى « فلم يعد فى الملك عمر الزهر » وخلف الاسكندر على مصر البطالسة وما زالوا بها الى أن استولى الرومان عليها « اكليله » تاجه .

(١) « دى » يرتد هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل انجموع : هزمها وثل السرر كسرهما والسرر جمع سرير والمراد بها العروش التى يجلس عليها القياصرة .

(٢) « الصعر » ميل فى العنق وانقلاب الوجه الى احد الشقين ، وقد صعر خده أماله من الكبير ، قال المتلمس .

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من رده فتقوما
والزمان يقيم الصعر يعد الطفاة يقال أقمت الشيء فقام أى استقام :
(٣) « فى نظمها ، وحين وهى سلكها » فى حالتى قوتها وضعفها .

- تشادُ البيوتُ لها كالأبرو ج إذا أخذ الطرفُ فيها انحسر (١)
تلاقى أساساً وشُمَّ الجبا ل كما تتلاقى أصولُ الشجر (٢)
وايزيس خلف مقاصيرها تخطى الملوك إليها الستر (٣)
تضئُ على صفحات السما ء وتشرقُ في الأرض منها الحجرُ
وآبيسُ في نيره العالمو ن ، وبعضُ العقائد نير عسر (٤)
تسأسُ به مُعضلاتُ الأمو ر ويُرجى النعيمُ وتخشى سقر
ولا يشعرُ القومُ إلَّا به ولو أخذته المدى ما شعر
يظل أبو المسك عبداً له وإن صاغ أحمدُ فيه الدرر (٥)
وآنست موسى وتابوته ونور العصا والوصايا الغرر (٦)
وعيسى يلم رداء الحيا ء ومريمُ تجمعُ ذيلَ الخفر (٧)

(١) « انحسر » كل والبصر يحصر أقصى عند بلوغ النظر .

(٢) « تلاقى » تتلافى بحذف إحدى التائين أى أنها راسخة رسوخ الجبال .

(٣) « ايزيس » هى من معبودات قدماء المصريين وهى أخت أوزيريس وزوجته فى الوقت نفسه وأم هوربوس وهابوقراط .

(٤) « وآبيس » هو العجل أبيس . رووا أن نيفون اله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس اله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى وكانوا يعتقدون أن العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقره حملت بواسطة شعاع من القمر وله علامات ظاهرة فى جسده فانه يكون أسود اللون وفى جبهة سمة بيضاء مربعة مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه .

(٥) « أبو المسك » كافور الاخشيدى ، و « أحمد » أبو الطيب المتنبى .

(٦) تابوته ونور العصا والوصايا الغرر ، التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به فى النيل وعصا موسى وما كان منها من الآيات وأنوصايا العشر كل أولئك معروف فلا حاجة بنا الى الإفاضة فيه .

(٧) وعيسى يلم رداء الحياء . يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياء ومثله فى ذلك العذراء .

- وعمرُو يسوقُ بمصرَ الصحابِ وَيُزجى الكتاب ويحدو السور (١)
فكيف رأيت الهدى والضلا ل ودنيا الملوك وأخرى عمرَ
ونبذ الموقوس عهد الفُجو ر وأخذ الموقوس عهد الفجر
وتبديله ظلمات الضلا ل بِصُبح الهداية لما سفر
وتأليفه القبط. والمسلمي نَ كما ألفت بالولاء الأسر (٢)
أبا الهول ، لو لم تكن آية لكانَ وفاؤك إحدى العبر (٣)
أطلت على الهرمين الوقو ف كشاكلة لا تريم الحُفر (٤)
ترخي لبانيها عودة وكيف يعودُ الرميم النخر؟ (٥)
تجوس بعين خلال الديا ر وترى بأخرى فضاء النهر (٦)
ترؤمُ بمنفيس بيض الظبا وسمر القنا والخميس الدثر (٧)
ومهد العلوم الخطير الجلا ل وعهد الفنون الجليل الخطر
فلا تستبين سوى قرية أجد محاسنها ما اندثر (٨)

(١) يقول وقد رأيت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويرجى كتاب الله وآياته .

(٢) وتأليفه أى الموقوس (الأسر) جمع الأسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون . (٣) إحدى العبر إحدى الآيات . (٤) أطلت الخ بيان لوفاء أبى الهول كشاكلة : يقول أنك فى اطالك الوقوف على الهرمين وفاء منك كشاكلة ولدها لا تبرح قبره ، ولا نزايه فالشاكلة هى التى فقدت ولدها ، ولا تريم أى لا تبرح .

(٥) « لبانيهما » أى لبانى الهرمين . (٦) « تجوس » تطوف وتتخلل و « انهر » النهر واحد الأنهار يعنى النيل . (٧) « وترؤم » تنشد وتطلب « بمنفيس » منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة وهى عاضمة ملك الفراعنة والذى بناها هو مينا مؤسس الأسرة المالكة الأولى وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر .

(٨) « أجد محاسنها ما اندثر » يقول ان طولها الدوائر ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها .

تكد لإغراقها في الجمو د إذا الأرض دارت بها لم تدُر
 فهل من يُبلغُ عنا الأصو ل بأن الفروع اقتدت بالسير ؟
 وأنا خطبنا حسانَ العلا وسقنا لها الغالى المدخر ؟
 وأنا ركبنا غمار الأمور وأنا نزلنا إلى المؤتمر
 بكل مبين شديد اللدا د وكلُّ أريب بعيد النظر
 نطالبُ بالحقِّ في أمة جرى دُمها دونه وانتشر
 ولم تفتخر بأساطيلها ولكن بدستورها تفتخر
 فلم يبقَ غيرك من يخف ف ولم يبقَ غيرك من لم يطر
 تحرك أبا الهول . هذا الزَّما نُ تحرك ما فيه ، حتى الحجر

وقال أيضاً المرحوم أحمد شوقي بك يصف حياة النحل وحالته ومملكته :

مملكةٌ	مُدبَّرَةٌ	بامرأة	مُؤمَّرةٌ
تحمل في العمال وال	صناع عبء السيطره	ون عليهم قيصره	تحكمهم
فاجب لعمال يول	ذكاره	مُغيره (١)	عاقده
زنانا	عن ساقها مُشمره	وان وارتدته مثره	تلثمت
بالأرج	شرارة	مُطيره	وارتفعت
كانها	كأنها	مُسمره (٢)	ووقعت لم تختلج
مخلوقة ضعيفة	من خلقٍ مُصوره		ياما أقل ملكها
	وما أجل خطره		

(١) التفسير : ترديد الصوت بالقراءة .

(٢) الاختلاج : الاضطراب .

قف سائل النحل بآء عقل دبره ؟
 يُجيبك بالأخلاق وه ي كالعقول جوهره
 تغني قوى الأخلاق ما تغني القوى المفكره
 ويرفعُ الله بها من شاء حتى الحشره
 أليس في مملكة النحل ل لقوم تبصره ؟
 مُلك بناه أهله بهمة ومجدرة (١)
 لو التمسست فيه بط مال اليدين لم تره
 تقتلُ أو تنفي الكسا لى فيه غير منذره
 تحكم فيه قصره فى قومها موقره
 من الرجال وقيو د حكمهم محرره
 لا تورثُ القوم ولو كانوا البنين البرره
 الملك للإناث فى الد ستور لا للذكوره (٢)
 نيرة تنزل عن هالتها لنيره
 فهل ترى تخشى الطما ع فى الرجال والشره (٣)
 فطالما تلاعبوا بالمهج المصيره
 وعبروا غفلها إلى الظهور قنطره
 وفى الرجال كرم ال ضعف ولؤم المقدره
 وفتنة الرأى وما وراءها من أثره
 أنثى ولكن فى جنا حيها لباة مخدرة (٤)

(١) يقال هذا الأمر مجدرة ذاك أى جديرا به .

(٢) الذكرة : الذكور .

(٣) الطماع : الطمع .

(٤) اللبابة : اللبوة وهى أنثى الأسد .

طاردة من كدّره	زائدة عن حوضها
وادرّعت بالحبرة	تقلّدات إبرتها
قد رابطت بأنقره	كانها تركية
كنيبة معسكره	كانها (جاندرک) في
دِ الخشن المنمرة	تلقى المغيرَ بالجُنو
البالغين جسره (٢)	السابغين شكة (١)
ونفضتها مثيره (٣)	قد نثرهم جعبة
فبالقنا المجره	من يبن مُلكاً أو يذد
ليس الأمور ثمره	إن الأمور همة
الأيوة المنشرة	ما الملك إلا في ذرى الـ
يحميه إلا قسوره (٤)	عرينه مُذ كان لا
مخالب المذكرة	رب النيوب الرزق والـ
مصلحة معمره	مالكة عاملة
لا تستبين أثره	المال في أتباعها
أصلا له من ثمره	لا يعرفون بينهم
من البلاء أكثره	لو عرفوه عرفوا
لأمرهم مُسيره	واتخذوا نقابة
ملكهم وطهره	سُبْحان من نزه عند
مُسخره	وساسه بحرة
من معمل مُنحدره	صاعدة في معمل

(٢) الجسرة : الجسارة .

(١) الشكة : السلاح .

(٣) المثيرة : بيت الابن .

(٤) القسورة : الاسد .

واردة	دَسْكَرَة	صادرة عن دسكرد (١)
باكرة تستنهض الـ	معصائب المبكرة (٢)	
السامعين والطائعين	ن المحسنين المهرة	
من كل من خط. البنا	ء أو أقام أسطره	
أو شد أصل عقده	أو سدّه أو قورّه (٣)	
أو طاف بالماء على	جُدراته المجدرّه (٤)	
وتذهب النحل خفا	فأ وتجيء مؤقره	
جوالب الشمع من الـ	خمائيل المنورة	
حوالب الماذى (٥) من	زهر الرياض الشيرة (٦)	
مشدوده جيوبها	على الجنى مُزَرَّرَه	
وكل خرطوم أدا	ة العسل المقطره	
وكل أنف قانيء	فيه من الشهد بره (٧)	
حتى إذا جاءت به	جاست خلال الأدورّه (٨)	
وغيبته كالسلا	ف في الدنان المحضره (٩)	
فهل رأيت النحل عن	أمانة مقصره ؟	
ما اقترضت من بقلة	أو استعارت زهره	
أدت إلى الناس به	سكرة بسكره	

(١) الدسكرة : القرية . (٢) المعصائب : جمع عصابة .

(٣) قور للشئ قطعه من وسطه خرقا مستديرا .

(٤) المجدره : أى المشيدة . (٥) الماذى : العسل .

(٦) الشميرة : الحسان .

(٧) البرة : الحلقة فى الأنف .

(٨) الأدورة : الديار يراد بها الخلايا هنا .

(٩) السلاف : أفضل الخمر .

وقال أيضاً أحمد شوقي يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته :

- حقى يا أخت (يُوشع) خبرينا أحاديث القرون الغابرينا (١)
 وقُصِّى من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلمينا (٢)
 فمثلك من روى الأخبار طراً ومن نسب القبائل أجمعينا (٣)
 نرى لك فى السماء خضيبَ قرن ولا نحصى على الأرض الطعينا (٤)
 شبت على الثياب شواط نار ودرت على المشيب رحي طحونا (٥)
 تعنين الموالد والمنايا وتبنين الحياة وتهدينا (٦)
 فيالكِ هرةً أكلتُ بنيتها وما ولدوا وتنتظر الجنيينا (٧)
 أأم المالكين بئى (أمون) ليهنك أنهم نزعوا (أمونا)

(١) الخطاب للشمس . وقد أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس . فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت ولا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله :

وما أنت الا انس المليحة اذا بدت دجى فاضاء الأفق من كل موضع
 فحدثت نفسى انها الشمس اشرقت وأنى قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرون الأخيال الماضية .

(٢) قصى : حدثنى ، ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » مصارعهم : مهالكهم دولاتهم جمع دولة بضم ففتح وهى الداهية يقال : « جاف الدهر بدولاته » أو بدواهيته .

(٣) طرا جميعا دون أن تترك منها شيئا ، نسب القبائل : ذكر أنسابهم .

(٤) الخضاب : اللون بالخضاب ، القرن : حاجب الشمس : الطعين المطعون .

(٥) الشواط بالضم والكسر : دخان النار .

(٦) المنايا جمع منية وهى الموت .

(٧) الهرة : القطعة ، ويقال فى المثل « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها ، الجنين : الولد ما دام فى الرحم .

ولدت له (المأمين) الدواهي ولم تلد له قط. (الأمينا) (١)
 فكانوا الشهب حين الأرض ليلٌ وحين الناس جدٌ مضللينا
 مشت بمنارهم في الأرض (روما) ومن أنوارهم قبست (أثينا) (٢)
 ملوك الدهر بالوادي أقاموب على (وادي الملوك) محجبيننا (٣)
 فربٌ مصفد منهم وكانت تساق له الملوك مصفديننا (٤)
 تقيد في التراب بغير قيد وحلٌ على جوانبه رهينا
 تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقينا (٥)
 عدوا يبنون ما يبقى وراحوا وراء الآبدات مغلديننا
 إذا عمدوا لثائرة أعدوا لها الاتقان والخلق المتينا
 وليس الخلد مرتبة تلقى وتؤخذ من شفاء الجاهلينا
 ولكن منتهى همم كبار إذا ذهبت مصادرها بقينا
 وسر العبقرية حين يسرى فينتظم الصنائع والفنونا
 وآثار الرجال إذا تناهت إلى التاريخ خير الحاكمينا

(١) أشار للخليفيتين ، الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بنى العباس حزما وعلميا ورأيا ودهاء وهيبة وشجاعة ، أى ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون . (٢) روما عاصمة إيطاليا قبست أخذت ، أثينا عاصمة اليونان ، وفيه إشارة الى ما أخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة . (٣) وادى الملوك هو الشاطئ الغربى للنيل بالاقصر على مسيرة نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها وقد كانوا يبالغون فى العناية بها وابقائها الى حد يفوق الوصف . (٤) مصفدين مقيدين : يصف فراعنة مصر فى مقرهم الأخير ، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة . (٥) منطقيين أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة نشأتهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما عن أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم القاطنة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب .

- وَأَخَذَكَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَنَاءً وَتَرَكَكَ فِي مَسَامِعِهَا طَنِينًا (١)
 فَعَالَى فِي بَنِيكَ الصَّيْدَ غَالِيً فَقَدْ حُبَّ الْعَلُوَّ إِلَى بَنِينَا (٢)
 شَبَابٌ قَنَعٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَبُورِكَ فِي الشَّبَابِ الطَّامَحِينَا (٣)
 فَتَاجِيهِمْ بَعْرَشَ كَانَ صَنُوءًا لَعْرَشِكَ فِي شَبِيبَتِهِ سَنِينَا (٤)
 وَكَانَ الْعِزَّ حِيلَتَهُ وَكَانَتْ قَوَائِمُهُ الْكَتَائِبُ وَالسَّفِينَا
 وَتَاجٌ مِنْ فَرَائِدِهِ (ابْنُ سَيْتَى) وَمِنْ خَرَزَاتِهِ (خُوفُو) وَ(مِينَا) (٥)
 عَلَا خَدًّا بِهِ صَعْرٌ وَأَنْفَا تَرَفَّعَ فِي الْحَوَادِثِ أَنْ يَدِينَا (٦)
 وَلَسْتُ بِقَائِلٍ ظَلَمُوا وَجَارُوا عَلَى الْأَجْرَاءِ أَوْ جَلَدُوا الْقَطِينَا (٧)
 فَإِنَّا لَمْ نَوَقَّ النِّقْصَ حَتَّى نَطَالِبُ بِالْكَمَالِ الْأَوَّلِينَا (٨)
 وَمَا (الْبَسْتِيلُ) إِلَّا بِنْتُ أَمْسٍ وَكَمْ أَكَلَ الْحَدِيدُ بِهَا سَجِينَا (٩)

(١) الطنين صوت الذباب والطنست والناقوس ونحو ذلك .
 (٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبرا وعجباً ولا يلتفت من زهوه يميناً وشمالاً ، فقد حب بضم الحاء أى فقد حب .
 (٣) قنع أى قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا ، الطامحون المتفانون فى طلب المعالى . (٤) الصنوء : الأخ الشقيق والابن ، السنين بفتح السين من يكون فى سنك . (٥) ابن سىتى : هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ويلقب بالأعظم لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه وولى الملك صغيراً فى حياة والده ، وقد تربي على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه افتتاح الأهوال فأرسله فى جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسيا الشمالية وكان فى أيامه (بنتاور) الشاعر المصرى وله فيه عدة مدائح يصفها بها شجاعته وأقدامه (٦) علا خذا أى ذلك التاج والصعر أن يميل الرجل بخده عن الناس تهاوناً أو كبراً . (٧) القطين الخدم أى أنه لا يجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الأبنية . (٨) لم نوق النقص أى لم نخفظ منه . (٩) البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل فى فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف =

- وربة بيعة عزت وطالت بناها الناس أمس مسخرينا (١)
 مشيدة لشافى العمى (عيسى) وكم سمل القسوس بها عيوننا (٢)
 خليلي اهبطا الوادى وميلا إلى غرف الشمس الغارينا (٣)
 وسيرا فى محاجرهم رؤىدا وطوفا بالمضاجع خاشعينا (٤)
 وخصا بالعمار وبالتحايا رفات المجد من (توتنخمينا) (٥)
 وقبرا كاد من حُسن وطيب يضى حجارة ويضوع طينا (٦)
 يخال لروعة التاريخ قُدت جنادله العلا من (طور سينا) (٧)
 وكان نزيله بالملك يدعى فصار يُقلب الكنز الثمين (٨)
 وقوما هاتفين به ، ولكن كما كان الأوائل يهتفونا (٩)
 فثم جلالة قرت ورامت على مر القرون الأربعينا (١٠)
 جلال الملك أيام وتمضى ولا يمضى جلال الخالدينا (١١)

= عظيم وفنى بين جدران المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه
 لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا وقد كره الفرنسيون (البستيل)
 واسم (الباستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم
 يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموا
 واقتلعوا أصوله وأخذت أحجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها فى
 أمكنة اللآلىء إشارة الى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين .
 (١) البيعة بكسر الباء معبد النصرى مسخرين : أى كلفوا عملهم
 بلا أجره . (٢) سمل العين فقأها بحديدة محماة وقلعها .
 (٣) يريد بالشمس الفارينى ملوك الفراعنة ، وغرفهم مدافنهم .
 (٤) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقبال اليمن
 وهى أحماؤهم أى ما كان يحميه كل منهم . (٥) العمار التحية وهو
 أيضا الريحان يزين به مجلس الشراب . (٦) يضوع يتحرك وينتشر
 أى كذت حجارته تضى حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية .
 (٧) الروعة المسحة من الجمال ، الجنادل جمع جندل وهو الحجارة
 وطورسينا هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى . (٨) النزىل الضيف .
 (٩) هاتفين به أى الملك الذى هو نزىل القبر وليكن هتافكما كما
 كانوا يهتفون له أيام حياته . (١٠) فثم : فهناك الجلالة من عظم القدر ،
 ورامت أقامت . (١١) أى أن الجلال الصحيح ما خلد به فى التاريخ
 أما جلال الملك فلا بقاء له .

- وَقُولَا لِلنَّزِيلِ «قُدُومِ سَعْدٍ» وحيًا اللهُ مَقْدَمَكَ الِيمِينَا (١)
 سَلامٌ يَوْمَ وَاَرْتَكَ الْمَنَايَا بوادِها وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا (٢)
 خَوَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عِيسَى عَلَيْكَ جَلَالَةٌ فِي الْعَالَمِينَا (٣)
 يَجُوبُ الْبَرْقُ بِاسْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ وَيَخْتَرِقُ الْبَخَارُ بِهِ الْحَزُونَا (٤)
 تَعَالِ الْيَوْمَ خَبِرْنَا أَكَّانَتْ نَوَاكِ سَنَاتِ نَوْمٍ أَمَّ سَنِينَا؟ (٥)
 وَمَاذَا جُبْتَ مِنْ ظُلُمَاتِ لَيْلٍ بَعِيدِ الصَّبْحِ يُنْضِي الْمَدْلَجِينَا (٦)
 وَهَلْ تَبَقَى النَفُوسُ إِذَا أَقَامَتْ هِيَ كُلُّهَا وَتَبَلَى إِنْ بَلِينَا؟
 وَمَا تِلْكَ الْقِيَابِ وَأَيْنَ كَانَتْ وَكَيْفَ أَضَلَّ حَافِرُهَا الْقُرُونَا؟ (٧)
 مَمْرَدَةُ الْبِنَاءِ تَخْتَالُ بُرْجًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَحْطُوطًا دَفِينَا (٨)
 تَغْطِي بِالْأَثَاثِ فَكَانَ قَصْرًا وَبِالْصُورِ الْعَتَاقِ فَكَانَ زَوْنَا (٩)
 حَمَلَتْ الْعَرْشَ فِيهِ فَهَلْ تَرْجَى وَتَأْمُلُ دَوْلَةً فِي الْغَابِرِينَا؟ (١٠)
 وَهَلْ تَلْقَى الْمَهِيمِينَ فَوْقَ عَرْشِ وَيَلْقَاهُ الْمَلَا مَتَرَجِلِينَا؟ (١١)
 وَمَا بِالْطَّعَامِ يَكَادُ يَقْدَى كَمَا تَرَكْتَهُ أَيْدِي الصَّانِعِينَا (١٢)

- (١) اليمين المباركة وهو من اليمن . (٢) وارتك اخفكت .
 (٣) خروج عيسى أى كما خرج عيسى من القبر على قول النصارى .
 (٤) يجوب يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلى (التلغراف)
 الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض . (٥) تعالى اليوم الخ
 الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك قصدك . (٦) ينضى يهزل المدلجون
 الذين يسيرون من أول الليل . (٧) وما تلك القباب جمع قبة وهى
 ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة . (٨) ممردة البناء مملسته . (٩) تغطى
 أى هذا البناء تغطى الخ والأثاث متاع البيت ، والصور جمع صورة
 يريد بها الرسوم التى تحاكي صور الأشياء ، الزون الموضع نجمع فيه
 الأصنام . (١٠) فى الغابرين فى الباقين وفى القرآن الكريم « فأنجيناه
 وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين » ويكون أيضاً بمعنى الماضين فهو من
 الكلمات التى تستعمل للأضداد . (١١) المهيمين من أسماء الله تعالى ،
 والمترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم .
 (١٢) ما بال الطعام ما حاله ، يقدى من قدى الطعام أى طاب
 طعمه ورائحته .

لم تكُ أَمْسَ تصبر عنه يوماً فكيف صبرت أحقاباً مِثِيناً؟ (١)
 لقد كان الذى حذر الأولى وخاف بنو زمانك أن يكونا (٢)
 يحبُّ المرءُ نبش أخيه حياً وينبشه ولو فى الهاكينا
 سلك من الحفائر قبل يومٍ يسلم من التراب الهامدينا (٣)
 فإن تكُ عند بعثٍ فيه شكٍ فإن وراءه البعث اليقيننا (٤)
 ولو لم يعصموك لكان خيراً كفى بالموت مُعتصماً حصيناً (٥)
 يُضرُّ أخو الحياة وليس شئٌ بضائره إذا صحب المنونا

وقال على بن محمد التنوخى واصفاً مكتوباً :

وصحيفة ألفاظها فى النظم كالدرُّ النثيرُ
 جاءت إلى كأنها التـ وفيقُ فى كل الأمور
 بأرق من شكوى وأحـ سن من حياة فى سرور
 لو قابلت أعمى لأصبـ ح وهو ذو طرف بصير
 وكأنها أملٌ تحقق بعـ د يأس فى الصدور
 أو كالفقيد إذا أتتـ بقدمه بُشرى البشير
 أو كالمنام لساھر أو كالغنى عند الفقير
 أو كالشفاء للمدنف أو كالآمان لمستجير
 وكأنما هى من وصا ل أو شباب أو نشور

(١) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر ، المئين جمع مائة
 (٢) لقد كان أى لقد حصل الذى حذر الأولى ، والأولى جمل أول .
 (٣) سللت أخرجت منها برفق الحفائر جمع حفيرة وهى الحفرة ،
 واليوم الذى يسلم الهامدين من التراب هو يوم القيامة . (٤) فان تك
 عند بعث الخ أى فان تكن الآن تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من
 قبرك فلا محالة سيأتى البعث الذى لا تشك فيه وهو بعث القيامة .
 (٥) يعصموك يمنعونك من المكروه أى لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك
 هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل وجلاء هذا
 المعنى فى البيت الثانى .

لفظ. كَأَسْرَ معاند أو مثل إطلاق الأسير
وكَأُنْ إِذْ لاح من فوق المهارق والسطور
ورُدَّ الخُدود إذا انتقل ت به على راح الثغور
غررٌ عدت وكأُها من طلعة الظبي الغرير
من كل معنى كالسلا مة أو كتيسير العسير

وقال أيضاً واصفاً الخط. والكتابة والبلاغة :

خط. وقرطاص كَأَمَّ ما السوالف والشعور
في كل معنى كالغنى يحويه مُحتاجٌ فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأس أسير
وكَأُها الإقبال جا ء به من الشفاء أو النشور
وكَأُها شرح الشباب وعيشة الخضل التّضير

وقال البحتري في الموضوع نفسه :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقب مصابيح الدُّجى في كتبه
فاللفظ. يقرب فهمه في بعده منّا ويبعد نيّله في قرّبه
فكأُها والسمع معقودٌ بها شخصُ الحبيب بدّا لعين محبّه

وقال الوزير المهلبى في وصف كتاب :

ورَدَ الكتاب مبشراً نفسى بأنواع السُّرور
وفضضته فوجّده ليلا على صفحات نور
مثل السوالف والخدو د البيض زينت بالشفور
أنزلته منى بمنزلة القلوب من الصدور

وقال النجم بن إسرائيل يصف الموز :

أطعمته موزاً شهياً المنظر مستحکم النضج ، لذيد المخبر
كأن تحت جلده المزعفر لفات زبد ، عجنت بسكر
وقال البهاء زهير يصف الموز أيضاً :

في ريحه ، ولونه ، وطعمه كالملك ، أو كالتمر أو كالضرب
وافت به أطباقه منضداً كأنه مكحل من ذهب
وقال آخر :

يحكي إذا قشّره أنياب أفيال صغار
ذو باطن مثل الآفا ح ، وظاهر مثل البهار (١)
الكمثرى :

وكمشراء بستان شهى الطعم والمنظر
له طعم إذا ذيق كما الورد والسكر
كأن في شكله ، ولونه وطعمه قوالب من سكر
التفاح - قال ابن المعتز :

كأنما التفاح لما بدا يرفل في أثوابه الحمر
شهد بما الورد مستودع في أكر من جامد الخمر (٢)
كأنما حين نجيا به نستنشق الند من الجمر (٣)
الخوخ :

كأنما الخوخ على دوحه وقد بدا أحمره العندى (٤)
بنادق من ذهب أصفر قد خضبت أنصافها بالدم

(١) الأقاح الأحيوان وهو نبت طيب الريح حواليسه ورق أبيض
ووسطه أصفر والبهار نبت أصفر طيب الريح . (٢) الأكر : جمع
كره وهي لفه في الكرة . (٣) الندى : طيب . (٤) العندم : صبغ أحمر .

وخوخة بستان ذكى نسيمها من المسك والكافور قد كسبت نشرًا (١)

ملبسة ثوباً من التبر نصفه مصوغٌ . وباقيه كياقوتة حمرا

المشمش :

ومشمش جاءنا من أعجب العجب أشهى إلى من اللذات والطرب
كأنه وهبوبُ الريح ينثره بنادقُ خرطت من خالص الذهب
وقال محي الدين بن عبد الظاهر :

حبذا الشمس على الدوح أضحى ذا شعاع يستوقفُ الأبصارا
شجر أخضرُ لنا جعل اللد هـ « تعالى » منه كما قال نارا (٢)

الرمان :

رمانه صبغ الزمان أديمها فتبسمت في ناضر الأغصان
فكأنما هي حقة من عسجد قد أودعت خرزاً من المرجان
غيره - كأنما حقة ، فإن فتحت فصرت من فصوص ياقوت
غيره - حقائق كأمثال العقيق تضمنت فصوص بلخش في غشاء حرير (٣)
غيره - إذا فض عنه قشره فكأنه فصوص عقيق في حقائق من الدر
فدرٌ ، ولكن لم يدنسه عارض وماء ولكن في مخازن من جمر

النخيل ، والبلح :

كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد (٤)
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأمراس عسجد

وقال السري الرفاء المتوفى سنة ٣٦٦ هـ :

(١) نشر : رائحة طيبة . (٢) يشير الى قوله تعالى : (انذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) (٣) البلخش : حجر معدنه بنواحي بلخشان المتاخمة للتركستان ، احمره يشبهه الياقوت . (٤) بسق النخل : طال .

فالنخلُ من باسق فيه وباسقةٍ يضاحك الطلعُ في قنواته الرُّطبا (١)
 أضحت شماریخه فی البحر مُطلعةً إما ثریاً ، وإما معصماً خَضِبا (٢)
 تُرِیکَ فی الظلَّ عقیاناً فإن نظرت شمسُ النهارِ إلیها خلّتها لهبا (٣)
 وقال آخر فی البلح الأخضر :

أما ترى النخل قد نثرت بلحاً جاء بشیراً بدولة الرُّطب
 مکاجلاً من زُمرد خرطت ، مُقمّعات الرُّؤوس بالذهب (٤)
 وفی البلح الأحمر :

انظر إلی البُسر قد تبدّی ولونه قد حکى الشقیقا (٥)
 کأنما خوصه علیه زبرجدٌ مُثمرٌ عقیقا
 البطیخ :

رأيتها فی کف جَلّابها وقد بدت فی غایة الحسن
 کسلة خضراء مختومة علی القصوص الحمر فی القطن
 وقال أبو طالب المأمونی :

ومُبِیضة فیها طرائق خُصرة کما اخضرَّ مجرى السَّيل صیب المزن (٦)
 کحقة عاج ضُببت بزبرجد حوت قطع الیاقوت فی عصب القطن (٧)

(١) انطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير تمرا ان كانت أنثى ، فان كانت ذكراً لم يصير تمراً بل يؤكل طریاً ، أو يتسرك علی النخل ایاما حتی يصیر فیهِ شیء أبيض مثل الدقیق فتلقح به الأنثى ، والقنوان : جمع قنوّ وهو التمر کالعنقود من العنب . (٢) المعصم موضع السوار أو الید وهو المراد هنا . (٣) العقیان : الذهب الخالص . (٤) مقمعة ذات قمع وهو ما الترق بأعلى التمرة . (٥) البسر : البلح قبل أن یرطب فاذا انتهى نضجه فرطب . والشقیق نبت أحمر فیهِ بقع سوداء . (٦) الصیب : المطر ، والمزن السحاب أو أبيضه . (٧) التفضیب : شدة القبض علی شیء لئلا ینفلت أى کأنها محسطة بخيوط الزبرجد تمسکها ، والعصب جمع عصبة ، ما یعصب به أى ضرر من القطن .

وقال سبط بن التعاويذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ :

رُبَّ صَفراءَ أَتَتْنَا وَهِيَ فِي أَحْسَنِ حُلَّةٍ
تَعْتَرِيهَا صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
حُلْوَةُ الرِّيقِ ، حَلال دَمِهَا فِي كُلِّ مِلَّةٍ
نَصْفُهَا بَدْرٌ ، فَإِنْ قَسَمْتُهَا فَهِيَ الْأَهْلَةُ

غيره : أَلَا فَانْظُرُوا الْبَطِيخَ وَهُوَ مُشَقَّقٌ وَقَدْ حَازَ فِي التَّشْقِيقِ كُلَّ أَنْيَقِ
تَرَوُهُ كَبَلٍ بِرِدَا فِي زُمُرَدٍ مَرْكَبَةٍ فِيهِ فُصُوصٌ عَقِيقِ

وقال السري الرفاء في العنب :

وَالْكَرْمُ مُشْتَبِكُ الْأَفْنَانِ ، تَوَسَّعْنَا أَجْناسَهُ فِي تَسَاوَى شَرِبِهَا عَجْبَا (١)
فَكَرْمَةٌ قَطَرَتْ أَغْصَانُهَا سَبْجاً وَكَرْمَةٌ قَطَرَتْ أَغْصَانُهَا ذَهَبَا (٢)
كَأَنَّمَا الْوَرَقُ الْمَخْضَرُ دُونَهُمَا غَيْرَانُ يَكْسُوهُمَا مِنْ سُنْدُسٍ حُجْبَا

قصبة السكر :

تَحْكِيهِ سُمْرُ الْقَنَا وَلَكِنْ تَرَاهُ فِي جِسْمِهِ طَالَوَهُ (٣)
وَكَلَّمَا زِدْتَهُ عَذَاباً زَادَكَ مِنْ رَيْقِهِ حَلَاوَهُ

النبق :

وَسِدْرَةٌ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ حُسْنِهَا فِي فَنُونِ (٤)
كَأَنَّمَا النَّبِقُ فِيهَا وَقَدْ بَدَأَ لِلْعَيُونِ
جَلَّاجِلٌ مِنْ نُضَارٍ قَدْ عُلِقَتْ فِي الْغُصُونِ

١. الأفنان : الأغصان . والشرب : الماء . (٢) السبيح : خرز
أسود . (٣) الطلاوة مثلثة الطاء : الحسن . (٤) السدرة : شجرة
النبق .

الجزر : قال ابن المعتز :

انظر إلى الجزر الذي يحكى لنا لهب الحريق
كمنذبة من سندس ولها نصابٌ من عقيق

وقال ابن رافع القيرواني :

انظر إلى الجزر البديع كأنه في حُسْنِهِ قُضِبُ من المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها وقلوبه صِيغَتْ من العقيان^(١)

اللوز الأخضر : قال ظافر الحداد :

كأنما قلوبه من توأم ومُفَرَّد
جواهرٌ لكنما الأصداف من زبرجد

التين : قال ابن المعتز :

أنعم بتين طاب طعماً . واكتسى
في برْدِ ثلج ، في نقا تبر . وفي
يحكى إذا ما صُفِّ في أطباقه
حُسْنًا ، وقارب منظرًا من مخبر
ريح العبير ، وطيبُ طعم السكر^(٢)
خيما ، ضربن من الحرير الأحمر

الفسق :

والقلب ما بين قشريه يلوح لنا
غيره : زبرجدة خضراء وسط . حريرة
بحقَّة عاج في غلافٍ أديم^(٣)
مضمَّنة دُرًا مغشى بياقوت
كأسن الطير من بين المناقير
غيره : زبرجدة ملفوفة في حريرة

النانج : قال ابن المعتز :

وكأنما النانج في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يُخلط^(٤).

(١) العقيان : الذهب الخالص . (٢) العبير اخلاط من الطيب ،
ونقا مقصور نقاء . (٣) الأديم الجلد أو أحمره ، وهو المراد هنا .
(٤) النانج : نوعان أحدهما حامض معروف والآخر حلو وهو
« البرتقال » .

كرّة رماها الصولجان إلى الهوا
غيره : انظر إلى منظر تلهيك بهجته
نأذ تلوح على الأغصان في شجر
وقال أبو الحسن الصقلي :

إذا ميّلتها الريح مالت كأكرة
الليثيون : قال ابن المعتز :

يا حبذا ليمونة تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

القلم - قال ابن المعتز يصفه : القلم مجهز لجيوش الكلام . يخدم
الإرادة . ولا يملّ استزادة ، يسكت واقفاً . وينطق سائرا ، على أرض بياضها
مُظلم وسوادها مضيء . وكأنه يُقبّل بساط سلطان ، أو يفتح نوار (١) بستان .
وقال علي بن عبيد : القلم أصمٌ يسمع النجوى (٢) ، أعيا من باقل ،
وأبلغ من سُحبان وائل ، بجهل الشاهد ، ويخبرُ الغائب ، ويجعل الكتب
بين الإخوان ألسناً ناطقة ، وأعيناَ لاحظة ، وربما ضمّنتها من ودائع القلوب
ما لا تبوح به الألسن المشاهدة .

ومن كلام أبي حفص بن بُرد الأندلسي : ما أعجب شأن القلم !
يُشرب ظلمة ، ويلفظ نورا ، وقد يكون قلم الكاتب أمضى من شبة (٣)
المحارب . وهو سهم ينفذ المقاتل : وشفرة (٤) تطيح بها المفاصل .

وقال محمود بن أحمد الأصبهاني :

آخرُس يُنبئك بإطراقه عن كل ما شئت من الأمر (٥)

(١) نوار : الزهر أو الأبيض منه . (٢) النجوى : السر .
(٣) الشبّة : حد كل شيء (٤) شفرة : سكين (٥) أطرق :
أرعى عينيه ينظر الى الأرض .

يُنْزِفُ عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَنْزِي (١)
 كَعَاشِقٍ أَخْفَى هَوَاهُ . وَقَدْ نَمَتْ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ تَجْرَى
 تَبَصَّرُهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ عَرِيَانٍ يَكْسُو النَّاسَ أَوْ يُعْرِى
 يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
 أَخْرَقُ ، لَوْ لَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ يَرِشُقُ أَقْوَامًا وَمَا يَبْرِ (٢)
 كَالْبَحْرِ إِذْ يَجْرَى ، وَكَاللَّيْلِ إِذْ يَغْشَى ، وَكَالضَّارِمِ إِذْ يَفْرَى

وقال أحمد بن عبد ربه المتوفى سنة ٢٢٨ هـ :

يُخَاطِبُ الْغَائِبَ الْبَعِيدَ بِمَا يَخَاطِبُ الشَّاهِدَ الَّذِي حَضَرَ
 شَخْتُ ضَيْلٍ لِفَعْلِهِ خَطَرٌ أَعْظَمَ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ خَطَرًا (٣)
 تَمَجُّ فَكَاهُ رَيْقَهُ صَغُرَتْ وَخَطْبُهَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ كَبُرَا
 بِوَاقِعِ النَّفْسِ مِنْهُ مَا حَذَرَتْ وَرَبَّمَا جَنَيْتُ بِهِ الْحَذَرَا
 مُهَفِّهٌ تَزْدَهِي بِهِ صُحُفٌ كَأَنَّمَا حَلَيْتُ بِهِ دُرَرَا

ولابن المعتز في قلم الوزير القاسم بن عبيد الله :

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ ، أَمْ فَلَكَ يَجْ رَى بِمَا شَاءَ «قَاسِمٌ» وَيَسِيرُ ؟
 خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْتَمُ قِرْطَا سَاءَ كَمَنْ قَبْلَ الْبَسَاطِ شُكُورُ
 وَلَطِيفُ الْمَعْنَى ، جَلِيلٌ ، نَحِيفٌ وَكَبِيرُ الْأَفْعَالِ وَهُوَ صَغِيرُ !
 كَمْ مَنَايَا ، وَكَمْ عَطَايَا ، وَكَمْ حَتًى فِ عِيشٍ تَضُمُ السُّطُورُ
 نَقَشْتَ بِالْذَّجَى نَهَارًا ، فَمَا أَد رَى أَخْطَأَ فِيهِنَّ أَمْ تَصَوِّرُ ؟ [

وقال أبو تمام في قلم محمد بن عبد الملك الزيات :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ

(١) يَنْزِي : يَصُبُّ . (٢) أَخْرَقَ : أَحْمَقَ وَيَبْرِى يَقْطَعُ ، وَكَذَا يَفْرَى . (٣) شَخْتُ ضَامِرٌ دَفِيقٌ وَكَذَا مُهَفِّفٌ .

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ (١)
 لَهُ رِيْقَةٌ طُلٌّ ، وَلَكِنْ وَقَعَهَا
 فَصِيحٌ إِذَا مَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
 إِذَا مَا تَطَيَّ الْخُمْسَ لِلطَّافِ وَأَفْرَغَتْ
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافَ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الدَّهْنُ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَانُهُ (وَهُوَ مُرْهَفٌ
 وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ
 فَالْمَوْتُ ... وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُغَالِبُهُ --
 كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذَّ بَرِيْتُ
 وَقَالَ الْمُتَنَبِّئِيُّ :

نَحِيفُ الشَّوْىُ يَعْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ
 يَمُجُّ ظِلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانِهِ
 قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِيُّ . الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٥ هـ :

يَرْنُو إِلَى الْأَفْكَارِ غَيْرَ مَلَا حَظْ . وَيَخَاطِبُ الْقُرْطَاسَ غَيْرَ مُحَاجٍ
 وَيَعْلَمُ الْآدَابَ أَفْهَامَ الْوَرَى وَفُؤَادَهُ صَفَرٍ مِنَ الْآدَابِ
 وَقَالَ مَهْيَارُ الدَّيْلَمِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٧ هـ فِي وَصْفِ الدَّوْلَةِ وَالْأَقْلَامِ :

(١) الْأَرَى : الْعَسَل . اسْتَشَارَهُ اجْتِنَادُ الْعَوَاسِلِ جَمْعَ عَاسِلَةٍ الَّتِي
 تَشْتَارُ الْعَسَلَ وَتَجْمَعُهُ .
 (٢) الطَّلُّ أَخْفَ الْمَطَرِ . وَالْوَابِلُ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطَرِ .
 (٣) أَعْجَمَ : لَا يَبِينُ كَلَامَهُ . رَاجِلٌ : وَقَفَ : (٤) الشَّعَابُ جَمْعُ شَعْبَةٍ ،
 وَهِيَ مَا عَظُمَ مِنْ حَوَافِي الْأَوْدِيَةِ وَالْمَيْلِ فِي الرَّمْلِ . وَحَوَافِلُ : مَلَأَى .
 (٥) اسْتَغْزَرَ : طَلَبَ مَا فِيهِ مِنْ مَادَّةٍ غَزِيرَةٍ .
 (٦) مُرْهَفٌ دَقِيقٌ مَرَقَقٌ . ضَنْىٌ مَرَضٌ يُلْزِمُهُ الْفَرَاشُ عَلَى
 الْمَوْتِ . (٧) الشَّوْىُ : الْأَطْرَافُ وَجِلْدَةُ الرَّأْسِ .

وأم بنين استبطنتهم فصدرها غصيصُ بهم عند الحضان كظيمُ
يعقونها بالضغط. ، وهى عليهم عطوفُ بدرات الرضاع رُوم (١)
يخالُ الأفاعي الرقش ماضمٌ منهم حشاها ، وهم فيها أخٌ وحميم (٢)
فمن ذى لسان مفصح وهو أخرس ومن بائح بالسر وهو كتوم
وقال أبو الفتوح البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسبُ المجد والكرم
كفى قلمُ الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال أعرابي من بنى الحرث بن كعب ، يصف الشمس :

مخبأة ، أما إذا الليلُ جنها فتخفى ، وأما بالنهار فتظهر (٣)
إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلي دُجى الليل وانجابه الحجاب المستر (٤)
والبسَ عرضُ الارض لونا كأنه على الأفق الشرقى ثوبٌ معصر
تحلت ، وفيها حين يبدو شعاعها ولم يحل للعين البصيرة منظر
بلون ، كدرع الزعفران يشوبه شعاع تاللاً ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وابيض منها اصفرارها وجللت الآفاق ضوءاً ينيرها (٥)
ترى الطل يطوى حين تعلق وتارة وتدنّف حتى ما يكاد شعاعها
كما بدأت ، إذا شرقت ، في مغيبها تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
وتدنّف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا غابت لمن يتبصر (٦)
كما بدأت ، إذا شرقت ، في مغيبها تعود كما عاد الكبير العمر
فأفنت قروناً ، وهى فى ذلك لم تزل تموت وتحيا كل يوم وتنشر (٧)

(١) الدر اللين ، روم عطوف . (٢) الرقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة بسواد وبياض والحميم القريب . (٣) جنها : سترها .
(٤) انجابه : انكشف . (٥) المهيج : المفزع . (٦) دنفت الشمس : دنت الغروب واصفرت . (٧) تنشر : تحيا .

وقال الطغرائي يصف طلوع الشمس وغروب البدر :

وكأنما الشمس المنيرة إذا بدت والبدر يجنح للغروب وما غرَب
متحاربان لذا مجنٌ صاغه من فضة ، ولذا مجنٌ من ذهب

وقال ابن خفاجة الأندلسي المتوفى سنة ٥٢٢ يصف غروبها في نهر :

وقد ولت الشمس محتثة إلى الغرب ترنو بطرف كحيل (١)
كأن سناها على نهره بقايا نجيع بسيف صقيل (٢)
وقال ابن طاهر الكرخي أيضاً :

أما ترى الأفق كيف قد ضرب الغيم عليه من مزنه قُببا ؟
وحاجبُ الشمس من رفارفها يضرم فيها بنوره لهبا (٣)
كأنه فضة مطرقة أطرافها قد تطوَّست ذهباً (٤)

وقال ابن مكي أيضاً :

كأن الشمس إذا غرُبت غريق هوى في البحر أو وافى مغاصا
فاتَّبعها لَهلال على غروب بزورقه ، يريد لها خلاصا

وقال عبد العزيز القرطبي أيضاً :

إني أرى شمس الأصيل علية ترتاد من نحو المغارب مغربا
مالت لتحبجَ شخصها فكأنها مدت على الدنيا بساطاً مُذهبا

وقال ابن الرومي أيضاً :

وقد طفلت شمس الأصيل ونفضت على الجانب الغربي ورساً مذعداً (٥)
ولاحظت النوار وهي مريضة وقد وضعت خداعاً على الأرض أضرعاً (٦)

(١) محتثة مسرعة : ترنو تديم النظر . (٢) سناها ضوءها والنجيع دم يضرب إلى السواد . (٣) رفارفها : جوانبها . (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة ، وتطرست : تزيئت . (٥) طفلت الشمس احمرت عند الغروب ونفضت نثرت . والورس نبات أصفر والمذدع المبدد والمفرق . (٦) أضرعاً : ذايلاً .

كما لحظت غَوَّاده عين مُدنف توجَّع من أوصابه ما تَوَجَّعا (١)
وقال ابن أفلاج من قصيدة طويلة في الموضوع نفسه :

والشمس خافضة الجناح مُسِفَةٌ في الغرب تنسابُ انسيابَ الأَرَقَطِ (٢)
أو كالعروس بدت فأسدل دونها جنبات سبر كالجساد مُخَطَطِ (٣)
وأقَى الظلام على الضياء كما أقى أجَلٌ على أمل ، فلم يَتَبَّطِ .
وقال أيضاً شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي :

نزلت تجرى إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً متبولاً (٤)
تهتز بين المغيب كأنها صبٌ تملل في الفراش عليلًا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة وبكت مغاربها الدماء أصيلًا
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأبدت صفرة وذبولاً (٥)
غرُبت فأبقيت كالشواظ عقيبها شفقاً بحاشية السماء طويلاً (٦)
شفقٌ يرُوع القلب شاحبٌ لونه كالسيف صَمَخَ بالدماء مَسْلُولًا
وقتُ أعاليه وأسفله الذي في الأفق أشبع عُصفراً محلولا
وقال ابن المعتز يصف الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر
غيره : وكأن الهلال نصف سوار والثريا أكفّ تشير إليه
غيره : فحُ بوسط السماء ملقى ينتظر الصيْدَ للنجوم
غيره : انظر إلى حُسن هلالٍ بدا يهتك من أنواره الحندسا (٧)
كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من دهر الدجى نرجسا

(١) الأوصاب الأمراض . (٢) مسفة من أسف الطائر اذا دنا من الأرض في طيرانه وحية رقطاء وهي التي لونها أسود يشوبه بياض أو عكسه .
(٣) الجساد الزعفران . (٤) متبول : ذاهب العقل .
(٥) العرار نبت طيب الريح . (٦) الشواظ اللهب لا دخان فيه .
(٧) يهتك يمزق ومن في كلمة (من أنواره) بمعنى الياء ، والهندس الظلمة .

غيره : يتلو الثرى كفاغر شره
 غيره : فى ليلة أكل المحاق هلالها
 غيره : قلت لما هوت لمغربها الشمس
 أقرض الشرق ضده الغرب ديننا
 وقال ابن طباطبا :

وكان الهلال لما تبدى
 أو كقوس قد أحنيت أو كنوى
 شطر طوق المرأة ذى التذهيب
 أو كنون مهور مكتوب (٣)

وقال أبو عاصم البصرى فى الهلال والثرى والزهره :

رأيت الهلال وقد خلفت
 فشبّه وهو فى إثرها
 نجوم الثرى اكى تلحقه
 وبينهما الزهره المشرقه
 بقوس لرام : رى طائرا
 فأرسل فى إثره بندقه

وقال : فى اقتران الثرى بالحلال .

فإذا ما تقارنا قلت طوق
 وقال الطغرائى :

فكانه وكأها فى جنبه
 وقال أبو الفضل الميكالى :

كأكرة من فضة مجلوة
 غيره : وكان الهلال تحت الثرى
 أو عليها صولجان من ذهب
 معلق من هلال الأفق فى أذن (٥)
 غير : كأنما النجم قرطصيع من ورق

(١) فاغر : فاتح فاد .

(٢) المحاق : مثلثة الميم : آخر الشهر والوقف سوار من عاج .

(٣) الذوى الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، المهور : الصحيفة

معرب .

(٤) اكليل : التاج . (٥) الورف : بكسر الراء ، الفضة .

وقال شرف الدين الحسين :

كَأَنَّ الْهَلَالَ نَزِيلَ السَّمَاءِ وَقَدْ قَارَنَ الزَّهْرَةَ النَّيِّرَةَ
سَوَارٌ لِحَسَنَاءَ مِنْ عَسَجَدَ عَلَى قُفْلِهِ وَضَعَتْ جَوْهَرَهُ

وقال البدر البشتكى فى وصف الهلال والنجوم حوله :

ذُبَالَةٌ شَمْعٌ عَوَّجَ الرِّيحَ ضَوْءُهَا فَطَارَ لَهَا بِالْقُرْبِ بَعْضُ شَرَارِهِ (١)

وقال على بن محمد الكاتب :

بَدَا مُسْتَدَقُ الْجَانِبَيْنِ كَأَنَّ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ مَخْلَبُ طَائِرٍ
وَلَا لِمَسْرَى لَيْلَتَيْنِ كَأَنَّمَا تَفَرَّقَ مِنْهُ الْغَيْمُ عَنْ إِثْرِ حَافِرٍ
غَيْرِهِ : وَشَمَّرَ عَنْهُ الْغَيْمُ ذِيلاً كَأَنَّمَا تَكْشِفُ مِنْهُ عَنْ جَنَاحٍ مَحْلُوقٍ (٢)
وَقَالَ : الْبَدْرُ كَالْمَلِكِ الْأَعْلَى وَأَنْجُمُهُ جُنُودُهُ ، وَمَبَانِي قَصْرِهِ الْفَلَكَ

ولابن المعتز :

وَكَأَنَّ الْبَدْرَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَّا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي النَّأ جَ يُفْدَى وَيُحْيَا

وقال فى البدر مع الشمس :

حَتَّى رَأَيْتَ الشَّمْسَ تَتَد لَمَّا الْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ
فَكَأَنَّهَا قَدَحَانٍ مِنْ خَمَرٍ وَمَاءٍ
غَيْرِهِ : وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ كَدَرِهِمْ مَلَقَى عَلَى دِيبَاجَةِ زَرْقَاءِ
وَلِلْسَلَامَى :

وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ كَرُوضَةٍ فِيهَا غَدِيرٌ

وللشريف العقيلي :

وَالْبَدْرُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَوْرَدَةٍ بَيْضَاءَ تَضْحَكُ فِي رِيَاضِ بِنَفْسِجٍ

(١) الذبالة : الفتيلة . (٢) حلق الطائر : ارتفع فى طيرانه .

غيره : وقد برز البدر المنيرُ ووجهه كجامٍ لُجِين فيه آثارُ عنبر (١)
وقال سهل بن المرزبان :

شبهتُ بدر سَمائِها لما دنتُ منه الثريا في قميص سندسٍ
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حَيَّاه بعض الزائرين بنرجس
وقال أبو الوأواءُ الدمشقي يصف البدر طالِعاً من خلال السحاب :
والبدر أول ما بدا مُتَلَمِّماً يُبْدِي الضياءَ لنا بخدٍّ مُسْفَرٍ (٢)
فكأنما هو خوذة من فضة قد ركبت في هامه من عنبر (٣)

وقال الشريف الرضي يصف السماء والأرض والليل والبرق :

سَمَائِي مُذَهَّبَةٌ بالبروق وَأَرْضِي مُفَضَّضَةٌ بالحجاب
ورَوْضِي مطارِفُه غَصَّةٌ تَطَرَّزُ أطرافُها بالذهب
وليل ترى الفجرَ في عطفه كما شاب بعض جناح الغراب
يغار الظلام على شَمْسِهِ إلى أن يُوَارِيها بالحجابِ
وتصقل أنْجُمُهُ العاصفات إذا صَدِثَتْ من عمود السحابِ
وقال البُتْرى يصف الغيث :

ذاتُ ارتجازٍ بحنين الرِّعدِ مجرورة الذيل صدوق الوعد (٤)
مَسْفُوحَةُ الدمع لغير وَجْدٍ لها نسيمٌ كنسيم الورد
ورنَّةٌ مثل زئير الأسد ولَمُعُ برق كسيوف الهند
جاءت بها ريح الصبا من نجد فانتشرت مثلُ انتشار العقد
فراحت الأرضُ بعيشر رغد من وَشَى أنوار الرُّبَى في بُردٍ

(١) الجام اناء من فضة . (٢) مضى : مشرق .

(٣) الخوذة المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس ، والهامة الرأس .

(٤) من ارتجز الرعد اذا دمد .

كأنما غُدْرَاتُهَا فِي الْوَهْدِ يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِالنَّوْدِ (١)
وَمِنْ قَصِيدَةِ لِيَصْنِيَّ الدِّينِ الْحَلِيِّ يَصِفُ فِيهَا الرَّبِيعَ :

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلَى غُصُونِ الْبَانِ حَلَالًا فَوَاضَلَهَا عَلَى الْكُثْبَانِ
وَنَمَتْ فُرُوعُ الدَّوْحِ حَتَّى صَافَحَتْ كَفَلَ الْكُثِيبِ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ
وَتَنَوَّجَتْ هَامَ الْغُصُونِ وَضَرَجَتْ خَدَّ الرِّيَاضِ شَقَائِقَ النِّعْمَانِ
وَتَنَوَّعَتْ بُسْطُ الرِّيَاضِ فَزَهَّرَهَا مَتَابِينَ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
مِنْ أَبْيَضٍ يَقْقُ أَوْ أَصْفَرٍ فَاقَعَ أَوْ أَزْرَقٍ صَافٍ وَأَحْمَرَ قَانِ
وَالظِّلُّ يَسْرَعُ فِي الْخُمَائِلِ خَطْوَهُ وَالْغُصْنُ يَخْطُرُ خَطَرَةَ النِّشْوَانِ
وَكَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ سَوْقَ رَوَاقِصٍ قَدِ قُيِّدَتْ بِسِلَاسِلِ الرِّيحَانِ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا نَحْوَ الْحَدَائِقِ نَظْرَةَ الْغَيْرَانِ
وَالْأَرْضُ تَعْجَبُ كَيْفَ يَضْحَكُ وَالْحَيَا يَبْكِي بَدْمَعٍ دَائِمٍ الْهَدْلَانِ
حَتَّى إِذَا افْتَرَّتْ مِبَاسِمَ زَهْرَهَا وَبِكِي السَّحَابِ بَدْمَعٍ هَتَانِ
طَفَحَ السَّرُورُ عَلَى حَتَّى أَنَّهُ مِنْ عَظَمِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي
فَاصْرَفَ هُمُومَكَ بِالرَّبِيعِ وَفَصَلَهُ إِنْ الرَّبِيعُ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةِ فِي وَصْفِ وَادٍ :

تَعَانَقَتْ الْأَغْصَانُ فِيهِ فَأَمْسَبَلَتْ عَلَى الرُّوضِ أَسْتَارًا مِنَ الْوَرَقِ الْخَضِرِ
إِذَا مَا جِبَالُ الشَّمْسِ مِنْهَا تَخَلَّصَتْ إِلَى رَوْضِهِ أَلْقَتْ سِرَاكًا مِنَ التَّبَرِ

وَمِنْ قَوْلِ أَبِي الْفَتْحِ كَشَاجِمِ فِي وَصْفِ الْجَمْرِ يَعْلُوهُ الرَّمَادُ :

كَأَنَّمَا الْجَمْرُ وَالرَّمَادُ وَقَدْ كَادَ يُوَارِي مِنْ نَارِهِ النُّورَا
وَرَدُّ جَنَى الْقَطَافِ أَحْمَرَ قَدْ ذَرَتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُ كَافُورَا

(١) النَّوْدُ لَعِبَةٌ تَعْرِفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِلَعِبَةِ « الطَّالُوتِ » .

ومن قصيدة لأبي الفرج عبد الواحد الببغا في وصف جيش :

قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْجِيَادِ عَوَابِسًا شَعْنًا ، وَلَوْلَا بَأْسُهُ لَمْ تَنْقَدِ (١)
فِي جَحْفَلٍ كَالسَّيْلِ أَوْ كَاللَّيْلِ أَوْ كَالْقَطْرِ صَافِحٍ مَوْجُ بَحْرِ مُزِيدٍ
رَدَّ الظَّلَامَ عَلَى الضَّحَى فَاسْتَرْجَعَ الْإِظْلَامَ مِنْ لَيْلِ الْعَجَاجِ الْأَرِيدِ
وَكَأَنَّمَا نَقَشَتْ حَوَافِرُ خَيْلِهِ لِلنَّاضِرِينَ أَهْلَةً فِي جِلْمَدٍ
وَكَأَنَّ طَرَفَ الشَّمْسِ مَطْرُوفٌ وَقَدْ جُعِلَ الْعَبَارُ لَهُ مَكَانَ الْأَمْدِ
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي وَصْفِ رَوْضَةٍ :

مَدَاهِنُ يَحْمِلُنَ طُلُوحَ النَّدَى فَهَاتِيكَ تَبْرًا ، وَهَذِي عَقِيقَ (٢)
تَنْظُمِ أَوْرَاقَهَا دُرَاهَا وَتَنْثُرِ مِنْهَا الْقِيَّ لَا تَطِيقِ
يَمِيلُ النَّسِيمُ بِأَغْصَانِهَا فَبَعْضُ نَشَاوَى وَبَعْضُ مَفِيقِ
وَيَوْمَ سَتَارَتِهِ غَيْمُهُ وَقَدْ طَرَزَتْ زَفَرُفِيهَا الْبُرُوقُ
جَعَلْنَا الْبُخُورَ دَخَانًا لَهُ وَمِنْ شَرِّ الرَّاجِ فِيهِ حَرِيقُ
تَطُلُّ بِهِ لِلشَّمْسِ مَحْجُوبَةً كَأَنَّ اصْطَبَاحَكَ فِيهِ غُبُوقُ
عَلَى شَجَرَاتٍ رَافِعَاتٍ الذُّيُوفِ لِمَاءِ الْجَدَاوِلِ مِنْهَا شَهِيقُ

ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع في وصف روض :

أَسْفَرُ عَنْ بَهْجَتِهِ الرُّوْضُ الْأَغْرُ وَابْتَسَمَ الدُّوْحُ لَنَا عَنِ الزُّهْرِ
أَبْدَى لَنَا فَصْلَ الرَّبِيعِ مَنْظَرًا بِمِثْلِهِ تَفْتَنُ أَلْبَابَ الْبَشْرِ
وَشَيْئًا وَلَكِنْ حَاكَهُ صَانِعُهُ لَا لَا بِتَذَالِ اللَّبْسِ لَكِنْ لِلنَّظَرِ
عَايَنَهُ طَرَفَ السَّمَاءِ فَانْثَنِي عَشِيمًا لَهُ يَبْكِي بِأَجْفَانِ الْمَطَرِ
فَالْأَرْضُ فِي زَيْ عُرُوسٍ فَوْقَهَا مِنْ أَدْمَعِ الْقَطْرِ نَشَارٌ مِنْ دُرُرٍ

وشئ طواه في الثرى صوانه حتى إذا ملّ الطي انتشر (١)
وقوله :

انظر إلى زهر الربيع وما جلت فيه عليك طرائف الأنوار
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعا شهدت بحكمة مُنزل الأمطار
وما شئت للأزهار في صحرائه من درهم بهج ، ومن دينار
وجواهر لولا تغير حُسنها جلت عن الأثمان والأخطار (٢)
وله أيضاً :

ألست ترى وشي الربيع المنمنا وما رَصع الربيع فيه ونظما (٣)
فقد حكت الأرض السماء بنورها فلم أدر في التشبيه أيهما السما
فخضرتها كالجو في حسن لونه وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
فمن نرجس لما رأى حسن نقشه تداخله عجب به فتبسما
وأبدى على الورد الجنى تطاولا فأظهر غيظ الورد في خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلا وقدا
وظل لفرط الحزن يلطم خده فأظهر فيه اللطم جمرا مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله على كل أنوار الرياض تقسما
تجلبب من زرق اليواقيت حلة فأغرب في الملبوس منه وأحكما (٤)
وأنوار منشور تخلف شكلها فصار بها شكل الربيع متمما

وللقاضى محمد بن النعمان في وصف الهلال :

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد بدا لست مضين من عمره

(١) الصوان الوعاء الذى يسان فيه الشيء . (٢) جمع خطر ، وهو المنزل والتعديل فى العلو . (٣) الربيع نسبة الى الربيع والمراد به هنا المطر فى الربيع . (٤) أغرب : أتى بشيء غريب .

وقد أطاقته به كواكبه حسناً فبيته لمعتبره
 مثل زناد قد صيغ من ذهب يقدح ناراً وهن من شرده (١)
 ثم تولى يريد مغربه في شفق الشمس وهى فى أثره (٢)
 فخلته غائصاً ببحر دم يقدف بالرائعات من درره
 فلم أزل وليلى أراجعه لحظى وأبكى للوقت من قصره
 حتى تبدى الصباح منتبهاً قبل انتباه المخمور من سكره
 ومن قصيدة لسليمان بن حمدان الصبي يصف شمعة :

ومجدولة مثل صدر القنا عة تعرت وباطنها مكتسى
 لها مقلة هى روح لها وتاج على الرأس كالبرنس
 إذا رنقت لنعاس عرا وقطعت من الرأس لم تنعس (٣)
 إن غازلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس
 وتنتج فى وقت تلقيحها ضياء يحلى دجى الهندس
 فنحن من النور فى أسعد وتلك من النار فى أنعس
 توقدها نزهة العيو ن ، ورؤيتها منية الأنفس
 تكيد الظلام كما كادها فتفى ، وتفنيه فى مجلس
 فى حامل العود حث العنا ويا حامل الكأس لا تحبس
 ويا صالح (٤) انعم وعش سالماً على الدهر فى عزك الأقعس (٥)

ولأبى الحسن العقيلي فى وصف الصبح والبرق :

الصبح ينشر فوق مس لك الليل كافور الضياء
 والبرق يذهب ما تفض ضه الغيوم من السماء

(١) الزناد جمع زناد ما تقدح به النار . (٢) الشفق : الحمرة فى الأفق من الغروب الى قريب من العتمة . (٣) كدرت . (٤) اسم الممدوح . (٥) الثابت المنيع

فاشرب على ديباج تَبَسَّتْ قد أحاط بشرب ماء (١)
فالعيش في زمن الربيع رقيق حاشية الرداء
وقال أيضاً في نارنجة :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كتامة أعيد (٢)
وإذا ميلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهباً في صولجان زبرجد
ولابن أبي عمرو الطرازي وصف نار :

نار جرت في غابة ترمى العلى بالشهب
كأنها جيش وغي فرسانه من ذهب

ولعل بن أولوة الكاتب في الصبح والليل :
رُبَّ صبحٍ كطلعة الوصل جلى جُنج ليل كطلعة الهجران
زار في حلة البزاة فولى الليل عنه في حلة الغربان
ولأبي العباس الكندي في الندى على البحر :

كأن الندى في البحر بحران مائع على مائع هذا على ذاك مطبق
فهذا لجين سابح متفرق وذاك لجين في السماء معلق (٣)
إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها به ساعة أبصرته يتمزق

وللسري بن أحمد الكندي في وصف الفجر من قصيدة :
وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقن منه مروقاً (٤)
والفجر مصقول الرداء كأنه جلباب خود أشربته خلوقاً (٥)

(١) الشراب المورد . (٢) النارنجة واحد النارنج وهو شجرة ورقها أملس ليس بشديد الخضرة يحمل حملاً مدوراً في جوفه حماض كحماض الأترج ووردها أبيض في نهاية من طيب الرائحة . (٣) متفرق : متألىء . (٤) خرجن ونفذن من انجانب الآخر . (٥) الخود المرأة الحسنه الخلق الشابة . والخلوق ضرب من الطيب مائع .

وله من أخرى في سحابة :

وبكرٌ إذا جَنَّبَتْها الجنوب حسبت العشار تؤمُّ العشاراً (١)
ترى البرق يبسم سراً بها إذا انتحب الرعدُ فيها جهاراً
يُعَارِضُها في الهواء النسيم فينثرُ في الأرض دُرّاً صغاراً
فطوراً يشق جُيوب الحيا وطوراً يَسْحُجُ الدموع الغزاراً
وله من أخرى :

غيوم تمسك أفق السما ، وبرقٌ يكتبه بالذهب
وخضراء ينثرُ فيها الندى (٢) فريداً ندى (٣) ماله ثقبُ
فأوراقها مثلُ نظم الحلّى وأنهارها مثل بيض القضب
حللتُ بها مع ندائى سلواً عن الجد واشتهروا باللعب
وأغنتهم عن بديع السما ع بدائع ما ضمنته الكتب
وأحسنُ شئٍ ربيع الحيا ة أضيف إليه ربيعُ الأدب

ولأبي بكر الخالدي في وصف الجو وإدبار الليل وإقبال الفجر :
والجو يسحبُ من عليلِ هوائه ثوباً يجودُ بظله المترقّق
حتى رأينا الليل قوسَ ظهره هرماءً وأثر فيه شيب المفرّق
وكأن ضوءَ الفجر في باقى الدجى سيف حلاه من اللجين المحرق

ولسعيد بن هاشم الخالدي يصف المطر والصبح والليل والبرق :
أما ترى الظل كيف يلمع في عيون نور تدعو إلى الطرب
في كل عين للطل لؤؤة كدمعة في جفون منتحب
والصبح قد جردت صوارمه والليل قد همّ منه بالهرب

(١) البكر : السحابة الفيزيرة ، جنبتها : دفعتها . العشار : النوق .

(٢) الندى : الكلا (٣) الندى : ما سقط آخر الليل . الفريد :

لجواهر النفيس والدر .

والجُوُّ في حُلَّة مُمَسَّكَة قد كتبتها البروق بالذهب
وللمهلبى الوزير في الربيع :

الورد بين مضمخ ومضرج والزهر بين مكلي ومتوج (١)
والثلج يهبط كالنثار ، فقم بنا نلتذ بابنة كرمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نور شقائق ، وبدت سطور الورد تلو بنفسج
فكان يومك في غلالة فضة والتبت سن ذهب على فيروزج (٢)

وللقاضى التنوخى في وحشة الليل والنجوم والسماء :

رب ليل قطعته كصدود وفراق ما كان فيه وداع
موجش كالثقليل تقذى به العي ن وتابى حديثه الأسماع
وكان النجوم بين دُجَاه سنن لاح بينهن ابتداء
وكان السماء خيمة وشي وكان الجوزاء فيها شراع
وله أيضاً في وصف رياض :

رياض حاكت لهن الثريا خللا كان غزلها للرعود
نثر الغيث دُرَّ دمع عليها فتحلت بمثل در العقود
أفحوان معانق لشقيق كغفور تعض وِرْدُ الخدود
وعيون من نرجس تتراعى كعيون موصولة التسهيد
وكان الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في حدود العيد
وكان الذى عليها دموع في جفون مفجوعة بفقيد

(١) مضمخ : ضمخه بانطيب لطحه به حتى كاد يقطر . ضرجه : صبفه بالحمرة . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا . الفبروزج : حجر كريم .

وكتب محمد بن عبد الله السامى إلى صديق له يصف النارنج :

أَتَنَشَطُ - لِلصَّبُوحِ - أبا على - على حُكْمِ الدُّنَى ورضا الصديق
بنهر للرياح عليه دِرْعُ تذهب بالغروب وبالشروق
إذا اصفرَّت عليه الشمس صبت على أمواجه ماء الخلق (١)
وجمر شب في الأغصان حتى أضاع الماء في وَهَجِ الحريق
فدُهِمُ الخيل في ميدان تَبَرٍ يُصاغ لها كراتٌ من عقيق
وكتب إليه في صفة نهر حوله أشجار الجلنار (٢) :

ونهر تمرحُ الأمواج فيه مراح الخيل في رَهَجِ الغبار (٣)
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نَمِيرَ الماءِ يُمَزَجُ بالعقار (٤)
كَأَنَّ الماءَ أَرْضَ من لجين مَغْشَاةٌ صفائح من نضار
وأشجار مُحْمَلَةٌ كَوُوساً تضاحك في احمرار واخضرار
وإذا أَبْصَرْنَ في نهر سماءَ وهبن له نجوم الجلنار
وله قصيدة في وصف الرياض والبرق :

نسب الرياض إلى الغمام شريف ومحلها عند النسيم لطيف
فاشرب وثقل وزن جامك إنه يوم على قلب الزمان خفيف (٥)
أو ماترى طرر البروق توسطت أفقاً كَأَنَّ المَزْنَ فيه شفوف (٦)
اليومُ من خجل الشقيق مضرج خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والأَرْضُ طرس والرياض سطوره والزهر شكلٌ بينها وحروف
ولابن أبي الرجال يصف روضة صنعاء :

رَاضَةٌ قد صبا لها السعد شوقاً وصفا ليلها ، وطاب المقيلاً

(١) الخلق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . (٢) الجلنار : زهر الرمان . (٣) الرهج : ما أثير من الغبار . (٤) الخمير . (٥) الجام : أناء من فصة . (٦) الطرر : جمع طرة وهى علم الثوب . المزن : السحاب .

جَوْ سَجْسَج وفيها نسيم كل غصن إلى لقاء يميل
 صح سكانها جمعاً من الدا ، وجسم النسيم فيها عايل
 إيه ! ياماء نهرها العذب صلصل حبذا يازلال منك الصليل
 إيه ! يا وُرُقها المرنة غنى فحياة النفوس منك الهديل
 روض صنعاء فقت طبعاً ووصفاً فكثير الثناء فيك قليل
 نهر دافق ، وجو فتيق ، زهر فائق ، وظل ظليل
 لست أنسى انتعاش شحرور غصن طرباً ، والقضيب منه يميل
 وعلى رأس دوحة خاطب الور ق ، ودمع الغصون طلاً يسيل
 ولسان الرعود يهتف بالسح ب فكان الخفيف منها الثقيل
 وفم السحب باسم عن بروق مستطير شعاعها مستطيل

ولابن سكرة الهاشمي وصف روضة :

أما ترى الروضة قد نورَتْ وظاهر الروضة قد أعشبا
 كأنما الأرض سماء لنا نقطف منها كوكباً كوكبا

ولابن الرائج الحلبي يصف زهرية :

نشرت عقود سمائها الأنداء بيد النسيم ، فللشرى إثراء
 وبدت تباشير الربيع كأنما نشرت مطارف وشيها صنعاء (١)
 والأرض قد زُهِيت بحلى نباتها والجو حلة سحبه دكناء (٢)
 والروض في نشوات سكرته وقد طافت عليه الدِّمة الوضفاء
 وثنى الحيا عطف الغدير فصفت أطرافه وتغنت الوراقاء
 فكان أعطاف الغصون منابر والورق في أوراقها خطباء

(١) صنعاء : عاصمة بلاد اليمن .

(٢) الدكناء : الضارب لونها الى السواد .

ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي :

- ترنج عطف البان في الحلل الخضر وغنى بألحان على عوده القمري (١)
ورافت أزامير الحقائق بالضحي نواظر أحداق بنوارها النضر (٢)
وأشرق خد الوردي يبدى نضاره وأشرق جيد الغصن في لؤلؤ القطر
وبات سقيط. الطل في كل روضة ينبه في أرجائها ناعس الزهر
وما ذهبت شمس الأصيل عشية إلى الغرب حتى أذهبت فضة النهر
وغنت قيان الطير في كل أيكّة وقد راق كحل الطل في مقل الغدر
أقامت لها دوح الأراك أرائكا وأرخت لها أوراق أستارها الخضر
وأمسى أصيل اليوم ملق من الضنى على فرش الأزهار في آخر العمر
بكنه حمامات الأراك وشققت عليه الصبا أثواب روضاتها النضر
فكم من نجيب للحمام بالضحي عليه وللأنواء من دمة تجرى

ولعلي بن أحمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث :

- رز الصباح علينا شملة السحب ومدّت الريح منها واهى النطب (٣)
صكّ النسيم فراخ الغيث فانزعجت ينفضن أجنحة من عنبر الزغب (٤)

ولأبي معمر بن أبي سعيد الإسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج :

- فرحنا وقد بات السماء مع الثرى وغاب أديم الأرض عنا فما يرى
كأن غيوم الجو صواغ فضة تواصلوا برد الحلى عمدا إلى الورى

ولأبي العلاء السروي في وصف روض :

- مرزنا على الروض الذي قد تبسّمت ذراه وأوداج السحاب تسفك (٥)
فلم نر شيئا كان أحسن منظرا من الروض يعرج دمه ويضحك

(١) القمري : ضرب من الحمام (٢) أصله بكسر العين وتسكينها لنضرورة . (٣) رز : بمعنى نفخ والشملة كساء يشتمل به . وزر شملة السحب كناية عن سقوط المطر . (٤) الزغب : صفار الريش . (٥) الأوداج : جمع وديج وهو عرق في العنق .

وله أيضاً في وصف روض من قصيدة :

أما ترى قُضِبَ الأشجار قد لبستْ أنوارها تَتَشَنَّى بين جُلّاس
منظرمة كسموط الدرّ لابسَة حُسناً يُبَيِّح دم العنقودِ للحاسي (١)
وغرّدتْ خطباءُ الطير ساجعة على منابر من وَرْدٍ ومن آس

وقال أبو الفتح كشاجم يصف مرآة أهداها :

أُخِثَ شمس الضحَاء في الحُسْن والإشراق تنير الإِعْشاءَ للأَجْفَانِ
ذات طوق مُشَرَّفٍ من لجينٍ أُجْرِيتَ فيه صفرة العقيان
فهو كالهالة المحيطة بالبد ر لست مَضِيْنٌ بعد ثمانٍ
وعلى ظَهرها فَوَارِسٌ تَلْهُو ببزاةٍ تعدو على غِزْلَانِ
عدلت عكسها الشُّعاع فمُبْدَا دُ إِلَيْهَا وَرَجَعَهُ سِيَّانِ
وهي شمسٌ وإن مِثَالكَ يوماً لَاحَ فِيهَا فَإِنَّهَا شَمْسَانِ
أَيْنَمَا قَابَلْتَ مِثَالَكَ مِنْ أَرَضٍ فِيهَا تَقَابَلُ النَّيِّرَانِ
فألْقَها مِنْكَ بِالذِي مَا رآه خَائِفٌ فَاثْنَى بِغَيْرِ أَمَانِ

ولأبي القاسم الدينبوري في وصف جواد :

ومَطْهَمٌ (٢) طَرَفُ الْعِنَانِ (٣) مُعَوَّدٌ خَوْضُ الْمَهَالِكِ كُلِّ يَوْمٍ بَرَّازٍ
وَإِذَا تَوَغَّلَ فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ صَعِبَ بَعِيدَ الْعَهْدِ بِالْمَجْتَازِ
تَرَكْتَ سَنَابِكُهُ بِصَمِّ صَخُورِهِ أَثَرًا يَلُوحُ كَنَقْشِ صَدْرِ الْبَازِ

وله في وصف سفرجل وتَفاح ورمَان :

بَعُثْتُ إِلَيْكَ ضَحَى الْمَهْرَجَا ن بِمَعشوقَةِ الْعَرَفِ وَالْمَنْظَرِ

(١) من حسا الشراب اذا شربه شيئاً بعد شيء وفي مهلة .

(٢) شبه حسنه وأظهر بهاءه والموصوف محذوف أى الفرس .

(٣) طرف العنان بمعنى خفيف ، والمطهم البارع الجمال والتمام من كل

معطرة صانها في الحجا ل مطارف من سندس أخضر
وبيضاء رائقة غضة مُنقطة الوجه بالصفير
وحق عقيق ملاه الهجيد ر من الجوهر الرائق الأحمر
وأفداح تبر حشت قعرها يد الشمس بالمسك والعنبر
فكن ذا قبول لها إنها هداها مُقل إلى مكثر
وله في صفة النارج :

أما ترى شجر النارج طالع نجومها في غصون لدنة ميل^(١)
كأنها بين أوراق تحف بها زهر المصابيح في خضر القناديل
ولأبي الفضل الميكالي في صفة الشقائق :

تصوغ لنا كف الربيع حدائق كعقد عقيق بين سبط. لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قد حكّت حدود عذارى نقطت بغوالي
وله في اقتران الزهرة والهلال :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا تحت هلال لونه يحكي اللهب
ككرة من فضة مجلوة أوفى عليها صولجان من ذهب^(٢)
وله في الفجر :

أهلاً بفجر قد نضا ثوب الدجى كالسيف جرد من سواد قراب
وقال في صفة الندى الساقط. على غصون الشجر :

نثر السحاب على الغصون ذرارة أهدت لها نوراً يروق ونورا
شابت ذوائبها فعدن كأنها أجفان عين تحمل الكافورا
وقال في الجليد :

رُبّ جنين من جنى نيمير مهتك الأستار والضمير

(١) ميل : جمع أمل .

(٢) أوفى : اشرف .

سللته من رَحَم الغدير كأنه صحائف البلور
لو اكرّ تجسّمت من نور أو قطع من خالص الكافور
لو بقيت سلكا على الدهور لعطلت قلائد النُحور
وأخجلت جواهر البحور وُسِّيت ضرائر الثغور (١)
يا حُسْنه في زمن الحدور إذ فيضه مثل حشا المهجور
يُهدى إلى الأكباد والصُدور روحاً تحاكي نفثة المصدور (٢)

ولأبي طاهر بن الهاشمي في روضة :

وروضة زارها الذّدى فغدّت لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدي الربيع لنا ثوباً من الوشى حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها على رباها مطارف خضر
ثم تبدّت كأنها حدق أجفانها من دمائها حمر

ولأبي نصر سهل بن المرزبان في البدر :

كم ليلة أحيتها مؤانسي طرف الحديث وطيب حث الأكّوس
شبهت بدر سائها لما دنت منه الثريا في قميص سُندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حياه بعض الزائرين بنرجس

وللحسن بن أحمد البروجردى في حوض لبعض الرؤساء :

حوض يَجود بجوهر متسلسل ساد الجواهر كلها بنفاسته
لا زال عذباً جارياً ببقاء من هو مثله في طبعه وسلامته

ولابن أنيس في حسام عمر بن معد يكرب :

أخضر المتن بين حديّه نور من فِرْنَد تحار فيه العيون

(١) ضرائر : جمع ضرة وهي إحدى زوجتي الرجل وأراد بسرائر الثغور الأسنان .

(٢) النفثة ما ينفته المصدور من فيه .

أوقدت فيه للصواعق ناراً ثم ساطت به الزُعاف المنون^(١)
 فإذا ما سللته بَهَر الشَّمْسُ سر ضياء فلم تكد تستبين
 فكأنَّ الفرند والرونق الجا رى في صفحتيه ماءً معين^(٢)
 وكانَّ المنون نيطت إليه فهو من كل جانيبه منون
 ما يُبالي مَنْ انتضاها لحرب أشمالُ سطت به أم يمينا
 وقال ابن عبد ربه في الرمح والحسام :

بكلُّ رُدِينِي كَأَنَّ سِنَانَهُ شِهَابٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ساطِع
 تقاصرت الآجال في طول مَتْنِهِ وعادت به الآمال وهي فجائع
 وساءت ظنون الحرب في حُسْنِ ظَنِّهِ فهنَّ لِجِبَّاتِ الْقُلُوبِ قِوَارِع
 وذى شطب تقضى المنايا حكمه وليس لما تقضى المنيَّة دافع^(٣)
 وقال أيضاً في الحرب :

ومُعْتَرِكٌ تَهَزُّ بِهِ الْمَنَايَا ذُكُورَ الْهِنْدِ فِي أَيْدِي ذُكُورِ
 لَوَامِعٌ يُبْصِرُ الْأَعْمَى سَنَاها ويعمى دونها طرفُ البصيرِ
 يُحَوِّمُ حَوْلَهَا عِقْبَانُ مَوْتٍ تَخَطَّفَتْ الْقُلُوبُ مِنَ الصُّدُورِ
 ومن قوله في الحرب وأبطالها :

سُيُوفٌ يُقِيلُ الْمَوْتَ تَحْتَ ظَبَاتِهَا لها في الكُلَى وبين الكلى شُرْبُ
 إِذَا اصْطَفَتْ الرِّايَاتُ حُمْرَ أَمْتُونِهَا ذَوَائِبُهَا تَهْفُو فِيهِمْ هُوَ لَهَا الْقَلْبُ^(٤)
 ولم تنطق الأبطال إلا بفعلها فآلسِنُهَا عُجْمٌ وَأَفْعَالُهَا عُرْبُ
 إِذَا مَا التَّقُوا فِي مَأْزِقٍ وَتَعَانَقُوا فلقياهم طعن وتعنيفهم ضَرْبُ

(١) هطلت . (٢) جارا . (٣) جمع شطب وهي طرفة السيف أي
 الواحدة من الخطوط التي في نصله . (٤) هفت الراية خفقت وهفا
 القلب ذهب في أثر الشيء .

ولابن قلاقس في وصف السحاب والبرق والغيث :

سرى وجبينُ الجو بالطلُّ يرشح وثوبُ الغواذى بالبروقِ موشحٌ
وفي طيِّ أبرادِ النسيمِ حَمِيلَةٌ بأعفافها نورِ المنى يَتَفَتَّحُ (١)
يضاحك في مثنى المعاطفِ عارضٌ مدامعه في وجنة الرُّوضِ تسفحُ
وتورى به كفُّ الصِّبا زند بارق شرارتهُ في فحمةِ الليلِ تقدحُ

ولأبي القاسم بن بابك في الصاحب يصف له إضرام النار في بعض غياض :

وليلة بتُّ أشكو الهم أولها وعُدت آخرها أستنجدُ الطربا
في غيضة من غياض الحُزن دانية مدَّ الظلام على أوراقها طنبا
حتى إذا النارُ طاشت في ذوائبها عاد الزمردُ من عيدانها ذهباً
مرقت منها وثغر الصُّبحِ مُبتسمٌ إلى أغرَّ يرى المذخور ما وهباً
يا أغزَرَ الناسِ أنواءً ومحتلباً وأشرف الناسِ أعراقاً ومُنتسباً
أصبحتُ ذا ثقة بالوفر منك وإن قال العواذلُ ظنُّ ربما كذباً
فحسن ظني بك استوفى مدى أملِي وحسن رأيك لي لم يُبق لي أربا

ومن قصيدة لأبي سعيد الرُّستمي يصف بها داراً بناها الصاحب بن عباد :

وساميةِ الأعلام تلحظ. دونها سنا النجم في آفاقها متضائلا
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز فأصبح في أرض المدائن عاطلا
تناطح قرى الشمس من شرفاتها صفوف طباء فوقهن موائلا
وأغنى الورى عن منزل من بنت له معاليه فوق الشعريين منازل
ولا غرو أن يستحدث الليث بالثرى عريناً وأن يستطرق البحر ساحلا
ولم تعتمد داراً سوى حومة الوغى ولا خدماً إلا القنا والقنايلا

ووالله ما أرضى لك الدهر خادماً ولا البدر مُتَّاباً ولا البحر نائلاً
ولا الفلك الدَّوَّارَ داراً ولا الوري عبيداً ولا زُهر النُّجوم قبائلاً
فإن الذى يبنيه مثلك خالدٌ وسائر ما يبنى الأَنَامُ إلى بلى

ولشاعر القطرين خليل مطران في وصف روض :

أيها الرُّوض كن لقلبي سلاماً وملاذاً منَ الشقاء الملازم
زهرٌ وابلٌ كَأَنِّي أَرَاهُ ثَملاً من أنفاسِهِ في الكمائم
وغديرٌ صافٍ أَقَامَ سِياجاً حوله بَاسِقٌ من الدَّوح قائم
تتناغى بيض من الطير فيه سابحاتٌ وتحتها النُّجم عائم
كيفما سرن فالطريق عقودٌ نظمت من مَحاجرٍ ومباسم
حبداً البدرُ مُؤنساً يَتَجَلَّى كحبيب بعدَ التَّغيب قام
حبداً زسمهُ البرايا كَأَنِّي ما ترى العينُ في صحيفةٍ راسم
حبداً الماءُ والمصباحُ فيه كَبْنان يزينها بخواتم
جنة بانَت المكاره عنها وهى بِكرٍ مِنَ الأذى والمحارم
إنما أَهلها طيور حسان إن دعاها الصِّباح قامت تُنادم
وضياءٌ يَمُوجُ في الماءِ حتى لتراه كأنه مُتَلَاطم
ومُروجٌ مدبجاتٌ كوشى أَتَقنَت صنعه حسان المعاصم
وغصونٌ تَهْزُها نسمات كمْهودٍ تَهْزُهُنَّ رَوَائِمُ (١)

وقال البحترى واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء :

تفننت في الكتابة حتَّى عطل الناس فن عبد الحميد
في نظام من البلاغة ما شذ لك امرؤُ أنه نظام فريد

(١) جمع الرائمة وهى الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له .

وبديع كأنه الزهر الضا حِكْ في رونق الربيع الجديد
مُشرق في جوانب السمع ما يُخْ لَمَقَه عودُه على المستعيد
ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حجيجٌ تخرس الألد باللف اظ فرادى كالجوهر المعداد
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد
حُزنٌ مستعمل الكلام اختيارا وتجنبين ظلمة التعقيد
وركين اللفظ الغريب فأدرك ن به غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحلل البيا ض إذا رحن في الخطوط السود
ووصف أعرابي تزوج امرأتين ما وقع له منهما فقال :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت : أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتسمى تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط. هذى فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقي في المعيشة كل ضر كذاك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى عتاب دائم فى الليلتين
فإن أحبيت أن تبقى كريماً من الخيرات مماوء اليدين
فِعش عزباً فإن لم تستطعه فضرِباً فى عراض الجحفلين (١)
وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى وصف الربيع :

يا صاحِبِ تقصيا نظريكما تريا وُجوه الأرض كيف تصوّر
تريا نهارا مشمساً قد زانه زهر الرُّبا فكأنما هو مُقمَرُ
دنيا معاش للورى حتى إذا حلَّ الربيع فإنما هى مَنظَرُ

(١) الرواية التى أحفظها فى تمام هذا البيت : فواحدة تكفى عسكرين .
أه مصححه .

أضحت تصوغ بطونها لظهورها نوراً تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى فكأنها عمن لديك تحدر

وقال أبو عبادة البحرى فى قصر المعتز بالله :

لما كملت روية وعزيمة أعملت رأيك فى ابتناء الكامل
وغدوت من بين الملوك موفقاً منه لأيمن حلة ومنازل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقه من منظر خطر المزلّة هائل
رفعت لمخترق الرياح سموكه وزهت عجائب حسنه المتعاهل
وكان حيطان الزجاج بجود لججّ يمجن على جنوب ساحل
وكان تفويت الرخام إذا التقى تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين مُنمر ومُسير ومقارب وهُشاكل
لبست بالذهب الصقيل سقوفه نوراً يضىء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن فى ذى رونق مُتلهب العالى أنيق السافل
وكأنا نشرت على بُستانه سبراء وثى اليمنة المتواصل
أغنته دجلة إذ تلاحق فيضها عن صوب منسحب الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت أشجاره من حول وحوامل

وقال المتنبي فى جواد :

ويوم كلون المدنفين كمنته أراقب فيه الشمس أيا ن تغرب
وعيني إلى أذانى أغر كأنه من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة من جسمه فى إهابه تجىء على صدر رحيب وتذهب
شقيقت به الظالماء أدنى عنانه فيطغى وأرخيه مرارا فينعب
وأصرع أى وحش قفيت به له وأنزل عنه مثله حين أركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم نشاهد غير حسن شبابها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ في الربيع :

ورد الربيع فمرحباً بوروده وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه وأنيق مبسمه ووشى بروده
فصل إذا افتخر الزمان فإنه إنسان مقلته وبيت قصيده
يغنى المزاج عن العلاج نسيمه باللطف عند هبوبة وروده
يا حبذا أزهاره وثماره ونبات ناجمه وحب حصيده
والغصن قد كسى الغلائل بعدما أخذت يدا (كانون) في تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى ماء الشبيبة في منابت عوده
الورد في أعلى الغصون كأنه ملك تحف به سراة جنوده
وانظر لترجسه الجنى كأنه طرف تنبه بعد طول هجوده
وانظر إلى المنثور في منظومه متنوعاً بفصوله وعقوده

وقال أيضاً في حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقته ما بين مختلف منه ومتفق
والظل يسرق بين الدوح خطوته وللمياه ديب غير مسترق
وقد بدا الورد مفتراً مباسمه والنرجس الغص فيها شاخص الحديق
والسحب تبكى وثمر البرق مبتسم والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير في طرب والسحب في حرب والماء في هرب والغصن في قلق

وقال المرحوم أحمد شوقي في الطبيعة :

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى حتى أريك بديع صنع البارى

فالأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار
ولقد تمرُّ على الغدير تخاله والنبت مرآة زهت بإطار
حلز التسلسل موجه وخيريره كأنامل مرت على أوتار
ينساب في مخضلة مبتلة منسوجة من سندس ونضار
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى مُنشقة عن أنهر وبحار
في كل ناحية سلكت ومذهب جبلان من صخر وماء جارٍ
وقال حافظ. إبراهيم يصف النيل :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان
يجرى على قدر في كل منحدرٍ لم يجف أرضاً ولم يعمد لطغيان
كأنه ورجال الرى تحرسه مملك سار في جند وأعوان
قد كان يشكوا عذماً جرى طلقاً حتى أقمت له خزّان أسوان
وقال أيضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتي وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني عقلت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ، ولما لم أجد لعرائسي رجلاً وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آى به وعظاتي
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة وكم عز أقوام بعز لغاتي
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننًا فياليتكم تاتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ
ولو تزجرون الطير يوماً علمتمُ
سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً
حفظن ودادى في البلى وحفظته
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً
وأسمع للكتاب في مصر ضجةً
أيهجُرُنِي قومي عفا الله عنهمُ
سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى
فجاءت كُثُوبٌ ضمَّ سبعين رُقعة
إلى معشر الكتاب والجمع حافل
فإما حياةً تبعث الميت في البلى
وإما مماتٌ لا قيامَةَ بعده

يُنَادى بوأدى في ربيع حياتي
بما تحته من عشرة وشتات
يعزُّ عليها أن تلين قناتي
لَهْنٌ بقلب دائم الحسرات
حياءً بتلك الأعظم النخرات
من القبر يُذْنِنِي بغير أناة
فَاعْلَمْ أن الصائحين نُعَاقِي
إلى لُغة لم تتصل برُواتي
لعبُ الأفاعي في مسيل فرات
مشكلةَ الألوانِ ، مختلفات
بسطت رَجَائِي بعد بسط. شكائي
وَتُنِبْتُ في تلك الرُّؤوس رُفَاتِي
مات لعمرى لم يُقَس بممات

وقال شاعر العراق الكبير المعروف الرصافي واصفاً قطار البخار :

وقاطرة ترمى الفضأ بدُخانها
تمشت بنا ليلاً تجرُّ وراءها
فطوراً كعصب الريح تجرى شديدة
تساوى لديها السهل والصعب في السرى
تَدَك مُتُونُ الحزن دكا وإنها
يمرُّ بها العالی فتعلو تسلقاً
طوت بالمسير الأرض حتى كأنها
هو العلمُ يعلو بالحياة سعادة

وتملأ صدر الأرض في سيرها رُعباً
قطاراً كصف الدَّوح تسحبهُ سحباً
وطوراً رُخاءً كالنسيم إذا هباً
فما استسهلت سهلاً ولا استصعبت صعباً
لتنهبُ سهل الأرض في سيرها نهياً
ويعترض الوادى فتجتازه وثباً
تسابق قرص الشمس أن تدرك الغربا
ويجعلها كالعلم محمودة العُقبى

وقال المرحوم محمود سامي البارودي يصف حرب سكان جزيرة كريد :

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ	وهفا السُّرَى بِأَعْنَةِ الْفَرْسَانِ
وَاللَّيْلُ مَنشُورُ الذَّوَانِبِ ضَارِبٌ	فَوْقَ الْمُتَالَعِ وَالرُّبَى بِجِرَانِ
لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظِلْمَائِهِ	إِلَّا اشْتَعَالَ أَسْنَةُ الْمِرَانِ
تَسْرَى بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةٍ فَتْنَةٍ	تَسْمُو غَوَارِبَهَا عَلَى الطُّوفَانِ
فِي كُلِّ مَرْبَاقَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ	تَهْدَارُ سَامِرَةٌ وَعِزْفُ قِيَانِ
تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَصْهَلُ أَجْرَدٌ	وَتَصِيحُ أَجْرَاسٌ وَيَهْتَفُ عَانِ
قَوْمٌ أَبَى الشَّيْطَانُ إِلَّا خَسِرَهُمْ	فَتَسْلُلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
مَلَأُوا الْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَازِرٍ	غَيْرُ التَّلَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ
غَالِبِدُرٌ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ	وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ . وَالرَّمَاخُ دَوَانِ
وَالْخَيْلُ رَاقِفَةٌ عَلَى أَرْطَانِهَا	لَطْرَادُ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرَهَانِ
وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا	يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنِ النَّيْرَانِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيحُ أَسْفَرُ وَارْتَمَتْ	عَيْنَايَ بَيْنَ رَبِي وَبَيْنَ مَجَانِ
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسْنَةُ ، وَإِذَا الْوَهَا	دُ أَعْنَةُ ، وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِ
فَتَوَجَّسَتْ فِرطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ	لِتَهَابَ ، فَامْتَنَعَتْ عَلَى الْإِرْسَانِ
فَرَزَعَتْ فَرَجَعَتْ الْحَنِينَ وَإِنَّمَا	تَحْنَانُهَا شَجْنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ
ذَكَرْتُ مَوَارِدَهَا بِمَصْرٍ وَأَيْنَ مِنْ	مَاءٍ بِمَصْرِ مَنَازِلِ الرُّومَانِ

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخاريّاً :

نَظَرَ الْحَكِيمُ صِفَاتِهِ فَتَحِيرًا	شَكَلَا كَطُودَ الْبُخَارِ مَسِيرًا
دَوْمًا يَحْنُ إِلَى دِيَارِ أَصُولِهِ	بِحَدِيدِ قَلْبٍ بِاللَّهْيَبِ تَسْعَرًا
وَيَظَلُّ يَبْكِي وَالدَّمُوعُ تَزِيدُهُ	وَجَدًّا فَيَجْرِي فِي الْفَضَاءِ تَسْتَرًا
تَلْقَاهُ حَالَ السَّيْرِ أَفْعَى تَلْتَوِي	أَوْ فَارِسَ الْهَيْجَا أَثَارَ الْعَثِيرَا

أَوْ أَكْرَةً أَرْسَلْتَهَا تَرَى بِهَا غَرْضاً فَجَلَّتْ أَنْ تَرَى حَالَ السَّرَى
أَوْ سَبْعَ غَابٍ قَدْ أَحْسَّ بِصَائِدٍ فِي غَابِهِ فَعَدَا عَلَيْهِ وَزَمَجِرَا
فَكَأَنَّهُ الْمَدْيُونُ جَاءَ غَرِيمَهُ فَانْسَلَّ مِنْهُ وَغَابَ عَنْ تِلْكَ الْقَرْىِ
أَوْ أَنَّهُ شَهْبٌ هَوَتْ مِنْ أَفْقِهَا أَوْ قَبَةَ الْمُنْطَادِ تَنْبِذَ بِالْعِرَا
لَا عَجَبَ لِلنَّيْرَانِ إِذْ يَمْشَى بِهَا فَمَنْ اللَّظَى تَجْرَى الْوَرَى كَى تَحْشُرَا

وقال أحمد شوقي يصف الجسر الواصل بين صفتى البسفور فى الآستانة :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتَ جَسْرًا أَمْرٌ عَلَى الصَّرَاطِ وَلَا عَلَيْهِ !
لَهُ خَشَبٌ يَجُوعُ السُّوسُ فِيهِ وَتَمْضَى الْفَارُ لَا تَأْوِي إِلَيْهِ
وَلَا يَتَكَلَّفُ الْمُنْشَارُ فِيهِ سِوَى مَرٍّ الْفُطَيْمِ بِسَاعِدِيهِ
وَيَبْلَى نَعْلٌ مِنْ يَمْشَى عَلَيْهِ وَقَبْلَ النُّعْلِ يَدْمَى أَخْمَصِيهِ
وَكَمْ قَدْ جَاهَدَ الْحَيَوَانَ فِيهِ وَخَلَفَ فِي الْهَزِيمَةِ حَافِرِيهِ
وَأَسْمَجُ مِنْهُ فِي عَيْنِي جُبَاةً تَرَاهُمْ وَسَطَهُ وَبِجَانِبِيهِ
إِذَا لَاقَيْتَ وَاحِدَهُمْ تَصَدَّى كَعَفْرِيتٍ يُشِيرُ بِرَاحَتِيهِ
وَيَمْشَى (الْصَّدْرُ) فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ بِمُوكَبِهِ السَّنَى وَحَارْسِيهِ
وَلَكِنْ لَا يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا مَرَّتْ يَدَاهُ بِعَارِضِيهِ
وَمَنْ عَجَبٌ هُوَ الْجَسْرُ الْمَعْلَى عَلَى (الْبُسْفُورِ) يَجْمَعُ شَاطِئِيهِ
يَفِيدُ حُكُومَةَ السُّلْطَانِ مَا لَا وَيُعْطِيهَا الْغَنَى مِنْ مَعْدِنِيهِ
يَجُودُ الْعَالَمُونَ عَلَيْهِ ، هَذَا بَعِشْرَتِهِ ، وَذَاكَ بَعِشْرَتِهِ
وِغَايَةُ أَمْرِهِ أَنَا سَمِعْنَا لِسَانَ الْحَالِ يَنْشُدُنَا لَدِيهِ
(أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ مِثْلِي يَرَى مَا قَلَّ مِمْتَنَعًا عَلَيْهِ)
(وَتَوَخَّذْ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٌ فِي يَدِيهِ)

وقال المأمون المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يصف المقرّاض :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالودِّ والإخلاص أن لا افترقا
ضمهما أزهراً كالنجم به قد وثقا
لم يشك خصرهما مذ ضمناه قلعا
من تحته عينان من—ذ انفتحا ما انطبعا
وفوقه نابان ما حلا فمأ مذ خلعا
يُفرقان بين كـ لـ ما عليه اتفقا
فأى شئ لاقيا هـ ألقياه فرقا

وقال أبو بكر الأرجاني المتوفى سنة ٥٢٤ هـ يصف الشمعة :

نمتُ بأسرار ليلٍ كان يخفيها وأطلعت قلبها للناس من فيها
غريقة في دموع وهى تحرقها أنفاسها بدوامٍ من تلظيها
تنفست نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليل فبات الوجد يذكيها
بخشى عليها الردى مهما ألم بها نسيمٌ ريح إذا وافى يُحييها
قد أثمرت وردة حمراء طالة تجنى على الكف إن أهويت تجنيها (١)
ردّ تشاك به الأيدي إذا قُطفت وما على غصنها شوكٌ يوفيها
صفر غلائلها ، حمر عمامها ، سودّ ذوائبها بيض لياليها

وصف قصر المنصور :

قال ابن حمّديس (٢) الصّلى فى صفة قصر شيده المنصور بن أعلى

(١) تجنى الأول بمعنى تعتدى والثانية بمعنى تقطف .

(٢) هو عبد الجبار بن أبى بكر توفى سنة ٥٢٧ هـ وهو من أبرع الشعراء ان لم يكن أبرعهم فى وصف البرك والأنهار والقصور والتماثيل فلقد كان اذا وصف شيئا من ذلك كالحسناء وخيالها فى المرأة .

الناس ببجاية^(١) ، وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة ، وعلى حافاتها أسود تقذف بالماء :

أَصْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتَهُ مَعْمُورًا	أَعْمَرَ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي
أَعْمَى لِعَادٍ مِنَ الضِّيَاءِ بِصِيرًا	قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَحَلْتَ بَنُورَهُ
فِيكَادُ يُحَدِّثُ بِالْعِظَامِ نَشُورًا	وَاشْتَقَى مِنْ مَعْنَى الْجَنَانِ نَسِيمَهُ
غُرْفًا رَفَعَتْ بِنَاءَهَا وَقُصُورًا	أَذْكُرْتَنَا الْفَرْدُوسَ حِينَ أَرَيْتَنَا
حَقَرَ الْبَدُورَ فَأَطْلَعَ «الْمَنْصُورَ»	فَلَكَ مِنَ الْأَفْلَاكِ ، إِلَّا أَنَّهُ
جَعَلْتَ تَرْحُبُ بِالْعَفَاةِ صَرِيرًا ^(٢)	وَإِذَا الْوَلَائِدُ فَتَحَتْ أَبْوَابَهُ
فَغَرَّتْ بِهَا أَفْوَاهُهَا تَكْبِيرًا ^(٣)	عَضَتْ عَلَى حَلَقَاتِهَا ضِرَافُهَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْخُولُهَا مَأْمُورًا ^(٤)	فَكَأَنَّهَا لَبَدَتْ لَتَهْصِرَ عِنْدَهَا
بِالنَّقْشِ فَوْقَ شَكْوَلِهِ تَنْظِيرًا ^(٥)	وَمُصْفَحَ الْأَبْوَابِ تَبْرًا نَظَرُوا
شَمْسٌ تَرْدُ الطَّرْفَ عَنْهُ حَسِيرًا ^(٦)	خَلَعَتْ عَلَيْهِ غَلَائِلَ مُوشِيَةً
أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا	وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ
حَامَتِ لِيَتَبَنَّى فِي ذُرَاهُ وَكُورًا	عَجِيتُ مِنْ أَطْيَارِ عَسْجَدِهِ
فَارْتَكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرًا ^(٧)	وَضَعْتَ بِهِ صُنَائِعَهَا أَقْلَامَهَا
مَشَقُّوا بِهَا التَّزْوِيقَ وَالتَّشْجِيرَ ^(٨)	وَكَأَنَّهَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ

- (١) بجاية كحكاية : بلد بالمغرب .
 طالب الحاجة ، والصرير صوت الباب . (٢) العفاة جمع عاف وهو
 (٣) فغر فاه : فتحه .
 (٤) لبد كنصر : أقام ، والهصر : الدفع . (٥) نظر مثل ،
 والشكول : جمع شكل . (٦) الغلائل : جمع غلالة وهي شبه القميص
 يلبس على الجسد والمراد هنا الطلاء ، والموشية المنقوشة .
 (٧) الطريدة : ما يطارده الصياد ويتبعه . (٨) اللقة ما يكون
 في الدواة لاصقا بصوفة أو نحوها والفعل منها كباع ، ومشق الكتابة مد
 حروفها ، والتشجير : أن تشكل على هيئة الشجر .

وضراغم سكنت عرين رياسة تركت خريّر الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسمها وأذاب في أفواهاها البللورا
أشدّ كان سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتهما فكأنما أقعت على أدبارها لتثورا (١)
وتخالها والشمس تجلو لونها نارا ، وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلمت سيوف جداول ذابت بلا نار فعُدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه درعا ، فقدّر سردها تقديرا (٢)
وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناي بحر عجائب مسحورا (٣)
شجرية ، ذهبية نزعّت إلى سحر يؤثر في النهى تأثيرا (٤)
قد سُرجت أغصانها فكأنما قبضت بهنّ من الفضاء طيورا (٥)
وكأنما تأبى لوقع طيرها أن تستقلّ بنهضها وتطيرا (٦)
من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نيرا (٧)
خرس تعد من الفصاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا (٨)
وكأنما في كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا منشورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جعلت لها زهر النجوم ثغورا

-
- (١) أفعى الكلب والسبع : جلس على مؤخرته ناصبا يديه .
(٢) السرد : نسج الدرع وتقديره : أن تكون نقوب الدرع مساميرها .
(٣) المسجور : المملوء . (٤) نزع اليه أشبهه ، ويقال : فلان ينزع
إلى أبيه أو ينزع أباه أى يشبهه . (٥) سرجه : حسنه وزينه .
(٦) الوقع كركع : جمع واقع . (٧) السلسلة : اتصال الشيء
بالشيء ، ومن ذلك الماء السلسال أى السهل الجريان ، واللجين : الفضة ،
والنمير : الناجع من الماء . (٨) شدا : ترنم .

وصف زلزال صقلية

قال المرحوم حافظ إبراهيم يصف زلزال صقلية في سنة ١٩٠٩ م :

نبثاني إن كنتما تعلمان مدهى الكون أيها الفرقدان (١)
 غضب الله أم تمردت الأر ض فأنحت على بنى الإنسان (٢)
 ليس هذا «سبحان ربى» ولا ذا ك ولكن طبيعة الأكوان
 غليان في الأرض نفس عنه ثوران في البحر والبركان (٣)
 رب أين المفر والبحر والب ر على الكيد للورى عاملان
 كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان (٤)
 سابح تحتنا مظل علينا حاتم حولنا مناء مدانى (٥)
 فإذا الأرض والبحار سواء فى خلاق ، كلاهما غادران (٦)
 ما (لمسين) عوجلت فى صباها ودعاها من الردى داعيان (٧)
 ومحت تلکم المحاسن منها حين تمت آياتها آيتان
 خُسفت ثم أغرقت ثم بادت قضى الأمر كله فى ثوانى
 وأتى أمرها فأضحت كأن لم تك بالأمس زينة البلدان
 ليتها أمهلت فتقضى حقوقا من وداع اللدات والجيران (٨)
 لمحة يسعد الصديقان فيها باجتماع ويلتقى العاشقان

(١) الفرقدان : نجمان فى السماء لا يفربان وهذا هو السر فى قول المعرى :

فاسأل الفرقدين عن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد
 وفى أثره جرى شاعرنا . (٢) أنحى عليه ضربا : اقبل .
 (٣) نفس عنه : فرج . (٤) الربان كرمات : رئيس الملاحين .
 (٥) مناء مدان : مباعد مقارب . (٦) الخلاق : الحظ أو الدين
 وانما يكون ذلك فى الخير ولكن الشاعر توسع فى استعمال الكلمة .
 (٧) مسين : مدينة من مدن صقلية خربها هذا الزلزال وتعرف عند
 العرب بمسينى ومن شاعر ابن قلاقس « يا من يمسينى على مسينى »
 وداعيا الردى : الاغراق والاحراق . (٨) اللدات : جمع لدة وهو
 التراب أى النظير فى السن .

بغت الأرض والجبال عليها وطفى البحر أيما طغيان
 تلك تغلى حقدًا عليها فتنش قُ انشقاقًا من كثرة الغليان
 فتجيب الجبال رجماً وقذفاً بشواظ من مارجٍ ودخان^(١)
 وتسوق البحار رداً عليها جيش موج نائي الجناحي داني
 فهنا الموت أسود اللون جون وهنا الموت أحمر اللون قاني^(٢)
 جند الماء والثرى لهلاك الـ خلق ثم استعان بالنيران
 ودعا السحب عاتياً فأمدت ه بجيش من الصواعق ثاني^(٣)
 فاستحال النجاء واستحكم اليأ س وخارت عزائم الشجعان
 وشق الموت غلة من نفوس لا تباليه في مجال الطعان
 أين (رجيو) وأين ما كان فيها من مغانٍ مأهولة وغواني^(٤)
 عوجلت مثل أختها ودهاها ما دهاها من ذلك الثوران
 ربّ طفل قد ساخ في باطن الأر ض ينادى أمي ! أبي ! أدركاني^(٥)
 وفتاة هيفاء تشوى على الجم ر تُعاني من حرّه ما تعاني
 وأبّ ذاهلٌ إلى النار يمشى مُستميئاً تمتد منه اليدان
 باحثاً عن بناته وبنيه مسرع الخطو مستطير الجنان^(٦)
 تأكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه واني^(٧)
 غصّت الأرض ، أُتخِمَ البحرما طواه من هذه الأبدان^(٨)
 وشكا الحوت للنسور شكاة ردّتها النسور للحيتان

(١) الشواظ : لهب لا دخان فيه ، والمارج : النار بلا دخان .
 (٢) الجون الأسود فهو تأكيد والقانيء « بالهمزة » : الشديدة
 الحمرة وقد يسهل . (٣) المعاني المجاوز للحد . (٤) رجيو :
 مدينة بايطاليا ، أما مسيني وتعرف عند العرب بربو ، والمعاني جمع معنى
 وهو المقام . (٥) ساخ في الأرض : دخل فيها وغاب .
 (٦) المستطير : المتفرق المشتت . (٧) اللظى : اللهب ، ووني :
 تراخي . (٨) غص كفرح : اعترض في حلقه شيء ، والمراد هنا
 امتلأت وأتخمه الطعام ، أحدث له تخمة وأصل تائه واو فهو من الوخامة .

أسرفا في الجسموم نقرًا ونهشًا ثم باتا من كظة يشكوان (١)
 لا رعى الله ساكن القمم الشـم ولا حاط ساكن القيعان (٢)
 قد أغارا على أكف براها بارئ الكائنات للإتقان
 كيف لم يرحما أناملها الغـر ولم يرفقا بتلك البنان
 لهف نفسي وألف لهف عليها من أكف كانت صناع الزمان (٣)
 مولعات بصيد كل جميل ناصبات حبال الألوآن
 حافرات في الصخر أو ناقشات شائدات روائع البنيان
 منطقات لسان كل جماد مفحات سواجع الأفنان (٤)
 ملهمات من دقة الصنع مالا يلهم الشعر من دقيق المعاني
 من تماثيل كالنجوم الدراري يهدم الدهر وهى فى عُنفوان
 عجب صنعها وأعجب منه صمتها ، تلك قدرة الرحمن
 إليه (مسين) آنسى اليوم بُمبا ى فقد أوحشت بذاك المكان
 آيسى الدرة التى كانت الحليـة فى تاج دولة الرومان
 غالها قبلك الزمان اغتيالاً وهى تلهو فى غبطة وأمان
 جاءها الأمر والسرأة عكوف فى الملاهى على غناء القيان (٥)
 بين صب مدله وطروب وخليع فى اللهو مرخى العنان (٦)
 فانطوا كانطواء أهلك بالأمـس وزالت بشاشة العمران
 أنت (مسين) لم تزولى كما زا لت ولكن أمسيت رهن الأوان

(١) الكظة : ما يعتري الانسان من امتلاء الطعام . (٢) القيعان جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر بها البحر أو قراره . (٣) يالهفى على كذا : عبارة يتحسر بها على فائت وضمير عليها للأكف ومن أكف بيان للضمير وصناع : حاذقة ماهرة فى العمل اليدوى . (٤) سواجع الأفنان : الحمام يسجع على الغصون . (٥) السراة : الأشراف ، والقيان جمع قبينة ، وهى الجارية المغنية . (٦) الخليع : المستهتر بالشراب واللهو .

إن إبطاليا بنوها بناة فاطمئنى ما دام فى الحى بانى
فسلام عليك يوم تولدت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعودى ن كما كنت جنة الطليان
وقال أبو الطيب المتنبي يصف الأسد :

ورد إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيل (١)
متخضب بدم الفوارس لابس فى غيله من لبدتيه مغيل (٢)
ما قربلت عيناه إلا ظننا تحت الدجى نار الفريق حلولاً (٣)
فى وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليل
بطاً الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عيلاً (٤)
ويرد عفرتة إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلاً (٥)
وتظنه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولاً
قصرت مخافته الخطى فكأثماً ركب الكمى حواده مشكولاً (٦)
وصف شعب بوان (٧) :

قال أبو العباس المبرد : كنت مع الحسن بن رجاء بفارس ، فخرجت
إلى شعب بوان ، فنظرت إلى تربة كأنها الكافور ، ورياض كأنها الثوب
الموشى وماء يتحدّر كأنه سلاسل الفضة ، على حصباء كأنها حصى الدر ،
فجعلت أطوف فى جنباتها ، فإذا فى بعض جذرائها مكتوب :

-
- (١) الورد : الجرىء والبحيرة : يويد بها بحيرة طبرية .
(٢) الفيل : الأجمة والنشجر الكثير المتلف . ولبدتا الأسد ، ما على
كتفيه من الشعر . (٣) الفريق الجماعة ، وحلولا : حال من الفريق .
(٤) الآسى : الطيب . (٥) غفرة الأسد : الشعر المتجمع على قفاه .
(٦) الكمى : الشجاع المستتر فى سلاحه والمشكول : المقيد .
(٧) هو جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب .

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة على شعب بوان أفاق من الكرب (١)
 وألهاه مرج كالحرير لطافة ومطرديجرى من البارد العذب
 وطيب رياض في بلاد مريعة وأغصان أشجار جناها على قرب (٢)
 وفي شعب بوان يقول المتنبي :

مغانى الشعب طيباً في المغانى بمنزلة الربيع من الزمان (٣)
 طيت فرساننا والخيـل حتى خشيت وإن كرمـن من الحران (٤)
 عدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان
 فسرت وقد حجبـن الشمس عني وجئن من الضياء بما كفانى
 وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان (٥)
 وأمواه تصل بها حصاها صليل الحلـى في أيدي الغوانى
 إذا غنى الحمام الورق فيها أجابته أغاني القيـان
 يقول بشعب بوان حصانى أعن هذا يسار إلى الطعان

وقال حافظ. إبراهيم يصف طيارة :

يجرى بسابحة تشق سبيلها شق الإزار ق سبيلها شق الإزار
 وتكاد تقدح في الأذ ير فيستحيل إلى شرار (٦)
 مثل الشهاب انقض في آثار عفريت . وطار

-
- (١) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول .
 (٢) المريعة الخصيبة ، والميم أصلية يقال : مرعت الأرض وأمرعت .
 (٣) المغانى جمع مغنى اسم مكان من غنى أى أقام .
 (٤) طباه وأطباء : استهواه واستماله . (٥) يقول : ان اشتباك
 الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة كاللدنانير الا
 انها لا يمكن تناولها . (٦) الشرار والشرر : ما يطير من النصار
 واحدهما شرارة .

فإذا علت فكدعوة الـ مضطراً تخترق الستار
وإذا هوت فكما هوت أنثى العقاب على الهزار (١)

وصف السيف للمرحوم البارودى :

أمضى به الهول مقداما ويصحبني ماضى الغرار إذا ما استفحل الوهل (٢)
يمرُّ بالهام مرَّ البرق فى عجل وقت الضراب ولم يعلق به بلل
ترى الرجال وقوفاً بعد فتكته بهم يظنون أحياء وقد قتلوا
كأنه شعلة فى الكف قائمة تنفوها الرياح أحيانا وتعادل
لولا الدماء التى يُسقى بها نهلا لكاد من شدة اللائى يشتعل
يفلّ ما بقيت فى الكف قبضته كل الحديد ولم يثأر به فلل

وقال على بن محمد الأيادى يصف أسطول القائم الفاطمى المتوفى سنة ٤٣٣ هـ :

أعجب بأسطول الإمام محمد وبحسنه وزمانه المستغرب
ليست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المستعجب
من كل مشرفة على ما قابلت إشراف صدر الأجلد المنتصب (٣)
دهماء قد لبست ثياب تصنع تسبي العقول على ثياب ترهب (٤)
من كل أبيض فى الهواء منشراً منها وأسحم فى الخليج مُغيب
كملاءة فى البر يقطع ميراها فى البحر أنفاح الرياح الشذب (٥)

(١) العقاب : طائر جارح وجمعه عقبان ، ولفظه مؤنث ، والأنثى منه تسمى النقوة والذكر يسمى الفرث وهو ضعيف وانما اللقوة للأنثى ، ومن هذا يتبين السر فى قول شاعرنا أنثى العقاب . (٢) الفرار : حشد السيف ونحوه ، الوهل : الفزع . (٣) الأجلد : الصقر ، جمعه أجادل ، والمنتصب : المنتصب . (٤) يشير الى لون السفن الذى هو السواد الشبيه بلباس الرهبان والى لون أشرعتها الذى هو البياض . (٥) الشذب : جمع شاذب وهو الذى يطرد ويبعد أى الرياح التى تقذف على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة .

- محفوفة بمجادف مصفوفة في الجانبين ذويْن صلبٍ صلبٍ (١)
 كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشه المتهذب (٢)
 وتحشها أيدي الرجال إذا ونت بمصعد منه بعيد مصوب (٣)
 خرقاء تذهب إن يدٌ لم تهدها في كل أوبٍ للرياح ومذهب (٤)
 جوفاء تحمل كوكباً في جوفها يوم الرهبان وتستقل بموكب
 ولها جناحٌ يستعار يُطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب
 يعلو بها حذب العباب مطارةً في كل لجٍّ زاهر مغلولب (٥)
 تسمو بأجرد في الهواء متوج عريان منسوج الذؤابة شوذب (٦)
 يتركب الملاح منه ذبابة لو رام يركبها القطا لم يركب (٧)
 فكأنما رام استراقه مقعد للسمع إلا أنه لم يشهب
 وكأنما جن ابن داوود هم ركبوا جوانبها بأعنف مركب
 سجدوا جواحم نارهم فتقاذفوا منها بالأسن مارج متلهب (٨)
 من كل مسجور الحريق إذا انبرى من

- سجنه انصلت انصلات الكوكب (٩)
 عريان يقدمه الدخان كأنه صبح يكر على الظلام الغيهب
 ولواحق مثل الأهلة جنحٌ لحق المطالب فائتات المهرب (١٠)
 يذهبن فيما بينهن لطافة ويجئن فعل الطائر المتغلب

(١) الصلب كسكر مبالغة في الصلب . (٢) الرياش : اللباس
 الفاخر والمراد هنا ريش الطائر ، والمتهذب : ذو الأهداب ونسر أهدب ،
 أى سابغ الريش . (٣) صعد الشيء رفعه ، وصوبه : خفضه .
 (٤) الأوب الجهة والطريق والمتطرب الحادي الذي يتغنى في سوق
 الابل والمراد هنا الربان . (٥) حذب الماء تراكبه في جريه والمغلولب :
 الكثير ، يقال : اغلولب القوم إذا أكثروا . (٦) الشوذب : الطويل
 والبيت يصف فيه القرية كهدية وهي العود الطويل الذي يشبك القلع .
 (٧) ذبابة السيف : طرف حده والمراد طرف القرية .
 (٨) سجر : ملأ ، الجاحم : الجمر الشديد الاشتغال .
 (٩) انصلت : مضى وسبق . (١٠) اللحق : جمع لاحق ، كخدم :
 جمع خادم .

كنضانض الحيات رُحْنَ لواعبا حتى يقعن ببرك ماء الميزب
 شرجوا جوانبها مجادف أتعبت شادى الرياح لها ولما تتعب (١)
 تنصاع من كشب كما نفر القطا طوراً وتجتمع اجتماع الربرب (٢)
 والبحر يجمع بينها فكأنه ليلٌ يقرب عقرباً من عقرب
 وعلى جوانبها أسود خلافة تختال فى عدد السلاح المرهب
 فكأنما البحر استعار بزيمهم ثوب الجمال من الربيع المذهب

وصف القطار الحديدى

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القطار الحديدى من قصيدة :
 صفحة البرق أومضت فى الغمام أم شهاب يشق جوْف الظلام
 أم سليل البخار طار إلى القصة د فأعيا سوابق الأوهام (٣)
 مر كاللمع تكد تقف العين على ظل جرمة المتراعى (٤)
 أو كشرخ الشباب لم يدر كاسيد ه تولى فى يقظة أو منام (٥)
 لا يبالى السرى إذا اعتكر الليد ل وخانت مواقع الأقدام (٦)
 يقطع البيد والفيافى وحيداً لم تضعضه وحشة الإظلام (٧)
 ليس يثنيه ما يذهب دماغ الض ب يوم الهجير بين المواى (٨)
 لا ولا يعتريه ما يخرس النا بح فى الزمهير بين الخيام
 هائماً كالظلم أزعجه الصيـدُ وراعه طائشات السهام (٩)

- (١) شرح العيبة أدخل بعض عراها فى بعض والمراد هنا شبكوا فى جوانبها المجاذيف والشادى : السائق . (٢) انصاع القوم : ذهبوا سراعاً أو انفلتوا والربرب : القطيع من بقر الوحش . (٣) السليل : الولد . (٤) المتراعى : المتتابع . (٥) شرخ الشباب أوله . (٦) السرى سير عامة الليل ، واعتكر الليل : اشتد سواده . (٧) البيد : جمع بيداء وهى الصحراء والفيافى : جمع فيفاء وهى المفازة لا ماء فيها . (٨) المواى جمع مومة وهى الفلاة ، والضب : حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد . (٩) الظليم : ذكر النعام .

فهو يشتد فى النجاء ويهوى حيث ترمى بجانبه المرامى (١)
ياحديداً ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء فوق الرغام (٢)
قد مسحت البلاد شرقاً وغرباً بذراعى مُشمرّ مقدام

وقال حنفى بك ناصف المتوفى عام ١٩١٩ يهنىء ويصف حريق عابدين :

وافى يقبل راحتك العامُ وحتى إليك رثوسها الأيام
الدهر أقسم لا يحنى بغير ما ترضى وكم برت له أقسام
فاقبل معاذير الزمان فطالما قبلت معاذير المنيب كرام
واغفر جنايته على القصر الذى لم تحو مصر نظيره والشام
شبت به النيران فارتاعت لها مهبج الأنام وهالها استعظام
لولا الدخان أحاط حول لهيبها ما شك فرد أنها أعلام
أمر به نفذ القضاء وليس فى أحكامه نقض ولا إبرام
بل حكمة شاء الإله بيانها لعباده ليزيع الاستسلام
حتى يروا أن الملوك وإن علوا قدرا تسير عليهم الأحكام
فإذا اقتدى بهم الرعية أحسنوا صبرا وخفت عنهم الآلام
عين السماء العابدين تطلعت حسدا عليك والعيون سيهاًم
وتشوق القصر الكريم لأهله والشوق فى قلب المحب ضرام
لم يستطع صبراً على طول النوى والصبر فى شرع الغرام حرام
فتصعدت زفراته وتاججت جمراته والصب كيف يلام
لولا الدموع من المطافى ما انقضى منه الهيام ولم يبل أوام
خرقت طباق الجو إلا إنها برد قصارى أمرها وسلام

وقال حافظ. إبراهيم يصف خزان أسوان ويمدح الحضرة الخديوية :

أخزان مصر أنت أم هرما مصر	أجل وأسمى في المكانة والقدر
أعدت لنا مجد القرون التي مضت	وجددت من عهد الفراعنة العُر
وهيها ما أهرام مصر وإن سمت	بأرفع رأساً من حضيضك لوتدري
وليس سنان بن المشلل خالداً	بأنبة من (عبّاس) عصرك في الذكر
وما قطرات السحب كالدر تنهمي	بألطف وقعاً من عقيقك إذ يجري
وما أنت خزان للمياه وطميها	وإبليزها بل خازن الدر والتبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب	وجمعت أقطار المنافع في قطر
فقل للغواذي والروائح تنجلي	وفي غير مصر فلتسح على قفر
إذا ما جرت أمواؤها دون حاجة	وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضربت على آثار مصر ولم يكن	ليطمسها لولا جلالك من أثر
ألا فلتسد مصر على كل بقعة	به وليطاول قطرها مستقط. القطر
بناء من الدهر استعار بقاءه	وأقسم ألا يُسترد من الدهر

الباب الخامس

في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المتوفى سنة ٩٠٤ م من قصيدة طويلة :

يا دار مية بالعلياء فالسند	أقوت وطال عليها سالف الأمد (١)
وقفت فيها أصيلا لا أسائلها	عيت جواباً وما بالربع من أحد (٢)

(١) العلياء المكان العالي ، والسند محرّكة ما قابلك من الجبل وعلا

عن السفح ، وأقوت الدار خلت من السكان ، والأمد : الزمان الماضي .

(٢) أصل أصيلا أصيلانا بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو

العشى أبدلت بالنون لاما ، وعيت أى حشرت وعجزت عن الجواب .

إلا الأوارى لأياً ما أُبينها والنوى كالحوض بالظلومة الجلد (١)
 ردت عليه أقاصيه ولبدّه ضرب الوليد بالمسحاة فى الشاد (٢)
 خلت سبيل أنى كان يحبسّه ورفعته إلى السجفين فالنضد (٣)
 أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد (٤)
 وقال أمية بن أبى الصلت الجاهلى يعتب على ابن له (٥) :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تعل بما أدنى إليك وتنهل (٦)
 إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبّت لشكواك إلا ساهراً أتململ (٧)
 كأتى أنا المطروق دونك بالذى طرقت به دونى ، وعينى تهمل (٨)
 تخاف الردى نفسى عليك ، وإنها لتعلم أن الموت حتم مؤجل (٩)
 فلم بلغت السن والغاية التى إليها مدى ما كنت فيك أومل

(١) الأوارى منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع أرى بمعنى الآخية ، والآخية كانية الوند الذى فى رأسه حلقة يدق فى الحائط أو يدفن فى الأرض لتربط فيه الدواب .

والأياما أرى بعد جهد ، ما انظرها ، والنوى الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والظلومة الأرض التى حفر فيها حوض وليست بموضع حفر الحوض فيها من أنها ليست بموضعه ظلم لها ، والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن . (٢) ردت بالبناء للمجهول ونبدّه

ألقى بعضه ببعض ، والمسحاة هى آلة يجرف بها الطين والشاد الطين (٣) الأتى الجدول الذى تؤتية الى أرضك والسجين الستارتان اللتان تعلقان على

الضمير فيه يعود الى النوى ، والسجين الستارتان اللتان تعلقان على الباب أو النافذة . (٤) احتملوا ذهبوا من دار الى أخرى وأخنى

عليها أهلها ، يقال ان لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن صرد .

(٥) هو عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى نشأ بالطائف جاهلياً يلتمس المعارف الدينية متعبداً راجياً أن يكون نبي العرب ، حتى اذا كانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أكبرها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ هـ .

(٦) غذاه قام بمؤنته وعاله : كعلة وقام به ، واليساف : من قنارب العشرين ، تعل : من العلل وهو الشرب الثانى والنهل : الشرب الأول ،

يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل . (٧) أتململ : أتقلب على اللثة وهى الجمر . (٨) تهمل : أى يسيل منها الدمع .

(٩) الردى : الهلاك ، حتم : أى لا مفر منه ، مؤجل : أى له وقت .

- جعلت جزائي منك جبهاً وغلظة
كأنك أنت المنعم المتفضل (١)
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى
فعلت كما الجار المجاور يفعل (٢)
وسميتنى باسم المُقنِّدِ رأيهُ
وفى رأيك التنفيذ لو كنت تعقل (٣)
تراه مُعداً للخلاف كأنه
يرد على أهل الصواب موكلاً (٤)

وقال المغيرة بن حبناء :

- خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه
ولا تك في كل الأُمُور تعاتبه
فإنك لن تلقى أخاك مُهذَّباً
وأى أمرى ينجو من العيب صاحبه
أخوك الذى لا ينقض النأى عهده
ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذى يلقاك فى البشر والرضا
وإن غبت عنه لَسَعَتِكَ عقاربه

وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ :

- أقل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل مرة ويميل
لم أبل من زمن ذممت صروفه
إلا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألت فرجة
ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون إلى الصفاء جماعة
إن حصلوا أفناهم التحصيل
وأجل أسباب المنية والردى
يَوْمٌ سيقطع بيننا ويحول
فلئن سبقت لتفجعن بصاحب
حبل الصفاء بحبله موصول
ولعل أيام البقاء قليلة
فعلام يكشر عتبنا ويطول ؟

وقال شاعر الحجاز الحضرمي معن بن أوس المزني المتوفى سنة ٣٥٩ هـ :

- لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل
على أيننا تعدو المنية أول

(١) الجبة : مقابلة الإنسان بما يكره . (٢) أى ليتك إذا أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملتنى كما يعامل الجار جاره . (٣) فنده نسبه الى سوء العقل أى وصمتنى بسوء الرأى والقباوة ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينب اليك لا الى . (٤) معداً : أى محضراً ومهيئاً ، أى تهيبء الخلاف ، ويقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

وإني أخوك الدائم العهد لم أخن
أحاربُ من حاربت من ذى عداوة
وإني على أشياء منك تُربيني
ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعني
إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته
ويركبُ جدَّ السيف من أن تضيمه
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي
قلبت له ظهر المجن فلم أدم
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ
إليه بوجه آخر الدهر تقبل

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ معتذراً لتأخره عن لقاء بعض أصحابه :

على الطائر الميمون ياخير قادم
قدمت بحمد الله أكرم مقدم
قدوماً به الدنيا أضاءت وأشرقت
فياحسن ركب جئت فيه مسلماً
أمولاي سامحنى فإنك أهله
وإن لم تسامحنى فما أنت ظالمى

وقال محمد بن زريق البغدادي نادماً على الإفراط في طلب الدنيا ،

وكان قصد الأندلس في طلب الغنى ، فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه :

لا تعذليه فإن العذل يولعه
جاوزت في لومه حداً أضرب به
فاستعملى الرفق في تأنيبه بدلا
قد كان مضلماً بالخطب يحمله
قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
من عنفه فهو مضى القلب موجه
فضيقت بخطوب البين أضلعه
من النوى كل يوم ما ترُوعه
يكفيه من لوعة التنفيذ أن له

ما آت مغترب إلا وأزعجه رأى إلى سفر بالعزم يجمعه
 كأنما هو من حل ومُرتحل موكلٌ بفضاء الأرض يذرعه
 إذا الزماعُ أراد في الرحيل غنى ولو إلى السند أضحي وهو يُزَمعه
 تأتي المطامعُ إلا أن تُجشمه للرزق كدًا ، وكم ممن يُودعه
 وما مُجاهدة الإنسان توصله رزقًا ، ولادعة الإنسان تقطعه
 والله قسم بين الخاق رزقهم لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه
 لكنهم ملئوا حرصاً فلست ترى مُسترزقاً ، وسوى الغايات يقنعه
 والسعي في الأرزاق والأرزاق قد قسمت

بغى ، ألا إن بغى المرء يصرعه
 والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه يوماً ، ويمنعه من حيث يطعمه
 أستودع الله بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مَطلعه
 ودعته وبودي لو يُودعني صفو الحياة وأنى لا أودعه
 وكم تشفع أنى لا فارقه وللضرورات حالٌ لا تشفعه
 وكم تشبث بي عند الرحيل ضحي وأدعني مُستهلات وأدععه
 لا أكذب الله ثوب العذر منخرق عني بفرقته لكن أرقعه
 إني لأوسع عذري جناية عني بالنين عنه ، وقلبي لا يوسعه
 أعطيتُ ملكاً لم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
 ومن غدا لا بسا ثوب النعيم بلا شكر الإله ، فعنه الله ينزعه
 اعتضت عن وجدخلي بعد فرقته كأساً أجرع منها ما أجرعه
 كم قائل لي ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
 هلا أقمتُ فكان الرُّشد أجمعه لو أننى يوم بان الرشد أتبعه
 إني لأقطع أيامي وأنفذها بحسرةٍ منه في قلبي تقطعه
 بمن إذا هجعَ النوم بت له بلوعةٍ منه ليلي لست أهجعه

لا يطمئن لجنبى مضجع ، وكذا
ما كنت أحسب أن الدهر يفجئنى
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد
بالله يامنزل القصف الذى درست
هل الزمان معيد فيك لذتنا ؟
فى ذمة الله من أصبحت منزله
من عنده لى عهد لا يضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره ، وإذا
لأصبرن للدهر لا يمتنعى
علماً بأن اصطبارى معقب فرجا
عل اللبلى التى أضنت بفرقتنا
وإن تنل أحدا منا منيته

لا يطمئن له مُدّ بنت مضجعه
به . ولا أن بى الأيام تفجعه
عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
آثاره وعفت مذ غبت أربه
أم اللبلى التى أمضته ترجعه
وجاد غيث على مغذاك يمرعه
كما له عهد صدق لا أضيعه
جرى على قلبه ذكرى يصدعه
به ، ولا بى فى حال يمتعه
وأضيق الأمر إن فكرت أوسعه
جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
فما الذى بقضاء الله يصنعه

وقال المرحوم محمد حافظ. بك إبراهيم من قصيدة (بين اليقظة والمنام)
فى استعطاف الزمان :

أشرق فدتك مشارق الإصباح
بوركت يا يوم الخلاص ولا ومنت
بالله كن يمنا وكن بشرى لنا
أقبلت والأيام حولك مثل
وخرجت من حجب الغيوب محجلا
لو صبح فى هذا الوجود تناسخ
ولكنت يوم (اللابرنت) بعينه
يوم يريك جلاله ورواؤه

وأمط. لثامك عن نهار ضاح
عنك السعود بغدوة ورواح
فى رد مغترب وفك سراح
صفين تخطر خطرة المياح
فى كل لحظ. منك ألف صباح
لرأيت فيك تناسخ الأرواح
فى عزة ، وجلالة ، وسماح
فى الحسن قدرة فائق الإصباح

خلعت عليه الشمس حاة عَسَجِدِ
 اللَّهُ أَثْبِتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ
 حَيِّهِ عَنَا يَا أَزَاهِرُ ، واملئني
 وانفخه عَنَا يَا رَبِّيعَ بِكُلِّ مَا
 لِلنَّيْلِ مَجْدٌ فِي الزَّمَانِ مُؤْتَلٌ
 فَسَلِ الْعَصُورَ بِهِ ، وِسل آثَارُهُ
 قَدْ قَالَ (عَمْرُو) فِي ثَرَاهَا آيَةٌ
 بَيْنَا نَرَاهُ لَأَلْثَمًا وَكَأَنَّمَا
 وَإِذَا بِهِ لِلنَّاضِرِينَ زُمُرٌ
 وَإِذَا بِهِ مِسْكٌ تَشْقُ سَوَادُهُ
 قُمْ يَا ابْنَ مِصْرَ فَأَنْتَ حُرٌّ وَاسْتَعِدْ
 شَمْرٌ وَكَافِحٌ فِي الْحَيَاةِ فَهَذِهِ
 وَأَنْهَلِ مَعَ النَّهَالِ مِنْ عَذَابِ الْحَيَاةِ
 وَإِذَا أَلَحَّ عَلَيْكَ خُطْبُ لَاتِهِنَّ
 وَخُضْ الْحَيَاةَ وَإِنْ تَلَطَّمَ مَوْجُهَا
 وَاجْعَلْ عِيَانَكَ قَبْلَ خُطُوكَ رَائِدًا
 وَإِذَا احْتَوَتْكَ مَحَلَةٌ وَتَنَكَّرَتْ
 فِي الْبَحْرِ لَا تَثْنِيكَ نَارُ بُوَارِجٍ
 وَانْظُرْ إِلَى الْغَرْبِيِّ كَيْفَ سَمَتْ بِهِ
 وَاللَّهُ مَا بَلَغَتْ بَنُو الْغَرْبِ الْمُنَى
 رَكَبُوا الْبَحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَائُهَا
 وَالْبَرِّ مَصْهُورُ الْحَصَى مُتَأَجِّجًا
 يَلْقَى فِتْيَهُمُ الزَّمَانُ بِهَمَّةٍ

وَحِبَاهُ (آزَار) أَرْقُ وَشَاح
 أَبَدَ الْأَبِيدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَاحٍ
 أَرْجَاءُهُ بِأَرِيحِكِ الْفِيَّاحِ
 أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ وَنَوْرٍ أَفَاحٍ
 مِنْ عَهْدِ (آمُون) وَعَهْدِ (فَتَّاحٍ)
 فِي مِصْرَ كَمْ شَهِدْتَ مِنَ السَّيَّاحِ
 مَأْثُورَةٌ ، نَقَشْتَ عَلَى الْأَلْوَحِ
 نَشْرُتْ بِتَرْبَتِهِ عَقُودٌ وَبَلَّاحِ
 يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الْأَتْرَاحِ
 شَقَّ الْأَدِيمِ مُحَارِثُ الْفَلَاحِ
 مَجْدُ الْجُدُودِ ، وَلَا تُعَدُّ لِمَزَاحِ
 دُنْيَاكَ دَارُ تَنَاحُرٍ وَكَفَاحِ
 فَإِذَا رَقَا فَامْتَحُ مَعَ الْمُنَاحِ
 وَاضْرِبْ عَلَى الْإِلْحَاحِ بِالْإِلْحَاحِ
 خَوْضُ الْبَحَارِ رِيَاضَةُ السَّبَاحِ
 لَا تَحْسِبَنَّ الْغَمْرَ كَالضَّحَضَاحِ
 لَكَ فَاغْدُهَا وَانْزَحْ مَعَ النِّزَاحِ
 فِي الْبَرِّ لَا يَلُوكُ غَابُ رِمَاحِ
 بَيْنَ الشُّعُوبِ طَبِيعَةُ الْكَدَّاحِ
 إِلَّا بَنِيَاتُ هُنَاكَ صَحَاحِ
 وَالْجَوُّ بَيْنَ تَنَاضُوحِ الْأَرْوَاحِ
 يَرْمِي بَنْزَاعِ الشَّوَى لَوَّاحِ
 عَجَبٌ ، وَوَجْهٌ فِي الْخُطُوبِ وَقَاحِ

ويشقى أجواز الفقار مغامرا وعر الطريق لديه كالصحاح
وابن الكنانة فى الكنانة راكدا يرئو بعين غير ذات طماح
لايستغل - كما علمت - ذكاءه وذاكاه كالخاطف اللماح
أمسى كماء النهر ضاع فراته فى البحر بين أجاجه المنداح
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح فى فادح البؤسى مع الأنواح
واربح لمصر برأس مالك عزة إن الذكاء حباله الأرباح
وإذا رزقت رياسة فانسج لها بُردين : من حزم ، ومن إسجاج
واشرب من الماء القراح منعماً فلكم ورذت الماء غير قراح

الباب السادس

فى التهانى والتهادى والاغراء

قال أبو الطيب المتنبي :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم
صحت بصحتك الغارات وابتهجت بها المكارم وانهلت بها الدائم
وراجع الشمس نور كان فارقتها كأنما فقدته فى جسمها سقم
ولاح برقك لى من عارضى ملك ما يسقط الغيث إلا حين يبتسم
يسمى (الحسام) وليست ذى مشابها وكيف يشتهبه المخدوم والخدم
نفرد العرب فى الدنيا بمحتده وشارك العرب فى إحسانه العجم
وأخلص الله للإسلام نصرته وإن تقلب فى آلائه الأمم
وما أخصك فى برء بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال الوزير صاحب إسماعيل بن عباد :

هذى المكارم والعلياء تفتخر بيوم مآثرة ساعاته غرر
يوم تبسم عنه الدهر واجتمعت له السعود وأغضب دونه الغير

حتى كأننا نرى فى كل ملتفت رَوْضاً تفتح فى أثنائه الزهر
لما تجلى عن الآمال مشرقة قال العلى : بلى استعلى وأقتدر
وافى على غير ميعاد يبشرنا بأن ستبعه أمثاله الغرر
أهنى المسرات ما جاءت مفاجأة وما تناجى بها الألفاظ والفكر
وما تعنف من يسخر بمهجته فإن يومك هذا وحده عمر
فما عدوت وما للعين مُنقلب إلا إلى منظر يبهى ويحتر
ثنت مهابتك الأبصار حاسرة حتى تبين فى ألاحظها خزر (١)
إذا تاملتهم غضوا ، وإن نظروا خلال ذاك فادنى لفقة نظروا
فى ملبس ما رآته عين مُعرض فشك فى أنه أخلاقك الزهر
ألبيسته منك نورا يستضاء به كما أضاء ضواحي مزنة القمر (٢)
وقد تقلدت عضبا أنت مضر به وعنك يأخذ ما يأتى وما يتر
ما زال يزداد من إشراق غرته زهرا ويشرق فيه التيه والأشر (٣)
والشمس تحسد طرفاً أنت رآك به حتى تكاد من الأفلاك تنحدر
حتى لقد خلت أن الشمس أزعجها شوقا وقد ظلت على عطفه تنتشر
وقال أبو أذينة يغرى الأسود بن المنذر بقتل آل غسان ، وكانوا
قد قتلوا أخاً له :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدر ما وهبا
وأحزم الناس من إن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقبضا
وأنصف الناس فى كل المواطن من سقى المعادين بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به قلبهم ضربا

(١) الخزر ضيق العين وصفرها . (٢) المزن : السحاب الأبيض ويقال للهِلال ابن مزنة وهى القطعة من المزن لخروجه منها .
(٣) الأشر بفتح الشين المرح والاختيال .

والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
هم جرّدوا السيف فاجعلهم له جزرا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم
هم أهلة غسان ومجدهم
وعرضوا بفداء واصفين لنا
يحبون دماً مِنّا ونحبهم
من قال غير الذى قد قلته كذبا
رأيت رأياً يجرُّ الويل والحربا
إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطباً
لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبة
عال ، فإن حاولوا مُلكاً فلا عجباً
خيلاً وإبلاً تفوق العجم والعربا
رسلاً ، لقد شرفونا فى الورى حلباً

وقال صنى الدين الحلّى يحرض السلطان الصالح على الاحتراز من المغول :

لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا
ومن أراد العلا عفوا بلا تعب
لا بد للشهد من نحل يمنعه
لا يُبلغ السؤل إلا بعد مؤلة
وأحزم الناس من لو مات من ظم
وأغزر الناس عقلا من إذا نظرت
فقد يُقال عثار الرّجل إن عثرت
من دبّر العيش بالآراء دام له
يهون بالرأى ما يجرى القضاء به
من فاته العزُّ بالأقلام أدركه
لا يحسن الحلم إلا فى موطنه
ولا ينال العلا إلا فتي شرفت
ولا ينال العلا من قدم الحذرة
قضى ولم يقض من إدراكها وطرا
لا يجنى النفع من لم يحمل الضررا
ولا يتم المني إلا لمن صبرا
لا يقرب الورْد إلا من يعرف الصدر
عيناه بالأمر غدا بالغير مُعتبرا
ولا يقال عثار الرأى إن عثرا
صفوا وجاء إليه الخطب مُعتذرا
من أخطأ الرأى لا يستدنب القدر
بالبيض يقدح من أطرافها الشررا
ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا
خلاله فآطاع الدهر ما أمرا

كالصالح الملك المرهوب سطوته
لما رأى الشرَّ قد أبدى نواجذه
رأى القسى إنائاً عن حقيقتها
فجرد العزم من قبل الصفاح لها
يكاد يقرأ من عنوان همته
كالبحر والدهر فى يومى ندى وردى
ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا
لاموه فى بذله الأموال قلت لهم
فلو تواعد قلب الدهر لا نفطرا
والغدر عن نابه للحرب قد كسرا
فعافها واستشار الصارم الذكرا
ملك عن البيض يستغنى بما شهرا
ما بصحائف ظهر العيب قد سطرا
والليث والغيث فى يومى وغى وقرى
ولا عفا قط إلا بعد ماقدرا
هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا

وقال السيد أحمد الهاشمى مؤلف هذا الكتاب مهنئاً المرحوم على يوسف صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من أوربا :

(على) القدر ذو الشرف المؤيد
وحيد الفضل والعلواء تشهد
شريف النفس محمود السجايا
همام ما له أبداً مثيل
مُحب العدل مشكور المساعى
قوى البأس بسام الثنايا
فمن يك راقياً شرف المعالى
وكيف وأنت أعظم من تصدى
وكيف وأنت أفرق كل رامٍ
وليس الشمس تخفى عن عيون
وإن البدر بالأنوار زاهٍ
شديد العزم (يوسف) قد تفرد
رفيع المجد فى عز وسؤدد
عريق الأصل فى المعروف أُوحد
بليغ النطق فى الكتاب مفرد
علم بالسياسة ، بل (مؤيد)
سعيد الجد ذو قدرٍ ممجد
كمثلك فى الورى لاشك يعحمد
لتأييد الصحافة (بالمؤيد)
بسهم للكتابة قد تجرّد
سوى أن كان صاحبهنَّ أَرمد
ويأبى الله إلا أن تؤيد

فسبحان الذى أسرى (عليًا) إلى التاميز والسين المنضد
 يهنئك المناصب كلَّ وقت وتخدمك السعادة ما تجدد
 قدم ياسيدى بدرًا منيرا وحصناً للمعالى قد تشيد
 وهاك من الحب قصيد شعر تشير إلى وفائى ، بل وتشهد
 تفاخر مصر أهل الشرق فيها تقول الهاشمى شدا وأنشد

وقال محمد حافظ. إبراهيم مهنثا أبناء وطنه بالعام الهجرى :

أهلا بنا بعة البلاد ومرحباً جدّدتم العهد الذى قد أخلقا
 لا تياسوا أن تستردّوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
 مدّت له الآمال فى أفلاكها خيط الرّجاء إلى العلا فتسلقا
 فتجشموا للمجد كل عزيمة إنى رأيّت المجد صعب المرتقى
 من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبباً إلى آماله وتعلقا
 عار على ابن النيل سباق الورى مهما تقلب دهره أن يسبقا
 أو كلما قالوا : تجمع شمله ، لعب الخلاف بجمعنا فتفرقا
 فتدفعوا حججاً وخوضوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدفعوا
 حملوا علينا بالزّمان وصرفه فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا
 فتعلموا فالعلم مفتاح العلا لم يبق باباً للسعادة مغلقا
 ثم استمدّوا منه كل قواكم إن القوى بكل أرض متقى
 ابنوا حوالى حوضكم من يقظة سورا وخطوا من حذارٍ خندقا
 وزنوا الكلام وسددوه فإنهم خبأوا لكم فى كل حرف مزلقا
 وامشوا على حذر فإن طريقكم وعر أطاف به الهلاك وحلقا

نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا للسالكين بكل فج موبقا
الموت فى غشيانه وطروقه والموت كل الموت ألا يطرقا
فتحينوا، فرص الحياة كثيرة وتعجلوها بالعزائم والرق
أو فاخلقوها قادرين فإنما فرص الحياة خليفة أن تخلقا

* * *

الباب السابع

فى المراثى

قال المهلهل التغلبى يرثى أخاه كليبا وهو جاهلى توفى سنة ٥٣١ م :

أهاج قذاه عني الأذكار ؟ هُدوءًا فالدُّموع لها انهمار
وصار الليل مشتملا علينا كأن الليل ليس له نهار
وبتُّ أراقب الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار
أصرف مقلتي فى إثر قوم تباينت البلاد بهم فغاروا
وأبكى والنجوم مطلعات كأن لم تحوها عنى البحار
على من لو نعت وكان حيا لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك يا كليب فلم تجبني وكيف يجيبني البلد القفار ؟
أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث إنك كنت غيثا ويسرا حين يلتمس اليسار
أبت عيناي بعدك أن تكفا كأن عصا القتاد لها شفار
وإنك كنت تحلم عن رجال وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنع أن يمسه لسان مخافة من يجير ولا يُجار

وكنت أعدّ قربى منك ربحاً
فلا تبعد فكل سوف يلقى
يعيش المرء عند بنى أبيه
أرى طول الحياة وقد تولى
كأنى إذ نعى الناعى كليباً
فدرت وقد غشى بصرى عليه
سألت الحى : أين دفنتموه ؟
فسرت إليه من بلدى حثيثاً
وحادت ناقتي عن ظل قبر
أتغدو يا كليب معى إذا ما
خذ العهد الأكيد على عمرى
ولست بخالع درعى وسيفى
إذا ما عدت الربح التجار
شعوباً يستدير بها المدار
ويوشك أن يصير بحيث صاروا
كما قد يسلب الشيء المعار
تطائر بين جنبى الشرار
كما دارت بشارها العقار
فقالوا لى : بأقصى الحى دار
وطار النوم وامتنع القرار
ثوى فيه المكارم والفخار
جبان القوم أنجاه الفرار ؟
بتركى كل ما حوت الديار
إلى أن يخلع الليل النهار

* * *

وقال صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ يرثى غريقاً :

أصفيح ماء أم أديم سماء
ما كنت أعلم قبل موتك موقنا
ولقد عجبت وقد هويت بلجة
لم لا يشق لك العباب وطالما
أنف العلاء عليك من لمس الثرى
وأجل جسمك أن يغير لطفه
فأحلّه جدثاً طهوراً مشبهاً
فيه تغور كواكب الجوزاء
أن البدور غروبها فى الماء
فجرى على رسل بغير حياء
أشبهت موسى باليد البيضاء
وحلول باطن حفرة ظلماء
عفن الثرى وتكاثف الأرجاء
أخلاقه فى رقة وصفاء

مأذاك بدعا أن يضم صفاؤه نورا يضمن به على الغبراء
فالبحر أولى في القياس من الشر ي بجوار تلك الدرة الغراء

* * *

وقال أيضاً يرثى الملك ناصر الدين عمر :

بكى عليك الحُسام والقلم وانفجع العلم فيك والعلم
وضجت الأرض فالعباد بها لاطمة والبلاد تلتطم
تظهر أحزانها على ملك جل ملوك الورى له خدم
أبلج ، غض الشباب مقتبل الـ عمر ، ولكن مجده هرم
محكمٌ في الورى وآمله يحكم في الورى ويحتكم
يجتمعُ المجدُ والثناء له وماله في الوفود يُقتسم
قد سئمت جوده الأنام ، ولا يلقيه من بذل الندى سأم
ما عرفت منه « لا » ولا « نعم » بل دونهن الآلاء والنعم
الواهب الألف وهو مبتسم ، والقاتل الألف وهو مقتحم
مبتسمٌ والكماة عوابسُ وعابسُ والسيوفُ تبتسمُ
لم يعلم العالمون ما فقدوا منه ، ولا الأقربون ما عدّوا
ما فقد فرد من الأيام كمن إن مات ماتت لفقده أمم
يا طالب الجود قضى عمر ، فكل جود وجوده عدم
فالناس كالعين إن نقلتهم تفاوتت عند نقدك القيم
مضى الذى كان للأنام أبا فاليوم كل الأنام قد يتموا
حل دارا ضاقت بساكنها ودون أدنى دياره إرم

قال أبو الحسن التهامي يرثي صغيرا له ، ويفتخر بفضله ، ويشكو
زمانه وحاسديه :

حُكْمُ النِّيةِ فِي البريةِ جارٍ	ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ
بيننا يُرى الإنسانُ فيها مخبرا	حتى يرى خبرا من الأخبار
طبعت على كَدَرٍ وَأَنْتَ تريدُها	صفوا من الأفذار والأكدار
ومكلفُ الأيامِ ضدَّ طباعِها	متطلبٌ في الماءِ جذوةِ نار
وإذا رجوت المستحيلَ فإنما	تبنى الرجاءَ على شفيرِ هار
فالعيشُ نومٌ والنِّيةُ يقظة	والمرءُ بينهما خيالٌ سار
فاقصوا ما رُبكم عَجالا إنما	أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتراقصوا خيلَ الشبابِ وبادروا	أَنْ تستردَ فإنَّهنَّ عوار
فالدهرُ يخدعُ بالمني ويغصُ إن	هناَّ ويهدمُ ما بُني ببوار
ليس الزمانُ وإنْ حرصتَ مسلما	خلقَ الزمانَ عداوةُ الأحرار
إني وترتَ بصارمِ ذى رونقٍ	أعدته لطلابِ الأوتار
والنفسُ إنْ رضيتَ بذلكَ أوْأبتْ	مُنقادةٌ بأزمنةٍ المقدار
أثنى عليه بإثره ولو أنه	لم يغتبط. أثَّنتِ بالآثار
يا كوكبا ، ما كان أقصرَ عمره	وكذاك عمر كواكبِ الأسفار
وهلال أيامٍ مضى لم يُستدر	بدرا ولم يمهل لوقتِ سِرار
عجلَ الخسوفِ عليه قبلَ أوانه	فمحاه قبلَ مظنةِ الإبدار
واستل من أترابه ولداته	كالقملة استلت من الأشفار
فكانَ قلبي قبره وكأنَّه	في طيه سرٌّ من الأسرار
إنْ يُعْتَبط. صغرا قرب مقمم	يبدو ضئيلَ الشخصِ للنظار

إن الكواكب في علوِّ محلها
 ولدُ المعزى بعضه فإذا مضى
 أبكيه ثم أقولُ معذرا له
 جاورت أعدائي وجاورَ ربّه
 ثوب الرياء يشف عما تحته
 قصرت جفوني أم تباعد بينها
 جفت الكرى حتى كأن غراره
 ولو استزارت رقدة لطحها
 أحبي الليالي التم وهي تمني
 حتى رأيت الصبح تهتك كفه
 والصبح قد غمر النجوم كأنه
 والهون في ظل الهوينا كامن
 تندى أسرة وجهه ويمينه
 ويمدُّ نحو المكرمات أناملا
 يحوى المعالي كاسباً أو غالباً
 قد لاح في ليل الشباب كواكب
 وتلهب الأحشاء شيب مفرق
 شاب القذال وكل غصن صائر
 والشبه منجذب فلم بيض الدمى
 وتود لو جعلت سوادَ قلوبها
 لا تنفر الطيبات عنه فقد رأت
 شيثان ينقشعان أول وهلة
 لترى صغارا وهي غير صغار
 بعضُ الفتى فالكل في الآثار
 وفقت حين تركت ألام دار
 شتان بين جواره وجواري
 وإذا التحفت به فإنك عار
 أم صُورت عيني بلا أشفار
 عند اغتماض العين وخز غرار
 ما بين أجفاني من التيار
 ويميتهن تبليج الأسحار
 بالضوء رفرف خيمة كالقار
 سيلٌ طغى فطفا النوار
 وجلالة الأخطار في الإخطار
 في حالة الإعسار والإيسار
 للرزق أثنائهن مجار
 أبدا بدارى دونها ويدارى
 إن أمهلت آلت إلى الإسفار
 هذا الضياء شواط تلك النار
 فينانه الأحوى إلى الإزهار
 عن بيض مفرقه ذوات نفار
 وسواد أعينها خضاب عذار
 كيف اختلاف النبت في الأطوار
 ظل الشباب، وخلة الأشرار

لا حَبْدًا الشَّيْبُ الوَفَى وَحَبْدًا ظِلُّ الشَّبَابِ الخَائِنِ الغَدَّارِ
 وطرى من الدنيا الشباب وروقه فإذا انقضى فقد انقضت أوطارى
 قصرت مسافته وما حسناته عندى ولا آلاؤه بِقِصَارِ
 نزداد همًّا كلما ازددنا غنى والفقر كُلُّ الفقر فى الإكثارِ
 مازاد فوق الزَّاد خُلْفٌ ضائعًا فى حادثٍ أو وارثٍ أو عارِ
 إني لأَرْحُمُ حَاسِدِيَّ لِحَرَمِ ضمت صُدُورهم من الأوغارِ
 نظروا صنيع الله بنِ فَعِيونهم فى جنة وقلوبهم فى نارِ
 لا ذنب لى قد رُمْتُ كَتم فضائلى فكأنما برقعت وجه نهارِ
 وسترتها بتواضعى فتطلعت أعناقها تعلو على الأستارِ
 ومن الرجال معالم ومجاهل ومن النُّجوم غوامض ودرارى
 والناس مُشْتَبِهون فى إيرادهم وتفاضل الأقوام فى الإصدارِ
 عمرى لقد أوطأتهم طُرُق العلا فعموا فلم يقفوا على آثارى
 لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا وعَمَى البصائر من عَمَى الأبصارِ
 هَلَا سَعَوْا سَعَى الكرام فادركوا أو سَلَمُوا لمواقعِ الأقدارِ
 ولربما اعتَصَدَ الحليم بجاهل لا خير فى يَمْنى بغير يسارِ

وقال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ، المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثي الأندلس :

لكل شىءٍ إذا ماتم نقصانُ فلا يَغُرُّ بطيب العيش إنسانُ
 هى الأمورُ كما شاهدتها دُولُ من سره زَمَنٌ سَاعَتُهُ أزمانُ
 وهذه الدار لا تُبْقَى على أحدٍ ولا يدوم على حال لها شانُ
 يُمَزَّقُ الدهر حتماً كل سَابِغَةٍ إذا نبت مشْرِفِيَّاتٌ وخرُصانُ
 وينتضى كل سيف للفناء ولو كان ابن ذى يزن والغمد غمدانُ
 أين الملوك ذووا التيجان من يَمْنٍ وأين منهم أكاليل وتيجان ؟

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شِدَادُ فِي إِرَمٍ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفَرَسِ سَاسَانُ ؟
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ ؟
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَ لَهُ حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانٍ
دَارَ الزَّمَانِ عَلَى « دَارَا » وَقَاتِلِهِ وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ
كَأَنَّمَا الصُّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبٌ يَوْمًا وَلَا مَلِكُ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
فَجَائِعَ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ وَلِلزَّمَانِ مَسَرَاتٌ وَأَحْزَانُ
وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوفَانٌ يُسَهِّلُهَا وَمَا لَمَّا حُلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوفَانُ
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عِزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَأَنْهَدَ ثَهْلَانُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبِلْدَانُ
فَاسْأَلْ (بَلَنْسِيَّةً) مَا شَأْنُ (مُرْسِيَّةِ)

وَأَيْنَ (قُرْطُبَةَ) دَارَ الْعُلُومِ فَكَمْ وَأَيْنَ (شَاطِبَةَ) أَمَّ أَيْنَ (جَيَّانُ)
وَأَيْنَ (حِمَصُ) وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْهِ مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ ؟

وَنَهَرَهَا الْعَذْبُ فَيَاضُ وَمَلَانُ
قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَافِ هِيَامُ
عَلَى دِيَارِ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ سَارَتْ كَنَائِسُ مَا فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْتِي وَهِيَ عِيدَانُ
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سَنَةِ فَالدَّهْرُ يَقْطَانُ
وَمَا شِئَا مَرَحًا يُلْهِمُهُ مَوْطِنُهُ أَبْعَدَ حِمَصٍ تَغَرَّ الْمَرْءُ أَوْطَانُ ؟

تلك المصيبة أنست ماتقدمها
 ياراكبين عتاق الخيل ضامرة
 وحاملين سيوف الهند مُرهفة
 وراتعين وراء البحر في دعة
 أعندكم نبأ من أهل أندلس
 كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
 ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
 ألا نفوس أبيات لها همم
 يامن لئلة قوم بعد عزهم
 بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
 لمثل هذا يذوب القلب من كمد
 وما لها من طوال الدهر نسيان
 كأنها في مجال السبق عقبان
 كأنها في ظلام النقع نيران
 لهم بأوطانهم عز وسلطان
 فقد سرى بحديث القوم رُكباً؟
 قلى وأسرى ، فما يهتز إنسان؟
 وأنتم - يا عباد الله - إخوان؟
 أما على الخير أنصاراً وأعوان؟
 أحال حالهم جوراً وطغياناً
 واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
 إن كان في القلب إسلام وإيمان

وقال المتنبي يرثى أبا شجاع فاتكاً :

الحزن يقلق والتجمل يُردع
 يتنازعان دموع عين مُسهِد
 النوم بعد أبي شجاع نافر
 إني لأجبن من فراق أحبتي
 ويزيدني غضب الأعادى قسوة
 تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافل
 ولن يغالط في الحقائق نفسه
 أين الذي الهرمان من بنيانه؟
 تتخلف الآثار عن أصحابها
 والدمع بينهما عصى طبع
 هذا يجيء بها ، وهذا يرجع
 والليل معي والكواكب طلعت
 وتحس نفسي بالحمام فأشجع
 ويُلِمُّ بي عتب الصديق فأجزع
 عما مضى منها وما يتوقع
 ويسومها طلب المحال فتطمع
 ما قومه ، ما يومه ، ما المصراع؟!
 حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وقال عبد المجيد بن عبدون القهرى المتوفى سنة ٥١٠ هـ راثيا ملوك
بنى الأفتس من قصيدة طويلة ممتعة فى التاريخ والأدب ، ومطلعها :

الدهر يفجع بين العين بالآثر فما البكاء على الأشباح والصور ؟
أنهاك ، أنهاك ، لا أنهاك واحدة عن نومة بين نياح الليث والظفر
لـ فالدهر حربٌ وإن أبدى مُسألة فالبيض والسمر مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينها سوى السمر
فيا لليال - وقاك الله عثرتها - من الليالى وغالتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جارحة منا جراح ، وإن زاغت عن البصر
تسر بالشئ لكن كى تغرُّ به كالأيام تار إلى العجاني عن الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها لم تبق منها وسلٌ دنياك عن خبر

وقال أبو ذؤيب يرثى أولاده :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة : ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهم كأن جفونها كحلت بشوك فهى عورٌ تدفع
وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنى للحوادث مروة نصف المشقر كل يوم تقرع
لا بد من تلف مقيم فانتظر أبارض قومك أم بأخرى المضجع
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يفجع

وليأتين عليك يوماً مرةً يبكي عليك معنفاً لا تسمع
فلئن بهم فجَّع الزَّمان وريبه إني بأهل مودتي لمفجع
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

وقال أبو الحسن الأنباري ، المتوفى عام ٢٣٨ هـ يرثي أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قتل وصلب (١) ، وهي من أعظم المراثي ، ولم يسمع بمثلا في مصلوب حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى أن لو كان هو المصلوب ، وقيلت فيه :

عُلُوٌّ في الحياة وفي الممات	لحقُّ تلك إحدى المعجزات
كَانَ الناس حولك حين قامُوا	وُفودُ نذاك أيام الصلات
كَأَنَّكَ قائمٌ فيهم خطيباً	وكلهم قيامٌ للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاءً	كمدَّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن	يضمُّ عَلاك من بعد الوفاة
أَصَارُوا الجو قبرك واستعاضوا	عن الأكفان ثوب السافيات
لعظملك في النفوس تبيت ترء	ى بحرَّاس وحُفاظ ثقات
وتوقدُ حولك النيران ليلاً	كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد	علاها في السنين الماضيات
وتلك قضيةٌ فيها تأس	تباعد عنك تعبير العداة
ولم أرَ قبل جذعك قط جذعا	تمكنَ من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت	فأنت قتيل ثائرٍ النائبات

(١) وذلك لما استمرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة أبي طاهر محمد بن بقية فطرحه الفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطرق ، وعمره نيف وخمسون سنة ، ولما صلب رناه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة .

وكنـت تجـيرنا من صرف دهر
وصيرَ دهرَكَ الإحسان فيه
وكنـت لمعشـرٍ سعداً فلما
مضيت تفرقوا بالمحسنات
عليل باطن لك في فوادي
ولو أنى قدّرت على قيام
ملأت الأرض من نظم القوافي
ولكنى أصبر عنك نفسى
ومالك تربة فاقولُ تسقى
عليك تحية الرحمن ترى
فعاد مُطالباً لك بالتراب
إلينا من عظيم السيئات
مضيت تفرقوا بالمحسنات
يخفف بالدموع الجاريات
بفرضك والحقوق الواجبات
ونحت بها خلاف النائحات
مخافة أن أعد من الجناة
لأنك نُصب هطل الهاطلات
برحمت غواد رائحات

وقال بهاء الدين زهير المتوفى عام ٦٥٦ هـ :

أراك هجرتنى هجرا طويلا
عهـدتك لا تطيق الصبر عني
فكيف تغيرت تلك السجايا
فلا والله ما حاولت غدرا
فيا من غاب عني وهو روحى
وما فارقتنى طوعاً ولكن
يعزُّ على حين أدير عيني
ختمت على ودادك في ضميرى
وفوا أسفى لجسمك كيف يبلى
فيا قبر الحبيب وددت أنى
ولا زال السلام عليك معنى
وما عودتنى من قبل ذاك
وتعصى في ودادى من نهاكا
ومن هذا الذى عني ثناكا
فكل الناس يَغدر ما خلاكا
كيف أطيع من روحى انفكاكا
دهاك من المنية ما دهاكا
أفتش في مكانك لا أراكا
وليس يزال مختوماً هناكا
ويذهب بعد بهجته سناكا
حملت ولو على عيني ثراكا
يزفُّ على النسيم إلى ذراكا

وقالت السيدة تماضر الخنساء الشاعرة المخضمة المتوفاة في خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ - رائية أخاها صخرا :

قذى بعينيك أم بالعين عوار	أم أقفرت إذ خلعت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه إذ خطرت	فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها	إذا رابها الدهر إن الدهر ضرار
لا بد من ميتة في صرفها عبر	والدهر في صرفه حول وأطوار
يا صخر وراد ماء قد توارده	أهل الموارد ما في ورده غار
وإن صخرا لحامينا وسيدنا	وإن صخرا إذا نشتوا لنحار
وإن صخرا لتأتم الهداة به	كأنه علم في رأسه نار
لم تلفه جارة يمشى بساحتها	لريبة حين يخلي بيته الجار
مثل الردينى لم تنفذ شبيبته	كأنه تحت طى البرد أسوار
طلق اليدين بفعل الخير مُعتمد	ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
حمال ألوية ، هباط أودية	شهاد أندية ، للجيش جرار

وقالت أعرابية ترثى ابنها :

أيا ولدى قد زاد قلبي تلهباً	وقد حرقت منى الشؤون المدامع
وقد أضمرت نار المصيبة شعلة	وقد حميت منى الحشاء والأضالع
واسأل عنك الركب هل يخبروننى	بحالك كيما تستكن المضاجع
فلا بك فيهم مخبر عنك صادق	ولا فيهم من قال إنك راجع
فيا ولدى مذ غبت كدّرت عيشتى	

وفكرى مسقوم وعقلى ذاهب
وفكرى مسقوم وعقلى ذاهب
فقلبي مصدوع وطرفى داعم
ودمعى مسفوح ودارى بلاقع

وقالت ليلى الأخيلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ :

لَعَمْرُكَ ما بالموت عار على الفتى	إذا لم تُصِبه فى الحياة المعابر
وما أحدٌ حىٌّ وإن عاش سالماً	بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً	فلا بد يوماً يرى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر	وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحى مما يحدث الدهر مُعتب	ولا الميت إن لم يصبر الحى ناشر
وكل شباب أو جديدٍ إلى بلى	وكل امرئ يوماً إلى الله صائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ترثى ابنتها :

إن سأل من غرب العيون بُحورُ	فالدهر باغ والزمان غدور
فلكل عين حق مدرار الدما	ولكل قلب لوعة وثبور
سُتِر السنا وتحجبت شمس الضحى	وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذى أهوى وجرعنى الأسى	وغدت بقلبي جذوة وسعير
ياليتته لما نوى عهد النوى	وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بماء حشاشتى	نار لها بين الضلوع زفير
لو بُث حزنى فى الورى لم يُلْتَفَت	لمصاب قيس والمصاب كبير
طافت بشهر الصوم كاسات الردى	سحرا وأكواب الدموع تدور
فتناولت منها ابنتى فتغيرت	وجنات خد شاتها التغيير
فدوت أزاهير الحياة بروضها	وانقَدَّ منها مائس ونضير
لبست ثياب السقم فى صغر وقد	ذاقت شراب الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفاء	إن الطبيب بطبه مغرور
وصف التجرع وهو يزعم أنه	بالبرء من كل السقام بشير

فتنفست للحزن قائلة له عَجَل ببرئى حيث أنت خبير
وارحم شبابى إن والدتى غدت ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأف بعين حرمت طيب الكرى تشكو السهاد وفى الجفون فتور
لما رأت يأس الطبيب وعجزه قالت ودمع المقلتين غزير
أماه قد كل الطبيب وفاتنى مما أومل فى الحياة نصير
أماه قد عز اللقاء وفى غدٍ سترين نعشى كالعروس يسير
وسينتهى المسعى إلى اللحد الذى هو منزلى وله الجموع تصير
قولى لرب اللحد رفقاً بابنتى جاءت عروساً ساقها التقدير
وتجلدى بإزاء لحدى بُرْهة فتراك روح راعها المقدور
أماه قد سلفت لنا أمنية يا حسنهما لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضت وتخلفت مُذ بان يوم البين وهو عسير
عودى إلى ربع خلا ومآثر قد خلقت عنى لها تأثير
صونى جهاز العرس تذكارا فلى قد كان منه إلى الزفاف سرور
جرت مصائب فرقتى لك بعد ذا لبس السواد ونُفذ المسطور
والتقبر صار لغصن قدى روضة ريحانها عند المزار زهور
أماه لا تنسى بحق بُنوقى قبرى لثلا يحزن المقبور
فأجبتها والدمع يحبس منطوقى والدهر من بعد الجوار يجورُ
بناته ياكبدى ولوعة مهجتى قد زال صفو شأنه التكدير
لاتوص ثكلى قد أذاب فوادها حُزن عليك وحسرة وزفير
أبكىك حتى نلتقى فى جنة برياض خلد زينتها الحور

إن قيل «عائشة» أقول لقد فى

عيشى وصبرى - والإله خبير

ولهى على «توحيدة» الحسن التى قد غاب بدر جمالها المستور
 قلبى وجفنى واللسان وخالقى راض وباك شاكر وغفور
 متعت بالرضوان فى خلد الرضا ما ازينت لك غرفة وقصور

وقالت المرحومة ملك حفنى ناصف ترثى المرحومة عائشة هانم تيمور :

ألا يا موت وَيَحْكُ لم ترع حقوقا للطروس ولا اليراع
 تركت الكتب باكية بكاء يشيب الطفل فى عهد الرضاع
 ولم تهب الفضائل والمعالى وطول السعى فى خير المساعى
 ولم يمنعك مما رُمْتَ نثر ولا شعر ولا حسن ابتداء
 نراك تجود بالأرزاء حتى عددنا البخل من كرم الطباع
 فذب يا قلب لاتك فى جمود وزد يا دمع لاتك فى امتناع
 ولا تبخل على وكن جموماً فكنز العلم أَمْسى فى ضياع
 سنبقى بعد (عائشة) حيارى كسرب فى الفلاة بغير راع
 لقد فقدت ولم تفقد علاها وهل شمس تغيب بلا شعاع
 هى الدر المصون ببطن أرض وقد كانت كذلك فى قناع
 هى البحر الخضم وما سمعنا بأن البحر يُدفن فى التلاع
 وكانت للمكارم خير عون وللخيرات كانت خير داع
 لها القدحُ المعلى فى العوالى وفى نشر المعارف طول باع
 فياشمس المحامد غِيتِ عنا وخلفت البكاء لكل ناع
 ويا خير النساء بلا خلاف وقدوتنا بلا أدنى نزاع
 لقد أحييت ذكر نساء مصر وجددتِ العلا بعد انقطاع
 وشدت صروح طهر باذخات محصنة كتحصين القلاع

وقال المرحوم حفنى ناصف راثياً المرحوم عبد الله فكرى :

ليدع المدعون العلم والأدباء فقد تغيب (عبد الله) واحتجبا
ولينتسب أدياء الفضل كيف قضت آراءهم إذ قضى من يحفظ النسبا
وليفخر اليوم قومٌ باليراع ، ولا خوف عليهم فمن يخشونه ذهبوا
وليرق من شاء أعواد المنابر إذ مات الذى يتقيه كل من خطبا
لو عاش لم يطرق الأسماع ذكرهم فى طلعة الشمس من ذا بصرع الشهباء
فليس من شاء بالإنشاء لا عجب مضى الذى كان من آياته عجباً
طود من الفضل من بعد الرسوخ هوى

وكركب بعد أن أبدى الهدى غرباً

أجل فقد مات (عبد الله) وأسفاً وأوحشت مصر من (فكرى) فواحربا
فكل نفس لعلياه شكت وبكت وكل فكر (بفكرى) ماج واضطربا
قضى الحياة ونصر الحق ديدنه لا ينثنى رهباً عنه ولا رغبا
سارت جنازته والعلم فى جزع والفضل يندبُهُ فى ضمن من ندبا

وقال أحمد شوقى يرثى المرحوم مصطفى كامل المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما فى مأتم والدانى
يا خادم الإسلام أجز مجاهد فى الله ، من خلد ومن رضوان
الله يشهد أن موتك بالحجا والجد ، والإقدار ، فأنت البانى
إن كان للأخلاق ركن قائم فى هذه الدنيا ، فأنت البانى
بالله فتش عن فؤادك فى الثرى هل فيه آمال وفيه أمانى ؟
وجدانك الحى المقيم على المدى ولرباً حى ميت الوجدان
الناس : جار فى الحياة لغاية ومضللٌ يجرى بغير عنان

والخلد في الدنيا وليس بهين
فلو ان رسل الله قد جبنوا لما
المجد والشرف الرفيع صحيفة
وأحب من طول الحياة بذلة
دقات قلب المرء قائمة له :
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
للمرء في الدنيا وجم شؤونها
فهى القضاء لراغب متطلع
الناس غاد في الشقاء ورائح
ومنهم لم يلق إلا لذة
صبر على نعم الحياة وبؤسها
يا طاهر الغدوات والروحات والخ
هل قام قبلك في المدائن فاتحاً
يدعو إلى العلم الشريف وعنده
لفوك في علم البلاد منكساً
ما احمر من خجل ولا من رتبة
يرجون نعشك في السناء وفي السنا
وكأنه نعش (الحسين) بكر بلا
في ذمة الله الكريم وبره
ومشى جلال الموت وهو حقيقة
شقت لمنظرك الجيوب عقائل
والخلق حولك خاشعون كعهدهم
عليا المراتب لم تنح لجبان
ماتوا على دين ولا إيمان
جعلت لها الأخلاق كالعنوان
قصر يريك تقاصر الأقران
إن الحياة دقائق وثوانى
فالذكر للإنسان عمر ثانى
ما شاء من ربح ومن خسران
وهى المضيق لمؤثر السلوان
يشقى له الرحماء ، وهو الهانى
في طيها شجن من الأشجان
نعم الحياة وبؤسها سيان
طرات ، والإسرار والإعلان
غاز بغير مهند وسان
أن العلوم دعائم العمران
جزع الهلال على فتي الفتیان
لكنما يبكى بدمع قانى
فكأنما في نعشك القمران
يختال بين بكى وبين حنان
ما ضم من عرف ومن إحسان
وجلالك المصدوق يلتقيان
وبكتك بالدمع الهتون غوانى
إذ ينصتون لخطبة وبيان

يتساءلون : بآى قلب تُرتقى
فلو أن أوطاناً تصور هيكلاً
أو كان يحمل فى الجوارح ميت
أو صيغ من غر الفضائل والعلی
أو كان للذكر الحكيم بقیة
یا صب مصر ویا شهید غرامها
اخلع على مصر شبابك عالیاً
فلعل مصرًا من شبابك ترتدى
فلو أن بالهرمين من عزماته
علمت شبان المدائن والقرى
مصر الأسیفة ریفها وصعیدها
أقسمت أنك فى التراب طهارة

وقال ابن هانئ الأندلسی يرثى إبراهیم بن جعفر بن على :

وهب الدهر نفیساً فاسترد
خاب من یرجو زماناً دائماً
فلقد أذكر من كان سها
قل لمن شاء فقل ما شاءه
منتض نصلاً إذا شاء مضى
مات من لو عاش فى سرباله
إنما كان شهاباً ثاقباً
لا رجاء فى خلود کلها
ربما جاد بخیل فحسد
تعرف البأساء منه والنكد
ولقد نبه من كان رقد
إن خصمی فى حیاتی لألد
رائش سهماً إذا شاء قصد
غلب النور علیه فاتقد
صعق اللیل له ثم خمد
وارد الماء الذى كان ورد

وقال شاعر النيل أحمد شوقي راثياً :

خلقنا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات
ومن يولد يعيش ويمت كأن لم يمرّ خياله بالكائنات
ومهد المرء في أيدي الرواقى كنتعش المرء بين النائحات
وما سلم الوليد من اشتكاة فهل يخلو المعمر من أذاة
هى الدنيا قتال نحن فيه مقاصد للحسام وللقناة
وكل الناس مدفوع إليه كما دفع الجبان إلى الثبات
نُرُوع ما نُرُوع ثم نرى بسهم من يد المقدور آت

وقال المرحوم حافظ إبراهيم راثياً الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده :

سلام على الإسلام بعد محمد سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجى على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتى
فوالهفى والقبر بينى وبينه على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً كأنى حيال القبر فى عرفات
أبنت لنا التنزيل حكماً وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
ووقفت بين الدين والعلم فى الدجى فأطلعت نوراً من ثلاث جهات
وقفت (لهانوتو، ورينان) وقفة أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله فى كل موقف فخافك أهل الشك والنزعات
وأرصدت للباغى على دين أحمد شباة يراع ساحر النفثات
مشى نعشه يختال عجباً بربه ويخطر بين اللمس والقبالات

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة

وضاقت عيون الكون بالعبرات

بكى عالم الإسلام عالم عصره سراج الدياجى هادم الشبهات
 فياويح (لشورى) إذا جدجدها وطاشت بها الآراء مشتجرات
 وياويح (للفتيا) إذا قيل من لها وياويح للخيرات والصدقات
 بكينا على فردٍ ، وإن بُكَّاءنا على أنفُسِ اللهِ مُنْقَطَعَات
 تعهدنا فضل الإمام وحاطها بإحسانه والدهر غير موافى

وقال جمال الدين بن نباتة ، المتوفى عام ٧٦٨ هـ ، معزياً عن ملك ،
 ومهنئاً بملك :

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ الْعِزَاءَ الْمُقَدِّمًا فَمَا عَبَسَ الْمَحْزُونُ حَتَّى تَبَسَّمَا
 ثَغُورُ ابْتِسَامٍ فِي ثَغُورِ مَدَامِعٍ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا
 تَدِيرُ مَجَارِي الدَّمْعِ وَالْبَشْرِ وَاضِحٍ كَوَابِلُ غَيْثٍ فِي ضَحَى الشَّمْسِ قَدْ هَمَى
 سَقَى الْغَيْثُ عَنَا تَرْبَةَ الْمَلِكِ الَّذِي عَهْدُنَا سَجَايَاهُ أَعَزُّ وَأَكْرَمَا
 وَدَامَتْ يَدُ النِّعْمِ عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي تَدَانَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَعَزَّ بِهِ الْحَمَى
 مَلِيكَانِ : هَذَا قَدْ هَوَى لَضَرْيَحِهِ بَرَعَمَى ، وَهَذَا لِلْأَسْرَةِ قَدْ سَمَا
 وَدُوْحَةُ فَضْلِ شَاذَوَى تَكَافَأَتْ فَغَصْنُ ذَوَى مِنْهَا وَآخِرُ قَدْ نَمَا
 كَأَنَّ دِيَارَ الْمَلِكِ غَابَ إِذَا انْقَضَى بِهِ ضَيْغَمٌ أَنْشَأَ الدَّهْرُ ضَيْغَمَا
 فَإِنَّ تَكَ أَوْقَاتَ الْمُؤَيَّدِ قَدْ خَلَتْ فَقَدْ جَدَدَتْ عَلَيْكَ وَقْتًا وَمَوْسَمَا
 هُوَ الْغَيْثُ وَلَى بِالثَّنَاءِ مَشِيْعًا وَأَبْقَاكَ بَحْرًا بِالْمَوَاهِبِ مَفْعَمَا
 إِذَا الْغَيْثُ صَلَّى خَلْفَ جَدْوَاكَ رَاكِعًا ثَنْتُ عِزْمَهُ لِلْإِعْتِرَافِ فَسَلَمَا
 يِرَاعُكَ يَوْمَ السَّلْمِ يَنْهَلُ دِيْمَةً وَسَيْفُكَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَنْهَلُ فِي الدَّمَا
 فَعَشَ لِلْوَرَى وَاسْلَمَ سَعِيدًا مَهْنًا فَحَظُّ الْوَرَى فِي أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلَمَا
 أَعَدَّتْ زَمَانَ الْبَشْرِ وَالْجُودِ وَالثَّنَا إِلَى أَنْ مَلَأَتِ الْعَيْنُ وَالْكَفُ وَالْفَمَا

وقال المرحوم حافظ. إبراهيم يرثى الدكتور يعقوب صروف ، صاحب مجلة المقتطف ، المتوفى عام ١٩٢٧ (١) :

أبكى وعين الشرق تبكى معى	على الأديب الكاتب الأملعى
جوى عصى الدمع من أجله	فزاد فى الجود على الطبع
نقص من الشرق ومن زهوه	فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر فى رجالاتها	حظ. ، ولا للشام فى أروع
مصاب (صروف) مصاب النهى	فليبيكه كل فؤاد يعى
(صروف) لاتبعد فلست الذى	يطويه طاوى ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكنه	لم يسكت الآثار فى المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة	فى معهد العلم وفى المصنع

الباب الثامن فى الحكم والنصائح

قال عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية :

كنى زاجرا للمرء أيام دهره	تروح له بالواعظات وتغتدى
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم	فعف ولا تطلب بجهد فتنكد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته	من اليوم سؤلا أن يسرك فى غد
ولا تقعدن عن سعى ما قد ورثته	وما اسطعت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله	وقام جناة الشر بالشر فاقعد
وبالعدل فانطق إن نقطت ولا تكن	لذى الذم فاذمه وذو الحمد فاحمد
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدى

(١) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا . ولد فى بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم بها ونبغ فى العلوم والمعارف فنال الاجازات العالية سنة ١٨٧٠ م ، ثم نزع الى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمر ، باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، ومات سنة ١٩٢٧ م .

ولا تأملن ود امرئ قل خيرَه ولا تك عن وصل الصديق بأحيد
 إذا أنت حملت الخؤون أمانة فإنك قد أسندتها شر مسند
 ولا تظهرن ود امرئ قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد
 وقال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ:
 ياطيبة أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا (١)
 أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى (٢)
 واشتعل المبيض فى مسوده مثل اشتعال النار فى جزل الغضى (٣)
 فكان كالليل البهيم حل فى أرجائه ضوء صبح فانجلي (٤)
 وغاض ماء شرن دمر رن تراثر القنب بتبريح الذبرى (٥)
 وآض روض اللهو ييساً ذاوياً من بعد ما قد كان مجاج الثرى (٦)
 وضرم النأى المشب جذوة ما تأتل تسفع أثناء الحشى (٧)
 واتخذ التشهيد عيني مألفاً لما جفا أجفانها طيف الكرى (٨)

(١) الطيبة : الأنثى من الغزلان والمها جمع مهاة ، وهى أنثى البقر الوحشى ، الخزامى نبت معروف طيب الرائحة ، النقا اسم موضع .
 (٢) اما اصلها ان ما فان شرطية وما زائدة ، وترى أصلها توين وترى فعل النمرط وجوابه فيما بعد ، فكل الخ . حاكى أشبه طرة صبح يعنى وجه صبح وطرة كل شيء حافته وجانيه . (٣) اشتغل : فشا وانتشر ، جزل ما غلف من الحطب ، الفضى جمع غضاة وهى نوع من الشجر يبقى جمرة طويلا (٤) فكان كالليل البهيم كناية من المظلم جدا ، والبهيم هو الأسود الذى لا ضوء فيه حل نزل أرجائه جمع رجاً بالقصر انطرف فانجلي فأنكشف وظهر . (٥) غاض نقص أو ذهب ، الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب والتبريح البلوغ فى المشقة غايتها .
 (٦) آض رجع ، ييسا يابسا ، ذاويا ذابلا ، مجاج من قولهم مع الفصن الماء اذا القاه ، الثرى بالقصر التراب الندى . (٧) ضرم أشعل وأوقد النأى ، النبعد : المشب المفرق ، جذوة هى الجمرة العظيمة ما تأتل ما تقصر ، تسفع تحرك وتهلك ، أثناء الحشى يعنى مارق من البطن وأراد به القلب والجوف . (٨) التسهيد والسهاد : السهر وهو عدم النوم ، مألفا صاحبه . والمألوف هو الموضع الذى تقع فيه الالفه أى الاجتماع والصحبة ، جفا هجر ، والأجفان أغطية العيون واحدها جفن ، =

- فكل ما لا قيته مُغْتَفَرٌ في جنب ما أسأره شحط. النوى (١)
لو لابس الصخر الأصمَّ بعضُ ما يلقيه قلبي فضَّ أصلاد الصفا (٢)
إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن أن قصاراه نفاذ وتوى (٣)
شجيتُ لابل أجرضتني غصة عنودها أقتل لي من الشجي (٤)
إن يحم عن عيني البكا تجلدي فالقلب موقوف على سبل البكا (٥)
لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاها يقظان لأصماني الردي (٦)
منزلة ما خلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حجا (٧)
ما خلعت أن الدهر يثني على ضراء لا يرضى بها ضب الكدى (٨)
شيم سحاب خلب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى
أرْمَقُ العيش على برض فإن رمت ارتشافا رمت صعب المنتسى (٩)
أراجع لي الدهر حولا كاملا إلى الذي عود أن لا يرتجى
يا دهر إن لم تك عتبي فائتد فإن إروادك والعبي سوى (١٠)

= الطيف ما يراه الانسان من خيال المحبوب . ألكرى النوم .

- (١) مغتفر : متجاوز عنه ، أسأره أبقيه شحط أبعد ، النوى البعاد .
(٢) لابس خالط ، الأصم الصلب فض كسر ، وأصل الانفضاض المتفرق
وأصلاد جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة . (٣) ذوى جف
وذبل ، الرطيب الناعم لرطب قصاراه آخر أمره وغايته ، نفاذ فناء وذهاب ،
وتوى بالتاء الهلاك . (٤) شجيت : حزنت أو غصصت ، والفص الاختناق
باللقمة يقال شجيب بالعظم أى اختنقت به وأجرضتني خنقتني وغصة
الموت والجرض هو الاختناق بالريق وعنودها معارضها . (٥) ان حرف
شرط يحم فعل الشرط بمعنى يمنع وتجلدى تصبرى فالقلب الشرط
وسبل الطرق وأحدها سبيل . (٦) الأحلام : جمع حلم وهو ما يراه
الانسان فى منامه وناجتني أخبرتني ، لأصماني لقتلني مكانى بلا تأخير ،
الردي الهلاك . (٧) المنزلة : الدرجة ، ما خلتها : ما حسبتها ،
الحجا : العقل . (٨) يثني يعطفى : ضراء : الصخر الصماء ، الكدى
بالضم جمع كدية وهو ما ارتفع من الصخور . (٩) أرمق العيش
أعطاني منه بقدر ما يسد رمقى ، برض العطاء القليل . (١٠) العتبي :
الرضى ، فائتد : أرفق ، والإرواد الرفق .

- رفه على ، طالما أنصبتني وأستبق بعض ماء غصن ملتحي (١)
 لائحسبن يا دهر أنى ضارعٌ لنكبة تعرقني عرق المدى (٢)
 مارسست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا (٣)
 لكنها نفثة مصدور إذا جاش لعامٌ من نواحيها غما (٤)
 رضيت قسرا وعلى القسر رضى من كان ذا سخط. على صرف القضا (٥)
 إن الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياه للبل (٦)
 ما كنت أدري والزمان مولع بثت ملموم وتنكيث قوى (٧)
 أن القضاء قاذفى فى هرة لا تستبل نفس من فيها هوى (٨)
 فإن عثرت بعدها إن وألت نفسى من هاتا فقولاً لا لعا (٩)
 وإن تكن مدتها موصولة بالحتف سلت الأسى على الأسى (١٠)
 إن امرؤ القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمامه دون المدى (١١)

(١) رفه وسع : أنصبتني أنعبتني ، استبق أبق ، ملتحي الذاهب لعا ه أى فشره الظاهر . (٢) ضارع دليل خاشع ، النكبة : المصيبة والشدة ، تعرقني تزيل لحمى عن عظمى ، المدى بالضم جمع مدينة وهى السكين .
 (٣) مارسست بناء الخطاء عالجت هوت سقطت ، الأفلاك جمع فلك وهى التى تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم ، جوانب الأعراف ، والجو الفضاء الذى بين السماء والأرض . (٤) لكنها الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التى قالها ، النفثة ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق ، المصدور الذى يشتكى صدره ، جاش علا وارتفع . (٥) القسر القهر ، السخط الغضب . (٦) الجديدين الليل والنهار استوليا غلبا وملكا وأدنياه قرباه . (٧) ما كنت أعلم وجاء بالمعمول فى البيت الذى بعده .
 (٨) قاذفى رام بى والهوة الحفرة التى يتسع أسفلها ويضيق أعلاها ، لا تستبل ، أى ولا تبرأ ولا تفيق هوى سقط . (٩) عثرت زالت ، وقوله لالعا أى نجا وهو دعاء للعائر بعدم السلامة . (١٠) ضمير مدتها عائد على النكبة ، الحتف والموت ، الأسى بضم الهمزة جمع أسوة وهى التعزية . (١١) امرؤ القيس معلوم أنه كان هو طريد أبيه لعدم قوله الشعر وخلاصة قصته أن بنى أسد قتلت أباه وكان ملكا عليهم فبعد عناء توجه الى قيصر ملك الروم واستنجده على قتلة أبيه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فحضر أحد أعدائه من بنى أسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره =

- وخامرت نفس أبي الجبر الجوى حتى حواه الحتف فيمن قد حوى (١)
وابن الأشج القيل ساقته نفسه إلى الردى حذار إثمات العدى (٢)
واخترم الوضاح من دون التى أملها سيف الحمام المنتضى (٣)
فقد سما قبلى يزيد طالباً شأوا العلا فما وهى ولا ونى (٤)
فاعترضت دون الذى رام وقد جد به الجد اللهم الأربى (٥)
هل أنا بدع من عرانيين علا جار عليهم صرف دهر واعتوى (٦)
فإن أنالثنى المقادير الذى أكيده لم آل فى رأب الثأى (٧)
وقد سما عمرو إلى أوتاره فاحتط منها كل على المستمى (٨)

= ذلك وكره أن يقتله أو يخذله بعد ما وعده فأرسل معه عسكرياً ثم أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات ، المدى الغاية ، فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه ، وحمامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالجت ، أبو الجبر من ملوك كندة خلاصة قصته أنه تألبت قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشاً من أسارته فأروا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمرض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذى نشأ من السم . (٢) ابن الأشج هو عبد الرحمن بن الأشعث ، خلاصة قصته أنه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج ثم هرب الى « ريتقل » ملك الترك فبذل الحجاج الى ريتقل مالا فسلمه الى أعوان الحجاج وكان فى الطريق مقيداً معه رجل من بنى تميم على سطح برج فرمى بنفسه من أعلى البرج فمات هو والتميمى وحمل رأسه الى الحجاج . (٣) اخترم أى أهلك اقتطع . (٤) سما علا : ويريد هو ابن المهلب وخلاصة قصته أنه خرج على بنى أمية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فدست بنو أمية رجلاً من بنى كلب فقتله واستتب الأمر لهم ، والشأ والغاية ، العلا الشرف ، فما وهى ضعف ولا ونى ولا فتر . (٥) فاعترضت عارضت رام طلب ، جد بالفتح أسراخ الجد وبالكسر العزم : اللهم بالتصغير والأربى اسمان من أسماء الداهية وهما فاعل اعترضت . (٦) بدع الذى يكون أول مخترع من كل أمر ، عرانيين الأشراف واحدها عرنين وهو الأنف . (٧) أنالثنى أعطثنى ، والمقادير جمع مقدار ، رهو القدر ، أكيده أطلبه واحتال عليه ، لم آل لم أقصر ، راب أصلح ، الثأى الفاسد . (٨) سما علا وأوتار جمع وتر وهو طلب الدم ، فاحتط فأنزل المستمى المكان العالى المرتفع .

- (١) فاستنزل الزبَاء قسراً وهي من عقاب لوح الجو أعلى منتمى
 وسيف استعلت به همته حتى رمى أبعد شأو المرتضى (٢)
 فجرع الأحبوش سما ناقعاً واحتل من غمدان محراب الدُّمى
 ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أوارات تمياً بالصلابة (٣)
 ما اعتن لى يأس ينجى همتى إلا تحداه رجاء فاكتمى (٤)
 ألية باليعملات يرتضى بها النجاء بين أجواز الفلا (٥)
 خوض كاشباح الحنايا ضمير يرغن بالأمشاج من جذب البرى (٦)

(١) الزبَاء : اسم امرأة ، عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان ولوح الهواء الذى بين السماء والأرض منتمى موضع مرتفع اليه وخلاصة قصة الزبَاء وعمرا أن الزبَاء لما قتلت جذيمة الأبرش قعد عمرو بن أخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصى فطلب قصير أن يجدع له عمرو أنفه وأذنيه دهاء منه لأخذ ثأر خال عمرو فرحل قصير الى الزبَاء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح فى جوالق على ظهور انجمال فهربت الزبَاء الى نفق لها لتهرب منه فرأت عمراً على باب النفق فمصت خاتماً مسموماً كان بيدها وقالت : « بيدى لا بيد عمرو » وماتت مكانها فاستولى على ملكها . (٢) سيف يعنى سيف بن ذى يزن ملك اليمن ، استعلت علت ، والشأو الغاية ، المرتضى موضع وهو الذى يقال له الغرض والهدف والقمرطاس ، فجرع فسقى ، الجرع القليل من الماء والأحبوش ملك الحبش ، ونافعا بالفا ، واحتل نزل بالمكان غمدان موضع بصنعاء اليمن ومحراب ههنا بصنعاء . (٣) ابن هند هو عمرو عم النعمان ابن المنذر وكان له أخ مسترضع من بنى تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور أن يقتل من بنى تميم مائة فأجج ناراً وألقى فيها واحداً منهم الى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة اذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى فى النار تماماً للمائة ، وباشت خالطت يوم أوارات يوم معروف من أيام العرب أوارات اسم موضع ، تميم قبيلة ، الصلا بالفتح وهج النار . (٤) ما اعتن ما اعترض تحداه اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتنفى . (٥) ألية قسماً باليعملات جمع بعملة هى الناقة الصلبة الشديدة ، النجاء السرعة ، أجواز جمع جوز وجوز كل شيء وسطه والفلا جمع فلاة وهى الصحراء . (٦) خوص الأبل الفائر العيون من الهزال ، والأشباح الأشخاص جمع شبح ، والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمير جمع ضامر وهو المهزول ، ويرغن =

- يرسبن في بحر الدجى وبالضحى يطفون في الآل إذا الآل طفا (١)
 أخفافهن من حفا ومن وجى مرثومة تخضب مبيض الحصا (٢)
 يحلن كل شاحب محقوقف من طول تدآب الغدو والسرى (٣)
 باراً برى طول الطوى جثمانه فهو كفدح النبغ مخى القرا (٤)
 ينوى التى فضلها رب العلى لما دحا تربتها على البنى (٥)
 حتى إذ قابلها استعبر لا يملك دمع العين من حيث جرى (٦)
 ثمت طاف واثنى مستلماً ثمت جاء المروتين فسعى (٧)
 وأوجب الحجّ وثنى عمرة من بعد ما عج ولبى ودعا (٨)
 ثمت راح فى الملبين إلى حيث تحجى المازمان ومهى (٩)

= يسرن مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف والأمشاج الأخلط جمع مشج وهو ما يسيل من الأنوف ، ومن جذب من سوق والبرى جمع بره وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير .

(١) يرسبن يغبن والرسوب والخوض فى الماء المغيب فيه ، والدجى جمع دجبة وهى الظلمة ويطفون يعلون ، والآل سحاب كالماء يرى عندما ترتفع الشمس . (٢) أخفافهن جمع خف للابل بمنزلة الحوافر للخيل وحفا مقصور : وهو رقة أخفاف الابل من كثرة المشى ، ووحى فى الرجل يصيبها من الحفا ومرثومة مشقوقة من الحجارة ، وتخضب تصبغ .

(٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره ، ومحقوقف معرج وتدآب مداومة وانسرى سير الليل . (٤) بار مطيع والجمع أبرار . تعبىر الشاحب وبرى من برى القلم وهو اضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجثمانه جسمه وقدح عود صلب تعمل منه السهام والنبغ شجر يعمل منه القسى واحدها نبغة ومخنى معوج ، والقرا الظهر . (٥) ينوى يقصد والتى فضلها رب العلى يعنى مكة ، ودحا بسط والبنى جمع بنيسة وهو الشئ المبنى . (٦) استعبر يبكى وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة .

(٧) ثمت هى ثم زيدت عليها تاء التأنيث وانثنى انعطف ، ومستلميا لمس الحجر الأسود بيده أو بغمه والمروتين المراد بهما الصفا والمروة فسعى فمشى . (٨) أوجب الحج الزمه نفسه وثنى عمرة الزم نفسه مع الحج عمرة ، عج رفع صوته بالدعاء والتلبية . (٩) راح خرج بالروح وهو الخروج بالعشى واللبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية ، تحجى أقام .

- ثم أتى التعريف يَقْرُو مخبئاً مواقفاً بين ألال فالنقا (١)
واستأنف السبع وسبعاً بعدها والسعى ما بين العقاب والصوى (٢)
وراح للتوديع فيمن راح قد أحرز أجراً وقل هُجرَ اللغا (٣)
بذاك أم بالخيّل تعدو المرطى ناشرة أكتادها قَبّ الكلى (٤)
شعثا تعادى كسراحين الغضا ميل الحماليق يبارين الشبا (٥)
يحملن كل شمري باسل شهيم الجنان خائض غمر الوغى (٦)
يغشى صلا الحربِ بحديه إذا كان لظى الحرب كزیه المصطلى (٧)
لو مثل الحتف له قرناً لما صدته عنه هيبة ولا انثنى (٨)
ولو حمى المقدار عنه مهجة لرامها أو يستبيح ما حمى (٩)
تغدو المنايا طائعات أمره ترضى الذى يرضى وتأتى ما أبى (١٠)

(١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ويقرو : يتتبع المواضع مخبئاً متواضعاً لله تعالى ، الال موضع بعرفات ، النقا الرمل . (٢) استأنف ابتداء السبع رمى الجمار السبع وسبعاً . أراد الثانية التى تلى الأولى ، والسعى المشى والعقاب جمع عقبة . (٣) وراح للتوديع ، لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحاج بأن يطوف به سبعاً ويسعى بين الصفا والمروة ، أحرز أجراً ملكه وأصابه ، وقلّى أبغض ، وهجر بضم الهاء القبيح من الكلام ، واللفا الباطل من الكلام . (٤) أقسم بذاك أم بالخيّل ، تعدو تجرى ، المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه ، وناشرة مرتفعة ومنه قولهم فعدت على نشز من الأرض أى مرتفع ، واكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف وقب ضامرة . (٥) شعثا مفجرين يعنى مقرين من الله تعالى ، تعادى أصله تتعادى تسابق ، سراحين ذئاب الواحد سرحان الفضا شجر غليظ يدوم جمره ، ميل الحماليق مائلة العيون : يبارين . يعارض ، الشبا جمع شبة : وشابة كل شىء وحده . (٦) يحملن أى الخيل شمري مأخوذ من التشمير ، باسل شجاع ، شهيم الجنان حديد القلب ، خائض داخل غمر الماء الكثير ، والحرب . (٧) يغشى يدخل ، صلا حر النار كلظى . (٨) مثل صور ، الحتف الهلاك ، وقرنك الذى يقارنك فى بطش أو قتال أو علم . (٩) حمى منع ، المقدار القدر ، المهجة النفس ، لرامها لطلبها وأو بمعنى حتى ، ويستبيح . يدرك ذلك الشىء نافذاً أمره ، فيه وهو منصوب بأن مضمر بعد أو . (١٠) تغدو تأتى بالفدوة وورد تعدو أى تسرع .

- بل قسماً بالشّم من يعرب هل
هم الألى أجروا ينباع الندى
هم الذين دوخوا من انتخى
هم الذين جرعوها فما حلوا
أزال حشو نثرة موضونة
وصاحبي صارم في منه
أبيض كالمالح إذا انتضيته
كان بين عيره وغربه
يرى المنون حين تقفو إثره
ومشرف الأقطار خاط نخضه
- لمقسم من بعد هذا منتهى (١)
هامية لمن عرا أو اعتنى (٢)
وقوموا من صعر ومن صغا (٣)
أفاوق الضيم ممرأة الحسا (٤)
حتى أوارى بين أثناء الحشى (٥)
مثل مدب النمل يعلو في الربى (٦)
لم يلق شيئاً حده إلا فرى (٧)
مفتاداً تأكلت فيه الجدى (٨)
في ظلم الأكباد سبلا لا ترى (٩)
حاجى القصير جرشع عرد النسي (١٠)

(١) قسماً يميناً ، بالشّم الطوال أو أشرف الناس ، يعرب قبيلة من العرب تنسب الى يعرب بن يشجب بن قحطان ، لمقسم لحالف منتهى الغاية .
(٢) ينباع جمع ينبوع الندى الجود والكرم وهامية سائلة ، عرا قصد وتعرض للطلب ، أو اعتنى أو طلب من غير تعرض .
(٣) دوخوا أذلوا ، انتخى تكبر ، صعر تكبر أيضاً وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الإنسان خده من التكبير والصفا الميل .
(٤) جرعوها سقوا ما حلوا خاصموا ، أفاوق هو شرب مقطوع بنفس بعد نفس : الضيم الذل ممرأة مدراة الحسا جمع حسوة وهو أخذك الشيء بفمك متجرعاً له قليلاً . (٥) أزال جواب القسم محذوف منه لا حشو ما أدخل في جوفه فكانه صار حشواً إذا لبسها ، نثرة درع واسع موضونة محكمة النسيج ، أوارى أعطى وأثناء جمع ثنا وهو ما تشنى منها أى تراكب على بعض ، الحشى جمع حثوة وهو الثوب المجتمع . (٦) صاحبي يعنى سيفه وفرسه ، مدب النمل ودبيبه مشيه . (٧) أنضيته جردته ، غمده ، وفرى قطع . (٨) العير هنا الموضع النائي في وسط السيف ، القرب الحد يعنى حد السيف مفتاً موضع النار أكل بعضها بعضاً والجدى جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة . (٩) المنون المنية وتقفو تتبع ، سبلا طرفاً . (١٠) مشرف مرتفع عال ، والأقطار النواحي ، خاط غليظ ، والنخض اللحم ، مرتفع ، القصير ضلع في الجنب وهى أنضلع السفلى جرشع غليظ الأضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود في الخيل وعرد الشديد من كل شيء ، النسي عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهى الى الرسغ .

- قريب ما بين القطاة والمطا بعيد ما بين القذال والصلأ (١)
 سامى التليل فى دسيع مفعم رجب اللبان فى أمينات العجى (٢)
 ركن فى حواشب مكتنة إلى نسور مثل ملفوظ النوى (٣)
 يرضح بالبيد الحصى فإن رقى إلى الربى أورى بها نار الحبا (٤)
 يُديرُ إغليطين فى ملمومة إلى لموحين بالآحظ اللأى (٥)
 مداخل الحلق رحيب شجره مخلوق الصهوة ممسود وأى (٦)
 يجرى فتكبو الريح فى غاياته حسرى تلوذ بجراثيم السحا (٧)
 لو اعتسفت الأرض فوق متنه يجوبها ماخفت أن يشكو الوحى (٨)
 نظنه وهو يُرى محتجبا عن العيون إن دأى أو إن ردى (٩)
 إذا اجتهدت نظراً فى إثره قلت سناً أو مض أو برق خفا (١٠)

(١) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله : سمي بذلك لأنه يمتطى أى يركب والقذال من رأس الفرس معقد عذاره أى حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الأذنين والعذار هو اللجام ، الصلا العجز وهو آخر الوركين .

(٢) سامى هو العالى المرتفع والتليل هو العنق ودسيع مفرز العنق ودسيع فى الظهر ومفعم ممتلئ ، والرحب : الواسع ، واللبان والصدر وأمينات القوت الصحاح السالمات الصلاب والعجى جمع عجيبة ، وهى عصب مركب به شئ كقص الخاتم . (٣) ركن يعنى العجى ، حواشب جمع حوشب ، وهو عظم فى باطن الحافر مكتنة مستورة أو مكتنزة .

(٤) يرجع يكسر ، البيد جمع يبداء وهى القفار ، رقى : ارتفع الربى جمع ربوة وأورى أوقد بها الحبا دابة تضىء بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر . (٥) الاغليط وعاء ثمر المرخ شبه أذن الفرس بذلك وهو شبيهه بقشور الباقلا الرطب يشبه أذن الخيل ، وملمومة هى الهامة المجتمعمة . (٦) مداخل الحلق ، رحيب واسع ، شجر هو مجتمع .

(٧) فتكبو فتعثر ، غايات جمع غاية وهى منتهى جريه ، حسرى مكفة ، تلوذ تلجأ ، جراثيم جمع جرنومة وهى التراب الذى يجتمع فى أصول الشجر ، والسحا ضرب من الشجر . (٨) اعتسفت الأرض قطعها باعتساف منك أى على غير هدى ، متنه ظهره يجوبها يقطعها ويخرقها الوحى أن يبلغ الوجع الى باطن الرسغ . (٩) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى رديا إذا جرى جريا سريعا . (١٠) سنا الضوء وأومض أضاء أى لمع .

- كأنما الجوزاء في أرساغه (١)
 هما عتادي الكافيان فقد من
 فإن سمعت برحى منصوبة
 وإن رأيت نار حرب تلتظي
 خير النفوس السائلات جهرة
 إن العراق لم أفارق أهله
 ولا أطبى عيني مذ فارقتهم
 هم الشناخيب المنيفات الذرا
 هم البحور زاخر آذيتها
 إن كنت أبصرت لهم من بعدهم
 حاشا الأميرين اللذين أوفدا
 هما اللذان أثبتنا لى أملا
- والنجم في جبهته إذا بدا (١)
 أعدته فليناً عنى من نأى (٢)
 للحرب فاعلم أننى قطب الرحي (٣)
 فاعلم بأنى مُسعرٌ ذاك اللظى (٤)
 على ظباتِ المرففات والقنا (٥)
 عن شنان صدنى ولا قلى (٦)
 شىء يروق العين من هذا الورى (٧)
 والناس أدحالٌ سواهم وهوى (٨)
 والناس ضحضاح ثعاب وأضى (٩)
 مثلاً فأغضيت على وخز السفا (١٠)
 على ظلا من نعيم قد ضفا (١١)
 قد وقف اليأس به على شفا (١٢)

- (١) الجوزاء نجم معروف وهو الثومان ، وأرساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوطيف من كل دابة ، والنجم هو الثريا يصف غيرة الفرس وتحجيلة ، وبدا ظهر . (٢) العتاد ما يتخذ عدة للدهر ، فليناً فليبعد من نأى إذا بعد . (٣) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا ، قطب : الحديد أو الخشبة التى تدور عليها . (٤) تلتظى تشتعل ومسعر موقد اللظى اللهب . (٥) جهرة عيانا ، وظبات جمع ظبة كثبة : حد السيف والمرففات السيوف الرقاق . (٦) العراق قطر معروف على شاطئ دجلة والفرات وشنان بفض وصدنى بمعنى وصرفنى والقلى البفض . (٧) أطبى استعمال ، ويروق يعجب . (٨) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شنخوب والمنيفات المرتفعات الطوال وهى الشواحق والذرا جمع ذروة وهى أعالي الجبال ، وأدحال جمع دحل وهى الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيّق أعلاه وهوى جمع هوة بمعنى الدحل . (٩) زاخر : الماء الكثير الفائض الذى الموج وضحضاح الماء القليل . (١٠) أغضيت صبرت على المكروه وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة . (١١) أوفدا : أرسلوا ، وضفا كثره ، من قولهم : ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال . (١٢) شفا الشىء طرفه وحرفه .

- تلافيا العيش الذي رنقه صرف الزمان فاستساغ وصفا (١)
وأجريا ماء الحياة لي غداً فاهتز غصني بعد ما كان ذوى (٢)
هما اللذان سموا بناظري من بعد إغضائي على لذع القذى (٣)
هما اللذان عمرا لي جانباً من الرجاء كان قدماً قد عفا (٤)
وقلداني منه ما لو قرنت بشكر أهل الأرض عني ما وفي (٥)
بالعشر من معشارها وكان كالـ حسوة في آذى بحر قد طمى (٦)
إن ابن ميكال الأمير انتاشني من بعد قد كنت كالشيء اللقا (٧)
ومد صبعي أبو العباس من بعد القباض الذرع والباع الوزى (٨)
ذاك الذي ما زال يسمو للعلا بفعله حتى علا فوق العلا (٩)
لو كان يرقى أحد بوجوده ومجده إلى السماء لارتقى (١٠)
ما إن أتى نداء معتف على أوارى علم إلا ارتوى (١١)
نفسى الفداء لأميرى ومن تحت السماء لأميرى الفدا
لا زال شكرى لهما مواصلا لفظى أو يعتافنى صرف المنى (١٢)

- (١) تلافيا تداركا ، رنقه كدره المرنق الماء الكدر ، صرف الزمان تقلبه من حال إلى حال واستساغ سلس في الحلق وطاب . (٢) الحيا مقصور الغيث والخصب ورغدا السعة في العيش فاهتز غصني وطال وأصل الهز التحريك ذوى ذبل . (٣) سموا بناظري رفعا ناظري والباء للتعدي ، اغضائي تغافلي ، لذع حرق ، القذى ما يقع في العين . (٤) قدما قديما عفا درس . (٥) وقلداني منة : أي جعلها في عنقي وهو موضع القلادة ، منة . نعمة وجمعها منن ، وقرنت قيسيت : ما وفي ما قام ولا عدل شكرهم . (٦) الحسوة الجرعة مما يشرب : الأذى الموج وطمى امتلا وارتع . (٧) ابن ميكال هو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسي من أمراء فارس وانتاشني واللقا الشيء المطروح . (٨) صمعى عضدى : وأبو العباس هو اسماعيل بن عبد الله المتقدم فمدح الأب والابن والذراع واحد والباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم . والوزى القصير . (٩) يسمو يرتفع . (١٠) يرقى يرتفع . (١١) الندى الكرم . معتف طالب للرغد أوارى حرارة الشمس وانثار : وعلم جبل صغير : ارتوى اكتفى من الماء وغيره . (١٢) أو يعتافنى : أو يصرفنى : وأو بمعنى حتى والصرف التقلب .

- إن الألى فارقت من غير قلى ما زاغ قلبى عنهم وما هفا (١)
 لكن لى عزما إذا امتطيته لمبهم الخطب فاه فانفأى (٢)
 ولو أشاء ضم قطريه الصبا على فى ظل نعيم وغنى (٣)
 ولاعبتنى عادة وهنأة تضنى وفى ترشافها برء الضنى (٤)
 تفرى بسيف لحظها إن نظرت ندره غضبي منك اثناء الحشا (٥)
 فى خدها روض من الورد على النسـرين بالألحاظ منها يعجنى (٦)
 لو ناجت الأعصم لانحط. لها طوع القياد فى شماريخ الذرا (٧)
 أو صابت القانت فى مخلوق مستصعب المسلك وعمر المرتقى (٨)
 ألهاه عن تسبيحه ودينه تأنيسها حتى تراه قد صبا (٩)
 كأنما الصهباء مقطوب بها ماء جنى ورد إذا الليل عسا (١٠)
 يمتاحه راشف برد ريقها بين بياض الظلم منها واللمى (١١)
 سقى العقيق فالحزير فالملا إلى النحيت فالقريات الذنا (١٢)

- (١) من غير قلى من غير بفض ، ما زاغ ما مال ، ولاهفا ولا زال .
 (٢) عزما عقدا على فعل أمر ، المبهم من الأمور المطلق ، فاه شقه .
 (٣) ضم قطريه : جمع ناحيته . (٤) لاعبتنى من اللعب ومعناه
 مازحتنى عادة الفتاة الناعمة وهنأة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة
 الحديث وتضنى تسقم والضنى الهزال من المرض والترشاف المص فى الثغر
 أو فوقه ، برء الضنى ذهاب السقم أى هى تضنى وفى تقبيلها البرء من
 السقم . (٥) تفرى تقطع ، اللحظ النظر ، غضبي مفاضبة . أثناء
 الحشى ما انشئ منها أى ما أنسطف والحشا الكبد وما اتصل بها .
 (٦) السرين النور الأبيض والألحاظ النظرات جمع لحظة ، يعجنى
 يقتطف . (٧) ناجت كلمت ، الأعصم الوعل الذى باحدى يديه بياض
 وربما كان البياض فيهما وسائر يديه أسود أو أحمر ، لا نحط لنزل ،
 القياد التذلل . (٨) صابت صادفت والقانت القائم بالعبادة ومخلوق
 الجبل الألس ومستصعب صعب والوعر الصعب والمرقى المصعد .
 (٩) ألهاه شغلها ، تأنيسها أنسها وحديثها ، صبا مال ولها .
 (١٠) الصهباء الخمرة ومقطب ممزوج ، ماء جنى ورد أو ما أخذ من
 الورد طريا ، عسا الليل أظلم . (١١) يمتاحه يستقيه . راشف
 المتناول الشراب بشفتيه اللمى سمرة الشفتين . (١٢) العقيق والحزير
 والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها ،

- فالمربد الأعلى الذى تلقى به مصارع الأسد بألحاظ المها (١)
 محل كل مقرم سمت به مآثر الآباء فى فرع العلا (٢)
 من الأثى جوهرهم إذا اعتزوا من جوهر النبي المصطفى (٣)
 صلى عليه الله ما جن الدجى وما جرت فى فلك شمس الضحى (٤)
 جون أغارته الجنوب جانباً منها وواصت صوبه يد الصبا (٥)
 نأى يمانياً فلما انتشرت أحضانه وامتد كسراه غطا (٦)
 فجعل الأفق فكل جانب منها كأن من قطره المزن حبا (٧)
 وطبق الأرض فكل بقعة منها تقول الغيث فى هاتا ثوى (٨)
 إذا خبت بروقه عنت لها ريح الصبا تشب منها ماخبا (٩)
 وإن ونت رعوده حدا بها راعى الجنوب فحدث كما حدا (١٠)

(١) المربد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء . مصارع الأسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بالحفاظ المها أى قتلتهم الحفاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى البقر الوحشى الواحدة مهة والحفاظ نظرات (٢) مقرم السيد الكريم وأصله فحل الابل ومآثره جمع مأثرة الصنيعة الحسنة وفرع كل شئ أعلاه (٣) من الأثى من الدين وجوهرهم أصلهم وإذا اعتزوا إذا انتسبوا والمصطفى المختار محمد صلى الله عليه وسلم (٤) جن الدجى أظلم وستر . والدجى الظلمة . (٥) جون فاعل سقى المتقدمة وهى السحاب الأسود وتأتى للابيض ضده وأغارت أنزلت والجنوب الريح القبلية تجىء بالمطر وواصت وأصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٦) نأى يمانيا أى طلع من ناحية اليمن وأصل الحزن ما دون الابل الى الكشح وكسراه تشية كسر وهو طلب الحبا وانما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها وغطا ارتفع أو انبسط (٧) فجعل ففطى والأفق الناحية وجمعها آفاق ومن قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحبا امتلا ودنا يريد السحاب (٨) طبق الأرض ، فكل بقعة فكل مكان وفى هاتا أى هنا وثوى أقام (٩) خبت بروقه أى خمدت وسكنت وعنت عرضت وتشب توقد (١٠) وإن ونت ضعفت وفترت ، وحدا بها ساقها بالحاء وهو صوت السائق الذى يسوق الابل بالفناء .

- كَانَ فِي أَحْضَانِهِ وَبَرَكِهِ بَرَكَ تَدَاعَى بَيْنَ سَجَرٍ وَوَحَى (١)
 لَمْ يَرِ كَالْمَزْنِ سَوَامًا بُهْلًا نَحْسِبُهَا مَرْعِيَّةً وَهِيَ سَدَى (٢)
 تَقُولُ لِلْأَحْرَازِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ بِسَوْقِهِ ثَقِيَ بَرَى وَحْيَا (٣)
 فَتَأْوِسُ الْأَحْدَابَ سَيِّئًا مُحَسِّبًا وَطَبَقَ الْبَطْنَانُ بِالْمَاءِ وَالرَّوَى (٤)
 كَأَنَّمَا الْبِيدَاءُ غَبَّ صَوْبُهُ بَحْرٌ طَمَأَ تِيَارَهُ ثُمَّ سَجَا (٥)
 ذَاكَ الْجَدَا لَا زَالَ مَخْصُوصًا بِهِ قَوْمٌ هُمُ لِلْأَرْضِ غَيْثٌ وَجَدَا (٦)
 لَسْتُ إِذَا مَا يَهْطَلْنِي غَمْرَةً مَنْ يَقُولُ (بَلِّغِ السَّيْلَ الزَّبِيَّ) (٧)
 إِنْ ثَوْتُ تَحْتَ ضُلُوعِي زَفْرَةً تَمَلُّ مَا بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا (٨)
 نَهْنَهْتُهَا مَكْظُومَةً حَتَّى يَرَى مَخْضُوضَةً مِنْهَا الَّذِي طَغَا (٩)
 وَلَا أَقُولُ إِنْ عَرَنْتَنِي نَكْبَةً فَوْقَ الْقَنْوُطِ (انْقَدْنِي الْبَطْنَ السَّلَا) (١٠)

(١) كَانَ فِي أَحْضَانِهِ فِي نَوَاحِي هَذَا الْإِفْقِ فَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْإِفْقِ أَوْ عَلَى السَّحَابِ وَهُوَ أَحْسَنُ ، وَالْبَرَكُ الْأَوَّلُ الصَّدْرُ وَالثَّانِي الْأَبْلُ (٢) الْمَزْنُ السَّحَابُ وَسَوَامًا بِلَا رَاعِيَةٍ وَبُهْلًا هِيَ الَّتِي لَمْ تَحْلُبْ فَتَرَكْتَ ضُرُوعَهَا مَلَأَى مِنَ الْبَانِهَا لِفَصَائِلِهَا . وَسَدَى الْمَهْمَلَةُ الَّتِي لَارَاعَى لَهَا (٣) الْأَحْرَازُ جَمْعُ حُرُزٍ وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ الَّتِي لَمْ يَصْبِهَا الْمَطَرُ وَاسْتَوَلَتْ حَمَلَتْ مَا يَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ وَثَقِيَ بَرَى أَيْ يَشْبَعُ مِنَ الْمَاءِ وَحْيَا خَصْبٌ (٤) الْأَحْدَابُ جَمْعُ حُدُبٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَغُلْظٌ وَسَيْبَا غَطَاءٌ مُحَسِّبًا كَافِيًا وَطَبَقَ غَطَى وَالْبَطْنَانُ جَمْعُ بَطْنٍ وَهُوَ الْفَاقِضُ مِنَ الْأَرْضِ وَالرَّوَى الْمَاءُ الْكَثِيرُ . (٥) الْبِيدَاءُ الْفَقْرُ وَغَبَّ صَوْبُهُ عَقِبَ مَطَرِهِ وَانْتَصَبَ غَبَّ عَلَى الظُّرُوفِ وَالصُّوبُ نَزُولُ الْمَطَرِ . (٦) الْجَدَا الْأَوَّلُ النَّائِلُ وَالْعَطَاءُ وَالَّذِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ الْجَدَاءَ بِالْمَدِّ وَهُوَ الْعَنَاءُ ثُمَّ قَصَرَهُ لِحُضْرَةِ الشَّعْرِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ (٧) يَهْطَلْنِي شَقَّتْ عَلَى وَغَمْرَةٍ هِيَ الْكَرْبَةُ وَالشَّدَّةُ وَاحِدَةُ الْقَمَرَاتِ وَالزَّبِيَّ جَمْعُ زَبِيَّةٍ وَهِيَ حَفْرَةٌ نَحْفَرُ لِلْأَسَدِ فِي الْمَكَانِ الْعَالِيِ مِنَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ يَبْلُغُهَا إِلَّا سَيْلٌ عَظِيمٌ وَهُوَ مِثْلُ تَضْرِبِهِ الْعَرَبُ إِذَا اشْتَدَّ بِأَحَدِهِمُ الْأَمْرُ (٨) ثَوْتُ أَقَامَتْ زَفَرْتُ هِيَ تَرْجِيعُ الصَّوْتِ بِالْبِكَاءِ وَالرَّجَا الْجَانِبُ (٩) نَهْنَهْتُهَا كَفَفْتُهَا وَزَجَرْتُهَا مَكْظُومَةٌ مُتَجَزَّعَةٌ وَمَخْضُوضَةٌ مُتَذَلِّلَةٌ وَطَغَا كَثُرَ أَوْ تَكَبَّرَ (١٠) عَرَنْتَنِي أَصَابْتَنِي ، نَكْبَةٌ مُصِيبَةٌ الْقَنْوُطُ الْيَأْسُ انْقَدَ انْقَطَعَ وَالسَّلَا بَفَتْحِ السَّيْنِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْوَالِدِ وَتَسْقُطُ مَعَهُ .

- قد مارست منى الخطوب مارساً يُساور الهول إذا الهول علا (١)
 لى التواء إن معادى التوى ولى استواء إن موالى استوى (٢)
 طعمى شرى للعدو تارة والراح والأرى لمن ودى ابتغى (٣)
 لدن إذ لوينت سهل معطى ألوى إذا خوشت مرهوب الشدا (٤)
 وصور عرض المرء أن يبذل ما صن به مما حواه وانتضى (٥)
 والحد خير ما اتخذت عُدَّة وأنفس الأذخار من بعد التقى (٦)
 وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بدّا (٧)
 والناس كالنبت فمنهم رائق غض نضير عوده مر الجنى (٨)
 ومنه ما تقتحم العين فإن ذقت جناه انساغ عذباً فى الجنى (٩)
 يقومُ الشارخ من زيغانه فيستوى ما انعاج منه وانحنى (١٠)
 والشيخ إن قومته من زيغه لم يقم التثقيف منه ما التوى (١١)
 كذلك الغصن يسير عطفه لدناً شديداً غمزه إذا عسا (١٢)
 من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعز عنهم جانباه واحتمى (١٣)

(١) مارست عاركت وضاربت ، الخطوب الأمور مارساً شديداً ، يساور الهول ويطاوله والحول الشدة ، علا ارتفع (٢) التواء انعواج ، معادى العدو ، الموالى الصديق الذى يوالى ، استوى اعتدل . (٣) شرى حنظل والأرى العسل الأبيض ابتغى طلب (٤) لدن لين ، لوينت أخذت باللين . (٥) انتضى اختار . (٦) عدة عمدة والأذخار جمع ذخر وهو المخبوء (٧) وكل قرن أى وكل أمة وناجم مرتفع . (٨) رائع معجب والفض الطرى الأخضر الناعم وكذلك النضير . (٩) تقتحم العين تتركه كرها له وتعدوه الى غيره وجناه ، اجتنى منه وانساغ سهل بلعه وعذبا حلوا واللها جمع لهاة وهى اللحمه المعلقة بأعلى الحنك . (١٠) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله (١١) من زيغه من ميله . لم يقم أى يقوم ، التثقيف التقويم ، ما التوى ما انعوج . (١٢) لدنا لينا والغمز التقويم عسا صلب . (١٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ، وعز عنهم والعزة والشدة احتفى امتنع .

- عبيد ذى المال وإن لم يطمعوا من غمره في جرعة تشفى الصدى (١)
 وهم لمن أملق أعداء وإن شاركهم فيما أفاد وحوى (٢)
 عاجمت أياى وما الغر كمن تآزر الدهر عليه واعتدى (٣)
 لا يرفع اللب بلا جد ولا يحطك الجهل إذا الجد علا (٤)
 من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوماً أو غدا (٥)
 من لم تفذه عبراً أيامه كان العمى أولى به من الهدى (٦)
 من قاس ما لم يره بما يرى أراه ما يدنو إليه ما نأى (٧)
 من ملك الحرص القياد لم يزل يكرع من ماء من الذل صرى (٨)
 من عارض الأطماع باليأس رنت إليه عين العز من حيث رنا (٩)
 من عطف النفس على مكروهاها كان الغنى قرينه حيث انتوى (١٠)
 من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطأ (١١)
 من ضيع الحزم جبي لنفسه ندامة ألدع من سفع الذكا (١٢)
 من ناط بالعجب عرى أخلاقه نيطت عرى المقت إلى هاتيك العرى (١٣)
 من طال فوق منتهى بسطته أعجزه نيل الدنى بله القضا (١٤)

(١) الغمر الماء الكثير الجرعة القليل من الماء تشفى تبرئ ، والصدى العطش (٢) أملق افتقر (٣) عاجمت أيامى أى امتحنتها واختبرتها الفرس الذى لم يجرب الأمور وتآزر من الأزار . (٤) لا يرفع اللب من الرفة أى لا تعلو منزلته واللب العقل وجمعه الباب . والجد بالفتح الحظ والبخت . (٥) راح أتى بالعشى . غدا أتى بالغدو (٦) من لم تفذه أى تكسبه عبراً جمع عبرة وهى التذكرة (٧) من قاس من مثل وأراد ما يدنو أى ما يقرب . ما نأى ما بعد (٨) القيادة الطاعة يكرع أى يشرب بفيه بدون آلة ، وصرى الماء الدائم الذى قد طال مكثه جمع صراة (٩) الأطماع جمع طمع ، واليأس انقطع الرجاء ورنت نظرت (١٠) عطف أمال ورد ، وقرينه صاحبه ، وحيث انتوى أى حيث نوى من النية بمعنى القصد وقيل من النوى وهو البعد . (١١) تقاصرت قصرت ، فسيحات واسعات والخطا جمع خطوة . (١٢) الحزم الاحتراس بالأفعال ندامة حسرة ، الذع أشد حرقه ، سفع احراق ، الذكا التهاب النار (١٣) ناط علق والصق . نيطت عقلت والمقت أشد الغضب (١٤) من طال من ارتفع ، البسطة الفضيلة ، أعجزه أضعفه .

- والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عني (١)
وللفتى من ماله ما قدّمت يده قبل موته لا ما اقتنى (٢)
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى (٣)
إني حلبت الدهر شطريه فقد أمر لي حيناً وأحياناً حلا (٤)
وفر عن تجربة نابي فقل في بازل راض الخطوب وامتنع (٥)
واللوم للحر مقيم رادع والعبد لا يردعه إلا العصا (٦)
وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا (٧)
كم من أخ مسخوطة أخلاقه أصفيتها الودّ لخلق مُرتضى (٨)
إذا بلوت السيف محموداً فلا تذممه يوماً أن تراه قد نبا (٩)
والطرف يجتاز المدى وربما عن لغداه عثار فكبا (١٠)
من لك بالمهذب النذب الذي لا يجد العيب إليه مختطى (١١)
إذا تصفحت أمور الناس لم تلف امرأة حاز الكمال فاكتفى (١٢)
عول على الصبر الجميل فإنه أمتع ما لا ذ به أولوا الحجا (١٣)
وعطف النفس على سبل الأسى إذا استفز القلب تبريح الجوى (١٤)

(١) عني: قصد أو لزم . (٢) اقتنى اكتسب . (٣) لمن وعى لمن حفظ .
(٤) حلبت الدهر جربته وشطريه نصفه وأراد بشطريه أول زمانه
وآخره ونعيمه وبؤسه (٥) وفر عن تجربة نابي أى كشف عن أمره وهذا
مأخوذ من قولهم فرعن الدابة إذا فتح فاهها ليعرف سنّها ويظهر صفرها من
كبرها ، البازل من الأبل الذى أتت عليه تسعة أعوام وراض الخطوب :
اذلها . (٦) اللوم بالفتح من الملامة وهى العتاب مقيم مصلح ، رادع كاف .
(٧) آفة العقل مضرتة ومفسدته والهوى الشهوة . (٨) مسخوطة من
السخط وهو ضد الرضا ، أقلقه طبائعه أصفيتها الود أخلصت له الود .
(٩) بلوت اختبرت ، نبا ارتفع عن المضرب ولم يقطع فيه شيئاً .
(١٠) الطرف بالكسر الكريم من الخيل يجتاز يجوز ، لغداه لجريه
وعثار مصدر عثر يعثر عثارا . (١١) المهذب العاقل الظريف والندب الرجل
الخفيف فى الحاجة . (١٢) تصفحت نظرت واستيقظت . لم تلف : لم تجد ،
اكتفى اجتزأ به . (١٣) عول على الصبر أى أرجع إليه واعتمد .
(١٤) الأسى : التصبر .

- والدهر يكبو بالفتى وتارة
لاتعجب من هالك كيف هوى
إن نجومَ المجد أمست أفلاً
إلا بقاء من أناس بهم
إذا الأحاديث انتضت أنباءهم
لا يسمع السامع في مجلسهم
ما أنعم العيشة لو أن الفتى
أو لو تحلى بالشباب عمره
والليل ملق بالمواي بركه
بحيث لا تهتدى لسمع نبأ
شايعتهم على السرى حتى إذا
قلت لهم : إن الهوى لنا غبها
وموحش الأقطار ظامٍ ملؤه
- ينهضه من عشرة إذا كبا (١)
بل فاعجب من سالم كيف نجبا
وظله القالض أضحى قد أرى (٢)
إلى سبيل المكرمات يقتدى (٣)
كانت كنشر الروض غاداه السدى (٤)
هجرًا إذا جالسهم ولا خنا (٥)
يقبل منه الموت أسناء الرشا (٦)
لم يستلبه الشيب هاتيك الحلى (٧)
والعيش ينبئن أفاحيص القطا (٨)
إلا نئيم البوم أو صوت الصدى (٩)
مالت أداة الرجل بالجيس الدوى (١٠)
وهن فجدوا تحمدوا غب السرى (١١)
مدعثر أعضاد مهزوم الجبا (١٢)

(١) يكبو يعثر (٢) أفلا غائبات ، القالض المرتفع وفرس قالس طويل القوائم أرى قصر ونقص (٣) يقتدى يتبع فعلهم (٤) انتضب أظهرت من نضا الشيء إذا ظهر : الانباء الأخبار ، النشر الرائحة الطيبة (٥) هجرًا بضم الهاء القبيح من القول وكذا الخنا أيضا . (٦) العيشة الحياة ، أسناء الرشا أرفعها وأعلاها . (٧) تحلى بالشباب لبسه وتزيانه . لم يجرده الحلى جمع حلية . (٨) المواي جمع مومة وهى القفر ، البرك الصدر ، العيس الأبيض من الإبل ينبئن يخرجن ، أفاحيص القطا أوكارها وواحد فحوص . (٩) نبأ الصوت الخفى ونئيم البوم صوته وانبوم الهام ، الصدى ذكر الهام (١٠) شايعتن تابعتن على رأيهم فى سير الليل . أداة الرجل حوائج الرجل ، الجيس الرجل الثقيل الجبان ، الدوى الأحقق . (١١) وهن ضعف فجدوا فاجتهدوا . (١٢) الوحش الأقطار يعنى به بشرًا أو حوضًا الموحش ضد المؤنس والأقطار النواحي وطام مرتفع ، مدعثر مهذوم الأعضاء ما حواله من صفائح الحجارة التى تعضده ، والجبا بفتح الجيم ما حول البئر أو الحوض

- كأنَّا الريش على أرجائه زرق نصال أرهفت لتمتهى (١)
 وردته والذئب يعوى حوله مستك سم السمع من طول الطوى (٢)
 ومنتج أم أبيه أمه لم يتخون جسمه مس الضوى (٣)
 أفرشته بنت أخيه فأنثت عن ولد يورى به ويشتوى (٤)
 ومرقب مخلوق أرجاؤه مستصعب المسلك وعر المرتقى (٥)
 والشخص فى الآل يرى لناظر ترمقه حيناً وحيناً لا يرى (٦)
 أوفيت والشمس تمجُّ ريقها والظل من تحت الحذاء مخذى (٧)
 وطارق يونسه الذئب إذا تضورَ الذئب عشاء وانضوى (٨)
 آوى إلى نارى وهى مألَف يدعو العفاة ضوءها إلى القرى (٩)
 لله ما طيف خيالها زائر تزفه للقلب أحلام الرؤى (١٠)
 يجرب أجواز الفلا محتقرا هول دجى الليل إذا الليل انبرى (١١)

(١) أرجاؤه نواحيه ، زرق نصال بيض نصال ، أرهفت رفقت . تمتهى تسقى الماء (٢) وردته يعنى وردت هذا الماء والهاء عائدة على الماء فى قوله طوم مأود . (٣) ومنتج يريد رب غصن منتج أى مولود ، أم أبيه أمه ، يريد غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للفصن بمنزلة الأب على استعارة والشجرة أم الفرع وأم الفصن لأنها منها فصارت أما لأبيه وأما له . (٤) أفرشته بنت أخيه حككت به غصنا آخر . (٥) مرقب الموضع العالى الذى ينظر منه الى بعد ومخلوق أملس (٦) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد ، والآل السراب . (٧) أوفيت أتيت ووصلت أى اليه وتمج تلقى ، ريقها لعائنها ، ولعاب الشمس انما يكون فى وقت الظهيرة . (٨) وطارق الذى يجىء بالليل وتضور صاح من الجوع . (٩) آوى الى نارى أى انضم الى نارى ومألَف الموضع الذى يجتمع فيه الأحباب والعفا طلاب المعروف . (١٠) لله ما طيف ، اللام فى هذا بمعنى التعجب وما زائدة ، والطيْف ما يراه النائم فى صور محبوبة ، خيال الشخص الذى يتخيل ذلك ، وتزفه تحمله (١١) يجوب يقطع أجواز ! وسطا والفلاجمع فلاة وهى القفر من الأرض ، والداجى الظلمة . وانبرى اعترض .

- سائله إن أفصح عن أنبائه
أو كان يدرى قبلها ما فارس
وسائلي بمزعجي في وطني
قلت : القضاء مالك أمر الفتى
لا تسألني واسأل المقدار هل
لا غرو إن لح زمان جائر
فقد ترى الناحل مخضرا وقد
يا هؤلأيا هل نشدتن لنا
ما أنصفت أم الصبيين التي
استحي بيضا بين أفوادك أن
هيهات ما أسفع (هاتا) زلة
يا رُبَّ ليل جمعت قطريه لي
- أنى تسدَّى الليل أم أنى اهتدى؟ (١)
وما مواميهأ القفار والقري (٢)
ما ضاق بي جنباه ولا نبا (٣)
من حيث لا يدرى ومن حيث درى
يعصم منه وزر ومزدرى
فاعترق العظيم المُمخَّ وانتى (٤)
تلقى أخا الاقتار يوما قد نما (٥)
ناقبة البرقع عن عيني طلا (٦)
أصبت أخا الحلم ولما يصطبي (٧)
يقتادك البيض اقتياد المهتدى (٨)
أطربا بعد المشيب والجل (٩)
بنت ثمانين عروساً تجتلي (١٠)

(١) سائله يعنى الخيال . وعن أنبائه يعنى عن أخباره وإن أفصح أى وإن أبان وإنى كيف تسدَّى قطع الليل بالسَّير ، وأم أنى اهتدى .
(٢) أو كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الدروة . وما فارس يريد بلاد فارس ، والموامى وأحدها مومة وهى الأرض المقفرة (٣) بمزعجى بمزيل ومخرجى وإيأى بمعنى عن فكأنه قال وسائلى عن مزعجى الجناح بفتح الجيم الناحية (٤) لاغرو لاعجب ، لح عرض فاعترض العظيم أى أزال عنه اللحم ، الممخ الذى فيه المخ ، انتقى استخرج منه ألبق وهو المخ (٥) القاحل اليابس ، أخا الاقتار المقل من المال وبما زاد واستغنى (٦) يا هؤلأيا هؤلأى ونشدتن طلبتن ناقبة البرقع أى المتقنع به (٧) ما أنصفت أم الصبيين هذا تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل والصبيان ما يتخايل فى يؤبؤ العين .
أصبت أخا الحلم أى رددته إلى الصبا . (٨) استحي فعل أمر من الاستحياء بمعنى الحياء وبيضا شيبا وبين أفوادك جمع فود ، والفودان جانب الرأس أى ناحيته من يمين وشمال والبيض الثانية النساء والمهتدى الأسير .
(٩) هيهات كلمة تبعيد وها إشارة للمؤنث ، وزلة خطيئة وسقطة ،
الجل بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (١٠) جمعت قطريه أى جانبيه أول الليل وآخره بنت ثمانين هنا الخمر وإنما جلوت بنت ثمانين لأنه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة وتجتلى من جلوت العروس وهو أظهارها .

- لم يملك الماء عليها أمرها ولم يدينسها الضرام المحتضى (١)
 حيناً هي الداء ، وأحياناً بها من دائها إذا يهيج يشتفى
 قد صانها الخمار لما اختارها ضنا بها على سواها واحتبى (٢)
 فهي ترى من طول عهد إن بدت في كأسها لأعين الناس كلاعى (٣)
 كأن قرن الشمس في ذُرورها بفعلاها في الصحن والكاس اقتدى (٤)
 نازعتها أروع لا تسطو على نديمه شرته إذا انتشى (٥)
 كأن نور الروض نظم لفظه مرتجلاً أو منشداً أو إن شدا (٦)
 من كل ما نال الفتى قد نلته والمرء يبقى بعده حسن الثنا (٧)
 فإن أعش صاحبُ دهرى عالما بما انطوى من صرفه وما انتشى
 وإن أمتُ فقد تناهت لذتى وكل شىء بلغ الحد انتهى (٨)

وقال المثقف العبدى الحكيم الجاهلى من قصيدة :

- لاتقولن إذا ما لم ترد أن تم الوعد فى شىء « نعم »
 حسن قول « نعم » من بعد « لا » وقبيح قول « لا » بعد « نعم »
 إن « لا » بعد « نعم » فاحشة فبلا فابدأ إذا خفت الندم
 وإذا قلت « نعم » فاصبر لها بنجاز الوعد إن الخلف ذم

(١) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حداثتها وسورتها ولم يغيرها والضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الفليظ والمحتضى العود تحرك به النار . (٢) صانها حفظها ، ضنا بخلا ، احتبى ستر . (٣) كلاعى يعنى أنه يعمى من نظر اليها فكيف من سربها (٤) قرن الشمس شعاعها ، ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس اذا طلعت والصحن القدر الكبير الواسع ، والكأس القدح اذا كان فيه خمر ، اقتدى اتبع أثره (٥) نازعتها ناولتها ، أروع الحسن المنظر الجميل لا تسطو لا تعدو النديم صاحب ، الشرة الحدة ، انتشى سكر (٦) نور الروض زهر الروض مرتجلاً الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد ، وشدا غنى ومنه الشادى . (٧) الثنا هنا الثناء وهو فى الأصل علم للخير والشر . (٨) تناهت لذتى بلغت النهاية .

أَكْرَمَ الجارِ وراعِ حقّه
 لا ترانِي راتِعاً من مجلس
 إن شَرَّ الناس من يمدحني
 وكلام سِيئٍ قد وقرت
 ولبعض الصّفح والإعراض عن
 إن عرفان الفتي الحق كرم
 في لحوم الناس كالسبع الضرم
 حين يلقاني وإن غبتُ شتم
 عنه أذناي وما بي من صمم
 ذى الخنا أبقي وإن كان ظلم

وَقَالَ الأَفَوْه الأَزْدِي أَحَدُ فُحُولِ شعراءِ الجاهلية وحكمائها :

البيت لا يبنى إلا على عمد
 فإن تجمع أوتاد وأعمدة
 لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
 تهدي الأمور بآهل الرأي ما صلحت
 إذا تولى سراة الناس أمرهم
 ولا عماد إذا لم تُرْس أوتادُ
 وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
 ولا سراة قوم جهالهم سادوا
 فإن تولت فبالأشرار تنقاد
 نما على ذاك أمرُ القوم فازدادوا

وَقَالَ الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ :

أما والله إن الظلم شؤم
 إلى الديان يوم الدين نمضي
 ستعلم في الحساب إذا التقينا
 ستنقطع اللذاذة عن أناس
 لأمر ما تصرمت الليالي
 سل الأيام عن أمم تقضت
 تروم الخلد في دار الدنيا
 تنام ولم تنم عنك المنايا
 لهوت عن الفناء وأنت تفنى
 تموت غدا وأنت قريير عين
 ولا زال المسئ هو الظلوم
 وعند الله تجتمع الخصوم
 غدا عند المليك - من الملوم ؟
 من الدنيا وتنقطع الهموم
 لأمر ما تحركت النجوم
 ستنبيك المعالم والرسوم
 فكم قد رام غيرك ما تروم
 تنبه للمنية يا نووم
 فما شيء من الدنيا يدوم
 من الشهوات في لجج تعوم

وقال :

عليك ببر الوالدين كليهما وبرّ ذوى القربى وبر الأباعد
ولا تصحبن إلا تقياً مهذباً عفيفاً ، ذكياً ، مُنجزاً للمواعيد
وقارن إذا قارنت حراً مؤدباً فتي من بنى الأحرار زينُ المشاهد
وكف الأذى واحفظ لسانك واتق فدينك في ودّ الخليل المساعد
ونافس ببذل المال في طلب العلى بهمة محمود الخلائق ماجد
وكن واثقاً بالله في كل حادث يصنك مدى الأيام من شر حاسد
وبالله فاستعصم ، ولا ترج غيره ولا تكُ في النعماء عنه بجاحد
وغض عن المكروه طرفك واجتنب أذى الجار واستمسك بحبل المحامد
ولا تبني في الدنيا بناءً مؤمل خلود فما حى عليها بخالد

وقال :

قدم لنفسك في الحياة تزوداً فلقد تفارقها وأنت مُودّع
واهتم للسفر القريب فإنه أنأى من السفر البعيد وأشنع
واجعل تزودك المخافة والتقى فلعن وقفك في مسائك أسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى والفقر مقرون بمن لا يقنع
واحد مصاحبة اللثام فإنهم منعوك صفو ودادهم وتصنعوا
أهل المودة ما أنلتهم الرضا وإذا منعت فسمهم لك منقع
لا تنفس سرا ما استطعت إلى امرئ يفشى إليك سرائراً يستودع
فكما تراه بسر غيرك صانعاً فكذا بسرّك لا محالة يصنع
لا تبدأن بمنطق في مجلس قبل السؤال ، فإن ذلك يشنع
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى ولعله خرقُ سفية أرقع
ودع المزاح فربّ لفظة مازح جلبت إليك بلابلاً لا تدفع

وحفاظ جار لا تضعه فإنه
وإذا استمالك ذو الإساءة عشرة
وإذا اتهمت على السرائر فاحفها
وأطع أباك بكل ما أوصى به

وقال :

صن النفس واحملها على مايزينها
ولا ترين الناس إلا تجملاً
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
يعز غنى النفس إن قل ماله
ولا خير في ود امرئ متلون
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله
فما أكثر الإخوان حين تعدهم

وقال عبد الله بن جعفر الطالبي :

إذا كنت في حاجة مرسل
وإن باب أمر عليك التوى
وإن ناصح منك يوماً دنا
وذا الحق لا تنتقص حقه
ولا تذكر الدهر في مجلس
وكم من فتى عازب لبه
وآخر تحسبه أنوكا

وقال أبو الأسود الدؤلي التابعي :

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم

وترى اللبيب محسداً لم يجترم
وكذاك من عظمت عليه نعمة
فاترك مجاراة السفية فإنها
فإذا جريت مع السفية كما جرى
وإذا عتبت على السفية ولمته
يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء لدى السقام وذى الضنى

كما يصحُّ به ، وأنت سقيم
وأراك تصلح بالرشاد عقولنا
لا تنه عن خلقي وتأتى مثله
أبدأ بنفسك فانها عن غيبها
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى
بالعلم منك ، وينفع التعليم

وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ ، وأمه الخنساء الشاعرة :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
ويعجبك الطير فتبتليه
فما عظم الرجال لهم بفخر
بغاث الطير أكثرها فراخا
ضعاف الطير أطولها جسوماً
لقد عظم البعير بغير لب
يصرفه الصبي بكل وجه
فإن أك في شراركم قليلا
وفى أثوابه أسد مزير
فيخلف ظنك الرجل الطير
ولكن فخرهم كرم وخير
وأُمُّ الصقر مقلادة نزور
ولم تطل البزاة ولا الصقور
فلم يستغنِ بالعظم البعير
ويحبسه على الخسف الجير
فإني في خياركم كثير

وقال الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رضى الله تبارك وتعالى عنه :

دع الأيام تفعل ما تشاء	وطب نفساً إذا حكم القضاء
ولا تنزع لحادثة الليالي	فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلدا	وشيمتك الساحة والسخاء
يُغَطِّي بالساحة كل عيب	وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حُزْنَ يدوم ولا سُرُورٌ	ولا عسر عليك ولا رخاء
ولا ترى الأعادي قط. ذلاً	فإن شامة الأعداء بلاء
ولا ترجُ الساحة من بخيلٍ	فما في النار للظمان ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى	وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع	فأنت وما لك الدنيا سواء
ومن نزات بساحته المنايا	فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن	إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٣٩ هـ ، يوصى أبناءه :

ابنى ، إني قد كبرت ورأيت	بصرى ، وفي لمنظر مُسْتَمْتِعْ
أوصيكم بثنى الإله فإنه	يُعْطى الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره	إن الأبر من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهله	ضاقت يداه بأمره ، ما يصنع ؟

ودعوا الضغائن ، لا تكن من شائكم

إنَّ	الضغائنَ للقرابةِ توضع
يُزجى عقاربَه ليبعث بينكم	حرباً كما بعث العروق الأخدعُ
إن الذين تروهم إخوانكم	يشقى غليل صدورهم أن تُضرعوا
وإذا مضيتُ إلى سبيل فابعثوا	رجلاً له قلب حديد أصمُعُ

إن الحوادث تخترمَنَ وإنما عمر الفتى في أهله مُستودع
يسعى ويجمع جاهداً مهتترا جدا ، وليس بآكل ما يجمع!

وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١١ من قصيدة :

وما بعض الإقامة في ديارٍ يُهان بها الفتى إلا بلاءٍ
وبعض خلائِقِ الأَقْوامِ داءٌ كداءِ البطن ليس له دواءُ
يريد المرءُ أن يعطى مُناه ويأبى الله إلا ما يشاءُ
وكل شديدةٍ نزلت بقومٍ سيأتى بعدَ شدتها رخاءُ
ولا يعطى الحريص غنى لحرص وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى وفقّر النفس ما عمرت شقاءُ
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مُزِرٌ بصاحبه السخاءُ
وبعض الداءِ ملتمس شفاءٍ وداءُ النوك ليس له شفاءُ

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ :

المرءُ يجمع والزمان يُفرِّقُ ويظل يرقع والخطوب تمزقُ
ولأن يُعادى عاقلاً خيراً له من أن يكون له صديق أحقُّ
فاربأ بنفسك أن تصادقَ أحمقا إن الصديق على الصديق مُصدّقُ
وزنِ الكلام إذا نطقت فإنما يبدى عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أخلافهم

مَنْ يُسْتَشَارَ - إذا اسْتَشِيرَ - فَيُطْرَقُ

حتى يحلَّ بكلِّ واد قلبه فيرى ويعرف مايقولُ فينطقُ
ما الناس إلا عامِلانِ ، فعامل قدمات من عطش ، وآخر يغرقُ
والناس في طلب المعاش وإنما بالجد يُرزق منهم من يُرزقُ
لو يرزقون الناس حسب عقولهم أَلْفيت أكثر من ثرى يتصدّقُ

لكنه فضل المليكِ عليهم
وقال أيضاً :

صَرمَت حبالكَ بعد وَضَلِكَ زِينب
وكذاك وصل الغانيات فإنه
فدع الصبا فلقد عداك زمانه
ذهب الشباب فما له من عودة
دع عنك ما فات في زمن الصَّبا
واخش مناقشة الحساب فإنه
والليل ، فاعلم ، والنهار كلاهما
لم ينسه المثلكان حين نسيته
والروح فيك وديعة أودعتها
وغرور دنياك التي تسعى لها
وجميع ما حصلته وجمعه
تُبًّا لدار لا يدوم نعيمها
لا تَأْمَنُ الدهر الخوون لأنه
وكذلك الأيام في غصاتها
ويفوز بالمال الحقير مكانة
ويُسَرُّ بالترحيب عند قدومه
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد
كم عاجز في الناس يأتي رزقه
فعليك تقوى الله فالزمها تفز
واعمل بطاعته تنل منه الرضا

والدهر فيه تصرم وتقلب
آل يبلقعة وبرق خلْبُ
واجهد ، فعمرك مر منه الأطيب
وأنى المشيب فأين منه المهرب
واذكر ذنوبك وابكها يا مُذنب
لأبد يحصى ما جنيت ويكتب
أنفاسنا فيه تُعد وتحسب
بل أثبتاه ، وأنت لاه تلعب
ستردها بالرغم منك وتُسلب
دار حقيقتها متاع يذهب
حقاً يقيناً بعد موتك يُنهب
ومشيدها عما قليل يعرب
ما زال قدماً للرجال يُهذب
مَضْضُ يذلُّ له الأعز الأنجب
فتراه يُرجى ما لديه ويرغب
ويقام عند سلامه ويُقرب
في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
رَغْداً ويُحَرِّمُ كيِّس ويخيب
إن التَّقَى هو البهى الأهب
إن المطيع لربه لمقرب

أدّ الأمانة ، والخيانة فاجتنب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً
واعلم بأنّ دعاءه لا يُحجب
وإذا أصابك في زمانك شدة
فادع لربك إنه أدنى لمن
واحذر مؤاخاة الدنيّ لأنّه
واختر صديقك واصطفيه تفاخراً
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً

إن الكذوب لبئس خلاً يُصحب

وذر الحسود وإن تقادم عهده
واحفظ لسانك واحترز من لفظه
فالحقد باق في الصدور مغيب
فالمرء يسلم باللسان ويعطب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
والسرّ فاكتمه ولا تنطق به
واحرص على حفظ القلوب من الأذى

فرجوعها بعد التنافر يصعب

إن القلوب إذا تنافر ودها
واحذر عدوك إذ تراه باسم
شبه الزجاجة كسرها لا يُشعب
فاليث يبلو نابه إذ يغضب
لا خير في ودّ امرئ مُتملق
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنّه بك واثق
وإذا توارى عنك فهو العقرب
وخشيت فيها أن يضيّق المكسب
فارحل فأرض الله وأربعة الفضا
طولا وعرضاً شرقها والمغرب

وقال أبو الفتح البستي المتوفى ببخارى سنة ٤٠٠ هـ :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان
ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكن على الدهر معواناً لذى أمل يرجو نذكاً فإن الحرَّ معوان
واشدد يدك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان
من يتق الله يحمد في عواقبه ويكفه شرُّ من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله في طلب فإن ناصره عجزٌ وخذلان
من كان للخير مناعاً فليس له على الحقيقة خِلالٌ وأخذان
من جاد بالمال جاد الناس قاطبة إليه ، والمال للإنسان فتان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جذلان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ، ولحصد الزرع إبان
من استناب إلى الأشرار نام وفي ردائه منهم صلٌّ وثعبان
كن رقيقاً البشر إن الحر همته صحيفةٌ وعليها البشر عنوان
وارفق الرفق في كل الأمور فلم يندم رفيق ولم يذمه إنسان
ولا يغرنك حظ. جره خرق فالخرق هدم ورفق المرء بنيان
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمه والحر بالعدل والإحسان يزدان
صنْ حر وجهك لاتهتك غلالته فكل حر لحر الوجه صوان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

لا ظل للمرء يعرى من نهي وتنى
والناس أعوان من والته دولته
«سُحبان» من غير مال باقل حصر
لاتودع السر وشاء به مذلا
لاتستشر غير ندبٍ حازم يقظ.
فللتدابير فرسان إذا ركضوا
وللأمور مواقيت مقدرة
فلاتكن عجلا في الأمر تطلبه
كفى من العيش ما قد سد من عوز
وذو القناعة راض من معيشته
حسب الفتى عقله خِلا يعاشره
إذا نبا بكريم موطن فله
يا ظلما فرحا بالعز ساعده
يا أيها العالم المرضى سيرته
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج
لا تحسبن سرورا دائما أبدا
وكل كسر فإن الدين يجبره

وإن أظلمته أوراق وأفنان
وهم عليه إذا عادته أعوان
و «باقل» في ثراء المال سحبان
فما رعى غنما في الدو سرحان
قد استوى فيه إسرار وإعلان
فيها أبروا كما للحرب فرسان
وكل أمر له حد وميزان
فليس يُحمد قبل النضج بحران
ففيه للحر قنيان وغنيان
وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
إذن تحاماه إخوان وخِلان
وراءه في بسيط الأرض أوطان
إن كنت في سنة فالدهر يقظان
أبشر فأنت بغير الماء ريان
فأنت ما بينها لا شك ظمان
من سره زمن ساءته أزمان
وما لكسر قناة الدين جبران

* * *

وقال ابن أبي بكر المقرئ المتوفى سنة ٧٨٥ هـ :

زيادة القول تحكى النقص في العمل
إن اللسان صغير جرمه وله
عقل الفتى ليس يغنى عن مُشاورة

ومنطق المرء قد يهديه للزلل
جرم كبير كما قد قيل في المثل
كحدّة السيف لا تغنى عن البطل

إن المشاور إما صائب غرضاً
 لا تحقر الرأي يأتيك الحقيق به
 ولا يغرنك وُدُّ من أخى أمل
 لا تجزعن لخطب ما به حيل
 وقدر شكر الفتى لله نعمته
 وإن أخوف نهج ما خشيت به
 لا تفرحن بسقطات الرجال ولا
 وقيمة المرء ما قد كان يُحسنه
 وكل علم جناه ممكن أبداً
 والمال صُنه وورثة العدو ولا
 فخير مال الفتى مال يصون به
 وأفضل البر ما من لا يتبعه
 أو مخطيء غير منسوب إلى الخطئ
 فالنحل وهو ذباب طائر العسل
 حتى تجربه في غيبة الأمل
 تغنى وإلا فلا تعجز عن الحيل
 كقدر صبر الفتى للحادث الجلل
 ذهاب حرية أو مرتضى عمل
 تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول
 فاطلب لنفسك ماتلو به وصل
 إلا إذا اعتصم الإنسان بالكسل
 تحتج حياتك للإخوان في الأكل
 عرضاً وينفقه في أشرف السبل
 ولا تقدمه شيء من المطل

* * *

وقال الإمام على الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ :

واعجباً للمرء في لذته
 يزجره الوعظ. فلا ينتهى
 يبارز الله بعصيانه
 وإن يقع في شدة يبتهل
 إرغب لمولاك وكن راشداً
 واتل كتاب الله مهد به
 لا تحرصن فالحرص يزرى بالفتى
 والحظ. لا تجلبه حيلة
 يجرُّ ذيل التيه في خطوته
 كأنه الميت في سكرته
 جهرا ولا يخشاه في خلوته
 فإن نجا عاد إلى عادته
 واعلم بأن العز في خدمته
 واتبع الشرع على سنته
 ويذهب الرونق من بهجته
 كيف يخاف المرء من فوتته ؟

ما فاتك اليوم سيأتى غدا ما فى الذى قدّر من حيلته
والرزق مضمونٌ على واحدٍ مفاتيح الأشياء فى قبضته
قد يرزق العاجز مع عجزه ويحرمُ الكيس من فطنته
لا تنهر المسكين يوماً أُنّى لقد نهاك الله عن نهرته
إن عضك الدهر فكن صابرا

على الذى نالك من عضته
أو مسك الضرّ فلا تشتكى إلا لمن تطمع فى رحمته
لسانك احفظه وصن نطقه واحذر على نفسك من عشرته
قالصمت زينٌ ووقارٌ وقد يؤتى على الإنسان من لفظته
من أطلق القول بلا مُهلة لا شك أن يعثر فى عجلته
من لزم الصمت نجا سالماً لا يندم المرء على سكنته
من أظهر الناس على سره يستوجب الكيُّ على مُقلته
من مازح الناس استخفوا به وكان مذموماً على مزحته
من جعل الخمر شفاءً له فلا شفاءُ الله من علته
من نازع الأقيال فى أهرهم بات بعيد الرأس عن جُثته
من لاعب الثعبان فى كفه هيهات أن يسلم من لسعته
من عاشر الأحق فى حاله كان هو الأحق فى عشرته
لاتصحب النذل فتردى به لا خير فى النذل ولا صُحبته
من اعتراك الشكُّ فى جنسه وحاله فانظر إلى شيمته
من غرس الحنظل لا يرتجى أن يَجتنى السكر من غرسته
من جعل الحق له ناصرا أيده الله على نصرته

وقال أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ :

أَنلهو وأيامنا تذهب ؟ ونلعبُ والموت لا يلعب
عجبتُ لذى لعب قد لها عجبت ومالى لا أعجب
أَيْلهو ويلعب مَنْ نفسه تموت ومنزله يخرب
نرى كل ما ساعنا دائماً على كل ما سرنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنهار ولم ندر أيهما أطلب
أحاط الجديدان جميعاً بنا فليس لنا عنهما مهرب
وكلُّ له مدَّة تنقضى وكل له أثر يكتبُ

قال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ :

الجد فى الجد والحرمان فى الكسل
واصبر على كل ما يأتى الزمان به
وجانب الحرص والأطماع تحظ بما
ولا تكونن على ما فات ذا حزن
واستشعر الحلم فى كل الأمور ولا
وإن بُليت بشخص لا خلاق له
ولا تمار سفيهاً فى محاوره
ولا يغرك من يبدى بشاشته
وإن أردت نجاحاً كل آونة
إن الفتى من بماضى الحزم متصفٌ
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها
ولا يضيع ساعات الزمان فلن
فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
صبر الحسام بكف الدارع البطل
ترجو من العزِّ والتأييد فى عجل
ولا تظل بما أوتيت ذا جذل
تسرع ببادرة يوماً إلى رجل
فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ولا حليماً لكى تقضى عن الزل
إليك خدعا فإنَّ السمَّ فى العسل
فاكتمْ أمورك عن حاف ومنتعل
وما تعود نقص القول والعمل
حتى يقدَّ أديم السهل والجبل
يعود ما فات من أيامه الأول

ولا يُراقب إلا من يراقبه ولا يصاحب إلا كل ذى نبل
 ولا يعد عيوناً للورى أبداً بل يعتنى بالذى فيه من الخل
 ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً بل التجارب تهديه على مهل
 ولا يصد عن التقوى بصيرته لأنها للمعالى أوضح السبل
 فمن تكن حلة التقوى ملابسه لم يخش فى دهره يوماً من العطل
 من لم تفده صروف الدهر تجربة فيما يُحاول فليسكن مع الهمل
 من سألته الليالى فليثق عجلاً منها بحرب عدو جاء بالحيل
 من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته ومن رمى بسهاب العجب لم ينل
 من جاد ساد وأحيا العالمون له بديع حمد بمدح الفعل مُتَّصِل

وقال حسام الدين الواعظى المتوفى سنة ٩٩٠ هـ :

من ضيع الحزم فى أفعاله ندماً وظل مكتئباً والقلب قد سقماً
 ما المرء إلا الذى طابت فضائله والدين زينٌ يزين العاقل والفهما
 والعلم أنفسُ شئٍ أنت ذاخره فلا تكن جاهلاً تستورث الندما
 تعلم العلم واجلس فى مجالسه ما خاب قط. لبيبٌ جالس العلما
 والوالدين فأكرم تنج من ضرر ولا تكن نكدا تستوجب النكما
 ولازم الصمت لاتنطق بفاحشة وأكرم الجار لاتهتك له حرماً
 واحذر من المزح تنج من خطر كم من صديقين بعد المزح فاخصما
 وصبر النفس وارشدها إذا جهلت

وإن حَضرت طعاماً لاتكن نهما

وقال عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده :

إِعْتَزِلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزَلِ وَقُلْ الْفَصْلَ وَجَانِبَ مِنْ هَزَلِ
 وَدَعْ الذِّكْرَ لَأَيَّامِ الصَّبَا فَلَأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلُ

واترك الغادة لاتحفل بها تمس فى عز رفيع وتجل
وافتكرك فى منتهى حُسن الذى أنت تهواه تجد أمرا جلل
واهجر الخسرة إن كنت فتي

كيف يسعى فى جنون من عقل ؟
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرى إلا وصل
ليس مَنْ يقطع طرقا بطلا إنما مَنْ يتقى الله البطل
كتب الموت على الخلق فكم فل من جيش وأفنى من دول
أين نمرود وكنعان ومن ملك الأرض وولى وعزل ؟
وأين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل ولم تغن القلل !
وأين أرباب الحجى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأول ؟
سعيدُ الله كلا منهم وسيجزي فاعلا ما قد فعل
أطاب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكلل
واحتفل للفقه فى الدين ولا تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل
فى ازدياد العلم إرغامُ العدا وجمال العلم إصلاحُ العمل
جمل المنطق بالنحو فمن

يحرّم الإعراب بالنطق اختبل

إنظم الشعر ولازم مذهبي فى اطراح الرفد لا تبغ النحل
فهو عنوان على الفضل وما أحسن الشعر إذا لم يُبتذل
وأنا لا أختارُ تقبيل يد قطعها أجمل من تلك القبل
مُلك كسرى عنه تغنى كسرة وعن البحر اجتزاء بالوشل

إطرح الدنيا فمن عاداتها تخفض العالى وتعلّى من سفلى
 عيشةُ الراغب فى تحصيلها عيشةُ الجاهل فيها أو أقل
 كم جهول بات فيها مُكثراً وعليم بات منها فى علل
 كم شجاع لم ينل فيها المنى وجبان نال غايات الأمل
 فاترك الحيلة فيها واتكل إنما الحيلة فى ترك الحيل
 لا تقل أصلى وفصلى أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل
 قد يسود المرء من دون أب

وبحسن السبك قد ينفى الدغل

إنما الورد من الشوك وما ينبتُ النرجس إلا من بصل
 قيمة الإنسان ما يُحسنه أكثر الإنسان منه أم أقل
 بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين إن زاد قتل
 ليس يخلو المرء من ضدّ ولو حاول العزلة فى رأس الجبل
 دار جارَ سوء بالصبر وإن لم تجد صبراً فما أحلى النُّقل
 جانب السلطان واحذر بطشه لا تعاند من إذا قال فعل
 إن نصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام هذا إن عدل
 قصر الآمال فى الدنيا تفز فدلّيلُ العقل تقصيرُ الأمل
 غب ، وزر غيباً تزد حباً فمن أكثر الترداد أقصاه الملل
 لا يضر الفضل إقلالٌ كما لا يضر الشمس أطباق الطفل
 خذ بنصل السيف واترك غمده واعتبر فضل الفتى دون الحُلل
 حُبك الأوطان عجزٌ ظاهر فاغترب تلق عن الأهل بدل
 فبمكث الماء يبقى آسناً وسرى البدر به البدرُ اكتمل

- وقال العميد أبو إسماعيل الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ (١) :
- أصالة رأى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل (٢)
- مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل (٣)
- فيم الإقامة بالزوراء ، لاسكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى (٤)
- ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عرى متناه عن الخل
- فلا صديق إليه مشتكى حربى ولا أنيس إليه منتهى جدلى (٥)
- طال اغترابى حتى حن راحلتى ورحلها وقرا العسالة الذبل (٦)
- وضج من لغب نضوى وعج لما ألقى ركابى ولجَّ الركب فى عدلى (٧)

(١) هو العميد أبو إسماعيل الحسين بن على الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ . (٢) صانتنى : حفظتنى والخطل : الخطأ . (٣) مجد وشرف وشرع سواء وراد الوقت الذى بعد العصر وقبل الغروب ، « المعنى » شرفى وقت تجردى من الامارة وشرفى وقت تسربلى بها سواء ان حالى كالشمس فى كون ضوئها وقت الضحى مخالفا لضوئها وقت الطفل ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئاً ، يفخر بدوام شرفه على اختلاف الأزمان . (٤) الزوراء : اسم لبغداد وناء بعيد ، وصفر خال ، وعرى جرد ، والخل كسوة غمد السيف . (٥) الجذل السرور ، المعنى : اعتزلنى الناس ببغداد فلم يأو الى بها حبيب ابث اليه كدرى من جور الزمان فيفرجه عنى ويساعدنى على صرفه ولا سمير أوصل اليه فرحى فيزيد سرورى ويدفع وحشتى . (٦) حسن مال ، والراحلة ما يرحل عليه من الابل مذكرا كان أو مؤنثا ، والرحل العدة التى يركب عليها وقرا ظهره والعسالة الاهتزاز والذبل الجافة . (٧) ضج صوت ، واللفب التعب ونضوى أى منضوى بمعنى مهزول وعج صوت ولج تمادى : والعذل اللوم « المعنى » امتدى بعدى حتى صوت من أجل تعب ركوبتى وصوت لمثل ما صادف من تعب السفر ابل أصحابى الذين معى فيه وتمادوا فى لومى على هذا السفر الذى امتد ولم ينته الا لى أطلب بامتداد بعدي عن وطنى ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتى .

أريد بسطة كف أستعين بها	على قضاء حقوق للعلى قبلى
والدهر يعكس آمالى ويُقنعنى	من الغنيمة بعد الكد بالقفل (١)
وذى شطاظ كصدر الرمح معتقل	بمثله غير هيباب ولا وكل (٢)
حلو الفكاهة مر الجد قد مُزجت	بشدة البأس منه رقة الغزل (٣)
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته	والليل أغرى سوام النوم بالمقل (٤)
والركب ميل على الإكوار من طرب	صاح وآخر من خمر الكرى ثمل (٥)
فقلت : أدعوك للجلى لتنصرنى	وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل (٦)
تنام عيني وعينُ النجم ساهرة	وتستحيل وصبغُ الليل لم يحل (٧)
فهل تعينُ على غى هممتُ به	والغى يزجر أحيانا عن الفشل (٨)
إنى أريد طروق الحى من إضم	وقد حماه رُماة من بنى ثعل (٩)

(١) يعكس يرد ويقنعنى يرضينى والكد التعب والقفل الرجوع ، « المعنى » : والزمن يرد على ما أرجوه ويجعلنى بعد التعب فى السفر والتغريب راضيا بالرجوع بدل الغنيمة التى هى مطمح نظرى فى تكبد المصاعب . (٢) شطاظ اعتدال القامة ومعتقل قابض وهيباب خواف ووكل عاجز ، « المعنى » : ورب صاحب اعتدل قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شىء من شئونه ، التفت الى وصف صاحب له بهذه الأوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلقاء من الالتفات من فن الى آخر تنشيطا للسامع .

(٣) مزجت خلطت والبأس الشجاعة ، ورقة الغزل لطف الكلام . (٤) طردت أبعدت وسرح الكرى وثباته والورد الموصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسوداء والبيضاء وأغر أولع ، وسوام ثبات .

(٥) ميل منحنى وطرب نشط وثل سكران ، « المعنى » : وأصحابى منحنون على رحالهم ، فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر خمل متشاغل من تغلبه عليه . (٦) الجلى الأمر العظيم ،

وتخذلنى نتركنى والحادث الجلل العظيم . (٧) تستحيل تتحول وصيغ ظلام الأمر ويحل ينتقل . (٨) غى ضلال ، ويزجر يمنع ،

« المعنى » : قد غفرت ما حصل من تقصيرك فى شأنى بنومك فهل تساعدنى على ضلال أردته ولا تخش عقابه بالذم على فعله .

(٩) الطروق المجيء ليلا والحي القبيلة ، واضم اسم جبل وحماه منعه ، ورماة كسعاة خفراء ، ونعل قبيلة من طيء .

- يحمون بالبيض والسمر اللدان به سود الغدائر حمر الحلى والحلل (١)
 فسر بنا فى ذمام الليل مُعتسفاً فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل (٢)
 فالحبُّ حيثُ العدا والأسدُ رابضة حولَ الكناس لها غاب من الأسل (٣)
 نوؤمُ ناشئة بالجزع قد سُقيت نصالها بمياه الغنج والكحل (٤)
 قد زاد طيب أحاديث الكرام بها ما بالكرائم من جبن ومن بخل
 تبيتُ نار الهوى منهنّ فى كبد حرّى ونار القرى منهم على القلل (٥)
 يقتلن أنضاء حب لا حراكَ بهم وينحرون كرام الخيل والإبل (٦)
 يُشنى لديغ العوالى فى بيوتهم بنهلة من غدِير الخمر والعسل (٧)
 لعلّ لى إلمامة بالجزع ثانية يدبُّ منها نسيم البرء فى علل (٨)
 لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت برشفة من نبال الأعين النجل (٩)

(١) البيض : السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة ، الغدائر الضفائر من الشعر ، والحل ما تتحلّى به المرأة ، والحلل الثياب المزركشة .
 (٢) ذمام كفالة ، ومعتسفاً متكلفاً طريقاً غير مألوف ، والحلل بيوت القوم التى يجلونها . (٣) الحب : المحبوب ورابضة واقفة ، والكناس بيت الضبى الغاب شجر يسمى بالأسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الأسود ، « المعنى » : المحبوب فى مكان به الرقباء ورجال الحى مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه .
 (٤) نوؤم نقصد والجزع منعطف الوادى ، والنصال السيوف والفنج حسن شكل انعيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة « المعنى » نقصد بسيرنا قبيلة تربض فى منعطف الوادى قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل . (٥) القرى : اكرام الضيف ، والقلل : جمع قلعة وهى أعلى الجبل . (٦) ان نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن ، ورجالها لفرط كرمهم يذبحون جياد الأفراس والجمال لضيافتهم . (٧) أى يبرأ من قتل فى جهن بأول شربة من ريق ثغرهن . (٨) المامة نزولا ويدب يسرى .
 (٩) أكره أبفض ، والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح ، وشفعت قرنت ورشفة ونبال السهام المراد بها هنا اللحاظ والنجل الواسعات ، « المعنى » . لا أبفض الوخزة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها .

- ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى
ولا أخلُّ بغزلان تغازلنى
حبُّ السلامة يثنى عزمَ صاحبه
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا
ودع غمار العلى للمقدمين على
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة
فادراً بها فى نحور البید جافلة
إن العلى حدثتنى وهى صادقة
لو أن فى شرف المأوى بلوغ مُنى
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً
لعله إن بدا فضلى ونقصهم
أعلل النفس بالآمال أرقبها
لم أرْتُ العيش والأيام مقبلةً
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها
وعادة السيف أن يزهى بجوهره
- باللمح من خلل الأستار والكلل (١)
ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل (٢)
عن المعالى ويغرى المرء بالكسل (٣)
فى الأرض أو سلماً فى الجوفاعتزل (٤)
ركوبها واقتنع منهن بالبلل (٥)
والعزُّ عند رسم الأينق الذلل (٦)
معارضات مثانى اللجم بالجدل (٧)
فما تحدّث أن العز فى النقل (٨)
- لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
والحظ عنى بالجهال فى شغل
لعينه نام عنهم أو تنبه لى
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
فكيف أرضى وقد ولت على عجل
فضننتها عن رخيص القدر مبتذل
وليس يعمل إلا فى يدى بطل

- (١) الصفاح : السيوف ، وخلل النقب الخفيف النافذ فى الشئ والكلل ستر يحاط به شبه الناموسية ، « المعنى » : ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لى بخفيف نظرى لها من ثقبوب أستار بيوتهن وحجراتهن . (٢) أى لا أترك النظر من خلل الأستار الى نساء هذه القبيلة التى تحدثنى ولو أصابتنى شجعانها بالهلاك فجأة . (٣) أى الرغبة فى النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتشاقل والفتور عنها . (٤) النفق كجبل سرب فى الأرض له منفذ من مكان آخر . (٥) غمار كثير والبلل القليل . (٦) رسم سرعة ، والأينق الذلل أى الابل المروضة التى ليست بجموحة . (٧) أدفع بهذه الأتق فى أوائل الصحارى ، مسرعة مقابلات بأرمتها أمتة الخيل تصحبها فى السير أى غير متأخرة عنها فيه . (٨) النقل التحول والانتقال .

ما كنت أؤثر أن يمتد بى زمنى حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
 تقدمتنى أناس كان شوطهم وراء خطوى لو أمشى على مهل
 هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل
 فإن علانى من دونى فلا عجب لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
 فاصبر لها غير محتال ولا ضجير فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل
 أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
 فإنما رجل الدنيا وواحد من لا يعول فى الدنيا على رجل
 وحسن ظنك بالأيام معجزة فظن شراً وكن منها على وجل
 غاض الوفاء وفاض الغدر وانفجرت مسافة الخلف بين القول والعمل
 وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوج بمعتدل
 إن كان ينجع شئ فى ثباتهم على العهود فسبق السيف للعدل
 ياوارداً سور عيش كله كدر أنفقت صفوك فى أيامك الأول
 فم اقتحامك لج البحر تركبه ؟ وأنت تكفيك منه مصة الوشل
 ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
 ترجو البقاء بدار لا ثبات بها فهل سمعت بظل غير منتقل ؟
 ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً أصمت فى الصمت منجاة من الدل
 قد رشحك لأمر إن فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل

* * *

وقال المرحوم عبد الله فكرى يخاطب نجله المرحوم أمين :
 إذا نام غر فى دجى الخطب فاسهر وقيم للمعالى والعوالى وشمر
 وخلّ أحاديث الأمانى فإنها علالة نفس العجز المتحير
 وسارع إلى مارمت مادمت قادرا عليه فإن لم تبصر النجح فاصبر

ولا تأت أمراً لا ترجى تمامه
وأكثر من الشورى فإنك إن تصب
ولا تستشر فى الأمر غير مجرب
ولا تبغ رأياً من خؤون مخادع
فمن يتبع فى الخطب خدعة خائن
ومن يتبع فى أمره رأى جاهل
ولا تصغ فى رد الصديق لكاذب
ولا تغترر تندم ولا تك طامعاً
وعود مقال الصدق نفسك وارضه
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن
ولا تقف زلات العباد تعدها
ولا تتعرض لاعتراض عليهم

ولا موردأ ما لم تجد حسن مصدر
تجد مادحاً أو تخطىء الرأى تعذر
لأمثاله أو حازم متبصر
ولا جاهل عز قليل التدبر
يعض بنان النادم المتحسر
يقده وإن يعرض لك الشك فاخبر
نوم وإن يعرض لك الشك فاخبر
تذل ولا تحقر سواك تحقر
تصدق ولا تركن إلى قول مفترى
لكفيك فى الإنفاق إمساك مقتر
فلست على هذا الورى بمسيطر
دع الخلق للخلاق تسلم وتوَجّر

* * *

وقال عبد القيس بن خفاف البرجمى المتوفى سنة ٥١ هـ :

ابنى إن أباك كارب يومه
أوصيك إيصاء امرئ لك ناصح
الله فاتقه وأوف بنذره
والضيف أكرمه فإن مبيته
واعلم بأن الضيف مخبر أهله
وصل المواصل ما صفا لك وده
واحذر محل السوء لا تحلل به
واستأن تظفر فى أمورك كلها

فإذا دعيت إلى المكارم فاعجل
طبن بريب الدهر غير مغفل
وإذا حلفت مमारياً فتحلل
حق ولا تك لعنة للنزل
بمبيت ليلته وإن لم يسأل
واجذ حبال الخائن المتبدل
وإذا نبا بك منزل فتحول
وإذا عزمت على الهدى فتوكل

واستغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة ، فتحمل
 وإذا افتقرت فلا تكن متجشعاً ترجو الفواضل عند غير المفضل
 وإذا تشاجرَ في فؤادك مرة أمران فاعمد للأعف الأجل
 وإذا هممت بأمر سوء فائتد وإذا هممت بأهل خير فاعجل

* * *

وقال فقيه اللغة ناصيف بن عبد الله اليازجي اللبناني المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ :

دع يوم أمس وخذ في شأن يوم غد واعدد لنفسك فيه أفضل العدد
 واقنع بما قسم الله الكريم ولا تبسط يديك لنيل الرزق من أحد
 والبس لكل زمان بردة حضرت حتى تحاك لك الأخرى من البرد
 ودر مع الدهر وانظر في عواقبه حذار أن تبتي عيناك بالرمد
 متى ترى الكلب في أيام دولته فاجعل لرجليك أطواقاً من الزرد
 واعلم بأن عليك العار تلبسه من عضه الكلب لا من عضه الأسد
 لاتأمل الخير من ذي نعمة حدثت فهو الحريص على أثوابه الجدد

* * *

وقال مؤلف هذا الكتاب السيد أحمد الهاشمي معارضاً لامية الطغرائي :

عليك بالصبر والإخلاص في العمل ولازم الخير في حل ومُرحل
 وجانب الشر واعلم أن صاحبه لا بد يجزاه في سهل وفي جبل
 واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا تركن إلى فشل في ساعة الوهل
 وكن كرضوى لما يعرفوك من نوب ولا تكن جازعاً في الحادث الجلل
 واصبر على مضض الأيام محتملاً ففيه قرع لباب النجح والأمل
 تأن متئداً فيما تروم ولا تعجل وإن خلق الإنسان من عجل
 لاتطلب العز في دار ولدت بها فالعز عند رسم الأيُنق الدلل

شمر وجِدَّ لِأَمْرٍ أَنْتَ طَالِبُهُ إِذْ لَا تَنَالُ الْمَعَالَى قَطُّ بِالْكَسَلِ
واحذر مساوئِ أَخْلَاقٍ تَشَانُ بِهَا وَأَسْوَأُ السُّوءِ سُوءُ الْخُلُقِ وَالْبَخْلِ
واخفض جناحك للمولى وَجُدْ وَنَلْ مَا أَقْبَحَ الْكِبَرِ وَالْإِمْسَاكُ بِالرَّجْلِ
لَا تَسْأَلِ النَّدْلَ ، وَاقْصِدْ مَا جَدَّ حَدَبًا

فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ وَلَا تَجَادَلْ جَهُولًا لَيْسَ يَفْهَمُ مَا
تَقُولُ فَالْشَّرَّ كُلَّ الشَّرِّ فِي الْجَدَلِ وَلَا تَكُنْ لِنَزُولِ الْخُطْبِ مُضْطَرَبًا
فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنْ الْحِيلِ الْجُودُ أَحْسَنُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ خُلُقٍ
وَالْعَفْوُ أَتَقَى لِدَاءِ الضَّغْنِ وَالِدَخْلِ وَالْحِلْمُ مَلَحُ فُسَادِ الْأَمْرِ يَصْلَحُهُ
وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشْلِ لَا تَقْتَحِمْ غَمَرَاتِ الْبَحْرِ مَرْتَكِبًا
وَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعى مَعَ الْهَمْلِ وَلَا تَعَاشِرْ سِوَى حَزْمٍ أَخَا ثِقَةٍ
بَلْ حَازِرِ النَّاسِ وَاصْحَبِهِمْ عَلَى دَخْلِ لَا تَنْخَدِعْ لِصَدِيقٍ يَدْعَى مَلَقًا
وِظَنٍ شَرًّا وَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى وَجَلِ لَا تَتَأَمَّنْ أَحَدًا وَاحْذَرْ مَكَائِدَهُمْ
فَهَلْ سَمِعْتَ بِظُلٍّ غَيْرٍ مُنْتَقِلِ وَلَا تَغْرَنْكَ الدُّنْيَا بِزَهْرَتِهَا
بِالطَّبْعِ ، لَا بِاقْتِنَاءِ الشَّاءِ وَالْإِبْلِ إِنْ الْغَنَى غَنَى النَّفْسِ فِي كَرَمِ
كَمَا تَضُرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَعْلِ إِنْ الصَّنِيعَةُ لِلْأَنْدَالِ تَفْسِدُهُمْ
وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَلْلِ مَرَارَةَ النَّصِيحِ تَحْلُو لِي مِضَاضَتِهَا
لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكُحْلِ دَعِ التَّكْلِفَ لَا يُجَدِّدُكَ مِنْفَعَةٌ
فِي أَرْفَعِ الْعَيْشِ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ أَرَى الرِّعَاءَ رِعَاءَ الشَّاءِ فِي تَرْفٍ
إِلَى الطَّغَامِ شَرَارِ النَّاسِ وَالسُّفْلِ وَسَادَةُ الْعَصْرِ قَدْ أَلْقَوْا مَقَالِدَهُمْ
وَحَكَمُوا كُلَّ ذِي جَهْلٍ أَنْخَى خَبِلِ تَحَكَّمُوا فِي قِضَايَا النَّاسِ وَاحْتَكَمُوا
كِبَاقِلُ مِثْلًا فِي الْعِيِّ وَالْخُطْلِ مِنْ كُلِّ غَرٍّ جَهُولٍ لَا يَرَى رَشْدًا

القبضُ والبسطُ فى أيدي ذوى شططٍ

من كلِّ سكران من خمر الهوى تمل

تسطو الكلابُ على أسدِ الشرى سفها

والبازُ الاشهب يعشى صولة الحجل

والقرد يضحك من نمر على هزءٍ

نال المرامَ علوجٌ لاخلق لهم

أملئ لهم دهرهم فاستمهلوا أبدا

شرُّ العصور زمانٌ يستمد به

لا يعلم الرشد من غى وليس له

يشكو الطوى كل ذى فضل وذى أدب

وسوفةُ الناس فى رغد وفى جدلٍ

مانى وللبلدِ الحمقاء أسكنها

وليس لى ناقةٌ فيها ولا جملٌ

لا يستقيمُ وفاقٌ لى بمثلهم

قد ذقتهم وبكوت الحال عندهم

لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت

(أضحت مواعيد عرقوب لهم مثلا)

أشكو الزمان وأهليه وأمقتهم

ساعات سريرتهم . حالت طريقتهم

علم بلا عمل . حكم بلا حكم ،

الإفك والزورُ والبُهتان عندهم

الكذب مستحسن والصدق عندهم

والكلب يُوعِدُ ليث الغيلِ بالغيلِ

فوق المؤمل من شب ومكتهل

مرخى لهم من مُرُوع العيش والطولِ

خبٌ لثيمٌ غدا فى الشر كالثملِ

سوى الشرارة فى قول وفى عملِ

مساكناً لذوى خرق أولى حيلِ

وليس لى ثم من ثور ولا حملِ

وهل يطابق مُعْوجٌ بعتدل ؟

فما حصلتُ على صاب ولا غسلِ

مسافة الخلف من قول ومن عملِ

وما مواعيدهم إلا على دَخلِ

إذ سوء أفعالهم أو فى على القللِ

زاغت بصيرتهم عن أقوم السبلِ

ظلم على عجل ، وعدٌ على مهلِ

والسعى فى الأرض بالافساد والخللِ

مستهجن من صفات العاجز الوكلِ

أَهْنَى الطَّعَامَ لِحُومِ النَّاسِ عِنْدَهُمْ وَالنَّمَّ فِيمَا لَدَيْهِمْ شُرْبَةَ الْعَسَلِ
نَكِثَ الْعُهُودَ سَجَايَاهُمْ وَدَأَّبَهُمْ خَلَفَ الْوَعُودَ وَذَا مِنْ أَسْوَأِ الثَّقَلِ
يَا دَهْرَ مَالِكٍ وَالْأَحْرَارَ تَقْهَرُهُمْ تَذَلُّ كُلِّ كَرِيمٍ الْأَصْلَ مُقْتَبِلِ
حَتَّى مَتَى يَا زَمَانَ السُّوءِ تَفْعَلْ مَا تَشِيبُ بِهِ النَّوَاصِي غَيْرَ مُحْتَمَلِ
تَوَخَّرَ الْفَاعِلُ الْمَرْفُوعَ تَحْفَظُهُ مُقَدِّمًا لِمُفَاعِيلٍ عَلَى الْبَدَلِ
وَسَاقَةَ الْجَيْشِ قَدْ أَضْحَتْ مُقَدِّمَةً مِثْلَ التَّلِيلِ غَدَا فِي مُؤَخَّرِ الْكِفْلِ
فَلَسْتُ أَحْفَظُ فِي ذِي الدَّهْرِ مِنْ أَسَفٍ أَطَالَ أَيَّامَ عَمْرِي أَمْ دَنَا أَجَلِي
وَاهَا لِقَلْبِي بَيْنَ يَوْمِ الْبَيْنِ إِذْ ظَنُّوا فَالْعَيْنُ فِي لَجَجٍ وَالْقَلْبُ فِي شَعْلِ
كَيْفَ التَّصَبُّرِ مَنْ نَارِي نَوَى وَجَوَى؟ وَفِي الْحِشَانِكِ جُرْحٌ غَيْرُ مَنْدَمِلِ
فَقَدْ فَقَدْتُ الْإِلَى كَانَتْ بِبَهْجَتِهِمْ نُورَ النَّوَاطِرِ فِي الْأَحْدَاقِ وَالْمَقْلِ
لَمْ أَكْتَحِلْ بِقَرَارٍ بَعْدَ مَا ارْتَحَلُوا وَلَا ابْتِغَيْتُ لَهُمْ فِي النَّاسِ مِنْ بَدَلِ
وَلَمْ يَبْقَ لِي الدَّهْرُ بَعْدَ الْبَيْنِ مِنْ جِلْدٍ مَا أَسْتَطِيعُ بِهِ تَوَدِيعَ مَرْتَحِلِ
وَلَا مِنْ الْغَمُضِ مَا أَقْرَى الْخِيَالِ بِهِ وَلَا مِنْ الدَّمْعِ مَا أَبْكِي عَلَى طَلَلِ
قَلْبِي عَلَى لَهَبٍ وَالْجِسْمِ فِي نَصَبِ وَالرُّوحِ فِي وَصَبٍ وَاللَّبِّ فِي ذَهْلِ
حَسْبِيَ الْغَرَامُ حَلِيفُ وَالْجَوَى أَبْدَا مُنَادِمًا ، وَسَمِيرٌ غَيْرُ مُنْفَصِلِ
خَذَهَا مُحَبَّرَةً غِيْدَاءَ غَالِيَةٍ أَنْتَ عَلَى عَجَلٍ كَالْقَابِسِ الْعَجَلِ
جَاءَتْ مِنْ (الْهَاشِمِيِّ) لَا تَبْتَغِي مَهْرًا مِنْ خَاطِبِ لُبْنَانَ النُّظْمِ فِي عَطَلِ

* * *

وقال محمد اليمنى الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ :

لَا تَحْتَقِرَنَّ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرَبَّمَا تَبَوَّتِ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعِقَارِبِ
وَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بَقْلِيْسٍ هَدَّهَدَ وَخَرَبَ حَفَرَ الْفَأْرَ سَدَّ مَأْرَبِ

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من الإنفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معترك يكر علينا جيشه بالعجائب
وما راغنى غدر الشباب لأننى أنست بهذا الخلق من كل صاحب
وغدر الفتى فى عهده ووفائه وغدر المواضى فى نبو المضارب

وقال الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ :

سامح أخاك إذا خلط. منه الإصابة بالغلط.
وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوماً أو سقط.
واحفظ. صنيعةك عنده شكر الصنيعة أو غمط.
وأطعه إن عاصى ، وهن إن عز ، وادن إذا شحط.
واقن الوفاء ولو أخـلـل بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبت مهذباً رمت الشطط.
من ذا الذى ما ساء قط. ومن له الحسنى فقط. ؟

وقال أيضاً :

اسمع أخى وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة فى مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتملى وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
فهناك إن تر ما يشين فواره كرماً وإن تر ما يزين فأفشه
واعلم بأن التبر فى عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحه نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلاً لصقال ملبسه ورونق رقصه
أو أن تهين مهذباً فى نفسه لدروس بزته ورثة فرشه

الباب التاسع فى العلم

قال مؤيد الدين الأصبهانى المعروف بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ :
 من قاس بالعلم الثراء فإنه فى حكمه أعمى البصيرة كاذب
 العلم تخدمه بنفسك دائما والمال يخدم عنك فيه نائب
 والمال يسلب أو يببىد لحادث والعلم لا يخشى عليه السالب
 والعلم نقش فى فؤادك راسخ والمال ظل عن فنائك ذاهب
 هذا على الإنفاق يغزر فيضه أبدا وذلك حين تنفق ناضب

العلم أشرف شئ قاله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
 تعلم العلم واعمل يا أخى به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من التلف
 يا صاحب العلم مهلا لاتدنسه بالموبقات ، فما للعلم من خلف
 العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

لو كان نور العلم يدرك بالمنى ما كان يبقى فى البرية جاهل
 اجهد ولا تكسل ولاتك غافلا فندامة العقبي لمن يتكاسل

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم دون القبور قبور
 وإن امرأ لم يحى بالعلم قلبه فليس له حتى النشور نشور

لكل مجد فى الورى نفع فاضل وليس يفيد العلم من دون عامل
 يسابق بعض الناس بعضاً بجدهم وما كل كره بالهوى كره باسل
 إذ لم يكن نفع لذى العلم والحجا فما هو بين الناس إلا كجاهل

كذلك إذا لم ينفع المرء غيره يُعدُّ كشوك بين زهر الخمائل

يا ساعيا وطلابُ المال همته
عليك بالعلم لا تطلب له بدلا
والعلم يجدى ويبقى للفتى أبداً
هذاك عز وذا ذل لصاحبه
إني أراك ضعيف العقل والدين
واعلم بأنك فيه غير مغبون
والمال يفنى وإن أجدى إلى حين
ما زال بالبعد بين العز والهون

العلم زين وتشريف لصاحبه
كم سيد بطل آباؤه نجب
ومقرف خامل الآباء ذى أدب
العلم كنز وذخر لا فناء له
قد يجمع المال شخص ثم يحرقه
وجامع العلم مغبوط به أبداً
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
فاطلب هديت فنون العلم والآداب
كانوا الرؤوس فامسى بعدهم ذنباً
نال المعالي بالآداب والرتبا
نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
عما قليل فيلقى الذل والحربا
ولا يحاذر منه القوت والسلبا
لا تعدلن به درا ولا ذهباً

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب
فالعلم طوق النهى به شرفاً
كم يرفع العلم أشخاصاً إلى رتب
العلم كنز فلا تفنى ذخائره
فالعلم فاطلب لكي يجديك جوهره
يزداد رفع الفتى قدرا بلا طلب
والجهل قيد له يبليه باللعب
ويخفض الجهل أشرافاً بلا أدب
والمرء ما زاد علماً زاد بالرتب
كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهب

العلم زين فكن للعلم مكتسباً
اركن إليه وثق بالله وأغن به
وكن فتى سالكا محض التقى ورعا
وكن له طالباً ما عشت مقتبساً
وكن حليماً رزين العقل محترساً
للدين مغتتما في العلم منغمساً

فمن تخلق بالآداب ظلَّ بها رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا

الناس من جهة التمثال أكفاء
فإن يكن لهم فى أصلهم شرف
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
وإن أتيت بجود ذوى نسب
ففضز بعلم تعيش حيا به أبداً
أبوهم آدم والأُم حواء
يُفخرون به فالطين والماء
على الهدى لمن استهدى أدلاء
والجاهلون لأهل العلم أعداء
فإن نسبتنا جود وعلياء
الناس موتى وأهل العلم أحياء

العلم يغرس كل فضلٍ فاجتهد
واعلم بأن العلم ليس يناله
إلا أخو العلم الذى يزهو به
فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً
فلعل يوماً أن حضرت بـمجلس
ألا يفوتك فضل ذاك المغرس
من همه فى مطعم أو ملبس
فى حالتيه عارياً أو مكتسى
واهجر له طيب الرقادِ وعبس
كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

وقال المرحوم أحمد شوقى بك فى العلم والمعلم والتعليم :

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلَا
أَعْلَمْتُ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَ مِنَ الَّذِي
سَبَّحَانِكَ اللَّهُمَّ ، خَيْرَ مُعَلِّمٍ
أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ
وَطَبَعْتَهُ بِيَدِ الْمُعَلِّمِ ، تَارَةً
أَرْسَلْتَ بِالتَّوْرَةِ مُوسَى مُرْشِداً
وَفَجَّرْتَ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ مُحَمَّدًا
كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا
بَيْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا ؟
عَلِمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونِ الْأُولَى
وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينَ سَبِيلَا
صَدَّأَ الْحَدِيدِ ، وَتَارَةً مَصْقُولَا
وَابْنَ الْبُتُولِ فَعَلِمَ الْإِنْجِيلَا
فَسَقَى الْحَدِيثَ وَنَاوَلَ التَّنْزِيلَا

علمت يوناناً ومصر فزالتا
والיום أصبحنا بحال طُفولة
من مشرق الأرض الشمس تظاهرت
يا أرض مُدُّ فقد المعلم نفسه
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم
فى عالم صحب الحياة مُقيداً
صَرَعته دنيا المستبد كما هوت
سُقراط أعطى الكأس وهى منية
عرضوا الحياة عليه وهى غباوة
إن الشجاعة فى القلوب كثيرة
أُعلمى الوادى وساسة نشئه
والحاملين إذا دعوا ليُعلموا
ونيت خطأ التعليم بعد محمد
حتى رأينا مصر تخطو إصبعها
تلك الكفور وحشوها أُمية
نجد الذين بنى المسلة جدتهم
ويُدللون إذا أُريد قيادتهم
يتلو الرجال عليهم شهواتهم
الجهل لا تحيا عليه جماعة
ربوا على الإنصاف فتبان الحمى
فهو الذى يبني الطباع قويمة
وتقيم منطق كل أعوج منطق

عن كُلِّ شمس ما تريد أفولاً
فى العلم تلتمسانه تطفيلاً
ما بال مغربها عليه أديلاً
بين الشمس وبين شرقك حيلاً
واستعذبوا فيها العذاب وبيلاً
بالفرد، مخزوماً به ، مغلولاً
من ضربة الشمس الرؤوس ذهولاً
شفقى محب يشتهى التقبيلاً
فأبى وآثر أن يموت نبيلاً
ووجدت شجعان العقول قايـ
والطابعين شبابه المأمولاً
عبء الأمانة ، فادحاً مسئولاً
ومشى الهوينا بعد إسماعيلاً
فى العلم ، إن شئت المماليك ميلاً
من عهد (خوفو) لم تر القنديلاً
لا يُحسنون لإبرة تشكيلاً !
كالْبُهْم تأنس إذ ترى التدليلاً
فالناجحون أَلْذَم ترتيلاً
كيف الحياة على يدى عزريلاً ؟
تجدوهم كهف الحقوق كهولاً
وهو الذى يبني النعوس عدولاً
ويريد رأياً فى الأمور أصيلاً

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى
وإذا المعلم ساد لحظ بصيرة
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى
وإذا أُصيب القوم فى أخلاقهم
إنى لأعذرکم وأحسب عيبكم
وجد المساعد غيرهم وحرمتهم
وإذا النساء نشأن فى أُمية
ليس اليتيم من انتهى أبواه من
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما
إن اليتيم هو الذى تلقى له

روح العدالة فى الشباب ضئيلاً
جاءت على يده البصائر حولا
ومن الغرور فسمه التضليلاً
فأقم عليهم مأتماً وعويلاً
من بين أعباء الرجال ثقيلاً
فى مصرعون الأمهات جليلاً
رضع الرجال جهالة وخمولا
هم الحياة . وخلفاه ذليلاً
وبحسن تربية الزمان بديلاً
أما تخلت أو أباً مشغولاً

* * *

الباب العاشر فى العقل

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
ولربما طعن الفتى أقرانه
ألم تر أن العقل زين لأهله
ولكن تمام العقل طول التجارب

يقول لك العقل الذى زين الفتى
ولاقيه بالترحيب والبشر والقرى
وقبل يد الجانى التى لست قادراً
إذا لم تكن تقدر عدوك داره
وبارك له مادمت تحت اقتداره
على قطعها وارقب سقوط جداره

العقل حلة فخر من تسربلها
والعقل أفضل ما فى الناس كلهم
كانت له نسباً تغنى عن النسب
بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شئ يُقاربه
يعيش الفتى بالعقل فى الناس إنه على العقل يعجرى علمه وتجاربه
يشين الفتى فى الناس قلة عقله وإن كرمته أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهب الله لامرئ هبة أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن عُدما فإن فقد الحياة أجمل به

يُعدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً وإن لم يكن فى قومه بحسب
وإن حل أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل فى بلدة بغريب

من كان ذا مال ولم يك عاقلاً فذاك حمار حملوه من التبر
أرى العقل مرآة الطبيعة إذ به نرى صور الأشياء فى عالم الفكر

ذو العقل فى معترك الأقدار مقتدر لكن ذا الجهل مغلوب ومغلول
وعقل ذى الجزم مرآة الأمور بها يرى الحقائق ، والمجهول مجهول

وعقول الأنام لو تستوى لم يك فرق بين الغبى والنبيه
محور الأرض لو غدا مستقيماً لتساوى النهار والليل فيه

* * *

الباب الحادى عشر فى الأدب

قال أبو تمام فى مكارم الأخلاق :

إذا جاريت فى خلق دنيئاً فأنت ومن تجاربه سواء
رأيت الحرَّ يجتنب المخازى ويحميه عن الغدر الوفاء

وما من شدة إلا سيأتى لها من بعد شدتها رخاء
 لقد جربت هذا الدهر حتى أفادتني التجارب والعناء
 يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء
 إذا لم تخش عاقبة الليالى ولا تستح فاصنع ما تشاء
 وقال أيضاً فى الحرية :

سأصرف وجهى عن بلاد غداها لسانى معقولا وقلبي مقفلا
 وإن صريح الحزم والرأى لأمرىء إذا بلغته الشمس أن يتحوّلا
 وقال أبو فراس الحمدانى فى نتيجة الاختبار والتجارب :

لا أشتري بعد التجارب صاحباً إلا وددت بأننى لم أشره
 وتركتُ حلو العيش لم أحفل به لما رأيت أعزه فى مرّه
 والمرء ليس بغانم فى أرضه كالصقر ليس بمائد فى وكره

قال أبو العلاء المعرى فى الشيوخ المتظاهرة بالصلاح :

لئن قدرت فلا تفعل سوى حسن بين الأنام وجانب كل ما قبحا
 فكم شيوخ غدواً بيضاً مفارقهم يُسبّحون وباتوا فى الخنا سبّحا
 وليس عندهم دينٌ ولا نُسكٌ فلا تغرك أيدى تحملُ السّبّحا
 لو تعقل الأرض وددت أنها صُفرت منهم فلم ير فيها ناظر شبحا

وقال الطغرائى فى المقارنة بين العدو والحسود :

جامل عدوك ما استطعت فإنه بالرفق يطمع فى صلاح الفاسد
 واحذر حسودك ما استطعت فإنه إن نمت عنه فليس عنك براقد
 إن الحسود وإن أراك تودّداً منه أضّر من العدو الحاقد
 وأربما رضى العدو إذا رأى منك الجسار فصار غير معاند

ورضا الحسود زوال نعمتك التى
أوتيتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره
ترمى حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكل نفسها
حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفو على المحسود نعمة ربه
ويذوب من كمد فؤاد الحاسد
وقال ابن الرومى فى عدم الإكثار من الأصحاب :

عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثر من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدواً
مبيناً والأمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير طيب كانت
مصاحبة الكثير من الصواب
وقال فى الانفراد والوحدة :

ذقت الطعوم فما التذت براحة
من صحبة الأخيار والأشرار
أما الصديق فلا أحب لقاءه
حذر القلى وكراهة الإعوار
وأرى العدو قذى فأكره قرنه
فهجرت هذا الخلق عن أعذار
من جور إخوان الزمان سرورهم
يتفاضل الأحوال والأخطار
لو أن إخوان الصفاء تناصفوا
لم يفرحوا بتفاضل الأعمار
أحب قوماً لم يحبوا ربهم
إلا لفردوس لديه ونار ؟ !
وقال المتنبى يلفت نظر العقلاء إلى طلب المعالى :

إذا غامرت فى شرف مَرُوم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل
وتلك خديعة الطبع اللثيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى
ولا مثل الشجاعة فى الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

وقال بشار بن برد فى وصف الأخ الحقيقى :

خير إخوانك المشارك فى المـــــــر وأمين الشريك فى المرّ أيننا ؟
الذى إن شهدت شرك فى الحــــى وإن غبت كان أذنّاً وعينا
مثل سر الياقوت إن مسه النا ر جلاه البلاء فازداد زينا
أنت فى معشر إذا غبت عنهم بدلوا كل ما يزينك شينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للأنام ودّاً صحيحاً عاد كل الورى زورا ومينا

وقال أبو العتاهية فى صنع الجميل مع الناس :

خير أيام الفتى يوم نفع واصطناع الخير أبقى ما صنع
ما ينالُ الخير بالشر ولا يحصد الزارع إلا ما زرع
خذ من الدنيا الذى دَرَّتْ به وسل عما بان منها وانقطع
إنما الدنيا متاع زائل فاقصد فيه وخذ منه ودع
وارض للناس بما ترضى به واتبع الحق فنعم المتبع
وقال أيضاً :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبى
لكل شىء زينة فى الورى وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه فينا وإن كان وضع النسب

وأنشد أبو عبد الله نبطويه لنفسه فى كون التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر :

أرأى أنسى ما تعلمت فى الكبر ولست بناس ما تعلمت فى الصغر
وما العلم إلا بالتعلم فى الصبا لأننى فيه العلم كالنقش فى الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كلّ قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء إلا اثنان : عقل ومنطق فمن فاته هذا وهذا فقد دَمَرَ (١)
وما ينشد لخلف الأحمر (٢) فى كون ميراث العلم أبقى من ميراث المال :
خير ما ورث الرجال بنبيهم أدب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والأو راق (٣) فى يوم شدة ورخاء
تلك تفنى ، والدين والأدب الصا لح لا يفنيان حتى اللقاء (٤)
إن تَأَدَّبْتَ يابُنَى صغيراً كنت يوماً تُعَدُّ فى الكبراء
وإذا ما أَضَعْتَ نفسك أَلْفِيَةً (٥) كبيراً (٦) فى زمرة الغوغاء
ليس عطفى للعود إن كان رَطْباً وإذا كان يابساً بسواء
ومن شعر المنصور الفقيه فى كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر :
أيها الطالبُ الحريص تعلم إن للحق مذهباً قد ضلته
ليس يجدى عليك علمك إن لم تكُ مستعملاً لما قد علمته
قد لعمرى اغتربت فى طلب العلم وحاولت جمعه فجمعه
ولقيت الرجال فيه وزاحم ت عليه الجميع حتى سمعته
ثم ضيَّعت أو نسيت ، وما يَنْدُ فعُ علم نسيت أو أَضَعْتَه
وسواءُ عليك علمك إن لم يُجد نفعاً عليك أم ما جهلته
إلى كم تخادع النفس جهلاً ثم تجرى خلاف ما قد عرفته
تصف الحق والطريق إليه فإذا ما عَمِلْتَ خالفت سمته
وقال محمود سامى البارودى فى انتهاز الفرصة :

بادر الفرصة واحذر فواتها فبلوغ العز فى نيل الفرص
واغتنم عُمرَكَ إِبَّانَ الصبا فهو إن زاد مع الشيب نقص

(١) أى هلك . (٢) كان راوية للشعر والأدب وشيخاً من
شيوخ النحويين البصريين ، توفى سنة ١٨٠ هـ . (٣) جمع ورق
مثلثة وهى الدراهم الضرورية من الفضة . (٤) يوم اللقاء أى لقاء الله
وهو يوم القيامة . (٥) أى وجدت . (٦) نصب على الحال .

وابتدر مسّعاك واعلم أنّ من
 واجتنب كل غبي مائق فهو كالغير (١) إذا جدّ قمض
 إنما الجاهل فى العين قذى حيثما كان ، وفى الصدر غصص
 واختبر من شئت يعرفه . فما يعرف الأخلاق إلا من فحص
 إن ذا الحاجة إن لم يغترّب عن حماه مثل طير فى قفص

وقال أبو إسحاق إبراهيم الغزى فى كون الحركة بركة (٢) :

بمسيرة نقص الهلال ، وزادا فاجعل كراك (٣) إذا اعتزمت سهادا (٤)
 لولا انصلات (٥) البيض (٦) من أغمادها (٧) مشحودة لم تفضل الأغمادا
 وفضيلة الحيوان فى حركاته لولا منفعه لكان جمادا
 ما العمر إلا راحل وأظنه اتخذ الشبيبة للمسافة زادا
 لا تخلعن عن اللسان لجامه وتوق فرط جماحه المعتادا
 فالله خص الاستماع بآلة مثنى ، وجارحة الكلام فرادى

وقال أبو نصر عبد العزيز نباتة السعدى (٨) فى طلب العلا :

حاول جسيات الأمور ، ولا تقل إن المحامد والعلا أرزاق
 وارغب بنفسك أن تكون مقصرا عن غاية فيها الطلاب سباق

(١) الحمار . (٢) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان السكلى
 شاعر مجيد صاحب مطولات ولد بغزة سنة ٥٢٤هـ ، وتصرفت به الأحوال
 فذهب الى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٤هـ . (٣) الكرى النوم .
 (٤) السهاد السهر . (٥) تجرد . (٦) السيوف .

(٧) جمع غمد وهو قراب السيف . (٨) هو أبو نصر عبد
 العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة ، وينسب الى سعد تميم وعد فى شعراء
 سيف الدولة الحمدانى ، وله ديوان حافل ، توفى سنة ٤٠٥هـ ببغداد ،
 وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

لا تشفقنَّ فإنَّ يومك إنَّ أنى ميقاته لم ينفع الإشفاق
وإذا عجزت عن العدو فداره وامزجْ له إنَّ المزاح وفاق
فالنارُ بالماء الذى هو ضدها تُعطى النضاج ، وطبعها الإحراق

وقال المعتمد بن عباد فى وجوب التضحية لفدية الوطن :

إنَّ يسلب القوم العدى وطنى وتسليمنى الجموع
فالقلبُ بينَ ضلوعه لم تُسلم القلبَ الضلوع
قد رُمت يوم نزالهم ألا تحصنى الدروع
وبرزتُ ليس سوى القم يص على الحشا شئٌ دفوع
أجلى تأخر لم يكن بهوى ذلٍّ والخضوع
ما سِرتُ قط. إلى القتا ل وكان من أملى الرجوع
شيمُ الأولى أنا منهمُ والأصل تتبعه الفروع

وقال موسى بن عبد الله فى وجوب عدم الثقة بالغير :

تولت بهجة الدنيا فكلُّ جديدها خلق
وخان الناس كلُّهمُ فما أدرى بمن أثق
رأيت معالم الخير ات سُدَّتْ دونها الطرق
فلا أدبٌ ولا كرمُ ولا فضلٌ ولا خلق
فلستُ مُصدِّقُ الأقوا م فى شئٍ وإنَّ صدقوا

وقال الأبيوردى الأموى المتوفى عام ٥٥٧ هـ بخراسان فى تقلب الزمان :

ملكنا أقاليمَ البلاد فأذعنْتَ لنا رغبة أو رهبة عظماءها
فلما انتهت أيامنا علقْتَ بنا شدائدُ أيامٍ قليل رخاؤها
وصِرْنَا نلاقى النائباتِ بأوجه رفاق الحواشى كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا أن نبوح بما جَنَّت علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

وقال القاضي عبد الوهاب في دوام الخير بين الناس ما داموا درجات ،
فإذا تساؤوا هلكوا :

مَتَى تَصَلُّ الْعِظَاشُ إِلَى ارْتِيَاءٍ إِذَا اسْتَقَمَتِ الْبِحَارُ مِنَ الرِّكَايَا
وَمَنْ يَثْنَى الْأَصَاغِرَ عَنْ مَرَادٍ وَقَدْ جَلَسَ الْأَكْبَرُ فِي الزُّوَايَا
وَإِنَّ تَرْفُعَ الْوُضْعَاءِ يَوْمًا عَلَى الرُّفْعَاءِ مِنْ إِحْدَى الْبَلَايَا
وَإِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالَى فَقَدْ طَابَت مُنَادِمَةُ الْمَنَايَا

وقال سعيد بن محمد في كون عمل الإنسان يدل على أصله :

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَنَا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالَ بِالْدَمِ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَعْمٌ وَنَصْفَحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّعَاوُنَ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
وَقَالَ مَعْنُ بْنُ أَوْفَى فِي لزوم التحفظ. بآثار الآباء والجدود :

وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءٍ صِدْقٍ أَسَانَا فِي جَوَارِهِمُ الصَّنِيعَا
إِذَا الْمَجْدُ الرَّفِيعُ تَوَارَثَتْهُ بُنَاةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا

وقال الإمام الشافعي في المن والأذى وتعداد صنائع الإحسان :

يَحْمِلَنَّ لِمَنْ يَحْمَدُ نَ مِنْ الْأَنَامِ عَلَيْكَ مِنْهُ
وَاخْتَرُ لِنَفْسِكَ حَقَّهَا وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جُنَّةٌ
مَنْ الرِّجَالِ عَلَى الْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ وَقَعِ الْأَسِنَّةِ

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني في وصف النفوس الأبية :

وَقَالُوا تَوَصَّلْ بِالْخَضِرِ إِلَى الْغَنَى وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْخَضِرَ هُوَ الْفَقْرُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمَالِ شَيْئَانِ حَرَمًا عَلَيَّ بِالْغَنَى : نَفْسِي الْأَبِيَّةُ وَالْدَهْرُ
إِذَا قِيلَ هَذَا الْيَسْرُ أَبْصُرْتُ دُونَهُ مَوَاقِفَ خَيْرٍ مِنْ وَقُوفِي بِهَا الْعُسْرُ

وقال الشريف الرضي في كون المال خادماً للإنسان

اشْتَرَى الْعِزَّ بِمَا يَبِيعُ فَمَا الْعِزُّ بِغَالٍ

ليس بالمغبون عقلا مُشترٍ عِزاً بـمال
إنما يدخرُ المـالُ لحاجاتِ الرجال
والفتى من جعل الأمـةَ وال أثـمان المـالِ

وقال أبو تمام فى كون العز والمجد لاينالان إلا بالتعب والجـد :

قد علمنا أن ليس إلا بشقِّ الذـنـب
فس صار الكريمُ يُدعى كريـما
طلب المجد يُورث المرءُ خـبـلا
وهـموماً تقضـقـض الحـيـزومـا
فتراد وهو الخـلـى شـجـياً
وتراه وهو الصـحـيـح سـتـيـما
تيمـتـه العـلا فليس يـعـدُّ البـ
ؤس بؤساً ولا النـعـيم نـعـيـما

وقال مخيس بن أرطاة فى لزوم تجنب الإنسان كل ما يُعاب :

عَرَضْتُ نصيحة منى ليحيى
فقال غششتنى والنصحُ مُر
وما بى أن أكون أعيب يحيى
ويحيى طاهرُ الأخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيى
يُقال عليه بقاء شر
فقلت له تجنب كل شئ
يُعاب عليك إن الحرَّ حرُّ

وقال ابن هانئ (متنبى الغرب) فى أن ليس للإنسان إلا ما سعى :

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه
فمن كان أسعى كان بالمجد أجـدراً
وبالهمة العلياء ترقى إلى العلى
فمن كان أعلى همة كان أظـهـراً
ولم يتأخر من أراد تقدماً
ولم يتقدم من أراد تأخراً

وقال بعضهم فى كون التقليد فى الخير فضيلة :

إذا أعجبتك خلال امرئ
فكنه تكن مثل من يعجبك
وليس على المجد والمكرات
إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

وقال أبو روح ظفر بن عبد الله فى الهمة والعزيمة الماضية :

السيف يعلم أن لى فى حـده
سراً نهـاه الدهر عن إفشائه
والدهر يعلم أن لى فى صدره
ناراً مـضـرمـة على أحشائه

ولو أن أطراف السيوفِ وفين لى لأخذتُ حق الدهر من أبنائِه
هممٌ مؤرقةٌ جفوفٌ كلما أرخى الظلامُ على ذيلِ خبائِه
هممُ النفوسِ منوطةٌ بعنائِها والمرءُ يخدعه لسانُ رجائِه

وقال عمارة اليمنى المتوفى سنة ٦٦٩ فى الشجاعة والإقدام :

العلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العلم وشفرة السيف تستغنى عن القلم
وخيرُ خيلك إن غامرت فى شرف عزمٌ يفرق بين الساق والقدم
لا يدركُ المجد إلا كلُّ مقتحمٍ فى موجٍ ملتطمٍ أو فوجٍ مضطرمٍ
ورُبَّ أمرٍ يهاب الناسُ غايته والأمرُ أهونُ فيه من يدٍ لقم

تنمى قوى الشئ بالتدريج إن رزقت

لطفاً ويقوى شرارُ النار بالضم

وقال أبو الحسن التهامى المتوفى سنة ٤١٦ هـ فى الأدب العام :

لا تحمد الدهر فى بأساءٍ يكشفها فلو أردت دوام البؤس لم يدم
فالدهرُ كالطيفِ بؤسائه وأنعمه عن غير قصد فلا تحمد ولا تلم
لا تحسبن حسب الآباءِ مكرمة لمن يقصر عن غايات مجدهم
حسنُ الرجال بحسناتهم وفخرهم بطولهم فى المعالي لا بطولهم
ما اغتابنى حاسدٌ إلا شرفتُ به فحاسدى منعمٌ فى زى منتقم
فالله يكلاً حسادى فأنعمهم عندي وإن وقعت عن غير قصدهم

وقال أبو تمام فى كون المرء يجمع والزمان يفرق :

ولكننى لم أحو وفرأ مجعاً ففزت به إلا بشمل مبددٍ
ولم تعطنى الأيامُ نوماً مسكناً ألدُّ به إلا بنوم مُشردٍ
وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجددٍ
فلئن رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدٍ
وليس يجلى الكرب رمح مسدد إذا هو لم يؤنس برأى مسددٍ

وقال أبو تمام فى كون الحركة بركة :

مَنْ أَبْنَى^(١) البيوت أصبح فى ثوب من العيش ليس بالفضفاض
والفتى من تعرفته الليالى فى الفياق كالحية النضاض
صلتان أعداؤه حيث كانوا فى حديث من عزمه مستفاض
كل يوم له بصرف الليالى فتكة مثل فتكة البراض
وقال بعضهم فى أن الأمور تسهل بالصبر والإطمئنان لا بالذل والهوان :
إذا ضيقت أمراً ضاق جداً وإن هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لشيء فات يأساً فكم أمرٌ تصعب ثم لانا
سأصبر من رفيقى إن جفانى على كل الأذى إلا الهوانا

وقال الحسين بن مطير فى مكارم الأخلاق :

أحبُّ مكارم الأخلاق جَهْدَى وأكره أن أعيبَ وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حِلماً وشرُّ الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يُهابا

وقال القطامى فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة :

والناس من يلق خيراً قائلون له مايشتهى ، ولأم المخطئ الهبل
قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
وربما فات قوماً بعض أمرهم من التأنى وكان الحزم لو عجلوا
والعيش لا يعيش إلا ماتقراً به عين ولا حال إلا سوف تنتقل

وقال رجل من بنى أسد فى أنه لا خير فى ود يجىء تكلفاً :

وما أنا بالنكس الدنى ولا الذى إذا صد عنى ذو المودة أحرب
ولكنى إن دُمت وإن يكن له مذهبٌ عنى فلى عنه مذهبٌ

(١) ابن : لازم وأقام ، والفضفاض بفتح الفاء الشيء الواسع والصلتان الرجل الجاد فى أموره .

ألا إن خير الودُّ وُدُّ تطوعت له النفس لا ود أتى وهو متعب
وقال القاضى الجرجانى فى كون النفس الأبية لا تقبل الدنيا
وتستقبل المنايا :

يقولون لى : فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا منهل قلت قد رأى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً ؟ وأجنيه ذلة ، إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
وقال البعيث بن حريث فى كون كرامة الإنسان متوقفة على حفظ الأوطان :
وإن مسيرى فى البلاد ومنزلى لبالمنزل الأقصى إذا لم أقرب
ولست وإن قربت يوماً ببائع بلادى ولا دينى ابتغاء التجب
ويمتده قوم كثير تجارة ويمعنى من ذاك دينى ومنصبى
وقال عمر بن الأطنابة فى اقتحام الأخطار لنيل الفخار :

أبت لى عفتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيع
وإقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت رويدك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح
وقال أبو تمام لا يستحق الشكر والحمد إلا من تعب وجد :

الحمد شهد لا ترى مشارهُ يجنيه إلا من نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبه الذى لم يره عاتقه خفيف المحمل
وقال بعضهم فى الفقير الصابر المتجمل بالعفاف والكفاف :

كم فاقة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحته قلب شج قد خامرته لوعة ما تنجلي

وقال أبو تمام فى صدق اليقين :

قالوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيش من الصبر لا يحصى له عدد
إذا رأوا المنايا عارضاً لبسوا من اليقين ذرعاً مالها زرد

وقال هدية العذرى فى وجوب وضع الشئ فى موضعه :

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

وقال بعضهم فى وجوب الثبات على المبدأ :

قد عشت فى الدهر أطواراً على طرق شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلاً بلوت فلا النعماء تبطرني ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لايملاً الهول صدرى قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا

عود بنيك على الآداب فى الصغر كما تقر بهم عيناك فى الكبر
فإنما مثل الآداب تجمعها فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر
هى الكنوز التى تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير
إن الأديب إذا زلت به قدم يهوى على فرش الديباج والسرر
الناس صنفان : ذو علم ومستمع واع وسائرهم كالغو والتكر

من لم يكن عقله مؤدبه لم يغنه واعظ من النسب
كم من وضع الأصل فى أمم قد سودوه بالعقل والآدب

لا تياسن إذا ما كنت ذا أدب على خمورك أن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهب الإبريز مختلط بالترب إذ صار إكليلاً على الملك

السبع سبع ولو قلت مخالبه والكلب كلب ولو بين السباع ربى
وهكذا الذهب الإبريز خالطه صفير النحاس وكان الفضل للذهب

لا يُعجبنيك أثواب على رجل
فالعود لو لم تفُح منه روائحه
وليس يسودُ المرءُ إلا بنفسه
إذا العودُ لم يُثمر ولو كان شعبة
قد ينفعُ الأدبُ الأحداث من صغر
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
وقال حاتم الطائى فى الكرم :

أماوىُّ إن المال غادٍ ورائحُ
أماوىُّ إني لا أقول لسائل
أماوىُّ إما مانعُ فمبينُ
أماوىُّ إن يصبح صدأ بقفرة
ترى أن ما أنفقتُ لم يك ضرئى
وقال حاتم الطائى أيضاً فى الإيثار :

وما أنا بالساعى بفضل زمامها
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها
إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع
أنخها فأردفهُ فإن حملتكما

وقال بعض الشعراء المتقدمين فى ذم الغيرة :

ما أحسن الغيرة فى حينها
من لم يزل مُتهما عرسه
أوشك أن يغريها بالذى
حسبك من تحصينها وضعها
وأقبح الغيرة فى كل حين
مناصباً فيها لريب الظنون
يخاف أن يبرزها للعيون
منك إلى عرض صحيح ودين

لا تطلع منك على ربيبةً فيتبعُ المقرونُ حبلَ القرين
وقال بعض الشعراء المتقدمين فى كرم الضيافة :

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ويخصب عندى والمحلُّ جديبُ
وما الخصب للضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وقالت ليلى الأخيلية فى العفة :

وذى حاجة قلنا له : لاتبح فليس إليها ما حييتُ سبيل
لنا صاحبٌ لاينبغى أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ

وقال ابن الرومى فى القناعة :

مرحباً بالكفاف يأتى هنيئاً وعلى المتعبات ذيل العفاء
ضيلة لامرئ يشمرُّ فى الجمـ مع لعيش مُشمر للفناء
دائباً يكثر القناطير للوا رث والعمر دائباً فى انقضاء
يحسب الحظ. كله فى يديه وهو منه على مدى الجوزاء
ليس فى أجل النعيم له حظ. ، وما ذاق عاجل النعماء
ذلك الخائبُ الشقيُّ وإن كا ن يرى أنه من السعداء
حسبُ ذى إربةٍ ورأى جلى نظرت عينه بلا غلواء
صحة الدين والجوارح والعِر ض وإحراز مُسكة الحوباء
تلك خيرٌ لعارف المجد مما يجرع الناس من فضول الثراء

وقال بعض الشعراء المتقدمين فى القناعة :

أحبُّ الفتى ينفى الفواحش سمعه كأن به عن كلِّ فاحشةٍ وقراً
سليم دواعى الصدر لا باسطة أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هُجراً
إذا ما أنت من صاحب لك زلة فكن أنت مُحتالاً لزلته عُذراً
غنى النفس مايكفيك من سدخلة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

وقال بعض الشعراء المتقدمين في حب البنين :

ولم أَجُفْ في الليالي حندس الظلم	لولا أُميمة لم أَجْزَع من العدم
أَنَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرحم	وزادني رغبة في العيش معرفتي
فيهتك الستر عن لحم وعن ضم	أَحاذِرُ الفقر يوماً أَن يلم بها
والموت أَكرم نزال عن الحرم	تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً

وقال مسكين في كتمان السر :

على سر بعض غير أَن جماعها	وفتيان صدق لست مُطلع بعضهم
وهو وضع نجوى لا يُرام اطلاعها	لكل امرئٍ شعب من القلب فارغ
إلى صخرة أعْيى الرجال انصداعها	يظنون شتي في البلاد وسرهم

وقال أبو العتاهية في المغفرة :

وغفرتُ ذاك له على علمي	إني شكرت لظالمي ظلمي
لما أَبان بجهله حلمي	ورأيتُه أَسدى إلىَّ يداً
فاني فساد مُضاعف العُرم	رجعتُ إِسأئته عليه وإحسـ
وغدا بكسب الظلم والإثم	وغدوتُ ذا أَجرٍ ومحمدة
وأنا المسمى إليه في الحكم	فكأنما الإحسان كان له
حتى بكيت له من الظلم	ما زال يظلمني وأرحمه

وقال ابن مطير في إكرام النفس :

مُضِيعاً لها في فعل شيءٍ يُضِيرها	ومن يتبع ما يُعجب النفس لم يزل
فما لك نفسٌ بعدها تستعيرها	فنفسك أَكرم من أمور كثيرة

وقال بشار في السعادة :

له في التقى والمحامد سوقٌ	وما خاب بين الله والناس عاملٌ
ولكن أخلاق الرجال تضيقُ	ولا ضاق فضل الله عن مُتعفف

وقال أبو تمام فى الصداقة الكاذبة :

إن شئت أن يسود ظنك كله
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً
فأجله فى هذا السواد الأعظم
متبسماً عن باطن متجهماً

وقال بعض الشعراء المحدثين فى الشتمة :

فى انقباض وحشمة فإذا
أرسلت نفسى على سجيته
صادقت أهل الوفاء والكرم
وقلت ما قلت غير مُحْتَشَم

وقال أبو تمام فى القناعة :

من زاحف الأيام ثم عبا لها
من كان مرعى عزمه وهمومه
غير القناعة لم يزل مقلولاً
لو حاز سلطان القنوع وحكمه
روض الأماني لم يزل مهزولاً
فى الأرض ما كان القليل قليلاً

وقال أبو العلاء المعرى فى الخمر :

أَيَّاتُ نَبِيٍّ يَجْعَلُ الْخَمْرَ طَلْقَةً
وهيهات لو حلت لما كنت شارباً
فتحمل شيئاً من همومى وأحزاني
مخمنفة فى الحلم كفة ميزاني

وله أيضاً فى أن الملك أجير الرعية :

مُلُّ الْمَقَامِ فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَةٍ
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
أَمَرَتْ بِغَيْرِ صِلَاحِهَا أُمَرَاؤُهَا
فَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهَمَّ أَجْرَاؤُهَا

وله أيضاً فى رياء الوعاظ :

رُوَيْدُكَ قَدْ غُرَّتْ وَأَنْتَ حُرٌّ
يُحَرِّمُ فِيكُمْ الصُّهْبَاءُ صَبْحاً
بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعْظُ النِّسَاءُ
وَيُشْرِبُهَا عَلَى عَمَدِ مَسَاءٍ
وَقَدْ لَدَاتِهَا رَهْنُ الْكِسَاءِ
فَمِنْ جِهَتَيْنِ ، لَا جِهَةَ ، أَسَاءُ
إِذَا فَعَلَ الْفَتَى مَا عَنْهُ يَنْهَى

وله أيضاً :

إذا كان علم الناس ليس بنافع
قضى الله فينا بالذى هو كائن
ولا دافع ، فالخسر للعلماء
فتم ، وضاعت حكمة الحكماء

وله فى سلطان العقل :

يرتجى الناس أن يقوم إمام
كذب الظن لا إمام سوى العق
إنما هذه المذاهب أسبا
ناطق فى الكتيبة الخرساء
ل مُشيراً فى صُبحه والمساء
ب لجلب الدنيا إلى الرؤساء

وله فى رياء العباد :

لعل أناساً فى المحاريب خوِّفوا
إذا رام كيداً بالصلاة مُقيمها
وله أيضاً :

أيا جسد المرء ماذا دها
تصيرُ ظهوراً إذا ما رجَع
ك وقد كنت من عنصر طيب
ت إلى الأصل كالطر الصيِّب

وله فى قسمة الارزاق :

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحتَه
وقد يرزق المجدود أقوات أمة
فكثيرٌ معرّى ، أو أميرٌ مُدرج
ويُحرم قوتاً واحداً هو أحوج

وقال فى ذم البطالة :

ويُعجبني دأب الذين ترهبوا
فما حبس النفس المسيح تعبداً
سوى أكلهم كد النفوس الشحاح
ولكن مشى فى الأرض مشية سائح

وفى الرفق بالحيوان :

قد رابنى مغدى الفقير بجهله
يحملُه مالا يطيق ، فإن ونى
على العير ضرباً ، ساء ما يتقلد
أجال على ذى فترة يتجلد

وله أيضاً :

نغارق العيش لم نظفر بـ معرفة
لم يعطنا العلم أخبارٌ يجىء بها
وابيض ما اخضر من نبت الزمان بنا
وكل زرع إذا ما هاج محصود

وقال فى حقيقة الإيمان :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له
وإذا هو ترك الشر مطرّحاً
ولا صلاة ولا صوف على الجسد
ونفضك الصدر من غل ومن حسد

وقال أيضاً فى خرافات النساء :

سألت منجمها عن الطفل الذى
فأجابها مائة لياخذ درهما
فى المهد : كم عائش من دهره ؟
وأنى الحمام وليدها فى شهره !

وقال أيضاً فى راحة الموت :

قديم الفتى ومضى بغير تئيب
لقد استراح من الحياة مُعجلاً
كهلال أول ليلة من شهره
لو عاش كابد شدة فى شهره

وفى العفة :

أحسن جواراً للفتاة وعدّها
كتجاوز العينين لن تتلاقيا
أخت السماء على دُنو الدار
وحجاز بينهما قصير جدار

وله فى بقاء الماء :

مضى الأنام فلولا علم حالهم
فى الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلوا
لقلت قول زهير آية سلخوا
منه فكيف اعتقادى أنهم هلكوا

وقال فى الصبر على الأذى :

إذا قال فيك الناس مالا تحبه
وقد نطقوا مِيناً على الله وافترؤا
فصبرا ينفى ود العدو إليك
فما لهم لا يفترون عليك

الذين المعاملة ، للمعرى أيضاً :

سَبَّحْ وصلٌ وطفٌ بمكة زائراً سبعين لاسبعاً ، فليست بناسكٍ
جَهْلَ الديانة مَنْ إذا عرضت له أطماعه لم يُلفَ بالمتماسكِ
قتل الأفراد ، وقتل الأمم ، للمرحوم أديب إسحاق :

قتلُ امرئٍ فى غابةٍ جريئة لا تُغتفرُ
وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألةٌ فيها نظرُ
والحقُّ للقوةِ لا يُعطاه إلا من ظفر
هذى حالة الدنيا فكن من شرّها على حذر

الوطن لابن الرومى :

وطنٌ به صحيت الشبيبة والصبا ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديد
فإذا تمثل فى الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تמיד
البنات ، لمعن بن أوس :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهنّ - لانغلو - نساء صوالح
وفيهنّ والأيامُ يعثرن بالفتى عوائد لا يملنّها ونوائح
الكرم ، للبستى :

فسامح ، ولا تستوفِ حقك كله وأبقى ، فلم يستقص قطـ كريمة
ولا تغلُ فى شىء من الأمر واقتصد كلاً طرفى قصد الأمور ذميمُ
وقال الأمير شكيب أرسلان :

بالله لاتنذبوا قتلى ، ولا تنهوا بعدى ولا تغرقوا فى النوح والحزن
إن الشهيد لحيٌّ عند خالقه وإنما الميت حقاً حائن الوطن

الدواة ، للمرحوم إسماعيل صبرى باشا :

يا دواة اجعلى مدادك ورداً لوفود الأقلام حيناً فحيناً

وليكن كالزمان حالاً وحالاً تارة آسينا وأُخرى مَعِينَا
أَكْرَمِ العلمَ وأَمْنَحِ خادِمِيه مَاءَكِ الغَالِي النَّفِيسَ الثَّمِينَا
وابْدُلِ الصَّافِيَّ المَطْهَرِ مِنْهُ لَهْدَاةَ السَّرَائِرِ المُرْشِدِينَا
وَإِذَا الظُّلْمَ وَالظَّلَامَ اسْتَعَانَا يَوْمَ نَحْسُ بِأَجْهَلِ الجَاهِلِينَا
وَاسْتَمَدَ مِنَ الشُّرُورِ مِدَادَا فَاجْعَلِيهِ فِي قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا
وَاقْذِفِي النُّقْطَةَ الَّتِي بَاتَ فِيهَا غَضَبُ القَاهِرِ المَذَلِّ كَمِينَا
لِيرَاعَ أَمْرِي إِذَا خَطَّ سَطْرَا نَنْذِ الحَقَّ وَارْتَضَى المِينِ دِينَا
وَإِذَا كَانَ فِيكَ نَقْطَةُ سُوءٍ كَوْنَتْ مِنْ خِبَائَةِ تَكْوِينَا
فَاجْعَلِيهَا قِسْطَ الَّذِينَ اسْتَبَاحُوا فِي السِّيَاسَاتِ حُرْمَةَ الْأَضْعَفِينَا
وَإِذَا خَفْتُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّخْرِ رَجَلا مِيدُ تَرْجَمُ السَّامِعِينَا
فَابْخُلِي بِالمَدَادِ بُخْلًا وَإِنْ أَعْطَيْتَ فِيهِ المِثِينَ ثَمَّ المِثِينَا
فَإِنْ أَعُوذَ المَدَادُ طَبِيبًا يَصِفُ الدَّاءَ دَائِبًا مُسْتَعِينَا
فَامْنَحِيهِ المُرَادَ مَنًّا وَعُرْفَا وَاسْتَطِيبِي مَعُونَةَ المَحْسَنِينَا
وَإِذَا مَهَجَتِ الحَمَائِمُ أَسَدَتْ نَقْطَةُ سِرِّهَا الذِّكْرَ المَصُونَا
فَاجْعَلِيهَا عَلَى المَوَدَّاتِ وَقْفًا وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشِّيقِينَا
فَإِذَا لَمْ تَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا مَا أَعَدَّ الإِخْلَاصَ لِلْمُخْلِصِينَا
فَاجْعَلِيهِ حَظِي لَأَكْتُبَ مِنْهُ شَرْحَ حَالِي (لِسَيِّدِ المُرْسَلِينَا)

القمار . للشيخ نجيب الحداد ، من قصيدة طويلة :

لكلِّ نَقِيصَةٍ فِي النَّارِ عَارٍ وَشَرُّ مَصَائِبِ المَرءِ القَمَارِ
هُوَ الدَّاءُ الَّذِي لَا بُرءَ مِنْهُ وَلَيْسَ لَذَنْبٍ صَاحِبُهُ اغْتِفَارِ
تَشَادُّ لَهُ المَنَازِلُ شَاهِقَاتٍ وَفِي تَشْيِيدِ سَاحَتِهَا الدَّمَارِ
يُصِيبُ النَّازِلِينَ بِهَا سُهَادٌ وَإِفْلَاسٌ فَيَأْسُ فَاغْتِحَارِ

الوطنية ، للشاعر المطبوع المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، المتوفى
سنة ١٩٣٧ م :

بلادى هواها فى لسانى وفى دى يمجدها قلبى ويدعو لها فمى
ولا خير فىمن لا يُحِبُّ بلادَه ولا فى حليف الحبِّ إن لم يُتِم
الرجوع إلى الحق خير من التماهى فى الباطل : للمرحوم مصطفى لطفى
المنفلوطى المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ :

إذا ما سفيهٌ نالنى منه نائلٌ من الذم لم يُحَرِّجْ بموقفه صدرى
أَعُوذُ إلى نفسى فإن كان صادقاً عتبت على وأصلحت من أمرى
وإلا فما ذنبى إلى الناس إن طغى هواها فما ترضى بخير ولا شرٍّ
النفس الأبية : للشاعر الكبير أحمد نسيم :

ولم أدرِغْ بالذِّلِّ شيمه حازم عن العز والعلياء لا يتنكب
كذا أنا يا نفسى ، فكونى أبية وما لك إلا مذهب الفضل مذهب
الجمال : لشاعر النجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشيبى :
لقد عصفت بالمكرمات زعازعٌ وعفت رسوم الأكرمين رياحُ
إذا أَظْلَمْتَ أخلاقنا وتجهمت فهل نافعٌ أن الوجوه وِلاحُ
الأدب : للمرحوم محمد إمام :

لم يثبت الخير مال ولا نسب إنما الخير كل الخير فى الأدب
مزيةٌ تملأ الدنيا محاسنها سلم لكمال الفضل والحسب

الحكام : للمرحوم السيد توفيق البكرى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ :

حُكْمُ الألى يحكمون الناس يُضْحِكُنِ وسوءُ فعلهم فى الناس يُبْكِينِ
ما الذئب قد عاث بين الضأن أفتك من هذى الولاة بهاتيك المساكين

نشر العلم : لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزهاوى :

إذا كان نشر العلم ذنباً معاقباً عليه فإنى أشهد الله مذنب

الثبات على المبدأ : لشاعر الشام أسعد رستم :

لا بدَّ للمرء مما ليس يرضيه إذا تداخلَ فيما ليس يعنيه
فابدأ بتحسين مبدأ أنت صاحبه فالمرءُ يعرف أصلاً من مبادئه

طلب المحال : للشاعر الجليل أحمد محرم :

صرفتُ رجائى عن مطالب جمّة وليس الذى يَرْجُو المحال بكيس
أقول لنفسى والأسى ليثيرها : مكانك إن النفس بالنفس تآسى

وقال محمد بن بشير فى الصبر الجميل :

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر ينفق منها كل ما ارتتجا
لا تياسنَّ وإن طالَت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بنى مصبر أن يحظى بحاجته ومُذْمَنُ القَرَعِ للأبواب أن يلجا
قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرّة زلجا
ولا يغرّنكَ صفو أنت شاربهُ فربما كان بالتكدير ممتزجا

وقال الأضبط بن قريع فى الأدب العام :

لكلّ ضيق من الأمر سعة والصُّبْح والمسا لا فلاح معه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسهُ ويلبس الثوب غير من قطعه
فاقبل من الدهر ما أتاك به من قرّ عيناً بعيشه نفعه
وصلّ حبال البعيد إن وصلّ الـ جبل ، وأقْصِ القريب إن قطعه
ولا تُعَادِ الفقير علّك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

وقال عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية فى الصبر :

صبر النفس عند كل مُلم إن فى الصبر حيلة المحتال
لاتضيّقنَّ بالأمور فقد تك شف غماؤها بغير احتيال

الباب الثاني عشر في الصبر والثاني

تصبر ففي اللاؤاء قد يحمد الصبر وإن الذي أبلى هو العون فانتدب وثق بالذي أعطى ولاتك جازعاً فلا نعم تبقى ولا نقم ولا تقلب هذا الأمر ليس بدائم اصبر على مضض الإدلاج في السحر إني رأيت في الأيام تجربة وقل من جد في أمر يؤمله

ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر جميل الرضا يبتى لك الذكر والأجر فليس بحزم أن يروعك الضر يدوم كلا الحالين عسر ولا يسر لديه مع الأيام حلوا ولا مر وفي الرواح إلى الطاعات في البكر للصبر عاقبة محموددة الأثر واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

عليك بإظهار التجلد للعدى أما تنظر الرياحان يشمم ناضراً ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا ويطرح في البيدا إذا ما تغيرا

صبراً على نوب الزمان ن وإن أبي القلب الجريح فلكل شئ آخر إما جميل أو قبيح

الدهر أدبني والصبر رباني وحنكتني من الأيام تجربة والقوت أقنعني واليأس أغنانى حتى نهيت الذي كان ينهاني

إني رأيت الصبر خير موعول ورأيت أسباب القناعة أكدت فإذا نبا بي منزل جاوزته وإذا غلا شئ على تركته في النائبات لمن أراد موعولاً بعري الغنى فجعلتها لي معقلاً وجعلت من غيره لي منزلاً فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

إذا ما أذاك الدهر يوماً بنكبة فإن تصارييف الزمان عجيبة فأفرغ لها صبراً وأوسع لها صدرها فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسراً

على قدر فضل المرء تَأْتى خطوبه	ويحمد منه الصبر فيما يُصيبه
فمن قل فيما يَتَّقِيهِ اضطباره	لقد قل فيما يرتجيه نصيبه
اصبر قليلا فبعد العسر تيسير	وكل وقت له أمر وتدبير
وللمهمن فى حالاتنا نظر	وفوق تدبيرنا لله تدبير
واصبر فى الصبر خير لو علمت به	لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تَصْطَبِرَ كرمًا	صبرت قهراً على ما خُطَّ بالقلم
كن حليماً إذا بُليت بغيظ	وصبوراً إذا أَتَتْكَ مُصيبه
فالليالى من الزمان حبالى	مُثْقَلَاتٌ يَلْدُنَّ كل عجيبه
تصبر أيها العبد اللبيب	لعلك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات وإن تناهت	يكون وراءها فرج قريب
أيها صاحبى إن رمت أن تكسب العُلا	وترقى إلى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة	فما صابر فيما يَرُوم بنادم
بنى الله للأخيار بيتاً سماؤد	هموم وأحزان وحيطانه الصبر
وأدخلهم فيه وأغلق بابيه	وقال لهم مفتاح بابكم الصبر
اصبر قليلا وكن بالله مُعْتَصِماً	لا تعجلنَّ فإن العجز بالعجل
الصبر مثل اسمه فى كل نائبة	لكن عواقبه أحلى من العسل
إذا جرحت مساوهم فؤادى	صبرت على الإساءة وانطويتُ
وجئت إليهم طلق المحيا	كأنى لا سمعتُ ولا رأيتُ
تأن ولا تضق للأمر ذرعاً	فكم بالنجح يظفر من تأنى
تأن فحيثا المرء تأنى	ينل نجاحاً ويُدرك ما تمنى
تأن ولا تعجل بلوئك صاحباً	لعلَّ له عذراً وأنت تلوم

الباب الثالث عشر في الصدق

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق واحذر من الكذب المذموم في الخلق

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد

عليك بالصدق في كل الأمور ولا تكذب فأقبح ما يزرى بك الكذب

الباب الرابع عشر في الكذب

لى حيلة فيمن يندم وليس للكذاب حيلة

من كان يحذق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

نعم نعم إنما النمام ذو ضرر لكنما الكاذب الجانى أشد ضرر

أخو النميمة إن يسمع ينم ومن يكذب يقل ما يشاء قولاً بغير أثر

لذلك لى حيلة فى من ينم وما لى حيلة فى كذوب ملء فيه شر

لى حيلة فى من ينم فإننى أطوى حديثى دونه وخطابى

لكنما الكذاب يخلق قوله ما حيلتى فى المفترى الكذاب

لايكذب المرء إلا من مهانته أو فعله السوء، أو من قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء فى جد وفى لعب

إياك من كذب الكذوب وإفكه فلربما مزج اليقين بشكه

ولربما كذب امرؤ بكلامه وبصمته وبكائه وبضحكه

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ولو كان صادقاً

فإن قال لم تصغ له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

الباب الخامس عشر في التواضع

إن شئت أن تبني بناءً شامخاً يلزم لذا البنيان أس راسخ

إن البناء هو الكمال وأسه ال صخرى فهو الاتضاع الباذخ

تواضع لرب العرش علك ترفعُ فما خاب عبد للمهيمن يخضع
تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضع
إذا شئت أن تزداد قدراً ورفعة تواضع واترك الكبر والعجبا
تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة فإن رفيع القوم من يتواضع

الباب السادس عشر في الكرم والكرما

ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا
فقى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن
أبى الجود في الدنيا سواك لأنه تفرع من جود وأنت أبو الجود
إن الكريم الذي لا مال في يده مثل الشجاع الذي في كفه شل
والمال مثل الحصى مادام في يدنا فليس ينفع إلا حين ينتقل
لو أشبهتك بحار الأرض في كرم لأصبح الدر مطروحا على الطرق
أو أشبه الغيث جوداً منك منهما لم ينج في الأرض مخلوق من الغرق
من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكيلين
أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد داعم العين
ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء
فنوال الأمير بدرة مال ونوال الغمام قطرة ماء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يفنى البخليل بجمع المال مُدَّتْهُ وللحوادث والأيام ما يدعُ

كدودة القز ما يبنيه يهدمها وغيرها بالذى تبنيه ينتفع
إن هذا الفتى يصون رغيماً ما إليه من ناظر من سبيل
في جراب في جوف تابوت موه ي والمفاتيح عند ميكائيل

شرابك مختوم وخبزك لا يرى ولحمك بين الفرقدين معلق
ندمك عطشانٌ وضيفك جائعٌ وكلبك نباح وبابك مغلق
نوالك دونه شوك القتاد وخبزك كالثريا في البعاد
ولو أبصرت ضيفاً في منام لحرمت الرقاد على العباد
وذى حرص تراه يلم وفرا لوارثه ، ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريسته لياًكلها سواء

حسبي معلماً إن نفع ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

أصبحت أجوع خلق الله كلهم وأفزع الناس من خبز إذا وُضعا
خبز البخيل لمكتوب عليه ألا لا بارك الله في ضيف إذا شبع

إياك والحرص إن الحرص متعبةٌ فإن فعلت فراع القصد في الطلب
قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم المرء ذو الأسفار والتعب

إذا كسر الرغيف بكى عليه بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر

تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت في عرض المقال
على اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشه
بإن الحريص على الدنيا لقي تعب
وقال أبو محمد إسحاق الموصلي في ذم البخل :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى
فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلال الجواد ولا أرى
بخيلاً له في العالمين خليل
وإني رأيت البخل يُزرى بأهله
فأكرومتُ نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالاتِ الفتى لو علمته
إذا نال شيئاً أن يكون يُنيل
عطائي عطاء المكثرين تجملاً
ومالى - كما قد تعلمين - قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرّم الغنى
ورأى أمير المؤمنين جميل

* * *

الباب الثامن عشر

في وصف الدنيا

يا من عاش في الدنيا طويلاً
وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمّع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفواً
أليس مصيرُ ذاك إلى انتقال؟!

إن لله عباداً فطنا

طلقوا الدنيا وعافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا

أنها ليست لحي وطننا

جعلوها لجة واتخذوها

صالح الأعمال فيها سفنا

عجبتُ للمرء في دنياه تَطْمَعُهُ
في العيش والأجل المختوم يقطعُهُ
يمسى ويصبح في عشواء يخطبها
أعمى البصيرة، والآمالُ تخدعه
يغتر بالدهر مسروراً بصحبته
وقد تيقن أن الدَّهرَ يصرعه
ويجمع المالَ حرصاً لا يفارقه
وما درى أنه للغير يجمعه

ترأه يُشفق من تضييع درهمه وليس يُشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبة من أنفق العمر في ما ليس ينفعه

ومن يذق الدنيا فإن طعمتها وسيتق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً باطلاً كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفةٌ مستحيلة عليها كلابٌ همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت مسلماً لأهلها وإن تجتنبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها حرام على نفس التقى ارتكابها

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار! حذار! من بطش وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

باخاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأقدار
دار متى ما أضحكك في يومها أبكت غداً ، تبأ لها من دار

الباب التاسع عشر

في الأسرار

ولست بمبد للرجال سريري ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

لا يكتم السر إلا كل ذى ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم
فالسر عندي في بيت له غلق ضاعفت مفاتيحه والباب مختوم

صن السر عن مُستخبر وحاذر فما الرأي إلا الحذر

أَسِيرُكَ سِرْكُ إِنْ صَنَّتْهُ وَأَنْتَ أَسِيرٌ لَهُ إِنْ ظَهَرَ
كُلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي الْقُرْطَاسِ ضَاعَ كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ شَاعَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْوَرْدِ صَاحِبٌ وَفِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ حَمِيدَةٍ
وَفَاءٌ . وَسِرٌّ ، وَحِفْظٌ . الْوَلَاءُ فَصَحْبَتُهُ قَطُّ . لَيْسَتْ مَفِيدَةٌ

الباب العشرون

في اللسان

لَا يُعْجِبُكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلًا
إِنْ الْكَلَامُ لَقِيَ الْفَوَادَ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلاً
يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ
احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ . إِنَّهُ ثَعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانَهُ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ
الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسَّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مَكْثَارًا
فَإِذَا نَدِمْتَ عَلَى سَكُوتِكَ مَرَّةً فَلْتَنْدَمْ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا
عَوْدَ لِسَانِكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَنْجُ بِهِ مِنْ زَلَةِ اللَّفْظِ . أَوْ مِنْ زَلَةِ الْقَدَمِ
وَاحْذَرْ لِسَانَكَ مِنْ خِلٍّ تَنَادَمَهُ إِنْ النَّدِيمُ الْمَشْتَقُّ مِنَ النَّدَمِ

الباب الحادي والعشرون

في المعاشرة

إِذَا الْمَرْءُ لَا يَرْحَاكَ إِلَّا تَكَلَّفًا فَدَعِهِ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّنَاسُفَا
فَنِي الْمَرْءِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرِكَ رَاحَةٌ وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جُفَا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة فلا خير في ودٍ يجيء تكلفاً
ولا خير في خلٍّ يخون خليله ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده ويظهر سرّاً كان بالأمس قد خفا
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق الوعد منصفاً
صافٍ الكرام فخير من صافيته مَنْ كان ذا أدبٍ وكان ظريفاً
واحذر مواخاة اللئيم فإنه يُبدى القبيح ويُنكر المعروف
إن الكريم وإن تضعضع حاله فالخلقُ منه لا يزال شريفاً
الناس مثل دراهمٍ قلبتها فأصبت منها فضة وزيوفاً
ولن يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الغنى إلا أن تصاحب غاويًا وما الرشد إلا أن تصاحب ذارشد
أخو الفسق لا يغرك منه توددٌ فكل حبال الفاسقين مهين
وصاحب إذا ما كنت يوماً مصاحباً أختا ثقة بالغيب منك أمين
اجعل قرينك من رضىت فعاله واحذر مقارنة اللئيم الشائن
كم من قرين شائنٍ لقرينه ومُهَجِّنٍ منه لكل محاسن
وعينك إن أبدت إليك مساوياً من الناس قل ياعينُ للناس أعين
وعاشرٌ بمعروف وكن متودداً ولا تلقَ إلا بالتي هي أحسنُ

الباب الثاني والعشرون

في القناعة

وأكل كُسيرة في جنب بيتي أحبُّ إليَّ من أكل الرغيف
ولُبْسُ عباءة وتقرُّ عيني أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف
هي القناعة فالزمها تعيش ملكاً لو لم يكن منك إلاراحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بتأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

قنعت بالقوت من زمانى وضئت نفسى عن الهوان
خوفاً من الناس أن يقولوا فضلُ فلان على فلان
من كنتُ عن ماله غنياً فلا أبالي إذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص رأيتُه بالتي رآنى
ومن رآنى بعين تم رأيتُه كامل المعانى

إذا المرءُ عوفى في جسمه وملكه الله قلباً قنوعاً
وألقي المطامع عن نفسه فذاك الغنى ولو مات جوعاً

النفس تجزعُ أن تكون فقيرةً والفقر خيرٌ من غنى يُطغيها
وغنى النفس هو الكفاف فإن أمت فجميعُ ما فى الأرض لا يكفيها

إن القنوع نفيُس النفس راشداً وهو الغنى الذى يحيا بلا نصب
وذو المطامع مغرورٌ ومفتقر ولو حوى ملك سلطان وعلم نبى

أفادتني القناعة كلَّ عزٍّ وهل عزٌّ أعزُّ من القناعة
ولقد طلبتُ رضا البرية جاهداً فإذا رضاهم غايةٌ لا تدركُ
وأرى القناعة الفتى كنزاً له والبر أنضل ما به يتمسك

الباب الثالث والعشرون

في الحسد

تخلق الناس بالأدناس واعتمدوا من الصفات الدها والمكر والحسد
كرهت منظرهم من سوء مخبرهم قد تعاميتُ حتى لا أرى أحداً

اصبرُ على كيد الحسود د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

دع الحسود وما يلقاه من كمدٍ يكفيك منه لهيبُ النار في كبده
إن لم يمت ذا حسد نفيت كُربته وإن سكت فقد عذبت به بيده

أيا حاسداً لي على نعمتي أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فأحمد ربي بأن زادني وسدّ عليك وجوه الطلب

إن شئت قتل الحاسدين تعمداً من غير مُدَيّات عليك ولا قود
وبغير سم قاتل وصورم وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
عظمّ نجاه غيرهم محسودهم فتراهم موقى النفوس مع الجسد

الباب الرابع والعشرون

في الحلم

ألا إن حلم المرء أكرم نسبة تسامى بها عند الفخار حلیم
فيارب هب لي منك حلماً فأني أرى الحلم لم يتدم عليه كريم
ولا خير في حلم إذ لم يكن له بواذر تحمى صفوه أن يكدر
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدر

إذا كنت محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويني فأني مقوم ومن شاء تعويني فأني معوج
وما كنت أرضى بالجهل خدناً وصاحباً

ولكنني أرضى به حين أخرج

إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئاً وخيرت أني شئت فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وعين الرضا عن كل عيب كيلة كما أن عين السخط تبدى المساويا
ولست بهياب لمن لا يهابني ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
فإن تدن مني تدن منك موثق وإن تنأ عنّي تلقني عنك نائيا
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

الباب الخامس والعشرون

في الحماقة

لكل داءٍ دواءٌ يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها
لا تياسن من اللبيب وإن جفا واقطع حبالك من حبال الأحق
فعداوة من عاقل متجمل أولى وأسلم من صداقة أئخر

الباب السادس والعشرون

في الوطن

قال ابن الرومي :

ولي وطن آليت ألا أبيعهُ وَألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعا بصحبة قوم أصبحوا في طلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاهـا الشباب هنالكـا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لـذاكـا
وقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسدٌ إن بان غودر هالكـا

الباب السابع والعشرون

في المال

إن الدراهم كالمرأ هم تجبر العظم الكسيرا
لو نالهن ثعلب في صبحه أضحى أميرا
إن قل مالى فلا خل يصاحبني وإن زاد مالى فكل الناس خلاني
فكل عدو لأجل المال صاحبي وكم صديق لفقد المال عاداني
نعمرك إن المال يجعل الفتى سريا وإن الفقر بالمرء قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
وإذا رأيت صعوبة في مطلب فاحمل صعوبة على الدينار
وابعثه فيما تشتهيهِ فإنه حجر يلين قسوة الأحجار

الناس أتباع من دامت له نعم
المال زين ، ومن قلت دراهمه
لما رأيت أخلائي وخالصتي
أبدوا جفاء وإعراضاً فقلت لهم :
والويل للمرء إن زلت به القدم
حتى كمن مات إلا أنه صنم
والكل مُستترٍ عني ومُحتشم
أذنبت ذنباً ؟ قالوا : ذنبك العدم

فصاحة حسان وخط. ابن مُقلّة
إذا اجتمعت في المرء والمرء مُفلس
وحكمة لقمان وزهد ابن آدم
ونودي عليه لا يُباع بدرهم

إذا كنت في حاجة مُرسلاً
فأرسل حكيماً ولا توصيه
وأنت بها كلف مُغرماً
وذاك الحكيم هو الدرهم

أظهروا للناس زهداً
ولهُ صاموا وصلوا
وعلى الدينار داروا
وله حجوا وزاروا

المال يفرق بين الأم والولد
عهدي به خادماً كالعبد تملكه
فذاك أدنى نسب عند كل يد
فما لعيني تراه سيد البلد ؟

مالٌ يميل إلى الإنسان من صغر
لو يجمع الله ما في الأرض قاطبة
وكلما شبَّ شبَّ الحب في الكبد
عند امرئ لم يقل حسبي فلا تزدد
أني بلا عدد منها ولا عدد
لم يبق شيء لنا من سالف الأمد
كل يروح من الدنيا الغرور كما
لو كان يأخذ شيئاً قبلنا أحد

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه
ألا إنما مالى الذى أنا مُنفق
تملكه المال الذى هو مالكة
وليس لى المال الذى هو أنا تاركه

من كان يملك درهمين تعلمت
وتقدم الإخوان فاستمعوا له
شفته أنواع الكلام فقلا
ورأيت بين الوزى مُختلا
لولا دراهمه التى يزهو بها
إن الغنى إذا تكلم بالخطا
قالوا صدقت وما نطق محالا

أما الفقير إذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قالوا
إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة

وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضاً واجباً في بلدة تدع العزيز ذليلا
تنقل فلذات الهوى في التنقل وزد كل صافٍ ولا تنقف عند منهل
ففي الأرض أحباب وفيها مناهل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر في الأسفار خمس فوائد
تفرج هم ، واكتساب معيشة ، وعلم ، وآداب ، وصحبة ماجد
وإن قيل في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي واكتساب الشدائد
فموت الفتي خير له من حياته بدار هوان بين واثٍ وحاسد

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأهل في حرق
من ذل بين أهاليه ببلدته فلاغتراب له من أحسن الخلق
الكحل نوع من الأحجار منطرحة في أرضه كالثرى يُرأى على الطرق
لما تغرب نال العز أجمعه وصار يحمل بين الجفن والحدق

ما في المقام لذي عقل وذى أدب من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضاً عن تصاحبه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سأل طاب وإن لم يجز لم يطب
والأميد لولا فراق الغاب ما قنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة للمها الناس من عجم ومن عرب
والبدر لولا أقول منه ما نظرت إليه في كل حين عين مرتقب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الخطب

فإن تغرب هذا عز مطلبه وإن أقام فلا يعلم على رتب
إذا ما ضاق صدرك من بلاد فارحل طالباً أرضاً سواها
عجبت لمن يقيم بأرض ذل وأرض الله واسعة فضاها
فذاك من الرجال قليل عقل بليد ليس يعلم ما طحاها
فنفسك فز بها إن خفت ضيا وخل الدار تنعى من بناها
فإنك واجد أرضاً بأرض ونفسك لم تجد نفساً سواها
ومن كانت منيته بارض فليس يموت في أرض سواها
وقال الحريري في الحث على السفر من آخر مقامة له :

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر
وجانبن ما يشير الأغبياء به فأى فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به إلى الجنب الذي يهوى به المطر
واستنزل الرى من در السحاب فإن بلت يدك به فلينهك الظفر
بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا
إذا رأيت الرزق ضاق ببلدة وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فارحل فأرض الله واسعة القضا طولاً وعرضاً ، شرقها والمغرب
إذا ما كنت في قوم غريباً فعاملهم بفعل يستطاب
ولا تحزن إذا فاهوا بفحش غريب الدار تنبحه الكلاب
وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن أتى دأوك في الدلاء
يجى بمائها طوراً وطوراً يجى بحمأة وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمنى تحيل على المقدر والقضاء

فإن مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

الباب التاسع والعشرون

في الغدر

لَا أَشْتَكِي زَمَنِي هَذَا فَاظْلَمَهُ وَإِنَّمَا أَشْتَكِي مِنْ أَهْلِ ذَا الزَّمَنِ
هَمُّ الذَّنَابِ الَّتِي تَحْتَ الشِّيَابِ فَلَا تَكُنْ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِمُؤْتَمِنٍ
وَزَهْدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولِ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تَرْنِي الْآيَامَ خِلَا تَسْرَنِي مِبَادِيهِ إِلَّا سَاعَتِي فِي الْعَوَاقِبِ
إِنِّي بَلَوْتُ النَّاسَ أَطْلُبُ مِنْهُمْ أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّدَائِدِ
فَلَمْ أَرْ فِيهَا سَاعَتِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرْ فِيهَا سَرْنِي غَيْرَ حَاسِدٍ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ وَهُوَ مَسْجُونٌ :
قَالَوَا حَبِيسَتْ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبِيسِي وَأَيُّ مَهْنَدٍ لَا يَغْمَدُ
فَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالْبَدْرُ يُدْرِكُهُ السَّرَارُ فَتَنْجَلِي أَيَّامَهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدُ

الباب الثلاثون

في الدعاء الختام

أَرَانِي اللَّهَ وَجْهَكَ كُلَّ يَوْمٍ صَبَحًا لِلتَّيْمَنِ وَالسُّرُورِ
وَأُمْتَعُ مَقَلَّتِي بِصَفْحَتَيْهِ لِأَقْرَأَ الْحَسَنَ مِنْ تِلْكَ السُّطُورِ
بَقِيَتْ مَدَى الدُّنْيَا وَمَلِكُكَ رَاسِخٌ وَطَوْدُكَ مَمْدُودٌ وَبَابُكَ غَامِرٌ
يُودُ سَنَاكَ الْبَدْرُ وَالْبَدْرُ زَاهِرٌ وَيَقْفُونَ دَاكُ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ غَامِرٌ
وَهَنَّتْ أَيَّامًا تَوَالَتْ سَعُودَهَا كَمَا تَتَوَالَى فِي الْعُقُودِ « الْجَوَاهِرُ »

يقول مؤلفه : فرغت من تأليفه وترتيبه في ربيع الأول سنة الف وثلثمائة وخمس عشرة هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

فهرست

الجزء الاول من كتاب جواهر الادب

صفحة

المرحوم أحمد مفتاح ، رسالة المرحوم	٥٧
الشيخ طه محمود ، رسالة المرحوم	
محمود بك أبو النصر ، رسالة المرحوم	
محمد البيلوي ، رسالة المرحوم عبد	
الكريم سلمان ، رسالة مؤلف هذا	
الكتاب	
الفصل الثالث في رسائل الهدايا -	
رسالة سعيد بن حميد ، رسالة حفني	
بك ناصف ، رسالة محمود بك	
أبو النصر ، رسالة عبدالله بك	
الانصارى ، رسالة المرحوم الشيخ	
أحمد مفتاح ، رسالة مؤلف هذا	
الكتاب الى أستاذة المرحوم الشيخ	
محمد عبده ، رسالة مؤلفه هذا	
الكتاب الى المغفور له سعيد باشا	
زغلول	٦٨
الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف	
رسالة الثعالبي ، رسالة عبدالله بن	
معاوية ، رسالة ابن حبيب الحلبي ،	
رسالة الجاحظ ، رسالة ابن مكرم ،	
رسالة الخوارزمي ، رسالة بعضهم	
الى رئيسه ، رسالة ابراهيم اليازجي	
رسالة زبيدة زوجة الرشيد ، رسالة	
المأمون ، رسالة بعضهم ، رسالة	
الجاحظ ، استعطاف أم جعفر بن	
يحيى للرشيد ، رسالة ابراهيم بن	
المهدي للمأمون ، رسالة اسحاق بن	
العباس للمأمون ، رسالة الفضل	
ابن الربيع للمأمون ، رسالة تميم بن	
جميل للمعتصم ، رسالة الجاحظ الى	
ابن الزيات ، رسالة رجل من أهل	
الشام للمنتصور ، رسالة روح بن	
زنباع لمعاوية ، رسالة ابن الرومي	
للقاسم ، رسالة الخوارزمي	٧٦
اعتذار لسعيد بن حميد - اعتذار لابي	
على البصير ، اعتذار للبديع	٩٧
الباب الثاني - الفصل الثاني -	
في رسائل حسن التقصاص	
والطلب ، رسالة أبي العباس	
رسالة عبد الخالق ثروت باشا ،	
رسالة المرحوم أحمد بك رافت ،	

صفحة

فاتحة الكتاب	٣
تقريب	٥
اليكم معشر الكتاب	٩
تمهيد في مبادئ علم الادب	١١
مقدمة في علم الانشاء	١٥
الباب الأول في أصول الانشاء -	
مواد الانشاء ، خواص الانشاء ،	
عيوب الانشاء ، طبقات الانشاء ،	
محاسن الانشاء	١٦
كيفية الشروع في عمل مواضع	
الانشاء - أركان الكتابة ، كيفية نظم	
الكلام ، الطريق الى تعلم الكتابة ،	
كيفية تهذيب الكلام ، محاسن الانشاء	
ومعانيه ، فصاحة الالفاظ ومطابقتها	
للمعاني ، حقيقة الفصاحة ، الانسجام	
حل الشعر ، التخلص والاقتضاف	٢٢
كيفية افتتاح مواضع الانشاء	٣٨
تقسيم الانشاء الى فني النظم والنثر	
كيفية عمل الشعر	٤٢
قنون الانشاء سبعة	٤٤
الفن الأول في المكاتب	٤٤
أبواب الرسائل	٤٥
الرسائل الاهلية	٤٥
الفصل الأول في رسائل الشوق -	
رسائل أبي منصور الثعالبي ، رسالة	
اليسطامي ، رسالة عبد الرحمن محمد	
ابن طاهر . رسالة أبي الفضل	
ابن العميد ، رسالة يديع الزمان	
الهمداني ، رسالة أبي محمد عبدالله	
البطليموس ، رسالة الشيخ ابراهيم	
اليازجي ، رسالة أبي العباس	
الفساني ، رسالة الصاحب	
اسماعيل بن عباد ، رسالة أبي بكر	
الخوارزمي ، رسالة المرحوم الشيخ	
حمزة فتح الله ، رسالة المرحوم محمد	
بك دياب ، رسالة المرحوم فداء أفندي	
رسالة مؤلف هذا الكتاب	٤٦
الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء ،	
رسالة الثعالبي ، رسالة المرحوم	
الشيخ حمزة فتح الله ، رسالة	
المرحوم حفني بك ناصف ، رسالة	
المرحوم أحمد أفندي سمير ، رسالة	

صفحة

- حفتى بك ناصف ، رسالة الشيخ على
الليثي ... ١٦١
- العصل الرابع عشر في الوصايا - من
كلامه عليه الصلاة والسلام لعمر ،
من وصاياه عليه الصلاة والسلام ،
عهد الامام على للاشتر النخعي ،
كتاب أبي بكر الصديق ، كتاب عمر
ابن الخطاب ، وصية ابن سعيد
المغربى ، وصية هرون الرشيد ،
وصية احدى نساء العرب لابنها ... ١٧١
- نصيحة رجل لهشام ، نصيحة أعرابي
لابن عبد الملك ، نصيحة فتاة لابيها ،
نصيحة الهمداني لوارث مال ، وصية
الربيعى لقومه ، وصية ذى الاصبع
لابنه ، وصية ابن شداد لابنه ... ١٩١
- الفصل الثانى عشر في التنصل -
كتاب ابن الرومى ، كتاب ابن زيدون
مكاتبات متفرقة - كتاب الدولة العلية
كتاب ابن العميد ، كتاب السيد
توفيق البكرى ، كتاب السيدة وردة
اليازجية ، كتاب السيدة عائشة
تيمور ، كتاب السيد عبدالله النديم
كتاب ابراهيم المويلحى بك ، كتاب
ابن هارون ... ٢٢٢
- الكلام على الرسائل العلمية ... ٢٢٢
- الفن الثانى في المناظرات ، مناظرة
النعمان بن النذر وكسرى ، مناظرة
أكرم بن صيفى ، مناظرة حاجب بن
زرارة ، مناظرة الحارث البكرى ،
مناظرة عمرو بن الشريد ، مناظرة
علقمة بن علاثة ، مناظرة خالد بن
جعفر الكلابى ، مناظرة قيس بن
مسعود الشيبانى ، مناظرة عامر بن
الطفيل العامرى ، مناظرة عمرو بن
معدى كرب ، مناظرة الحارث بن ظالم
المرى ، مناظرة رواية الكلبى عند
كسرى ، مناظرة الاشعث بن قيس ،
مناظرة بسطام بن قيس ، مناظرة
حاجب بن زرارة ، مناظرة قيس
ابن عاصم ... ٢٢٢
- مناظرات ومشاورات المهدي لاهل بيته
في حرب خراسان ... ٢٢٢
- مناظرة سلام وجواب المهدي عليه
مناظرة الربيع ، مناظرة الفضل
ابن العباس ، مناظرة على بن المهدي
مناظرة موسى بن المهدي ، مناظرة
العباس بن محمد ، مناظرة هارون
للمهدي ، مناظرة صالح للمهدي ،

صفحة

- رسالة عبد العزيز محمد باشا ...
رسالة حسن أفندى توفيق العدل ... ٩٩
- استمناح رجل لعبد الملك بن مروان -
استمناح العتابى لاحد أصدقائه ،
استمناح أعرابية لابن أبى بكره ،
استمناح حكيم فارض للمهلب ، تطف
رجل في استمناح المنصور ، استمناح
ابن زرارة لمعاوية ، استمناح للمرحوم
مصطفى لطفى المنفلوطى ، استمناح
الصابى لبعض الرؤساء ، استمناح
ابن عباد الى جعفر وزير المعتز ... ١٠٤
- الفصل الثالث في رسائل الشكر -
رسالة الثعالبى ، رسالة الحسن ،
وهب ، رسالة الأمير أبى الفضل
الميكالى ، رسالة الشيخ محمد عبده
الفصل الرابع في النصع والمشورة ،
رسالة الهمداني ، رسالة الاسكندر
المقدوني ، رسالة أرسطو الى
الاسكندر ، رسالة الامام على ، رسالة
السيد عبدالله النديم ، رسالة
الشيخ محمد عبده ... ١١٥
- الفصل الخامس في رسائل العتاب -
كتاب الهمداني ، كتاب الجاحظ ،
كتاب الخوارزمى ، كتاب عبدالله بن
معاوية ، كتاب الشيخ عبد العزيز
جاويش ، كتاب معاوية الى ابنه
يزيد ، كتاب أعرابي الى ابنه ، كتاب
حفتى بك ناصف ، كتاب القاضى
الفاضل ... ١٢٤
- الفصل السادس في الشكوى ، كتاب
الأمير الميكالى ، كتاب عبدالحميد بن
يحيى ، كتاب الشيخ محمد عبده ،
كتاب حافظ بك ابراهيم ... ١٣٨
- الفصل السابع في رسائل العبادة ،
كتاب ابن الرومى ، كتاب الخوارزمى
الفضل الثامن في رسائل
التهانى ، كتاب الثعالبى ، كتاب بديع
الزمان الهمداني ، كتاب الثعالبى
تهنئة بقدوم ، كتاب الثعالبى تهنئة
برمضان ، رسالة أبى الفرج الميها ،
كتاب المرحوم الشيخ حمزه ، كتاب
المرحوم محمد بك أبو النصر ، كتاب
المرحوم عبدالله باشا فكرى ... ١٥٣
- الفصل التاسع في التعمازى
والثابن ، كتاب الثعالبى ، كتاب
الهمداني ، كتاب اليازجى ، ثابن
الاحنف بن قيس ، ثابن الاسكندر
الفصل العاشر في رسائل الاجوبة
رسالة عبدالله باشا فكرى ، رسالة

صفحة

فيما لا يعنى ، في الكرم والضيافة ،	
في التعزية وتهوين الخطب ، في المكيل	
والميزان ، في الرشوة ، في حال اليتيم	
ومتاعه ، في صك الدين وانذار المعسر	
في الاحكام والحكام ، في اتهام الابرياء	
والمكابرة في الحق والباطل ، في أداء	
الشهادة ، في الخبر اليقين ، في	
الاستنكار والتعجب ، في الحسامة	
والدفاع ، في التحدى وعدم المبالاة ،	
في الظن والشك ، في التجوى والمؤامرة	
في التبرؤ والتتصل ، في موقف	
المجرمين امام العدالة عند ظهور الحق	
في الانحسام والالزام ، في اليأس	
والتئيس ، في امضاء الامر ، في حال	
المجرمين ، في الشيب والكبر ،	
في صفات الانسان ، في الخوف ، في	
التفجر والتحسر ، في النسيان ، في	
النفس الامارة بالسوء ، في الرؤيا	
والاحلام ، في زوال المكروه ، في التميم	
والسرور ، في الجبال والبحار ، في	
اليساتين والرياحين ، في التفكير	
والنظر ، في العظة والعبرة ، في نعم	
الله وفضله ، في ما استؤثر بعلمه ، في	
العمل لوجه الله ، في التحذير من	
النفس ، في الإتمتداد على الله ،	
في الترغيب ، في التقوى ، في التوبة ،	
في القرآن الكريم ، في الانبياء والاستنباء	
والكتب والكتابة ، في الاغتراب في	
الضعف والعجز ، في البلاء وما يصاب	
الناس به ، في الاغترار بالظهور ، في	
البشرى والتهنئة في الامتنان ، في	
التحدث بالنعمة ، في التأمين	٣١٨
والطمأنينة	٣١٩
أمثال العرب	٣٢٦
الفن الرابع في الاوصاف	
وصف البلدان - وصف القسلاص ،	
وصف الدور ، وصف الديار الخالية	
وصف أيام الربيع ، وصف الرياض	
وصف طول الليل والسهر ، وصف	
انتصاف الليل وتناهيه ، وصف	
طلوع الشمس وغروبها ، وصف الرهد	
والبرق ، وصف مقدمات المطر ،	
وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء ،	
وصف المطر والماء والسحاب ، وصف	
القيظ وشدة الحر ، وصف الشمس ،	
وصف الآلات المكتوبة ، وصف الخطباء	
وصف الملوك ، وصف الملقباء ،	
وصف السمر واليهشمين ، وصف	

صفحة

مناظرة محمد بن الليث ، مناظرة	
معاوية بن عبيدالله	٢٥٣
وفود بكارة الهلالية على معاوية ...	٢٥٣
مناظرة السيف والقم لابن الوردى ...	٢٥٤
مناظرة للامدى صاحب أبى تمام ،	
مناظرة صاحب البحرى ، مناظرة	
الليل والنهار ، مناظرة الأرض	
والسما ، مناظرة بين فصول العام	
مناظرة الخريف ، مناظرة الشتاء ،	
مناظرة البر والبحر ، مناظرة الهواء	
والماء ، مناظرة الجمل والحصان ...	٢٨٦
الفن الثالث في أمثال	٢٨٧
أمثال القرآن الظاهرة ، أمثال القرآن	
الكامنة	٢٨٨
في الصدق ، في الصبر والنيات ، في	
المسلم والاسترشاد ، في الاتحاد	
والوثام ، في العفو ، في الوفاء ، في	
الاقتصاد ، في الامر بالمعروف ، في بر	
الوالدين والاقارب ، في النصيحة ،	
في الشكر ، في الأفضاء والتغافل ، في	
المدح ، في التبرئة والتزبه ، في	
حسن الخلق ، في الكذب والزور ، في	
الخيانة وتقض العهد ، في القتل	
والانتحار ، في الرنا ، في الضر	
والميسر ، في البخل وحب المال ، في	
في الربا ، في العجب والكبرياء في	
الاستبداد والآثرة ، في التفريق	
والاختلاف ، في الجبن والفرار ، في	
الامر بما لا يفعمل ، في الغفلة ،	
في انكار الجميل ، في الدم والاهامة	
والتحقير ، في الضالين والمضللين ،	
في قرناء سوء ، في المنافقين والمرائين ،	
في تمثيل أعمال المرائين والمنافقين ،	
في الاتذار والوعيد ، في الحياة الزوجية	
في آداب النساء ، في الصلح والسلام ،	
في الناس بخير ما تعاونوا ، في الحشة	
على الصدقة ، في التخيبة والاستئذان ،	
في آداب المشى ، في التلطيف ، في	
الدعوة ، في الشورى ، في الشفاعة ،	
في الاخطاء والاصرار ، في المسؤولية	
عن العمل ، الجهاد ، في الايمان ،	
في الكلام والاستماع في الجدل والمناظرة	
وبعضها تتميز الأشياء في الحث على	
العمل ، في الجزاء على العمل ، في	
الجزاء من جنس العمل ، في شجبه	
الشيء منجسذب اليه ، في الاغترار	
والبنى ، في المتعدين والكافرين في	
غرور الظلمة ، في سوء عاقبة الظالمين	
الامراض عن الدعوى ، في المدخل	

صفحة

٢٨٧	وصف الشمس ، وصف القمر
٢٨٨	الفن الخامس في المقامات - المقامة الاسكندرانية ، المقامة البشرية ...
	الفن السادس في الروايات - رواية ليلي الاخيلية ، رواية بنات المشاعر المقتول ، والمرأة المتكلمة بالقرآن ، مروان بن الحكم ، عبيد بن الابرص ، أبو تراب والشريف العباسي ، المؤمن والمتظلمة ، عمر بن الخطاب والهرمزان ابراهيم بن المهدي ، الاحنف بن قيس ، معن بن زائدة وجاره ، معن بن زائدة والاسود ، معاوية والاعرابية ، الاحنف بن يدي عمر بن الخطاب ، أسيد بن عتقاء ، الفضل وجعفر البرمكي ، براعة الرشيد في الأدب ، والواق وأبي ذؤاد ، المنصور والربيع بن يونس الاعرابي السائل ، معاوية والاحنف بن قيس ، الحجاج ورسول المهلب ، حديث معاوية ويلي الاخيلية سودة بنت عمارة ومعاوية ، أم سنان بنت جشمة ومعاوية
٤٣١	

صفحة

	الامراء والاشراف ، وصف القلم ، وصف الخط ، وصف الكتاب ، وصف عاصفة ، وصف المعلم ، وصف رجل لخصمه ، وصف أبي دلف الرجل اعرابي ، وصف الامام العادل ، وصف عمرو بن العاص لمصر ، وصف المطر وصف حديثه ، وصف البيان ، وصف الحكام ، وصف القرآن الكريم ، وصف البلاغة ، وصف عمر بن الخطاب ، وصف علي بن أبي طالب ، وصف كلام العرب ، وصف حرب ، وصف الكتاب وصف التاريخ ، وصف الرجل الكامل وصف قناة السويس ، وصف فرس وصف العصا ، وصف كرة القدم ، وصف جيوش ، وصف الحسد ، وصف أفضل الكلام ، وصف الشعراء والمحدثين ، وصف أبي تمام والبحتري والمتنبي ، وصف بعض أحياء العرب ، وصف نهج البلاغة ، وصف محفلة - ومتحف ، وصف القونفراف ، وصف نظارة ، وصف سنان استيفانو ،
--	--

فهرس الجزء الثاني

صفحة

١٧	تقسيم كلام العرب الى نشر ونظم ، النشر والخطابة ، المجادلة ، خطباء العرب ، قيس بن ساعدة اليايادي ، أكثم بن صيفي ، الكتابة
٢٢	علوم العرب وفنونها ، علم النجوم ، الطب - والبيطرة ، الاختبار - والقصص ، التاريخ - والجغرافيا القراصة - والقيافة ، الكهانة والعرافة والزجر
٢٤	النظم والشعر - والشعراء
٢٦	أغراضه وفنونه
٤٧	الفخر والمدح والهجاء - والرثاء - الاعتذار - الوصف - والحكمة - والمثل ، معانيه وأخيلته ، وألفاظه ، وأساليبه ، أوزانه وقوافيه
٤٨	الشعراء وطبقاتهم - والشعراء الجاهليون
٤٩	امرؤ القيس ومعرفته
٥٠	الخطابة الديباني ومعرفته
٤٦	زهير بن أبي سلمى ومعرفته

صفحة

٣	الفن السابع في التساريخ - تاريخ أدب اللغة العربية - المقدمة الأولى في التاريخ - المقدمة الثانية في توضيح الأولى
٥	المقدمة الثالثة في جزيرة العرب
٦	المقدمة الرابعة في اللغة العربية
٧	المقدمة الخامسة في اللغة العربية
٨	المقدمة السادسة في حياة العرب
١٠	المقدمة السابعة في أخلاقهم
١٢	المقدمة الثامنة في دينهم
١٣	المقدمة التاسعة في ثقافتهم
١٤	المقدمة العاشرة في عصور الجاهلية
١٥	العصر الأول عصر الجاهلية - حالة اللغة في ذلك العصر
١٥	سموات عكاظ - كلام العرب
١٦	أغراض اللغة في الجاهلية - معاني اللغة في الجاهلية ، عبارة اللغة في الجاهلية

صفحة	الموضوع
١٥١	جبرير ...
١٥٢	الكيميت ...
١٥٥	الرواية والرواة ...
	العصر الثالث عصر الدولة العباسية
	أحوال اللغة العربية وآدابها في هذا
١٥٦	العصر ...
١٥٦	خلفاء بنى العباس ...
	أغراض اللغة - المعاني والأفكار ،
	الألفاظ والأساليب ، النشر ، المحادثة
١٥٧	أو لغة التخاطب ، الخطابة والخطباء
١٦٠	داود بن على ...
١٦١	شبيب بن شبيب ...
١٦٢	الكتابة الخطية والإنشائية ...
١٦٣	ابن مقلة ...
١٦٤	الكتابة الإنشائية في الرسائل ...
١٦٤	الكتابة في هذا العصر ...
١٦٥	ابن المقفع ...
١٦٦	ابراهيم الصولى ...
١٦٧	ابن العميد ...
١٦٨	بقية الخلفاء العباسيين ...
١٦٩	الصاحب بن عباد ...
١٧٠	بديع الزمان الهمداني ...
١٧١	ابن زيدون ...
١٧١	القاضى العادل ...
١٧٢	التدوين والتصنيف ...
١٧٣	كتابة التصنيف والتدوين ...
١٧٤	العلوم اللسانية ونشأتها ...
١٧٤	الجاحظ ...
١٧٤	أحمد بن عبد ربه ...
١٧٥	الحريرى ...
١٧٦	فن التأريخ ...
	العروض والقافية ، والنحو ، علم
١٧٧	اللغة علوم البلاغة ...
١٧٨	الخليل بن أحمد ...
١٧٩	سبويه - الكسانى ...
١٨٠	العلوم الشرعية - كتب الحديث ...
١٨١	الإمام البخارى - علم الفقه ...
٢٨٢	الإمام أبو حنيفة ...
١٨٣	الإمام مالك ...
١٨٣	الإمام الشافعى ...
١٨٣	الإمام أحمد بن حنبل ...
١٨٣	علم الكلام ...
١٨٤	أبو الحسن الأشعري ...
١٨٥	الفرائى ...
١٨٥	نشأة العلوم الكونية ...

صفحة	الموضوع
٥٢	مبتدأ العيسى ومملته ...
٦١	عمرو بن كلثوم ومملته ...
٦٩	طرقة بن العبد ومملته ...
٧٩	أعشى بن قيس ومملته ...
٨٣	الحارث بن حنظلة ومملته ...
٨٧	ليبد بن ربيعة ومملته ...
٩٦	عاقبة الفحل ومملته ...
٩٩	امية بن أبى الصلت وقصيدته ...
١٠١	خلفاء أمية ...
	العصر الثانى عصر صدر الاسلام
١٠١	حالة اللغة في ذلك العصر ...
	القرآن الكريم - أعجاز القسرآن
١٠٣	الشريف ...
١٠٤	جمع القرآن وكتابته ...
	صاحب الشريعة محمد صلى الله
١٠٥	عليه وسلم ...
١٠٧	الحديث النبوى ...
	النثر لغة التخاطب والخطباء ،
١٠٨	الكتابة ...
١٠٩	الخطابة في هذا العصر والخطباء ...
١١٠	النبي صلى الله عليه وسلم وخطبه
	عمر بن الخطاب وخطبه - خطبته في
١١٢	القضاء الى أبى موسى ...
١١٨	عثمان بن عفان وخطبه ...
١١٩	على بن أبى طالب وخطبه ...
١٢١	سبحان وأل وخطبه ...
١٢٢	زياد بن أبه وخطبه ...
١٢٣	الحجاج الثقفى وخطبه ...
١٢٦	طارق بن زياد وخطبه ...
١٢٧	الكتابة الخطية ...
١٢٨	الكتابة الإنشائية ...
١٢٩	مميزات الكتاب في هذا العصر ...
١٣٠	عبد الحميد الكاتب ...
١٣١	التدوين والتصنيف ...
١٣٢	الشعر والشعراء ...
١٣٣	أغراض الشعر وفنونه ...
	معانيه وأخيلته وألفاظه ، والشعراء
١٣٤	في هذا العصر ...
١٣٥	كعب بن زهير وقصيدته بانث سعد
١٣٩	عمرو بن معد يكرب الزبيدى ...
١٤٠	الغساس ...
١٤٢	الخطبة ...
١٤٤	حسان بن ثابت ...
١٤٥	الأنباة الجعدى ...
١٤٦	عمرو بن أبى ربيعة ...
١٤٨	الأخطل ...
١٥٠	الفرزدق ...

صفحة

رفاعة بك الطهطاوى ، عبدالله فكرى	٢١٩
باشا ، على مبارك باشا ، الشيخ	٢٥٣
محمد عبده ، الشيخ حمزة فتح الله ،	٢٥٣
المرحومة ملك حفنى ناصف ، الشعر	٢٦٠
وزعماء النهضة الحديثة ، محمود	٢٦٠
صفوت الساعاتى ، الشيخ على اللبى	
الشيخ شهاب الدين ، حفنى ناصف	
بك ، مصطفى كامل باشا ، محمد	
فريد ، سعد زغلول باشا ، مصطفى	
النحاس باشا ، الفسازى مصطفى	
كمال ، محمود سامى البارودى باشا ،	
أحمد شوقى بك ، محمد حافظ	
ابراهيم بك ، اسماعيل صبرى باشا ،	
خليل بك مطران	٢١٩
أبواب الشعر العربى	٢٥٣
الباب الاول فى المديح	٢٥٣
الباب الثانى فى الفخر والحماسة	٢٦٠
الباب الثالث فى شكوى الزمان	٢٦٠
الباب الرابع فى الوصف - وصف	
الشعراء آراء الحكماء والشعراء فيه	
شعر فيكتور هوغو ، وصف طيارة	
لحافظ ابراهيم ، وصف زلزال صقلية	
لحافظ ابراهيم ، وصف سيف	
للبحترى ، وصف القلم للمنفلوطى ،	
وصف أبى الهول لشوقى ، وصف	
النحل ومملكته لشوقى ، وصف مقبرة	
آمون لشوقى ، وصف مكتوب ، وصف	
الخط ، وصف الكتابة والبلاغة ،	
وصف المسوز والكمثرى والتفاح ،	
وصف الخوخ والمشمش والرمان ،	
وصف النخيل والبلح ، وصف البطيخ	
وصف الكرم والعنب ، وصف الهلال	
والثريا والزهرة ، وصف السماء	
والارض والليل ، وصف الغيث	
والربيع ، وصف واد ، وصف جمر	
يعلوه رمساد ، وصف بدر ، وصف	
هلال ، وصف روض وربيع ، وصف	
الهلال ، الصبح والليل ، وصف الندى	
على البحر ، وصف الجو وادبار	
الليل ، المطر ، وصف الصبح والليل	
وصف وحشة الليل والنجوم ،	
النانج ، وصف الشمس والبدر ،	
وصف القلم ، والسيف ، والليون	

صفحة

الشعر والشعراء	١٨٧
بشار بن برد	١٨٨
أبو نواس	١٨٩
مسلم بن الوليد	١٩٠
أبو العتاهية	١٩١
أبو تمام	١٩٢
البحترى	١٩٤
ابن الرومى	١٩٥
ابن المعتز	١٩٦
أبو الطيب المتنبى	١٩٦
ابن هانئ الأندلسى	١٩٨
أبو العلاء المعرى	١٩٩
ابن خفاجة الأندلسى	٢٠١
الطغرائى	٢٠٢
البهاء زهير	٢٠٢
الرواية والرواة	٢٠٣
العصر الرابع عصر الدولة التركية	
حالة اللغة وآدابها فى ذلك العصر ،	
النثر ، لغة التخاطب ، الخطابة ،	
الكتابة الخطية ، الكتابة الانشائية	
الكتاب فى هذا العصر	٢٠٣
القاصى محبى الدين	٢٠٥
شهاب الدين العمري	٢٠٦
لسان الدين بن الخطيب	٢٠٦
التدوين والتصنيف ، الادب	٢٠٧
بقية العلوم الاسلامية	٢٠٨
كتابة التدوين والتصنيف	٢٠٨
ابن خلكان ، ابن خلدون ، جلال الدين	
السيوطى	٢٠٨
الشعر والشعراء فى هذا العصر ،	
البوصيرى ، صفى الدين الحلى ،	
ابن نباتة المصرى ، ابن معتوق	
الموسوى	٢١٠
العصر الخامس - النهضة الاخيرة	
محمد على باشا	٢١٢
مدرسة الطب	٢١٣
ايقاظ محمد على للشرق	٢١٣
الخدوى اسماعيل	٢١٤
مظاهر النهضة الحديثة فى العلوم	٢١٤
الترجمة والتأليف	٢١٥
حالة اللغة العربية وآدابها فى هذا	
العصر	٢٢٦
النثر - المحادثة - الخطابة	٢١٧
الكتابة ، الخطية ، كتابة التدوين	٢١٨
زعماء النهضة العلمية الحديثة :	

صفحة

٣٨٨	الباب السابع فى المرائى
٤٠١	الباب الثامن فى الحكم والنصائح
٤٥٠	الباب التاسع فى العلم
٤٥٤	الباب العاشر فى العقل
٤٥٥	الباب الحادى عشر فى الادب
٤٧٨	الباب الثانى عشر فى الصبر والثبات
٤٨٠	الباب الثالث عشر فى الصدق
٤٨٠	الباب الرابع عشر فى الكذب
٤٨٠	الباب الخامس عشر فى التواضع
٤٨١	الباب السادس عشر فى الكرم
٤٨١	الباب السابع عشر فى البخل والبخلاء
٤٨٣	الباب الثامن عشر فى وصف الدنيا
٤٨٤	الباب التاسع عشر فى الاسرار
٤٨٥	الباب العشرون فى اللسان
٤٨٥	الباب الحادى والعشرون فى المعاشرة
٤٨٦	الباب الثانى والعشرون فى القناعة
٤٨٧	الباب الثالث والعشرون فى الحسد
٤٨٨	الباب الرابع والعشرون فى الحلم
٤٨٩	الباب الخامس والعشرون فى الحماسة
٤٨٩	الباب السادس والعشرون فى الوطن
٤٨٩	الباب السابع والعشرون فى المال
٤٩١	الباب الثامن والعشرون فى السياحة
٤٩٣	الباب التاسع والعشرون فى الغدر
٤٩٣	الباب الثلاثون فى الختام والدعاء

صفحة

٢٦٠	وصف النارنج والفسستق والتين واللوز ، وصف الجزر، النبق، قصب السكر ، وصف نهر حوله أشجار الجنار ، وصف الرياض والبرق ، وصف روضة صنعاء ، وزهرية ، وصف الفيت ، والثلج ، ومراة ، وصف جواد ، وصف سقرجل ورمال وتفاح ، الشقائق ، وصف اقتران الزهرة والهلل ، وصف الجليد والثلج وصف الرمح والسيف والحرب وأبطالها ، وصف دار بناها الصاحب بن عباد ، وصف زوج اثنين ، وصف قصر المتزبالله ، وصف جواد ، وصف حديقة ، وصف الطبيعة ، وصف النيل لحافظ ابراهيم ، وصف حال اللغة العربية ، وصف قطار البخار - للرصاصى ، وصف سكان جزيرة كريد وصف المقراض ، وصف السمعة ، وصف قصر وبركة عليها أشجار ، وصف صقلية ، وصف بوان ، وصف طيارة لحافظ ابراهيم ، وصف قطار السكة الحديد ، وصف حريق عابدين وصف خزان أسوان
٣٦٩	الباب الخامس فى الاستعطاف
٣٧٦	الباب السادس فى التهانى والتهادى